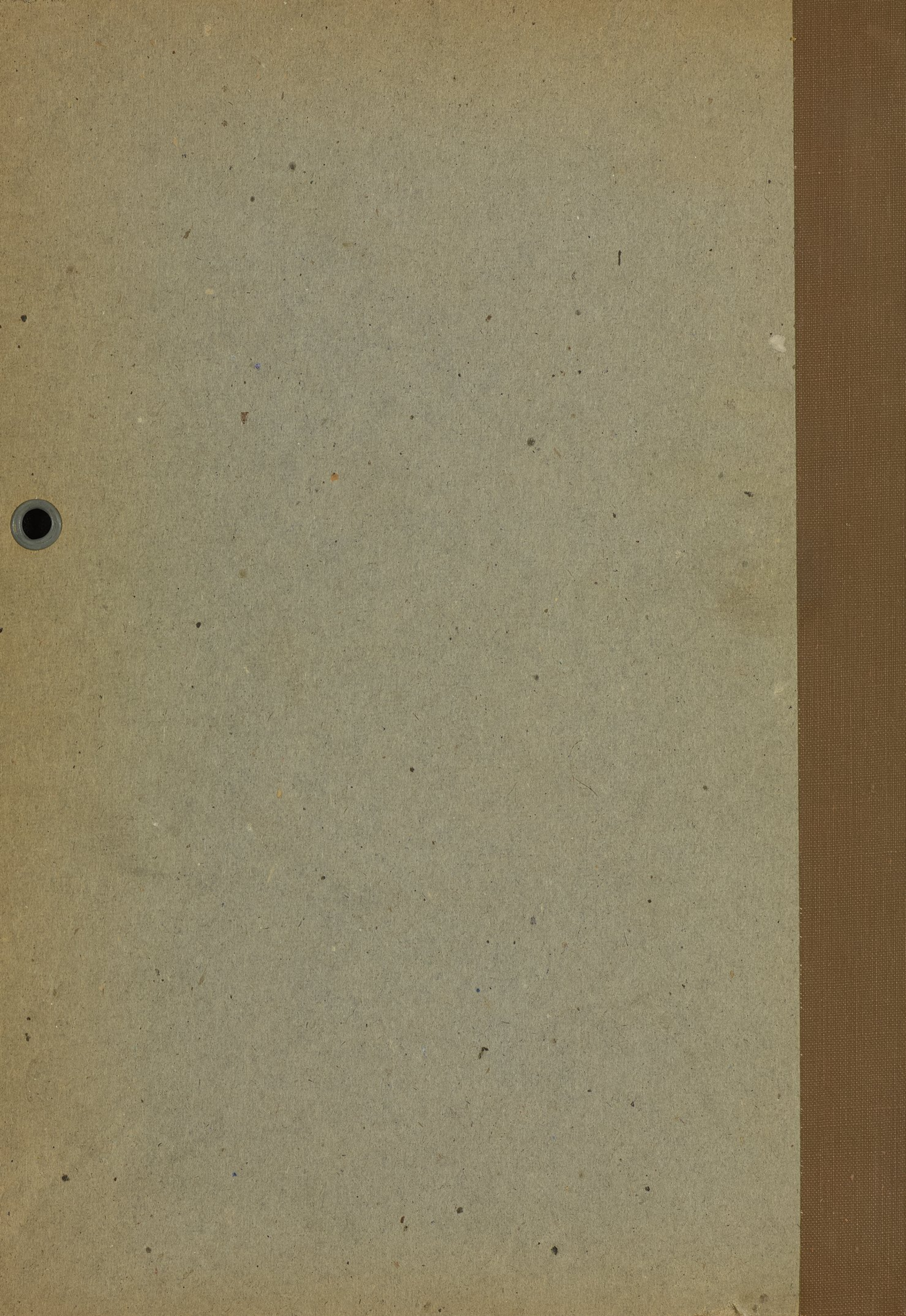
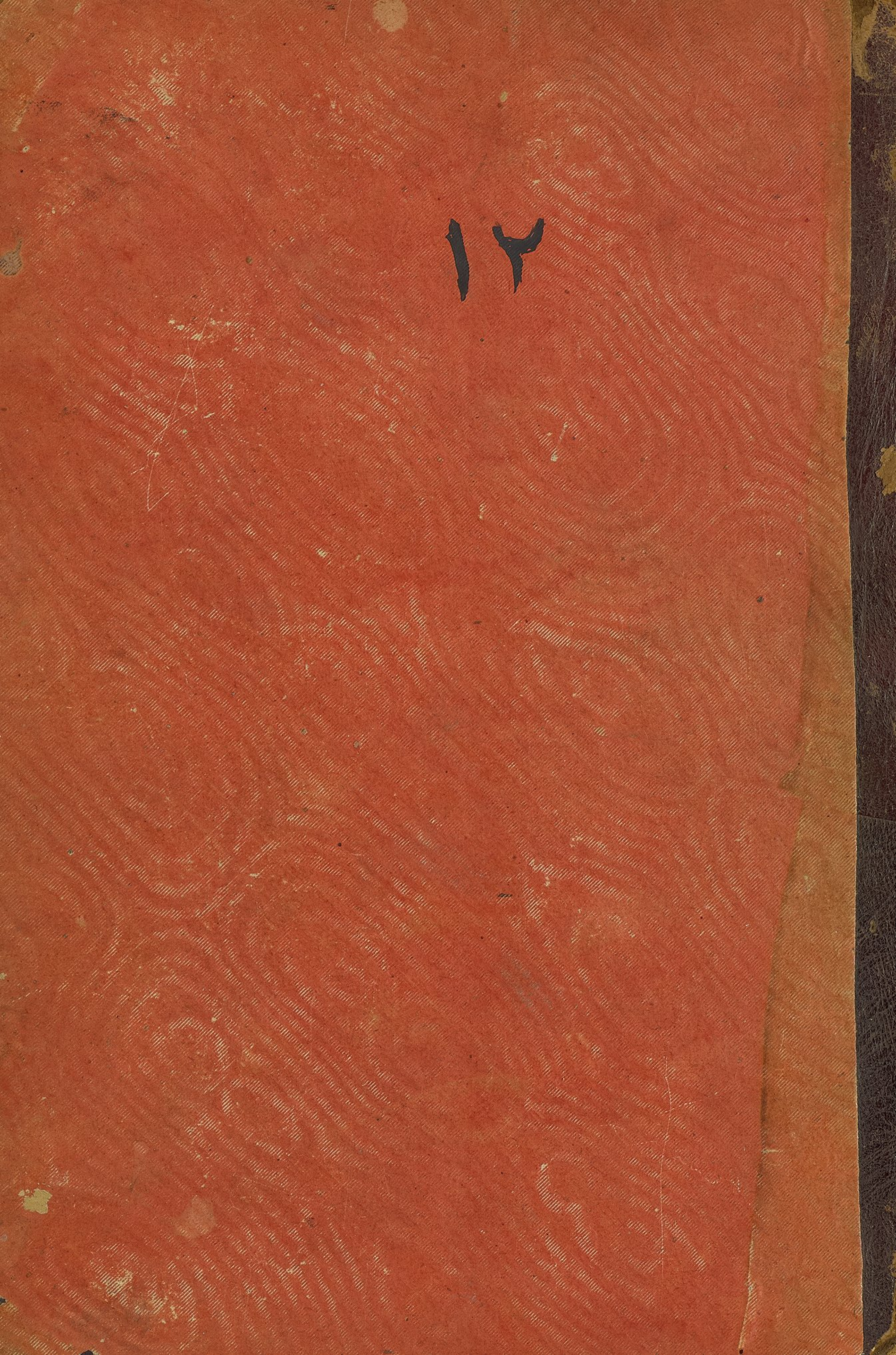
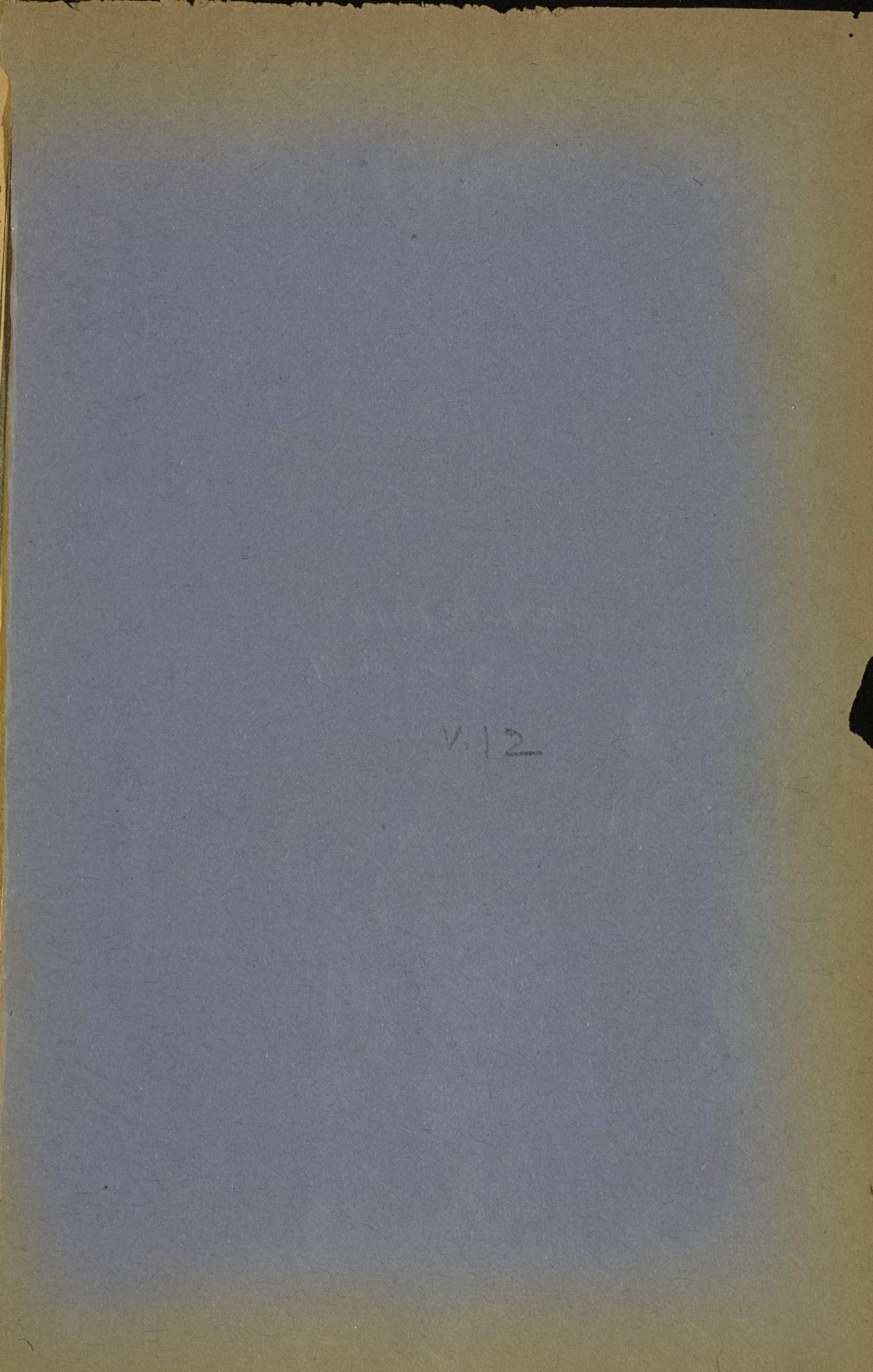



12388076
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0112388076
BUTLER STACKS


۱۲





V.12

(فهرست الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل)

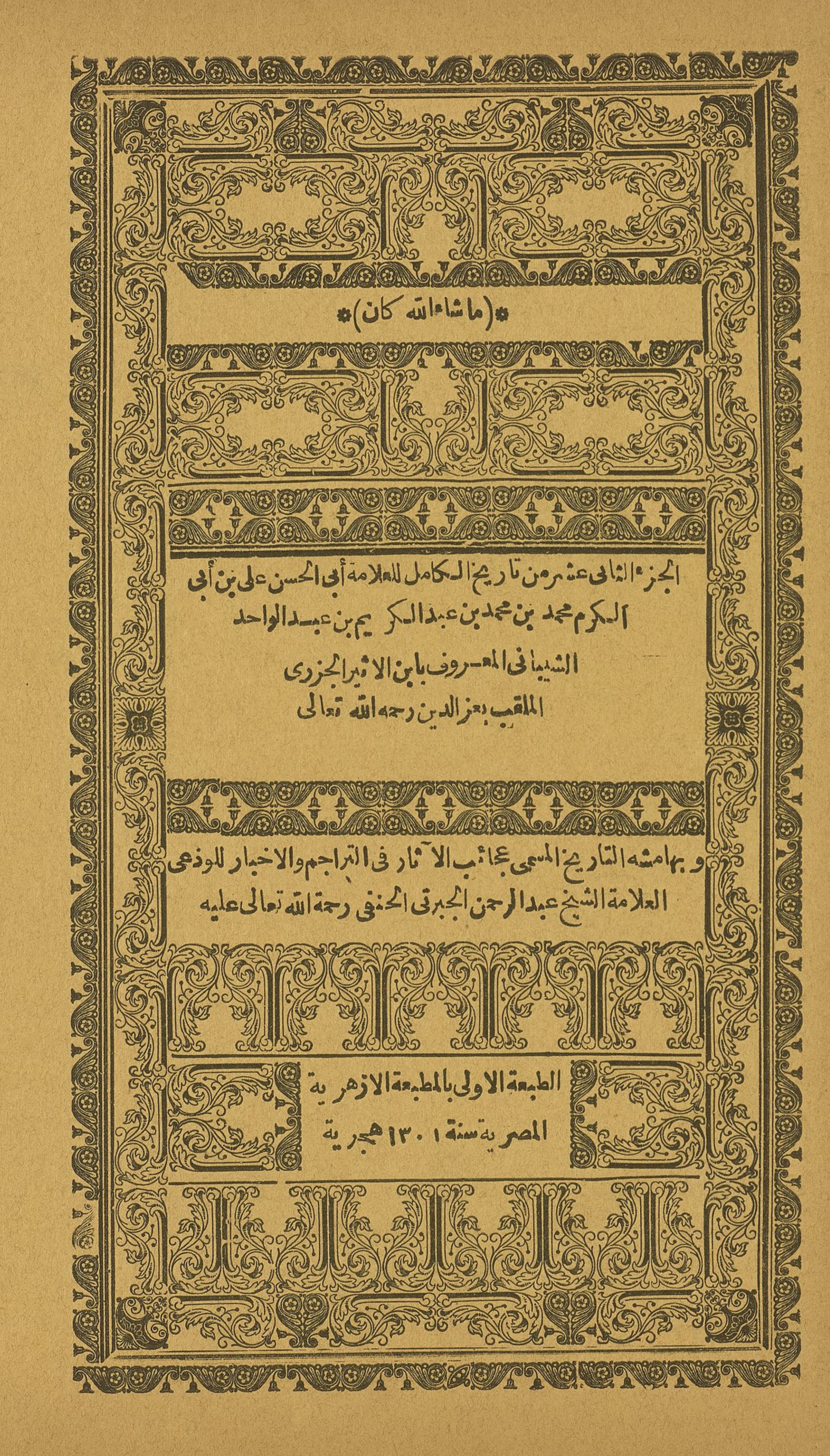
صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرست الجزء الثانى عشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

(تمت)



(ما شاء الله كان)

الجزء الثانى عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن أبى
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى
الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والاخبار للوذعى
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية



(ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر حصر صلاح الدين كوكب)

فى هذه السنة فى المحرم انحسر الشتاء فسار صلاح الدين من عكا فيمن تخلف عنده من العسكر الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظنا منه ان ملكها سهلا وان أخذها عجلا وهو فى قلة من العسكر متيسر فلما رآها عالية منيعة والوصول اليها متعذر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لان البلاد الساحلية من عكا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ما عدا هذه الحصون وكان يختار أن لا يبقى فى وسطها ما يشغل قلبه ويقسم همه ويحتاج الى حفظه ولئلا ينال الرعايا والمجتازين منهم الضرر العظيم فلما حصر كوكب ورآها منيعة يبطئ ملكها وأخذها رحل عنها وجعل عليها قايماز النجمى مشتديما لحصاره وكان رحيله عنها فى ربيع الاول وأتاه رسل الملك قلج ارسلان وقزل ارسلان وغيرهما يهنؤنه بالفتح والظفر وسار من كوكب الى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى البلاد جميعا باجتماع العساكر بها وأقام بها الى ان سار الى الساحل بالبلاد الشامية

(ذكر رحيل صلاح الدين الى بلد الفرنج)

(وفى يوم السبت تاسع عشرينه) الموافق لآخر يوم من شهر ابيب القبطى اوفى النيل المبارك اذرعه وكان ذلك اليوم ايضا ليلة رؤية هلال رمضان فصادف حصول الموسمين فى آن واحد فلم يعمل فيهما موسم ولا شنك على العادة ولم يركب المحتسب ولا ارباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم وكذلك شنك قطع الخليج وما كان يعمل فى ليلته من المهرجان فى النيل وسواحله وعند السد وكذلك فى صبحه وفى البيوت المطلة على الخليج فبطل ذلك جميعه ولم يشعر بهما احد وصام الناس باجتهادهم وكان وفاء النيل فى هذه السنة من النوادر فان النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الايام التى مضت من شهر أبيب الاشيئا يسيرا حتى حصل فى الناس وهم زائد وغلا سعر الغلة ورفعوها من

لما أراد صلاح الدين المسير عن دمشق حضر عنده القاضي الفاضل مودعاله ومستشيرا وكان مريضا وودعه وسار عن دمشق منتصف ربيع الاول الى حمص فنزل على بحيرة قدس غربي حمص وجاءته العساكر فاول من أتاه من أصحاب الاطراف عماد الدين زنكي ابن مودود بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور وتلاحقت العساكر من الموصل وديار الجزيرة وغيرها فاجتمعت عليه وكثرت عنده فسار حتى نزل تحت حصن الاكراد من الجانب الشرقي وكنت معه حينئذ فاقام يومين وسار جريدة وترك أثقال العسكر موضعها تحت الحصن ودخل الى بلاد الفرنج فاغار على صافيثا والعريمة ويحمور وغيرها من البلاد والولايات ووصل الى قريب طرابلس وأبصر البلاد وعرف من أين يأتيها واين يسلك منها ثم عاد الى معسكره سالما وقد غنم العسكر من الدواب على اختلاف أنواعها مالا حد له وأقام تحت حصن الاكراد الى آخر ربيع الآخر

﴿ذكر فتح جبلة﴾

لما أقام صلاح الدين تحت حصن الاكراد أتاه قاضي جبلة وهو منصور بن نبيل يستدعيه اليه ليسلمها اليه وكان هذا القاضي عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها وعلى ما يتعلق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له بفتح جبلة ولاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرطوس سادسه فرأى الفرنج قد أخلوا المدينة واحتموا في برجين حصينين كل واحد منهما قلعة حصينة ومعقل منيع فخرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وكان الداوية باحد البرجين فحصرهما صلاح الدين فنزل اليه من في أحد البرجين بامان وسلموه فامنهم وخرب البرج وألقى حجارته في البحر وبقي الذي فيه الداوية لم يسلموه وكان معهم مقدمهم الذي أسره صلاح الدين يوم المصاف وكان قد أطلقه لما ملك البيت المقدس فهو الذي حفظ هذا الحصن فخرب صلاح الدين ولاية انطرطوس ورحل عنها وأتى مرقية وقد أخلاها أهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهي من حصونهم التي لا ترام ولا تحدث أحدا نفسه بملكه لعلوه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحته فيكون الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد فاتفق ان صاحب صقلية من الفرنج قد سير نجدة الى فرنج الساحل في ستين قطعة من الشواني وكانوا بطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك أمر بالطارقيات والجفتيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من أول المضيق الى آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة

السواحل والعرصات فافاض المولى في النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة وفي ليلتين اوفى أذرعه قبل مظنته فان الوفاء لا يقع في الغالب الا في شهر مسرى ولم يحصل في أواخر أبيب الا في النادر وانى لم أدركه في سني عمري اوفى في ابيب الامرة واحدة وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة والف فتكون المدة بين ثلاث وهذه المدة سبعا وار بعين سنة (وفيه ارسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقي) فطلع اليه وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفارته فلما واجهه قال له هذا الذي حصل للناس من نهب اموالهم في صحائفي والقصد انكم تتقدمون لارباب المنهوبات وتجمعونهم بديوان خاص طائفة بعد اخرى وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع لها على وجه التحرير والصحة وانا اقوم لهم بدفعه بالغا ما بلغ فشكر له ودعاله ونزل الى داره وعرف الناس بذلك وشاع بينهم فحصل لاربابه بعض الاطمئنان وطلع الى الباشا كبار العسكر مثل عابدين بك ودبوس اوغلي وحجو بك ومحو بك واعتذروا وتنصلوا وذكروا واقروا ان هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ولا يخفاه خبث طباعهم فتقدم اليهم بان يتفقدوا بالفحص واحصاء ما حازه واخذه كل من طوائفهم وعساكرهم وشدد عليهم في الامر بذلك فاجابوه بالسمع

ثامن عشر جمادى الاولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها بحصنها واحتموا بقلعتها فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الامان وان يأخذ رهائنهم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج رهائنهم من المسلمين من أهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد أخذ رهائن القاضي ومسلمي جبلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضي رهائن الفرنج وجاء رؤساء أهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة أهله وهو من أمنع الجبال واشقها مسلكا وفيه حصن يعرف ببكسرائيل بين جبلة ومدينة حماة فملكه المسلمون وصار الطريق في هذا الوقت عليه من بلاد الاسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدة في سلوكه وقرر صلاح الدين أحوال جبلة وجعل فيها لحفظها الامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها

(ذكر فتح لاذقية)

لما فرغ السلطان من أمر جبلة وسار عنها الى لاذقية فوصل اليها في الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا القلعتين اللتين فيهما الفرنج وزحفوا اليهما ونقبوا الاسوار ستين ذراعا وعلقوه وعظم القتال واشتد الامر عند الوصول الى السور فلما أيقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضي جبلة فخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فامنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وكان ذلك في اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة اللاذقية من أحسن الابنية واكثرها زخرفة مملوءة بالرخام على اختلاف أنواعه فخرب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامها وشعثوا كثيرا من بيعها التي قد غرم على كل واحدة منها الاموال الجليلة المقدار وسلمها الى ابن اخيه تقي الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى اذا رآها اليوم من رآها ينكرها فلا يظن ان هذه تلك وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة

(ذكر حال اسطول صقلية)

لما نازل صلاح الدين لاذقية وصل اسطول صقلية الذي تقدم ذكره فوقف بازاء مينا لاذقية فلما سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على اخذ من يخرج منها من اهلها غيظا وحنقا حيث سلموها واسر يعا فسمع بذلك اهل لاذقية فاقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم ثم ان مقدم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فامنه وحضر وقبل الارض بين يديه وقال ما معناه انك سلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فذلوا فاتركهم يكونون مماليكك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فاجابهم صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار

واخذوا في جمع ما يمكنهم وارساله الى القلعة وركبوا اوشه قوابشوارع المدينة والطاعة وامتثلوا لامره وامامهم المناداة بالامان واحضر الباشا المعمار وامره بجمع النجارين والمعمرين واشغالهم في تعمير ما تكسر من اخشاب الدكاكين والاسواق و يدفع لهم اجرتهم وكذلك الاخشاب على طرف الميري

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠)

والناس في امر مريج وتخوف شديد وملازمون للسهر على الكرانك و يتحاشون المشي والذهاب والمجيء وكل اهل خطة ملازم لخطته وحارته وكل وقت يذكرون و ينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات وتطاولت ايدي العساكر بالتعدي والاذية والفتك والقتل لمن ينفردون به من الرعية (وفي ثاني ليلة) طلع السيد محمد المحروقي وطلع صحبته الشيخ محمد الدواخلي نقيب الاشراف وابن الشيخ العروسي وابن الصاوي المتعينون في مشيخة الوقت وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته وقد ابتدؤا بهم في املاء ما نهب لهم من حوانيتهم بعد ما حرروها عند السيد محمد المحروقي وتحليفهم بعد الاملاء على صدق دعواهم و بعد التحليف والمحاققة يتجاوزون بعضه لحضرة الباشا ثم يثبتون له الباقي فاستقر لاهل الغورية خاصة مائة وثمانون كيسا فدفع لهم

القوة والاستهانة بكل من يجيء من البحر وانهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى اصحابه

﴿ذكر فتح صهيون وعدة من الحصون﴾

ثم رحل صلاح الدين عن لاذقية فى السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهى قلعة منيعة شاهقة فى الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق فى بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخمسة أسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم فى الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسى اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح أكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثانى جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قد أغفل الفرنج احكامها فتسلقوا منها بين الصخور حتى التحقوا بالسور الاول فملكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من أبقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلة التى للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرر وا على أنفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى أمير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة أبى قبيس فحصنه وجعله من أحصن الحصون ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا فى تلك النواحى فملكوا حصن بلاطنوس كان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملك أيضا حصن العيدو وحصن الجماهرتين فاتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الاسلامية على عقبة بكسرائيل شاق شديد لان الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لان بعضها بيد الاسماعيلية وبعضها بيد الفرنج

﴿ذكر فتح حصن بكاس والشغر﴾

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقية وجبلة والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه أمر بمزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من أحجاره الى القلعة شىء الا القليل الذى لا يؤذى فبقى المسلمون عليه أياما لا يرون فيه طمعا وأهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده أصحابه وهم فى ذكر

ثانيها واخرها الثالث وهو شتون كيشا يستوفونها فيما بعد امامن عرضهم ان ظهر لهم منها شىء اومن الخزينة ولازم الجماعة الطلوع والنزول فى كل ليلة لتحرير بواقى المنهوبات وايضا استقر لاهل خان الحمزاوى نحو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ولطائفة السكرية نحو من سبعين كيسا خصمت لهم من ثمن السكر الذى يبتاعونه من الباشا واستمر الباشا بالقلعة يدبر اموره ويجلب قلوب الناس من الرعية واكابر دولته بما يفعله من بذل المال ورد المنهوبات حتى ترك الناس يسخطون على العسكر ويترضون عنه ولو لم يفعل ذلك وثارت العسا كر هذه الثورة ولم يقع منهم نهب ولا تعدا ساعدتهم الرعية واجتمعت عليهم اهالى القرى وارباب الاقطاعات لشدة نكايتهم من الباشا بضبط الرزق والالتزامات وقياس الاراضى وقطع المعايش وذلك من سوء تدبير العسكر وسعادة الباشا وحسن سياسته باستجلابه الخواطر وتملقه بالكلام اللين والتصنع ويلوم على فعل العسكر ويقول بمسمع الحاضرين ماذنب الناس معهم خصوصا خصامهم معى اومع الرعية ها انا لى منزل بالازبكية فيه اموال وجواهر وامتعة واشياء كثيرة وسراية ابنى اسمعيل باشا ببولاق ومنزل الدفتردار ونحو ذلك ويتحوقل ويعمل فكرته ويدبر امره فى امر العسكر وعظمائهم

القلعة واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين أو يأتى الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم فى هذا الحديث اذ قد أشرف عليهم فرنجى ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسال انتظارهم ثلاثة أيام فان جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فاجابهم اليه وأخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة وكان سبب استمهالهم انهم أرسلوا الى البيمند صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه أن يرحل عنهم المسلمين فان فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى فى قلوبهم والا فلو أقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم أحد ولا بلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى أمير يقال له قلج وأمره بعمارته ورحل عنه

(ذكر فتح سرمينية)

لما كان صلاح الدين مشغولا بهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازى صاحب حلب فحصر سرمينية وضيق على أهله واستنزلهم على قطيعة قررها عليهم فلما انزلهم وأخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفى أثره وعالى بنيانه وكان فيه وفى هذه الحصون من أسارى المسلمين الجم الغفير فاطلقوا وأعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة واتفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمينية مع كثرتها كان فى ست جمع مع انها فى أيدى اشجع الناس واشدهم عداوة للمسلمين فسبحان من اذا أراد أن يسهل الصعب فعل وهى جميعها من اعمال انطاكية ولم يبق لها سوى القصير وبغراس ودرب ساك وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى مكانه

(ذكر فتح برزية)

لما رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وصفت له وهى تقابل حصن افامية وتناصفها فى اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تتفجر من جبل برزية وغيره وكان اهلها أضر شئ على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون فى الاذى فلما وصل اليها نزل شرقيها فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ثم ركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعا يقاتلها منه فلم يجده الا من جهة الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتة فانها لا يقدر أحد ان يصعد جبلها من هاتين الجهتين وأما الجانب الشرقى فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوه وصعوبته واما جهة الغرب فان الوادى المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله

المسلمون

وينقم عليهم ويعطيهم الاموال الكثيرة والاكياس العديدة لانفسهم وعساكرهم وتنتبذ طائفة منهم ويقولون نحن لم ننهب ولم يحصل لنا كسب فيعطيهم ويفرق فيهم المقادير العظيمة فانعم على عابدين بك بالف كيس ولغيره دون ذلك (وفى اثناء ذلك) اخرج جردة من عسكر الدلاة ليسافروا الى الديار الحجازية فبرزوا الى خارج باب الفتوح حيث المكان المسمى بالشيخ قمر ونصبوا هناك وطاقهم وخرجت احمالهم واثقالهم (وفى ليلة الخميس) ثارت طائفة الطبجية وخاصوا وضجوا وهم نحو الاربعمائة وطلبوا نفقة فامر لهم بخمسة وعشرين كيسا ففرقت فيهم فسكتوا وفى يوم الخميس المذكور نزل كتخدا بك وشق من وسط المدينة ونزل عند جامع الغورية وجلس فيه ورسم لاهل السوق بفتح حوانيتهم وان يجلسوا فيها فامتثلوا وفتحوا الحوانيت وجلسوا على تخوف كل ذلك مع عدم الراحة والهدو وتوقع المكروه والتطير من العسكر وتعدى السفهاء منهم فى بعض الاحايين والتحرز والاحتراس واما النصارى فانهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم وحاراتهم وسدوا المنافذ وبنوا كرانك واستعدوا بالاسلحة والبنادق وامدهم الباشا بالبارود وآلات الحرب دون المسلمين حتى انهم استاذنوا كتخدا بك فى سد بعض الحارات النافذة التى يخشون وقوع الضرر منها فمنع من

المسلمون ونصبوا عليه المجنيقات ونصب اهل القلعة عليها مجنيقا ابطلها ورأيت انا
من راس جبل عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شئ اليها امرأة ترمى من القلعة
عن المجنيق وهى التى أبطلت منجنيق المسلمين فلما راى صلاح الدين ان المجنيق
لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة اقسام قسم
يزحف فاذا تعبوا وكلوا عادوا وزحف القسم الثانى فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف
القسم الثالث ثم يدور الدور مرة بعد اخرى حتى يتعب الفرنج وينصبوا فانهم لم يكن
عندهم من الكثرة ما يتقسمون كذلك فاذا تعبوا واعيوا اسلموا القلعة فلما كان الغد
وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة تقدم احد الاقسام وكان المقدم عليهم
عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم
فقاتلهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجفتيات والجنويات
والطارقيات ومشوا اليهم حتى قربوا الى الجبل فلما قاربوا الفرنج عجزوا عن الدنو منهم
لخشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو مكانهم بالنشاب والحجارة فانهم كانوا يلقون
الحجارة الكبار فتتدحرج الى اسفل الجبل فلا يقوم لها شئ فلما تعب هذا القسم
انحدروا وصعد القسم الثانى وكانوا جلوسا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاص
فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا شديدا فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين فى
سلاحه يطوف عليهم ويحرضهم وكان تقى الدين ابن اخيه كذلك فقاتلوهم الى قريب
الظهر ثم تعبوا ورجعوا فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم اليهم وبيده جماق يردهم
وصاح فى القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا ملبين وساعدوا اخوانهم
وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان اصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا
ايضا معهم فحينئذ اشتد الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتد تعبهم
ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحر والقتال فخالطهم
المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طائفة قليلة فى
الخيام شرقى الحصن فرأوا الفرنج قد اهملوا ذلك الجانب لانهم لم يروا فيه مقاتلا
ولم يكثروا فى الجهة التى فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم
مانع فصعدوا أيضا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج
فملكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلة التى للحصن وأحاط بها المسلمون وأرادوا
نقبها وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من أسرى المسلمين الى سطح القلة وأرجلهم فى
القيود والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين فى نواحى القلعة كبروا فى سطح القلة
وظن الفرنج ان المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا والقوا بايديهم الى الاسر فملكها
المسلمون عنوة ونهبوا ما فيها وأسروا وسبوا من فيها واخذوا صاحبها واهله وامست خالية
لا ديار بها والقى المسلمون النار فى بعض بيوتهم فاحترقت ومن العجب ما يحكى من السلامة
أننى رأيت رجلا من المسلمين على هذا قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالى القلعة الى

ذلك واما النصارى فلم يمنعهم وقد تقدم ذكر فعله مع رضوان كاشف عندما سد ٧ باب داره وفتحه من جهة أخرى وعزره
وضربه وبهدله بوسط الديوان
(وفيه) وصل نجيب أفندى
وهو قبى كتخدا الباشا عند
الدولة الى بولاق فركب اليه
كتخدا بك وأكابر الدولة
والاغا والوالى وقابلوه ونظموا
له موكبا من بولاق الى القلعة
ودخل من باب النصر وحضر
صحبته خلع برسم الباشا وولده
طوسون باشا وسيفان وشلنجان
وهدايا واحقاق نشوق
مجوهرة وعملوا لوصوله
شنكا ومدافع من القلعة وبولاق
(وفيه) ارتحل الدلاة
المسافرون الى الحجاز ودخل
جوبك الى المدينة بطائفته
(وفى ضحوة) ذلك اليوم بعد
انفضاض أمر الموكب حصل
فى الناس زعجة وكرشات
وأغلقوا البوابات والدروب
واتصل هذا الانزعاج بجميع
النواحى حتى الى بولاق
ومصر القديمة ولم يظهر لذلك
أصل ولا سبب من الاسباب
مطلقا (وفى تلك الليلة) ألبس
الباشا جوبك خلعة وتوجه
بطرطور طويل وجعله أميرا
على طائفة من الدلاة وانخلع
هو وأتباعه من طريقتهم
التركية التى كانوا عليها
وهؤلاء الطائفة التى يقال
لهم دلاة ينسبون أنفسهم
الى طريقة سيدنا عمر بن
الخطاب رضى الله عنه واكثرهم من نواحى الشام وجبال الدروز والمتاولة وتلك النواحى يركبون الاكاديش

طائفة أخرى من المسلمين جنوبى القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضا فالقيت عليه الحجارة وجاء حجر كبير لوناله لبحجه فنزل عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربه وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت فى الارض فوق الرجل فضرب به المنحدر فارتفع عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه أذى ولا ضرر وقام يعدو حتى لحق باصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست ام الجبان واما صاحب برزية فانه أسر هو واصحابه وامرأته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم العسكر فارسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة بيمند صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه و تعلمه كثيرا من الاحوال التى تؤثر فاطلق هؤلاء لاجلها

(ذكر فتح دربساك)

لما فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فاتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار عنه الى قلعة دربساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من معاقل الداوية الحصينة وقلاعهم التى يدخرونها لحمايتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيئا يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط واتسع المكان الذى يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه اما بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فامنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب

(ذكر فتح بغراس)

ثم سار عن دربساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف اصحابه فى حصرها فمنهم من اشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر فى اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الامر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية يغيرون على اعمالها وكانوا

وعلى رؤسهم الطراطير السود مصنوعة من جلود الغنم الصغار طول الطرطور نحو ذراع واذا دخل الكنيف نزعه من على راسه ووضعه على عتبة الكنيف وما ادرى اذلك تعظيم له عن مصاحبته معه فى الكنيف او لخوف وحذر من سقوطه ان انصدم باسكفة الباب فى صحن المرحاض او الملاقى وهؤلاء الطائفة مشهورة فى دولة العثمانيين بالشجاعة والاقدام فى الحروب ويوجد فيهم من هو على طريقة حميدة ومنهم دون ذلك وقليل ماهم ولكونهم من تمام النظام رتبهم الباشا من اجناسه واتراكه خلاف الاجناس الغريبة ومن بقى من اولئك يكون تبعا لا متبوعا (وفى يوم الثلاثاء سادس عشره) حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكرشات بل أكثر من المرة الاولى وصاحت الرامحون واغلقت الحوانيت وطلبت الناس السقائين الذين ينقلون الماء من الخليج وبيعت القربة بعشرة انصاف فضة والراوية باربعين فنزل الاغاوات التبديل وامامهم المناداة بالامان و ينادون على العسكر ايضا ومنعهم من حمل البنادق و يامرون الناس بالتحفظ واستمر هذا الامر والارتجاج الى قبيل العصر وسكن الحال وكثر مرور السقائين وبيعت القربة بخمسة انصاف والراوية بخمسة عشر ولم يظهر

حذرين

حذرين من الخوف من اهلها ان غفلوا القرب بهم منها وصلاح الدين فى بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم يؤثر فيها شيئا لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وتاخر امكها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الان صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل الماء اليها فخفف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فاجيب الى ذلك فاذن له فى الحضور فحضر وطلب الامان لمن فى الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فاجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على راس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر واموال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخرب وكان ذلك مضرة عظيمة على المسلمين فان ابن ليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتاذى بهم السواد الذى لحلب وهو الى الآن بايديهم

(ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية)

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف البيمند صاحبها من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كل أسير عنده من المسلمين فاستشار من عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحوا ويجددوا ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية أشهر اولها اول تشرين الاول وآخرها آخر ايار وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية فى هذا الوقت اعظم الفرنج شانا واكثرهم ملكا فانه كان الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع اعمالها مضافا الى ما كان له لان القمص لم يخلف ولدا فلما سلمت اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نائبا عنه واما صلاح الدين فانه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق العساكر الشرقية كعماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربى وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الامير عز الدين أبو الفليتة قاسم بن المهنا العلوى الحسينى وهو أمير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله فى اعماله كلها ودخل دمشق أول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مامون وقد بقى بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها فى وسط بلاد الاسلام ولا يؤمن شر أهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد والله أعلم

لهذه الحركة بسبب ايضا وتقول الناس بطول نهار ذلك اليوم اصنافا وانواعا من الروايات والاقاويل التى لا أصل لها (وفى يوم الاربعاء) سابع عشره حضر الشريف راجح من الحجاز ودخل المدينة وهو راكب على هجين وصحبته خمسة انفار على هجن ايضا ومعهم اشخاص من الارنؤد من اتباع حسن باشا الذى بالحجاز فطلعوا به الى القلعة ثم انزلوه الى منزل احمد اغا اخى كتخدا بك (وفى ليلة الخميس) قلد الباشا عبد الله اغا المعروف بصارى جله وجعله كبيرا على طائفة من الينكجرية ايضا وجعل على راسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره كما هى عادتهم هو واتباعه وكان من جملة المتهومين بالمخامرة على الباشا (وفيه) برز امر الباشا لكبار العسكر بركوب جميع عساكرهم الخيول ومنعهم من حمل البنادق ولا يكون منهم راجل او حامل للبندقية الا من كان من اتباع الشرطة والاحكام مثل الوالى والاغا واغات التبديل ولازم كتخدا بك وايوب اغا تابع ابراهيم اغا اغات التبديل والوالى المرور بالشوارع والجلوس فى مراكز الاسواق مثل الغورية والجمالية وباب الجزاوى وباب زويلة وباب الخرق واكثر اتباعهم مفطرون فى نهار رمضان ومتجاهرون بذلك من غير احتشام ولا مبالاة بانتهاك حرمة شهر

(ذكر فتح الكرك وما يجاوره)

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلازموا الحصار هذه المدة الطويلة حتى فنيت أزواد الفرنج وذخائرهم وأكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا الملك العادل أخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك في جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لما بعده وهو الى درب سالك وبغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وأرسل الى مقدم العسكر الذي يحصرها في المعنى فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضا ما يقاربه من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية والقى الاسلام هناك جرانه وأمنت قلوب من في ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيره فانهم كانوا من بتلك الحصون وجلين ومن شرهم مشفقين

(ذكر فتح قلعة صفد)

لما وصل صلاح الدين الى دمشق وأشير عليه بتفريق العساكر وقال لا عدمن الفرنج من صفد وكوكب وغيرها اقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وادام الرمي اليها ليلا ونهارا بالحجارة والسهام وكان اهلها قد قارب ذخائرهم وازوادهم ان تفنى في المدة التي كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم كما ذكرناه فلما راى اهله جد صلاح الدين في قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفنى ما بقي معهم من اقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكهم او انهم يضعفون عن مقاومته قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فارسلوا يطلبون الامان فامنهم وتسلمها منهم فخرجوا عنها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا وسط البلاد الاسلامية

(ذكر فتح كوكب)

لما كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع من بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم تبق كوكب ولو انها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتفق رايهم على انفاذ نجدة لها سرا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مائتي رجل من شجعان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر الله تعالى ان رجلا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيدا فلقي رجلا من تلك النجدة فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذي اقدمه الى هناك فاقر بالحال ودله على اصحابه فعاد الجندي المسلم الى قايماز النجمي وهو مقدم ذلك العسكر فاعلمه الخبر والفرنجي معه فركب في طائفة من العسكر الى الموضع الذي قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فاخذهم وتتبعهم في الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم احد فكان معهم مقدمان من فرسان الاسبتار فحملوا الى

صلاح

الصوم و يجلسون على الحوانيت والمساطب ياكلون و يشربون الدخان و ياتى أحدهم و بيده شبك الدخان فيدنى مجمرته لانف ابن البلد على غفلة منه و ينفخ فيه على سبيل السخرية والهذيان بالصائم وزادوا في الغى والتعدى وخطف النساء نهارا وجهارا حتى اتفق ان شخصا منهم ادخل امراة الى جامع الاشرفية وزنى بها في المسجد بعد صلاة الظهر في نهار رمضان (وفي اواخره) عملوا حساب اهل سوق مرجوش فبلغ ذلك ارىعمائة وخمسين كيسا قبضوا ثلثيها وتاخر لهم الثلث كل ذلك خلاف النقود لهم ولغيرهم مثل تجار الحمزاوى وهو شئ كثير ومبالغ عظيمة فان الباشا منع من ذكرها وقال لاى شئ يؤخرون في حوانيتهم وحواصلهم النقود ولا يتجرون فيها واتفق لتاجر من اهل سوق امير الجيوش انه ذهب من حاصله من حواصل الخان ثمانية آلاف فرانسه فلم يذكرها ومات قهرا وكذلك ضاع لاهل خان الحمزاوى من صرر الاموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر ومصاغ هذه النساء على ثمن ما يشترونه من التجار والتفاصيل والمقصبات او على ما يتاخر عليهم من الاثمان ما لا يدخل تحت الحصر و يستحيا من ذكره وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ تجاه الحمزاوى من حانوته اربعة آلاف فرانسه فلم يذكرها وامثال

صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته قتل الداوية
والاسبتارية لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم فلما امر بقتلهما قال له احدهما
ما اظن ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير
العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح فلما سمع كلامهما لم يقتلهما
وامر بهما فسجنا ولما فتح صفد سار عنها الى كوكب ونازلها وحصرها وارسل الى
من بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا ويتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان
امتنعوا فلم يسمعوا قوله واصروا على الامتناع فجد في قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات
وتابع رمي الاحجار اليهم وزحف مرة بعد مرة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا نهارا
فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذي يريدونه وطال مقامهم عليها وفي آخر
الامر زحف اليها دفعات متناوبة في يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون
والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر أحد منهم أن يخرج رأسه
من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج
ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فامنهم وتسلم الحصن منهم منتصف ذي القعدة
وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صنديد
فاشتدت شوكتهم وحميت جمرتهم وتابعوا الرسل الى من بالاندلس وصقلية وغيرها من
جزائر البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كل قليل تأتيهم وكان ذلك كله
بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفا حيث لم
ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد ايلة الى اقصى أعمال بيروت
لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح
الدين صفد سار الى البيت المقدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكا فاقام بها
حتى انسلخت السنة

* (ذكر ظهور طائفة من الشيعة بمصر) *

في هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدتهم اثنا عشر رجلا ليلا ونادوا بشعار
العلويين يا آل علي وسلكوا الدروب ينادون ظنا منهم ان رعية البلد يلبون
دعوتهم ويخرجون معهم فيعيدون الدولة العلوية ويخرجون بعض من بالقصر
محبوسا منهم ويملكون البلد فلم يلتفت أحد منهم اليهم ولا أعارهم سمعه فلما رأوا ذلك
تفرقوا خائفين فاخذوا وكتب بذلك الى صلاح الدين فاهمه أمرهم وأزعجه فدخل
عليه القاضي الفاضل فاخبره الخبر فقال القاضي الفاضل ينبغي ان تفرح بذلك ولا
تحزن ولا تهتم حيث علمت من بواطن رعيتك المحبة لك والنصح وترك الميل الى عدوك
ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن أصحابك ورعيتك وخسرت
الاموال الجليلة عليهم لكان قليلا فسري عنه وكان هذا القاضي الفاضل صاحب
دولة صلاح الدين واكبر من بها وسيأتي من مناقبه عند وفاته ما تراه

ذلك كثيرا وانقضى شهر رمضان والناس في امر مريج وخوف وانزعاج وتوقع المكروه ولم ينزل الباشا من القلعة
بطول الشهر وذلك على خلاف
عادته فانه لا يقدر على
الاستقرار بمكان أياما وطبيعته
الحركة حتى في الكلام
وكبار العساكر والسيد محمد
المحروقي ومن يصحبه من
المشايخ ونقيب الاشراف
مستمرون على الطلوع
والنزول في كل يوم وليلة
والمتقيدين بالمنهو بين ديوان
خاص وفرق الباشا كساوي
العيد على اربابها ولم يظهر في
هذه القضية شخص معين
والكثير من العساكر الذين
يمشون مع الناس في الاسواق
يظهرون الخلاف والسخط
ويظهر منهم التعدي ويخطفون
عمائم الناس والنساء جهارا
ويتوعدون الناس بعودهم
في النهب وكان بينهم وبين
اهل البلدة عداوة قديمة
او ثارات يخلصونها منهم
وفيهم من يظهر التأسف
والتندم واللوم على المعتدين
ويسفه رايهم وهو المحروم
الذي غاب عن ذلك وبالجملة
فكل ذلك تقادير الهية وقضايا
سماوية ونقمة حلت باهل
الاقليم واهله من كل ناحية
نسال الله العفو والسلامة
وحسن العاقبة * ومما
اتفق ان بعض الناس زاد
بهم الوهم فنقل ماله من
حانوته او حاصله الكائن
ببعض الوكائل او الخانات الى منزله او حرز آخر فسرقها السراق وحانوته او حاصله لم يصبه ما اصاب غيره وتعدم

(ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل)

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله عسكرا كثيرا وجعل المقدم عليهم وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيرهم الى مساعدة قزل ليكف الناس طغرل عن البلاد فسار العسكر ثالث صفر الى ان قارب همذان فلم يصل قزل اليهم واقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الاول بداي مرج عند همذان واقتتلوا فلم يثبت عسكر بغداد بل انهزموا وتفرقوا وثبت الوزير قائما ومعه مصحف وسيف فاتاه من عسكر طغرل من اسره واخذ ما معهم من خزانه وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرقين وكنت حينئذ بالشام في عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فاتاه الخبر مع النجابين بمسير العسكر البغدادي فقال كأنكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لاشك ان اصحابي واهلي اعرف بالحرب من الوزير واطوع في العسكر منه ومع هذا فما ارسل احدا منهم في سرية للحرب الا واخاف عليه وهذا الوزير غير عارف بالحرب وقريب العهد بالولاية ولا يراه الامراء اهلا ان يطاع وفي مقابلة سلطان شجاع قد باشر الحرب بنفسه ومن معه يطيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنت اخبرتكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ولما عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعراء وهو احمد بن الواثق بالله

اتركونا من جائحات الجريمه * طلعة طلعة تكون وخيمه
بركات الوزير قد شملتنا * فلهذا امورنا مستقيمه
خرجت جندنا تريد خراسا * ن بجيع اباهات عظيمه
بخيول وعدة وعديد * وسيوف مجربات قديمه
ووزير وطاق طنب ونفش * وخيول معدة للهزيمه
هم راوا غرة العدو قد اقبل * ولوا وانحل عقد العزيمه
واتونا ولا بخفي حنين * بوجوه سود قباح ذميمه
لورأى صاحب الزمان ولوعا * ين افعالهم وقبح الجريمه
قابل الكل بالنكال وناهيك بها سبة عليهم مقيمه

كان ينبغي ان تتقدم هذه الحادثة وانما اخرتها لتتبع الحوادث المتقدمة بعضها بعضا لتعلق كل واحدة منها بالاخرى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شيخنا ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي كان عالما بالحديث وله تصانيف حسنة وفيها توفيت سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن فلما توفي عنها تزوجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدا عظيما ظهر للناس كلهم وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباطه المشهور

بالرملة

نظير ذلك لاشخاص كثيرة وذلك من فعل اهل البلدة يراقبون بعضهم بعضا ويداورونهم في اوقات الغفلات في مثل هذه الحركات ومنهم من اتهم خدمه واتباعه وتهددهم وشكاهم الى حكام الشرطة ويغرم مالا على ذلك ايضا وهم بريئون ولا يفيده الا ارتكاب الاثم والفضيحة وعداوة الاهل والخدم وزيادة الغرم وغالب ما بايدي التجار اموال الشركاء والودائع والرهونات ويطالبه اربابها ومنهم قليل الديانة وذهب من حانوته اشياء وبقي اشياء فادعى ضياع الكل لقوة الشبهة

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

وهو يوم عيد الفطر وكان في غاية البرودة والخمول عديم البهجة من كل شيء لم يظهر فيه من علامات الاعياد الا فطر الصائمين ولم يغير احد ملبوسه بل ولا فصل ثيابا مطلقا ولا شيئا جديدا ومن تقدم له ثوب وقطعه وفصله في شعبان تأخر عند الخياط مرهونا على مصاريفه ولوازمه لتعطل جميع الاسباب من بطانة وعقادة وغيرها حتى انه اذا مات ميت لم يدرك اهله كفنه الا بمشقة عظيمة وكسد في هذا العيد سوق الخياطين وما شابههم من لوازم الاعياد ولم يعمل فيه كعك ولا شريك ولا سمك مملح ولا نقل ولم يخرجوا الى الجبانات والمدافن ايضا كعادتهم

بالرملة وفيها توفي علاء الدين تنامش وحمل تابوته الى مشهد الحسين عليه السلام وفيها
توفي خادم الخليفة وكان أكبر أمير ببغداد ومات ابو الفرج بن النقور العدل ببغداد وسمع
الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة)

(ذكر فتح شقيف ارنوم)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار صلاح الدين الى شقيف ارنوم وهو من أمنع الحصون
ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان
هذا ارناط من اعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به وأظهر له الطاعة
والمودة وقال له أنا محب لك ومعترف باحسانك وأخاف أن يعرف المركيس ما بينى
وبينك فينال أولادى وأهلى منه أذى فانهم عنده فاشتهى أن تمهلنى حتى أتوصل فى
تخليصهم من عنده وحينئذ احضر أنا وهم عندك ونسلم الحصن اليك ونكون أنا وهم فى
خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فاجابه الى ما سال فاستقر
الامر بينهما أن يتسلم الشقيف فى جمادى الآخرة وأقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر
الميعاد وهو قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين البيمند صاحب انطاكية
فامر تقى الدين ابن أخيه أن يسير فيمن معه من عساكره ومن ياتى من بلاد المشرق
ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان
أيضا منزعج الخاطر كثيرا لهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتصل بهم
من الامداد فى البحر وان ملك الفرنج الذى كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه بعد فتح
القدس قد اصطلح هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانهم قد اجتمعوا فى خلق
لا تحصى فانهم قد خرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه مما يزعجه
ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور وفيها الجموع المتوافرة
فتنقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع ارناط صاحب الشقيف
وكان ارناط فى مدة الهدنة يشترى الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك
مما يحصن به شقيفه وكان صلاح الدين يحسن الظن واذا قيل له عنه مما هو فيه من
المكر وان قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدى فضيحته ويظهر
مخالفته لا يقبل فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره الى القرب
من شقيف أرنوم وأحضر عنده ارناط وقد بقى من الاجل ثلاثة أيام فقال له فى معنى
تسليم الشقيف فاعتذر باولاده وأهله وان المركيس لم يمكنهم من المجىء اليه وطلب
التاخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فاخذه وحبسه وأمره بتسليم
الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالة الى من بالشقيف ليسلموه فاحضروه عنده
فساره بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس الى الشقيف فاظهر أهله العصيان فسير
صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدم الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل

ولا نصبوا خياما على المقابر ولم يحسن فى هذه الحادثة الامتناع هذه الامور وخصوصا
خروج النساء الى المقابر فانه
لم يخرج منهن الا البعض
حرافيشهن على تخوف ووقع
لبعضهن من العسكر ما وقع
عند باب النصر والجامع الاحمر
(وفى ثالثه) نزل الباشا من
القلعة من باب الجبل وهو فى
عدة من عسكر الدلاة والاتراك
الخيالة والمشاة وصحبته
عابدين بك وذهب الى ناحية
الآثار فعيد على يوسف باشا
المنفصل عن الشام لانه مقيم
هناك لتغيير الهواء بسبب
مرضه ثم عدى الى الجيزة وبات
بها عند صهره محرم بك ولما
أصبح ركب السفائن وانحدر
الى شبرا وبات بقصره ورجع
الى منزله بالازبكية ثم طلع
الى القلعة (وفى يوم الثلاثاء
ثامنه) عمل ديوانا وجمع
المشايخ المتصدرين وخاطبهم
بقوله انه يريد ان يفرج عن
حصص الملتزمين ويترك لهم
وساياهم يؤجرونها ويزرعونها
لانفسهم ويرتب نظاما لاجل
راحة الناس وقد أمر الافندية
كتاب الروزنامه بتحرير دفاتر
وأمهلهم اثنى عشر يوما
يحررون فى ظرفها الدفاتر
على الوجه المرضى فاثنوا
عليه خيرا ودعوا له فقال الشيخ
الشنوانى ونرجو من افندينا
ايضا الافراج عن الرزق
الاحباسية كذلك فقال كذلك
ينظر فى محاسبات الملتزمين ويحررها على الوجه المرضى ايضا ومن اراد منهم ان يتصرف فى حصته ويلتزم

بخلاص ما تحرر عليها من المال الميرى بجهة الديوان من الفلاحين بموجب المساحة والقياس صرفناه فيها والا ابقاها على طرفنا ويقبض فائظه الذى يقع عليه التحرير من الخزينة نقدا وعدا فدعوا له ايضا وسكتوا فقال لهم تكلموا فانى ما طلبتكم الا للمشاورة معكم فلم يفتح الله عليهم بكلمة يقولها احدهم غير الدعاء له على ان الكلام ضائع لانها حيل ومخادعة تروج على اهل الغفلات ويتوصل بها الى ابرازما يرومه من المرادات وعند ذلك انفض المجلس وانطلقت المبشرون على الملتزمين بالبشائر وعود الالتزام لتصرفهم ويأخذون منهم البقاشيش مع ان الصورة معلولة والكيفية مجهولة ومعظم السبب فى ذكره ذلك انه عظم حصص الالتزام كان بايدى العساكر وعظمائهم وزوجاتهم وقد انحرفت طباعهم وتكدرت امزجتهم بمنعهم عنه وعجزهم عن التصرف ولم يسهل بهم ذلك فمنهم من كظم غيظه وفى نفسه ما فيها ومنهم من لم يطق الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لا جناية عليه فلذلك الباشا اعلن فى ديوانه بهذا الكلام بمسمع منهم لتسكن حدتهم وتبرد حرارتهم الى ان يتم امر تدبيره معهم (وفيه) وصلت هجانة واخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون

عليه من يحفظه ويمنعه عن الذخيرة والرجال

(ذكر وقعة اليزك مع الفرنج)

لما كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جاءته كتب من أصحابه الذين جعلهم يزكا فى مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها ان الفرنج قد اجمعوا على عبور الجسر الذى لهم وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة فى شجعان أصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا وامنع المقصد هم فلقيهم اليزك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديدة يشيب لها الوليد وأسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين أيضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من أشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثم ان الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم

(ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوعة)

لما وصل صلاح الدين الى اليزك وقد فاتته تلك الوقعة أقام عندهم فى خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار من قتلوه من المسلمين فركب فى بعض الايام فى مدة يسيرة على ان ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظن من هناك من غزاة العجم والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف والحرب فساروا مجدين وأوغلوا فى أرض العدو مبعدين وفارقوا الحزم وخالفوا السلطان وراءهم وقاربوا الفرنج فارسل صلاح الدين عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى أن يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا أن وراءهم كمينا فلم يقدموا عليهم فارسلوا من ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انهم منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم ما يخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا أن أناموهم وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم فى حق انفسهم رحمهم الله ورضى عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلما راى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم فى عسكره فحملوا على الفرنج فالقوهم الى الجسر وقد اخذوا طريقهم فالقوا انفسهم فى الماء فغرق منهم نحو مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلما راى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثم الى عكا ينظر حالها ثم عاد الى العسكر والمخيم

(ذكر وقعة ثالثة)

لما عاد صلاح الدين الى العسكر اتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متبددين فكتب الى من بعكا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن

جمادى الآخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتب كمناء فى موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وأمرهم انهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئا من قتال ثم تطاردوا لهم واروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى ان يجوز وا موضع الكمين ثم يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراءى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من مكامنهم نحوهم مسرعين واليهم قاصدين فاتوهم وهم فى شدة الحرب فازداد الامر شدة على شدة وكان فيهم اربعة امراء من ربيعة طى وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك أصحابهم فسلكوا الوادى ظنا منهم انه يخرج بهم الى أصحابهم وتبعهم بعض مماليك صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادى علموا انهم جاهلون فاتوهم وقاتلوهم واما المملوك فانه نزل عن فرسه وجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فاتوه وهو باخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتا ثم ان المسلمين جاؤا من الغد الى موضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حيا فحملوه فى كساء وهو لا يكاد يعرف من الجراحات فايسوا من حياته وعرضوا عليه الشهادة وبشروه بالشهادة فتركوه ثم عادوا اليه فراوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه بخير وب فعوفى ثم كان بعد ذلك لا يحضر شهدا الا كان له فيه الاثر العظيم

(ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها)

لما كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه من ان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة أو قلعة اعطى أهلها الامان وسيرهم اليها باموالهم ونسائهم وأولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثم ان الرهبان والقسس وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد واظهروا الحزن على خروج البيت المقدس من أيديهم وأخذهم البترك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوف بهم جميعها ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم على الاخذ بثار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوا صورة رجل عربى والعربى يضربه وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبى المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الاقران على ما نذكره ان شاء الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استاجر من يخرج عوضه او يعطيهم مالا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرق اليه الاحصاء (ولقد حدثنى) بعض المسلمين المقيمين بحصن الاكراد وهو من اجناد أصحابه الذين سلموه الى الفرنج قديما

باشا وعبدالله بن مسعود الذى تولى بعد موت أبيه كبيرا على الوهابية وان عبدالله المذكور ترك الحروب والقتال وأذعن للطاعة وحقن الدماء وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفرا من الانفار الى طوسون باشا ووصل منهم اثنان الى مصر فكان الباشا لم يعجبه هذا الصلح ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك ولم يحسن نزل الواصلين ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا وذكرا ان الامير مسعودا المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين واما ابنه الامير عبدالله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة سلفه الامير عبد العزيز المرحوم فانه كان مسالما للدولة حتى ان المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة فى شئ ولم يحصل التفاقم والخلاف الا فى ايام الامير مسعود ومعظم الامر الشريف غالب بخلاف الامير عبدالله فانه أحسن السير وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذى اعد بالنزول فيه ومعهما بعض اتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما فى الركوب والذهاب والاياب فانه اطلق لهما الاذن الى اى محل اراده

وكان هذا الرجل قد ندم على ما كان منه من موافقة الفرنج في الغارة على بلاد الاسلام والقتال معهم والسعي معهم وكان سبب اجتماعي به ما اذكره سنة تسعين وخمسمائة ان شاء الله تعالى قال لي هذا الرجل انه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الاكراد الى البلاد البحرية التي للفرنج والروم في اربع شواني يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف الى رومية الكبرى فخرجنا منها وقد ملانا الشواني نقرة (وحدثني) بعض الاسرى منهم ان له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه وسيرته لاستنقاذ البيت المقدس فاخذ اسيرا وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني ما هذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق ولولا الله تعالى لطف بالمسلمين واهلك ملك الالمان لما خرج على ما نذكره عند خروجه الى الشام والا كان يقال ان الشام ومصر كانتا للمسلمين فهذا كان سبب خروجهم فلما اجتمعوا بصور وموج بعضهم في بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدهم بالاقوات والذخائر والعدد والرجال من بلادهم فضاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فارادوا قصد صيدا وكان ما ذكرناه فعادوا واتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها ومصابرتها فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وقضهم وقضيضهم ولزموا البحر في مسيرهم لا يفارقونه في السهل والوعر الضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم في البحر فيها سلاحهم وذخائرهم ولتكون عدة لهم ان جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم ثامن رجب ونزولهم على عكا في منتصفه ولما كانوا سائرين كان يزك المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما رحلوا جاء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتى قاربهم ثم جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سائرون أو يكون في غير الطريق التي سلكوها فقالوا الاحاجة بنا الى احتمال المشقة في مسايرتهم فان الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريده منهم والراي اننا نسير في الطريق المهيع ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم ونمزقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجلة فوافقهم وكان رأيه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا التصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والراي قتالهم قبل الوصول الى عكا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق كفر كنا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل في مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطفونهم ولم يقدم الفرنج عليهم مع قلتهم فلو ان العساكر اتبعت رأي صلاح الدين في مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا لكان بلغ غرضه وصدهم عنها ولكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الآخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل كيسان وامتدت ميمنته الى تل العياضية وميسرته الى النهر الجاري ونزلت الاثقال بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فاتاه عسكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة واتاه تقي الدين ابن اخيه واتاه مظفر الدين بن

فكانا يركبان ويمران بالشوارع باتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة واهلها ودخلا الى الجامع الازهر في وقت لم يكن به احد من المتصدرين للاقراء والتدريس وسالوا عن اهل مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه فقيل انقرضوا من ارض مصر بالكلية واشتريا نسخا من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما انسا وطلاقة لسان واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالاخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الاخلاق وحسن الادب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف واسم احدهما عبد الله والآخر عبد العزيز وهو الاكبر حسا ومعنى (وفي يوم السبت تاسع عشره) خرجوا بالمحمل الى الحصوة خارج باب النصر وشقوا به من وسط المدينة وامير الركب شخص من الدلاة يسمى اوزون اوغلي وفوق راسه طرطور الدالاتية ومعظم الموكب من عساكر الدلاة وعلى رؤسهم الطراطير السود بذاتهم المستبشعة وقدم الاقاليم المسبخ في كل شيء فقد تغص الطبيعة وتتكدر النفس اذا شاهدت ذلك او سمعت به

زين الدين وهو صاحب حران والرها وكانت الامداد تأتي المسلمين في البر وتأتي الفرنج في البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ما هو دون ذلك وما عداها كان قتالا يسيرا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكا حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبية فلما كان الغد باكرهم القتال بجده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقي الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فأزاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لا يلوي اخ على أخ والتجؤا الى من يليهم من أصحابهم واجتمعوا بهم وأخلوا نصف البلد وملك تقي الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما أخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عمن فيه وأدخل صلاح الدين اليه من أراد من الرجال وما أراد من الذخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما أرادوه فان للصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر أخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وكان في جملة من أدخله صلاح الدين الى عكا من جملة الامراء حسام الدين أبو الهيجاء السمين وهو من أكابر أمراء عسكره وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة

(ذكر وقعة أخرى ووقعة العرب)

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستفراغ وسعهم في استئصالهم فتقدموا على تعبيتهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا في حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فألح المسلمون عليهم في القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم في معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن آخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فأحسن اليهم واعطاهم الخلع

(ذكر الوقعة الكبرى على عكا)

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقي المسلمون الى العشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم ان الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضر والرأى اننا نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع

وقد كانت نضارة المواكب السالفة في ايام المصريين ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها التي لم يكن لها نظير في الربع المعمور ويضرب بها المثل في الدنيا كما قال قائلهم فيها

مصر السعيدة ما لها من مثيل
فيها ثلاثة من الهنا والسرور
مواكب السلطان وبحر الوفا
ومحمل الهادي نهار يدور

فقد فقدت هذه الثلاثة في جملة المفقودات (وفي ثالث عشرينه) وصل قابجي وعلى يده تقرير ولاية مصر لمحمد علي باشا على السنة الجديدة فعملوا لذلك الواصل موكبا من بولاق الى القلعة وضربوا مدافع وشنكا وبنادق

(واستهل شهر ذي القعدة الحرام بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٠)

(في سادس عشره) سافر الباشا الى الاسكندرية واخذ صحبته عابدين بك واسمعيل باشا ولده وغيرهما من كبرائهم وعظمائهم وسافر ايضا نجيب افندي وسليمان اغا وكيل دار السعادة سابقا تابع صالح بك المصري المحمدي الى دار السلطنة وأصحب الباشا الى الدولة وأكابرها الهدايا من الخيول والمهاري والسروج المكللة بالذهب واللؤلؤ والخيش وتعابي الاقمشة الهندية المتنوعة من الكشمير والمقصبات والتحف ومن الذهب المضروب السكة أربعة قناطير ومن الفضة الثقيلة في الوزن والعيار عدة قناطير ومن السكر المكرر

العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عنه بعضهم مقابل انطاكية ليردوا غائلة البيمند صاحبها عن أعمال حلب وبعضهم في حمص مقابل طرابلس ليحفظ ذلك الثغر أيضا وعسكر في مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكونون بثغر دمياط والاسكندرية وغيرهما والذى بقى من عسكره هم كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبل وكان هذا مما أطمع الفرنج في الظهور والى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو في خيمته ومنهم من قد توجه في حاجته من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملؤها طولا وعرضا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين فلما رأى ان الفرنج نحوه قاصدين حذرهو واصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تاخر عنهم فلما راى صلاح الدين الحال وهو في القلب امد تقى الدين برجال من عنده ليتقوى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيين في جناح القلب فلما راى الفرنج قلة الرجال في القلب وان كثيرا منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين ايديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم كالامير مجلى بن مروان والظهير اخى الفقيه عيسى وكان والى البيت المقدس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل الهكارى وغيرهم من الشجعان الصابرين في مواطن الحرب ولم يبق بين ايديهم في القلب من يردهم فقصدوا التل الذى عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مرّوا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم شيخنا جمال الدين ابو على بن رواحة الحموى وهو من اهل العلم وله شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد فان جده عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله الروم يوم موتة وهذا قتله الفرنج يوم عكا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين أن الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين ولو ألقوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين ايديهم فكانوا انهزموا اجمعون ثم ان الفرنج نظروا وراءهم فرأوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفا ان ينقطعوا عن أصحابهم وكان سبب انقطاعهم ان الميمنة وقفت مقابلتهم فاحتاج بعضهم يقف مقابلها وحملت ميسرة المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال من بها عن الاتصال باصحابهم وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين صادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم وثار بهم غلمان العسكر وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويامرهم بالكرة ومعاودة القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم أحد بل قتل أكثرهم وأخذ الباقون أسرى وفي جملة

من

مرارا وأنواع الشراب فحافاه … في القدور والصيني وغير ذلك (وفيه وردت الاخبار) بوصول طوسون باشا الى الطور فهرعت أكابرهم واعيانهم الى ملاقاته وأخذوا في الاهتمام واحضار الهدايا والتقادم وركبت الخوندات والنساء والستات أفواجا أفواجا يطلعن الى القلعة يهنين والدته بقدومه (وفي غايته) وصل طوسون باشا الى السويس فضربوا مدافع اعلاما بقدومه وحضر نجيب افندى راجعا من الاسكندرية لاجل ملاقاته لانه في كتخداه اليوم أيضا عند الدولة كما هو لوالده

(واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

(في رابعه يوم الاثنين) نودى بزينة الشارع الاعظم لدخول طوسون باشا ومرور ابقدومه فلما أصبح يوم الثلاثاء خامسه احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع وعملوا له موكبا حافلا ودخل من باب النصر وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة وطلع الى القلعة وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وحراقات (وفي ليلة الجمعة خامس عشره) سافر طوسون باشا المذكور الى الاسكندرية ليراه أبوه ويسلم هو عليه ويرى هو ولده الولد في غيبته يسمى عباس بك أصحبه معه جده مع حاضنته وسنه دون الستين يقال ان جده قصد

من أسر مقدم الداويه الذى كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه فلما ظفر به الآن قتله وكانت عدة القتلى سوى من كان الى جانب البحر نحو عشرة آلاف قتيل فامر بهم فالقوا فى النهر الذى يشرب الفرنج منه وكان عامة القتلى من فرسان الفرنج فان الرجالة لم يلحقوهم وكان فى جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل فلما أسرن والقى عنهن السلاح عرفن انهن نساء وأما المنهزمون من المسلمين فمنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الاردن وعاد ومنهم من بلغ دمشق ولولا ان العساكر تفرقت فى الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستئصال والاهلاك مرادهم على ان الباقين بذلوا جهدهم وجدوا فى القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج فى معسكرهم لعلهم يفرغون منهم فجاءهم الصريخ بان رحالهم وأموالهم قد نهبت وكان سبب هذا النهب ان الناس لما رأوا الهزيمة حملوا أثقالهم على الدواب فثار بهم اوباش العسكر وغلمانه فنهبوها واتوا عليه وكان فى عزم صلاح الدين أن يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من أموالهم وهم يسعون فى جمعها وتحصيلها فامر بالنداء باحضار ما أخذ فاحضر منه ما ملأ الارض من المفارش والعيب المملوأة والثياب والسلاح وغير ذلك فرد الجميع على أصحابه ففاته ذلك اليوم ما أراد فسكن روع الفرنج واصلحوا شان الباقين منهم

(ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا)

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهواء والجو ووجدت الامزجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو أرادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والرأى اننا نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا شرنا وان اقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأى على كل تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطباء على ذلك فاجابهم اليه الى ما يريد الله ان يفعله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وأمر من بعكا من المسلمين بحفظها واغلاق أبوابها والاحتياط واعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره امن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا وحصروا عكا واحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم أيضا فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجاؤا بما لم يكن فى الحساب وكان اليزك كل يوم يوافقهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأى المشيرين بالرحيل وكان اليزك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب وأشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر

ارساله الى دار السلطنة فلم يسهل بابيه ذلك ودق عليه ففارقه وخفه رصا كونه لم يره وسافر صحبته طوسون باشا نجيب افندى عائدا الى الاسكندرية (وفى يوم السبت عشرينه) حضر طوسون باشا الى مصر راجعا من الاسكندرية فى قطريدة ومعه ولده فكانت مدة غيبته ذهابا وايابا ثمانية أيام فطلع الى القلعة وصار ينزل الى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانة عمره كتخدا بك وبنى به قصرا فيقيم به غالب الايام التى اقامها بمصر وانقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير واهمال السوقة والمتسببين حتى عم غلو الاسعار فى كل شئ حتى بلغ سعر كل صنف عشرة أمثال سعره فى الايام الخالية مع الحجر على الايراد وأسباب المعاش فلا يهنا بعيش فى الجملة الا من كان مكاسا أو فى خدمة من خدم الدولة مع كونه على خطر فانه وقع لكثير ممن تقدم فى منصب أو خدمة أنه حوسب وأهين والزم بما رافعوه فيه وقد استهلكه فى نفقات نفسه وحواشيه فباع ما يملكه واستدان واصبح ميؤسا مديونا وصارت المعايش ضنكا وخصوصا الواقع فى اختلاف المعاملات والعقود والزيادة فى صرفها واسعارها واحتجاج الباعة والتجار والمتسببين بذلك وبما حدث عليها من مال المكس مع طمعهم ايضا وخصوصا سفلة الاسواق وبياعى

جميعها اليها ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلف هو عنهم فقال اذا لم احضر معهم لا يفعلون شيئا وربما كان من الشر اضعاف ما نرجوه من الخير فتمادى الامر الى ان عوفي فتمكن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا امورهم وحصنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من بعكا يخرجون اليهم كل يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد

(ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصري في البحر)

في منتصف شوال وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين ابو بكر ابن ايوب فلما وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدت ظهورهم واحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيئا كثيرا ومعهم من الرجالة الجم الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشامية راجلا كثيرا وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصري ومقدمه الامير لؤلؤ وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها واخذ منها اموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكا فسكنت نفوس من بها بوصول الاسطول وقوى جنانهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر خطب لولي العهد ابي نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وارسل الى البلاد في اقامة الخطبة ففعل ذلك وفيها في شوال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك ان صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسير الخليفة اليهم عسكرا فحصروها وتسلموها ودخل اصحابه الى بغداد فاعطوا اقطاعا وفيها في صفر فتح الرباط الذي بناه الخليفة بالجانب الغربي من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يوما مشهودا وفي هذه السنة في رمضان مات شرف الدين ابو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون الفقيه الشافعي بدمشق وكان قاضيها واضر وولي القضاء بعده ابنه وكان الشيخ من اعيان الفقهاء الشافعية وفيها في ذي القعدة توفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بالخروبة مع صلاح الدين وهو من اعيان امراء عسكره ومن قدماء الاسدية وكان فقيها جنديا شجاعا كريما ذا عصبية ومروأة وهو من اصحاب الشيخ الامام ابي القاسم بن البرزي تفقه عليه بجزيرة ابن عمر ثم اتصل باسد الدين شيركوه فصار امامه له فرأى من شجاعته ما جعل له اقطاعا وتقدم عند صلاح الدين تقدما عظيما وفيها في صفر توفي شيخنا ابو العباس احمد بن عبد الرحمن ابن وهبان المعروف بابن افضل الزمان بمكة وكان رحمه الله عالما متبحرا في علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والاصولين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم اعماله بالزهد ولبس الخشن واقام بمكة حرسها الله تعالى مجاورا فتوفي بها وكان من احسن الناس صحبة وخلقا وفيها في ذي القعدة مات ابو طالب المبارك بن المبارك

الخضارات والجزارين والزياتين فانهم يدفعون ماهو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ويخلصون اضعافه من الناس ولا رادع لهم بل يسعرون لانفسهم حتى ان البطيخ في اوان كثرته تباع الواحدة التي كانت تساوي نصفين بعشرين وثلاثين والرطل من العنب الشرقاوي الذي كان يباع في السابق بنصف واحد يبيعونه يوما بعشرة ويوما باثني عشر ويوما بثمانية وقس على ذلك الخوخ والبرقوق والمشمش واما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والاشياء التي يقال لها اليميش التي تجلب من بلاد الروم فبلغت الغاية في الثمن بل قد لا توجد في اكثر الاوقات وكذلك ما يجلب من الشام مثل الملبن والقمر الدين والمشمش الحموي والعناب وكذلك الفستق والصنوبر وغير ذلك ما يطول شرحه ويزداد بطول الزمان قبحه

(ومات) في هذه السنة العلامة الاوحد والفهامة الامجد محقق عصره ووحيد دهره الجامع لاشتات العلوم والمنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم بقية الفقهاء والفضلاء المتقدمين والمتميز عن المتأخرين الشيخ محمد بن احمد بن عرفة الدسوقي المالكي ولد ببلده دسوق من قرى مصر وحضر الى مصر وحفظ القرآن وجوده على الشيخ محمد المنير ولازم حضور دروس الشيخ

الكرخى مدرس النظامية وكان من اصحاب ابى الحسن بن الخل وكان صالحا خيرا له عند
الخليفة والعامة حرمة عظيمة وجاه عريض وكان حسن الخط يضرب به المثل

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة)

(ذكر وقعة الفرنج واليزك وعود صلاح الدين الى منازلة الفرنج)

قد ذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكا الى الخروبة لمرضه فلما برا اقام بمكانه الى ان
ذهب الشتاء وفي مدة مقامه بالخروبة كان يزكه وطلائعه لا تنقطع عن الفرنج فلما
دخل صفر من سنة ست وثمانين وخمسمائة سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد
وراى العسكر الذى في اليزك عندهم قليلا وان الوحل الذى في مرج عكا كثير يمنع من
سلوكه من اراد ان ينجد اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت
العصر فقاتلهم المسلمون وحموا انفسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتى فني نشابهم
فحملوا اليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لا ينجيهم
الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين
جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى المعسكر سمع خبر
الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فاتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام
ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص
وحماة وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل بتل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم
ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولا يسامون

(ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول)

كان الفرنج في مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدا طول
كل برج منها في السماء ستون ذراعا وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة
مملوأة من المقاتلة وقد جمع اخشابها من الجزائر فان مثل هذه الابراج العظيمة لا يصلح
لها من الخشب الا القليل النادر وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التى تمنع النار
من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها
في العشرين من ربيع الاول فاشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا
وشرعوا في طم خندقها فاشرف البلد على ان يملك عنوة وقهرا فارسل اهله الى صلاح
الدين انسانا سبح في البحر فاعلمه ما هم فيه من الضيق وما قد اشرفوا عليه من أخذهم
وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا
عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين
وفرقة تقاتل أهل عكا الا ان الامر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية أيام متتابعة
آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلا
ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن
دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيئا وتابعوا رمى

على الصعيدى والشيخ الدردير وتلقى الكثير من المعقولات عن الشيخ محمد الجناجى الشهير بالشافعي وهو مالكي
ولازم الوالد حسنا الجبرتى مدة
طويلة وتلقى عنه وبواسطة
الشيخ محمد بن اسمعيل
النفراوى علم الحكمة
والهيئة والهندسة وفن التوقيت
وحضر عليه أيضا في فقه
الحنفية وفي المطول وغيره
برواق الجبرت بالازهر
وتصدر للاقراء والتدريس
وافادة الطلبة وكان فريدا
في تسهيل المعانى وتبيين
المبانى يفك كل مشكل
بواضح تقريره ويفتح كل
مغلق برائق تحريره ودرسه
مجمع اذكياء الطلاب والمهرة
من ذوى الافهام والالباب
مع لين جانب وديانة وحسن
خلق وتواضع وعدم تصنع
واطراح تكلف جاريا على
سجيته لا يرتكب ما يتكلفه
غيره من التعاظم وفخامة
الالفاظ ولهذا كثر الآخذون
عليه والمترددون اليه وله
تاليفات واضحة العبارات
سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح
المشكل فمن تآليفه حاشية
على مختصر السعد على
التلخيص وحاشية على شرح
الشيخ الدردير على سيدى
خليل في فقه المالكية
وحاشية على شرح الجلال
المحلى على البردة وحاشية على
الكبرى للامام السنوسى
وحاشية على شرحه للصغرى
وحاشية على شرح الرسالة الوضعية هذا ما عنى بجمعه وكتابته وبقى مسودات لم يتيسر له جمعها ولم يزل على حالته في

النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك ان انسانا من اهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسى انما اشتهى معرفتها وكان بعكا لامر يريده الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع فى عمل ما يعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شئ من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يامر المنجنيقى ان يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظا بقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ اهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا ان نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيقى بامتثال امره فرمى عدة قدور نفطا وادوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لا يحرق شيئا يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذى القاه قد تمكن من البرج ألقى قدرا مملوأة وجعل فيها النار فاشتعل البرج وألقى قدرا ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج وأعجلت من فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما رأوا ان القدور الاولى لا تعمل يحملهم على الطمانينة وترك السعى فى الخلاص حتى عجل الله لهم النار فى الدنيا قبل الآخرة فلما احترق البرج الاول انتقل الى الثانى وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوما مشهودا لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد أسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم احد الا وله فى البلد اما نسيب واما صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة الفرد وقال انما عملته لله تعالى ولا اريد الجزاء الا منه وسيرت الكتب الى البلاد بالبشائر وأرسل يطلب العساكر الشرقية فاول من أتاه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثم أتاه علاء الدين ولد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى سيره أبوه مقدما على عسكره وهو صاحب الموصل ثم وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الفرنج بعسكره وينضم اليه غيرهم ويقاتلونهم ثم ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقربه جهزوا الى طريقه اسطولا ليلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين فى العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصده بشئ فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله وأخذ المسلمون من الفرنج مركبا فيه من الرجال والسلاح وأخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الا أن القتل فى الفرنج كان أكثر منه فى المسلمين ووصل

الافادة والالقاء والافتاء وخطه حسن وخلقه احسن الى ان تعالى وتوفى يوم الاربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الثانى وخرجوا بجنازته من درب الدليل وصلى عليه بالازهر فى مشهد حافل ودفن بتربة المجاورين بالمدفن الذى بداخل المحل الذى يسمى بالطاولية وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ومصاريف جنازته ومدفنه الجناب المكرم السيد محمد المحروقى وكذلك مصاريف المآتم بمنزله وأرسل من قيده لذلك من اتباعه بادارة المطبخ ولوازمه من الاغنام والسمن والارز والعسل والحطب والفحم والقهوة وجميع الاحتياجات للمقرئين ومن ياتى لتعزية اولاده جزاه الله خيرا واستمر اجراؤه لذلك فى الثلاث جمع المعتادة بالمنزل وما يعمل فى صبح يوم الجمعة بالمدفن من الكعك والشريك الذى يفرق على الفقراء والحاضرين والتربية والخدمة وقد رثاه امثل من عنه اخذ واكمل من له تلمذ صاحبنا العلامة وصديقنا الفهامة المنفرد الآن بالعلوم الحكمية والمشار اليه فى العلوم الادبية صاحب الانشاء البديع والنظم الذى هو كزهر الربيع الشيخ حسن العطار حفظه الله من الاغيار بقوله شعرا

احادث دهر قد الم فاوجعا
وحل ينادى جمعنا فتصدعا
لقد صال فينا البين اعظم صولة * فلم يخل من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما *

الاسطول الاسلامى سالما

(ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته)

فى هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من أكثرهم عددا واشدهم باسا وكان قد ازعجه ملك الاسلام البيت المقدس فجمع عساكره وازاح عللهم وسار عن بلاده وطريقه على القسطنطينية فارسل ملك الروم بهذا الى صلاح الدين يعرفه الخبر ويعده انه لا يمكنه من العبور فى بلاده فلما وصل ملك الالمان الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن احدا من رعيته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وصاروا على ارض بلاد الاسلام وهى مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجق فلما وصلوا الى اوائلها ثار بهم التركمان الاوج فما زالوا يسايرونهم ويقتلون من انفرد ويسرقون ما قدروا عليه وكان الزمان شتاء والبرد يكون فى تلك البلاد شديدا والثلج متراكما فاهلكهم البرد والجوع والتركمان فقل عددهم فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية وبها أبوه قد حجر ولده المذكور عليه وتفرق أولاده فى بلاده وتغلب كل واحد منهم على ناحية منها فلما عاد عنهم قطب الدين أسرعوا السير فى أثره فنازلوا قونية وأرسلوا الى قلج ارسلان هدية وقالوا له ما قصدنا بلادك ولا أردناها وانما قصدنا البيت المقدس وطلبوا منه ان يأذن لرعيته فى اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فاذن فى ذلك فاتاهم ما يريدون فشبعوا وتزودوا وساروا ثم طلبوا من قطب الدين ان يامر رعيته بالكف عنهم وان يسلم اليهم جماعة من امرائه رهائن وكان يخافهم فسلم اليهم نيفا وعشرين أميرا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرض اليهم فقبض عليهم ملك الالمان وقيدهم فمنهم من هلك فى أسره ومنهم من فدى نفسه وسار ملك الالمان حتى أتى بلاد الارمن وصاحبها لافون بن اصطفانة بن ليون فامدهم بالاقوات والعلوفات وحكمهم فى بلاده وأظهر الطاعة لهم ثم ساروا نحو انطاكية وكان فى طريقهم نهر فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق فى مكان منه لا يبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شره وكان معه ولد له فصار ملكا بعده وسار الى انطاكية فاختلف أصحابه عليه فاحب بعضهم العود الى بلاده فتخلف عنه وبعضهم مال الى تمليك أخ له فعاد أيضا وسار فيمن صحت نيته له فعرضهم وكانوا نيفا وأربعين ألفا ووقع فيهم الوباء والموت فوصلوا الى انطاكية وكأنهم قد نبشوا من القبور فتبرم بهم صاحبها وحسن لهم المسير الى الفرنج على عكا فساروا على جبلة ولاذقية وغيرهما من البلاد التى ملكها المسلمون وخرج أهل حلب وغيرها اليهم وأخذوا منهم خلقا كثيرا ومات أكثر من أخذ فبلغوا طرابلس وأقاموا بها أياما فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا نحو ألف رجل فركبوا فى

مضى حادث يعقبه آخر مسرعا * وحل بنا مالم نكن فى حسابه * من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا

خطوب زمان لو عادى اقلها
بشامخ رضوى او ثبير تضعضعا
واصبح شان الناس ما بين عائد
مريضا او ثان للحبيب مشيعا
لقد كان روض العيش بالامن يانعا
فاضحى هشيما ظله متقشعا
ايحسن ان لا يبذل الشخص مهجة
ويبكى دما ان افنت العين ادمعا
وقد سار بالاحباب فى حين غفلة
سرير المنايا عاجلا متسرعا
وفى كل يوم روعة بعد روعة
فلله ما قاسى الفؤاد وروعا
عزاء بنى الدنيا بفقد اذقه
لكاس مرير الموت كل تجرعا
عيننا لقد جل المصاب بشيخنا الد
سوقى وعاد القلب بالهم مترعا
وشابت قلوب لا مفارق عندما
تنكرت الاسماع صوت الذى نعا
فللناس عذر فى البكاء والاسى
عليه وأما فى السواء فتجزعا
وكيف وقد ماتت علوم بفقده
لقد كان فيها جهبذا ياسميذعا
فمن بعده يجلو دجنة شبهة
ويكشف عن ستر الدقائق مقنعا
وان ذو اجتهاد قد تعثر فهمه
فياليت شعرى من يقول له لعا
يقرر فى فن البيان بمنطق
بديع معانيه يتوج مصرعا
وسار مسير الشمس غر علومه
ففى كل افق اشرقت فيه مطلعا

واتى بتاليفاته يمتنا هدى * بها به ملك الطلاب للحق مهيعا * وحل بتحريراته كل مشكل * فلم يبق للاشكال فى ذاك مطمعا

البحر الى الفرنج الذين على عكا ولما وصلوا ورأوا ما نالهم فى طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قلج ارسلان يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده انه يمنعهم من العبور فى بلاده فلما عبروها وخلفوها أرسل يعتذر بالعجز عنهم لان أولاده حكموا عليه وحجروا عليه وتفرقوا عنه وخرجوا عن طاعته وأما صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانه استشار أصحابه فاشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى ان يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا يستلم من بعكا من عساكرنا لكنه سير من عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقية وشيزر وغير ذلك الى اعمال حلب ليكونوا فى اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عز وجل (اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) فكفى الله شرهم ورد كيدهم فى نحرهم ومن شدة خوفهم ان بعض امراء صلاح الدين كان له ببلاد الموصل قرية وكان اخى رحمه الله يتولاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فارسل اليه فى بيع الغلة فوصل كتابه يقول لا تبع الحبة الفرد واستكثر انا من التبن ثم بعد ذلك وصل كتابه يقول تبيع الطعام فما بنا حاجة اليه ثم ان ذلك الامير قدم الموصل فسالناه عن المنع من بيع الغلة ثم الاذن فيها بعد مدة يسيرة فقال لما وصلت الاخبار بوصول ملك الالمان أيقنا انه ليس لنا بالشام مقام فكتبت بالمنع من بيع الغلة لتكون ذخيرة لنا اذا جئنا اليكم فلما أهلكهم الله تعالى واغنى عنها كتبت ببيعها والانتفاع بثمنها

(ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا)

وفى هذه السنة فى العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم الملك العادل ابو بكر بن ايوب وكان المصريون قد ركبوا واصطفوا للقاء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا أموالهم فعطف المصريون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فاخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من المصريين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن أصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالنمل فلما انقطعت امدادهم القوا بايديهم وأخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر وكان مقدمهم علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا أيضا على الفرنج وبالغوا فى قتالهم ونالوا منهم نيلا كثيرا هذا جميعه ولم يباشر القتال أحد من الحلقة الخاص التى مع صلاح الدين ولا أحد من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكى صاحب سنجار وعسكر

فاى كتاب لم يفك ختامه ٭ اذا ما سواه من تعاصيه ضيعا ومن يبتغى تعداد حسن خصاله ٭ فليس ملوما ان اطال وأشبعا

فللصدق عون للمقال فمن يقل
اصاب مكان القول فيه موسعا
تواضع للطلاب فانتفعوا به
على انه بالحلم زاد ترفعا
وكان حليما واسع الصدر ماجدا
تقيا نقيا زاهدا متورعا
سعى فى اكتساب الحمد طول حياته
ولم نره فى غير ذلك قد سعا
ولم تلهه الدنيا بزخرف صورة
عن العلم كيما ان تغر وتخدعا
لقد صرف الاوقات فى العلم والتقى
فان لها يا صاح امسى مضيعا
فقدناه لكن نفعه الدهر دائم
وما مات من ابقى علوما لمن وعا
فجوزى بالحسنى وتوج بالرضا
وقوبل بالاكرام ممن له دعا

(ومات) الاستاذ الفريد واللوذعى المجيد الامام العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النحوى الاصولى الجدلى المنطقى الشيخ محمد المهدى الحفنى ووالده من الاقباط وأسلم هو صغيرا دون البلوغ على يد الشيخ الحفنى وحلت عليه انظاره واشرقت عليه انواره وفارق اهله وتبرأ منهم وحضنه الشيخ ورباه واحبه واستمر بمنزله مع اولاده واعتنى بشانه وقرا القرآن ولما ترعرع اشتغل بطلب العلم وحفظ ابا شجاع والفية النحو والمتون ولازم دروس الشيخ واخيه الشيخ يوسف وغيرهما من اشياخ الوقت مثل الشيخ العدوى

اربل وغيرهم ولما جرى على الفرنج هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانت عريكتهم وأشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ومناجزتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع فاتفق انه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الالمان وما أصاب اصحابه من الموت والقتل والاسر وما صار أمرهم اليه من القلة والذلة واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال من بازائهم وظنوا ان الفرنج اذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهنا على وهنهم وخوفا على خوفهم فلما كان بعد يومين اتت الفرنج امداد في البحر مع كند من الكنود البحرية يقال له الكندهري ابن اخي ملك افرنسيس لابيه وابن اخي ملك انكلتار لامه ووصل معه من الاموال شئ كثير يفوق الاحصاء فوصل الى الفرنج فجند الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قوية واطمانت وأخبرهم ان الامداد واصلة اليهم يتلو بعضها بعضا فتماسكوا وحفظوا مكانهم ثم اظهروا انهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة في السابع والعشرين من جمادى الآخرة ليتسع المجال وكانت المنزلة قد انتنت بريح القتلى ثم ان الكندهري نصب منجنيقا ودبابات وعرادات فخرج من بعكا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرا من الفرنج ثم ان الكندهري بعد أخذ منجنيقاته أراد ان ينصب منجنيقا فلم يتمكن من ذلك لان المسلمين بعكا كانوا يمنعون من عمل ستائر يستتر بها من يرمي من المنجنيق فعمل تلا من تراب بالبعد من البلد ثم ان الفرنج كانوا ينقلون التل الى البلد بالتدريج ويستترون به ويقربونه الى البلد فلما صار من البلد بحيث يصل من عنده حجر منجنيق نصبوا وراءه منجنيقين وصار التل سترة لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فارسل صلاح الدين الى الاسكندرية يامرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك في المراكب الى عكا فتاخر انفاذها فسير الى نائبه بمدينة بيروت في ذلك فسير بطسة عظيمة مملوأة من كل ما يريدونه وأمر من بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت ميناء عكا أدخلها من بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلغوا بما فيها الى أن أتتهم الميرة من الاسكندرية وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر في نحو ألف مقاتل فاخذت بنواحي الاسكندرية وأخذ من معها ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من البابا وهو كبيرهم الذي يصدرون عن أمره وقوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمه والمقرب من قربه وهو صاحب رومية الكبرى يامرهم بملازمة ما هم بصدده ويعلمهم انه قد ارسل الى جميع الفرنج يامرهم بالمسير الى نجدتهم برا وبحرا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوة وطمعا

﴿ذكر خروج الفرنج من خنادقهم﴾

لما تتابعت الامداد الى الفرنج وجند لهم الكندهري جمعا كثيرا بالاموال التي وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكا من يحصرها

والشيخ عطية الاجهوري والشيخ الدردير والبيلي والجمل والخرشي وعبد الرحمن المقرئ والشرقاوي وغيرهم واجتهد في التحصيل ليلا ونهارا ومهر وانجب ولازم في غالب مجالس الذكر عن الشيخ الدردير بعد وفاة الشيخ الحفني وتصدر للتدريس في سنة تسعين ومائة والف ولما مات الشيخ محمد الهلباوي سنة اثنتين وتسعين جلس مكانه بالازهر وقرا شرح الالفية لابن عقيل ولازم الالقاء وتقرير الدروس مع الفصاحة وحسن البيان والتفهيم وسلاسة التعبير وايضاح العبارات وتحقيق المشكلات وغامره واشتهر ذكره وبعد صيته ولم يزل امره ينمو واسمه يسمو مع حسن السمت ووجاهة الطلعة وجمال الهيئة وبشاشة الوجه وطلاقة اللسان وسرعة الجواب واستحضار الصواب في ترداد الخطاب ومسايرة الاصحاب وصاهر الشيخ محمدا الحريري الحنفي على ابنته واقبلت عليه الدنيا وتداخل في الاكابر ونال منهم حظا وافرا بحسن معاشرته وحلاوة الفاظه وتنميق كلماته ويقضي اشغاله وقضاياه منهم ومن حواشيهم وحريماتهم ويخاطب كلا بما يليق به ويناسبه واتحد باسمعيل بك كتخدا حسن باشا الجزايرلي وعاشره واكثر من التردد عليه فلما أتته ولاية مصر واستقر بالقلعة واظب على الطلوع والنزول الى القلعة ويبيت

ويقاتل اهلها وخرجوا حادي عشر شوال في عدد كالرمل كثرة وكالنار جمرة فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى ميمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا وكان قد عاد اليه من فرق من عساكره لما هلك ملك الالمان ولقي الفرنج على تعبية حسنة وكان أولاده الافضل علي والظاهر غازي والظافر مما يلي القلب واخوه العادل ابو بكر في الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان في الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقي الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من امرائه واتفق ان صلاح الدين أخذه مغس كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقي نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشية وامطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا الى غربي النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالشية أن تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا اماكنهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخنادقهم والجالشية في اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما اصابهم فلولا ذلك الالم الذي حدث بصلاح الدين لكانت هي الفصل وانما الله أمر هو بالغه فلما بلغ الفرنج خنادقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفي الثالث والعشرين من شوال أيضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض للفرنج جماعة أخرى فخرج اليهم اربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيئا من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتى جاز والكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صوري فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير أسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب كان يحمل من صيدا أيضا اليهم وكذلك من عسقلان وغيرها ولولا ذلك لهلكوا جوعا خصوصا في الشتاء عند انقطاع مراكبهم عنهم بتهيج البحر

(ذكر تسيير البدل الى عكا والتفريط فيه حتى أخذت)

لما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التي عندهم لانها لم تكن من الميناء فسيروها الى بلادهم صور والجزائر فانفتح الطريق الى عكا في البحر فارسل أهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين مقدما على جندها فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر اخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشواني وكان يسير جماعة من العسكر يسيرهم اليها وأخرج عوضهم

عنده غالب الليالي وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوي ورتب له وظائف في الضربخانه والسلخانه والجوالي ووقع في ولايته الطاعون الذي افنى غالب امراء مصر واهلها وذلك سنة خمس ومائتين والف فاختص بما احبه مما انحل عن الموتى من اقطاعات ورزق وغيرها وزادت ثروته ورغبته وسعيه في اسباب تحصيل الدنيا وعاني الشركات والمتاجر في كثير من الاشياء مثل الكتان والقطن والارز وغير ذلك من الاصناف والتزم بعدة حصص بالبحيرة مثل شابور وخلافها بالمنوفية والجيزة والغربية وابتنى دارا عظيمة بالازبكية بناحية الرويعي بما يقابلها من الجهة الاخرى عند الساباط ولما حضرت الفرنساوية الى الديار المصرية وخافهم الناس وخرج الكثير من الاعيان وغيرهم هاربا من مصر تأخر المترجم عن الخروج ولم ينقبض كغيره عن المداخلة فيهم بل اجتمع بهم وواصلهم وانضم اليهم وسايرهم ولاطفهم في اغراضهم واحبوه واكرموه وقبلوا شفاعاته ووثقوا بقوله فكان هو المشار اليه في دولتهم مدة اقامتهم بمصر والواسطة العظمى بينهم وبين الناس في قضاياهم وحوائجهم واوراقه واوامره نافذة عند ولاة اعمالهم حتى لقب عندهم وعند الناس بكاتم السر ولما رتبوا الديوان الذي رتبوه لاجراء الاحكام بين المسلمين في قضاياهم ودعاويهم كان

عوضهم فدخل اليها عشرون اميرا وكان بها ستون اميرا فكان الدين دخلوا قليلا بالنسبة الى الذين خرجوا واهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى وكانوا اذا جاءهم جماعة قد جندوا تعنتوهم بانواع شتى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرق بهذا السبب خلق كثير وانضاف الى ذلك توانى صلاح الدين ووثوقه بنوابه واهمال النواب فانحسر الشتاء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكا وانقطع الطريق الا من سابح ياتى بكتاب وكان من جملة الامراء الذين دخلوا الى عكا سيف الدين على بن احمد المشطوب وعز الدين ارسل مقدم الاسدية بعد جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكا اول سنة سبع وثمانين وكان قد اشار جماعة على صلاح الدين بان يرسل الى من بعكا النفقات الواسعة والذخائر والاقوات الكثيرة ويامرهم بالمقام فانهم قد جربوا وتدربوا واطمانت نفوسهم على ما هم فيه فلم يفعل وظن فيهم الضجر والملل وان ذلك يحملهم على الضجر والفشل فكان الامر بالضد

(ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير اخيه مظفر الدين اليها)

كان زين الدين يوسف بن زين الدين على صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان وذكر العماد الكاتب فى كتابه البرق الشامى قال جئنا الى مظفر الدين نعزيه باخيه وظنناه بالحزن وليس له اخ غيره ولا ولد يشغله عنه فاذا هو فى شغل شاغل عن العزاء مهتم بالاحتياط على ما خلفه وهو جالس فى خيام اخيه المتوفى وقد قبض على جماعة من امرائه واعتقلهم وحمل عليهم وما اغفلهم منهم بلداجى صاحب قلعة خفتيذكان وارسل الى صلاح الدين يطلب منه اربل لينزل عن حران والرها فاقطعه اياها واضاف اليها شهرزور واعمالها ودربند قرابلى وبنى قفجاق ولما مات زين الدين كاتب من كان باربل مجاهد الدين قايماز لهواهم فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملكوه فلم يجسر هو ولا صاحبه عز الدين اتابك مسعود بن مودود على ذلك خوفا من صلاح الدين وكان اعظم الاسباب فى تركها ان عز الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فتمكن زين الدين من اربل ثم ان عز الدين اخرج مجاهد الدين من القبض وولاه نيابته وقد ذكرنا ذلك اجمع فلما ولاه النيابة عنه لم يمكنه وجعل معه انسانا كان من بعض غلمان مجاهد الدين فكان يشاركه فى الحكم ويحل عليه ما يعقده فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد فلما طلب الى اربل قال لمن يثق اليه لا افعل لئلا يحكم فيها فلان ويكف يدى عنها فجاء مظفر الدين اليها وملكها وبقى غصة فى حلق البيت الاتابكى لا يقدرون على اساغتها وسنذكر ما اعتمده معهم مرة بعد اخرى ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين)

فى هذه السنة ملك ابن الرنك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهى من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها فوصل الخبر بذلك الى الامير

هو المشار اليه فيه وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت اوامره واذا ركب او مشى يمشون حوله وامامه وبايديهم العصى يوسعون له الطريق وراج امره فى ايامهم جدا وزاد ايراده وجهه واحتوى بلاد او جهات وارزاقا واقاموه وكيلا عنهم فى اشياء كثيرة وبلاد وقرى يجبى اليه خراجها ويصرف عنها ما يصرفه وياتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والاغنام والسمن والعسل وما جرت به العادة ويتقدمون اليه بدعاويهم وشكاويهم ويفعل بهم ما كان يفعله ارباب الالتزامات من الحبس والضرب واخذ المصالح وصار له اعوان واتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم يرسل منهم لجبى الاموال من القرى وفى مراسلاته فى القضايا العامة ويبعث الامان للفارين والهاربين والمتخوفين من الفرنسيس الراحلين الى بلاد الشام والمختفين بالقرى من الاجناد وغيرهم فيرسل اليهم اوراقا بالعود الى اوطانهم اما باستدعائهم وطلبهم ذلك واما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ويحمى دورهم وحريمهم ويمانع عنهم فى غيابهم ويكون له المنة العظيمة التى يستحق بها الجوائز الجزيلة وبالجملة فكان بوجوده وتصدره فى تلك الايام النفع العام سد بعقله ثقوبا واسعة وخروقا وداوى برايه جروحا وفتوقا لاسيما ايام الهيازع والخصومات

ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب والاندلس فتجهز فى العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسير طائفة كثيرة من عسكره فى البحر ونازلها وحصرها وقاتل من بها قتالا شديدا حتى ذلوا وسالوا الامان فامنهم وسلموا البلد وعادوا الى بلادهم وسير جيشا من الموحدين ومعهم جمع كثير من العرب ففتحوا اربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك باربعين سنة وفتكوا فى الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وارسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد ابو يوسف الى مراكش وامتنع من هذه الهدنة طائفة من الفرنج لم يرضوها ولا امكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقفين حتى دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شاء الله تعالى

* (ذكر الحرب بين غياث الدين وسلطان شاه بخراسان) *

كان سلطان شاه اخو خوارزم شاه قد تعرض الى بلاد غياث الدين ومعز الدين ملكى الغورية من خراسان فتجهز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فبقى يتردد بين بلاد الطالقان وبنجده ومرو وغيرها يريد حرب سلطان شاه فلم يزل كذلك الى ان دخلت سنة ست وثمانين فجمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافا واقتتلا فانهزم سلطان شاه واخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة

* (ذكر عدة حوادث) *

فى هذه السنة فى ربيع الاول تسلم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سير اليها جيشا حصروها سنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالا شديدا ودام الحصار وقتل من الفريقين خلق كثير فلما ضاقت عليهم الاقوات سلموها على اقطاع عينوها ووصل صاحبها واهلها الى بغداد واعطوا اقطاعا ثم تفرقوا فى البلاد واشتدت الحاجة بهم حتى رأيت بعضهم وانه يتعرض بالسؤال الى بعض خدم الناس نعوذ بالله من زوال نعمته وتحول عافيته وفى هذه السنة توفى مسعود بن الباد وكان مكثرا من الحديث حسن الخط خيرا ثقة وفيها توفى ابو حامد محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى بالموصل كان قاضيا وقبلها ولى قضاء حلب وجميع الاعمال وكان رئيسا جوادا ذا مروأة عظيمة يرجع الى دين واخلاق

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة)

* (ذكر حصر عز الدين صاحب الموصل الجزيرة) *

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها سنجر شاه بن سيف الدين غازى ابن مودود وهو ابن اخى عز الدين وكان سبب حصره ان سنجر شاه كان كثير الاذى لعمه عز الدين والشناعة عليه والمراسلة الى صلاح الدين فى حقه تارة يقول انه يريد قصد

والتنازع ومايكدر طباع الفرنساويه من مخارق الرعية فيتلافاه بمراهم كلماته ويسكن حدتهم بملاطفاته ولما مضت
ايامهم وتنكست اعلامهم
وارتحلوا عن الاقطار المصرية
ووردت الدولة العثمانية
كان المترجم اعظم المتصدرين
فى مقابلتهم واوجه الوجهاء
فى مخاطبتهم ومكالمتهم ولم
يتاخر عن حالته فى ظهوره
ولازمهم فى عشياته وبكوره
وبهرهم بتحيله واحتياله
واستمالهم بسحره وحباله
واتحد بشريف افندى الدفتردار
وواظبه الليل والنهار وعمم
معه اغراضه فى جميع تعلقاته
وتقرير وظائفه والتزاماته
ومسموحاته واستجد غير ذلك
مما ينتقيه من الديوان وكل
ذلك من غير مقابلة ولا حلوان
وتزوج بعدة زوجات ورزق
اولادا ذكورا واناثا فمنهم
الشيخ محمد المهدى وهو من ابنة
الشيخ الحريرى وتمذهب
حنفيا على مذهب جده وآخر
يسمى محمد تقى الدين توفى
فى حياة والده من نحو خمس
عشرة سنة او اكثر من نحو
عشرين سنة وكان مالكيا
باشارة ابيه والشيخ عبد
الهادى وتوفى بعد ابيه وكان
شافعى المذهب وعقدوا له
درسا بعد موت ابيه فلم تطل
ايامه وزوج اولاده وبناته
وعمل لهم مهمات وافراحا
استجلب بها هدايا من اعيان
المسلمين والنصارى والنساء الاكابر والتجار وغيرهم ثم احترقت داره التى انشاها بالازبكية فى حرابة

بلاده

بلادك وتارة يقول انه يكاتب اعداءك ويحثهم على قصدك الى غير ذلك من الامور المؤذية وعز الدين يصبر على ما يكره لامور تارة للرحم وتارة خوفا من تسليمها الى صلاح الدين فلما كان فى السنة الماضية سار صاحبها الى صلاح الدين وهو على عكا فى جملة من سار من أصحاب الاطراف وأقام عنده قليلا وطلب دستور العود الى بلده فقال له صلاح الدين عندنا من أصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها وهو اكبر منك ومنهما ابن عمك عز الدين وهو أصغر منك وغيرهم ومتى فتحت هذا الباب اقتدى بك غيرك فلم يلتفت الى قوله وأصر على ذلك وكان عند صلاح الدين جماعة من أهل الجزيرة يستغيثون على سنجرشاه لانه ظلمهم وأخذ اموالهم واملاكهم فكان يخافه لهذا ولم يزل فى طلب الاذن فى العود الى البلد الى عيد الفطر من سنة ست وثمانين فركب تلك الليلة سنجرشاه وجاء الى خيمة صلاح الدين واذن لاصحابه فى المسير فساروا بالاثقال وبقى جريدة فلما وصل الى خيمة صلاح الدين ارسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد بات محموما وقد عرق فلم يمكن ان يأذن له فبقى كذلك مترددا على باب خيمته الى ان اذن له فلما دخل عليه هناه بالعيد وانكب عليه يودعه فقال له ما علمنا بصحة عزمك على الحركة فتصبر علينا حتى نرسل ما جرت به العادة فما يجوز ان تنصرف عنا بعد مقامك عندنا على هذا الوجه فلم يرجع وودعه وانصرف وكان تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين قد اقبل من بلده حماة فى عسكره فكتب اليه صلاح الدين يأمره باعادة سنجرشاه طوعا او كرها فحكى له عن تقى الدين انه قال ما رأيت مثل سنجرشاه لقيته بعقبة فيق فسألته عن سبب انصرافه فغالطنى فقلت له سمعت بالحال ولا يليق ان تنصرف بغير تشريف السلطان وهديته فيضيع تعبك وسألته العود فلم يصغ الى قولى فكلمنى كانى بعض مماليكه فلما رأيت ذلك منه قلت له ان رجعت بالتى هى احسن والا اعدتك كارها فنزل عن دابته واخذ ذيلى وقال قد استجرت بك وجعل يبكى فعجبت من حماقته اولا وذلته ثانيا فعاد معى فلما عاد بقى عند صلاح الدين عشرة ايام وكتب صلاح الدين الى عز الدين اتابك يأمره بقصد الجزيرة ومحاصرتها وأخذها وانه يرسل الى طريق سنجرشاه ليقبض عليه اذا عاد فخاف عز الدين ان صلاح الدين قد فعل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد فلم يفعل شيئا من ذلك بل ارسل اليه يقول اريد خطك بذلك ومنشور امنك بالجزيرة فترددت الرسل فى ذلك الى ان انقضت سنة ست وثمانين فاستقرت القاعدة بينهما فسار عز الدين الى الجزيرة فحصرها اربعة أشهر وأياما آخرها شعبان ولم يملكها بل استقرت القاعدة بينه وبين سنجرشاه على يد رسول صلاح الدين فانه كان قد ارسل بعد قصدها يقول ان صاحب سنجار وصاحب اربل وغيرهما قد شفعا فى سنجرشاه فاستقر الصلح على ان لعز الدين نصف أعمال الجزيرة ولسنجرشاه نصفها وتكون الجزيرة بيد سنجرشاه من جملة النصف وعاد عز الدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول ما قيل لى عن احد شئ من الشر فرأيته الا كان دون ما يقال فيه الا سنجرشاه فانه كان يقال لى عنه

الفرنساوية مع العثمانية والمصريين عند مجىء الوزير المرة الاولى فشرع فى بناء دار عند باب الشعرية ولم يتمها بل تركها واهملها وهى منهدمة ولم يحدث بها شيئا من الابنية ثم انه تزوج بابنة الشيخ احمد البشارى وكانت تحت بعض الاجناد فى دار جهة التبانة بالقرب من سوق السلاح وسويقة العزى يذهب اليها فى بعض الاحيان واشترى دارا عظيمة بناحية الموسكى وكانت لبعض عتقى بقايا الامراء الاقدمين وهى دار واسعة الارجاء ذات رحبتين متسعتين والرحبة الخارجة التى يسلك اليها من باب الزقاق الكبير على ظهر قنطرة الخليج التى تعرف الآن بقنطرة الحفناوى لقربها من داره وبهذه الدار مجالس وقيعان متسعة ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاثة لواوين مفروشة ارضها وحيطانها بانواع الرخام الملون والقيشانى مطلة على بستان عظيم مغروس بانواع الاشجار وهو ايضا من حقوق الدار وينتهى حدود هذه الدار الى حارة المناصرة والى كوم الشيخ سلامة وحارة الافرنج من الناحية الاخرى ولما عمل برازها وعقد عقد شرائها من اصحابها ودفع لهم بعض دراهم يقال لها العربون وكتب حجة المشترى وسكنها اخذ بعدهم بدفع الثمن ويماطلهم كعادته فى دفع الحقوق ثم تركهم وسافر الى دمياط وجعل يطوف البلاد التى تحت التزامه وغيرها مثل المحلة

أشياء استعظمتها فلما رأيته صغر في عيني ما قيل *

(ذكر عبور تقي الدين الفرات وملكه حران وغيرها من البلاد الجزرية ومسيره الى خلاط وموته)

في هذه السنة في صفر سار تقي الدين من الشام الى البلاد الجزرية حران والرها كان قد أقطعه اياها عمه صلاح الدين بعد أخذها من مظفر الدين مضافا الى ما كان له بالشام وقرر معه انه يقطع البلاد للجند ويعودوهم معه ليتقوى بهم على الفرنج فلما عبر الفرات واصلح حال البلاد سار الى ميافارقين وكانت له فلما بلغها تجدد له طمع في غيرها من البلاد المجاورة لها فقصد مدينة حاني من ديار بكر فحصرها وملكها وكان في سبعمائة فارس فلما سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بملكه حاني جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره أربعة آلاف فارس فلما التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لتقي الدين بل انهزموا وتبعهم تقي الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق وزير صاحبه شاه ارمن وسجنه في قلعة هناك فلما انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يامره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد وتقي الدين قد نازل القلعة فاخذ الكتاب وملك القلعة واطلق ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن في كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيق على من بها وطال مقامه عليها فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة أياما ذكروها فاجابهم اليها ومرض تقي الدين فمات قبل انقضاء الاجل بيومين وتفرقت العساكر عنها وحمله ابنه واصحابه ميتا الى ميافارقين وعاد بكتمر فقوي أمره وثبت ملكه بعد ان اشرف على الزوال وهذا الحادثة من الفرج بعد الشدة فان ابن رشيق نجا من القتل و بكتمر نجا من ان يؤخذ

(ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر الى عكا)

وفي هذه السنة وصلت امداد الفرنج في البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان اول من وصل منهم الملك فليب ملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسبا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثاني عشر ربيع الاول ولم يكن في الكثرة التي ظنوها وانما كان معه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوس من على عكا منهم والحوا في قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم فكان يركب كل يوم و يقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وارسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يامره بتجهيز ما عنده من الشواني والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها في البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكا ففعل ذلك وسير الشواني في البحر فصادفت خمسة مراكب مملوءة رجالا من أصحاب ملك انكلتار الفرنجي وكان قد سيرهم بين يديه وتاخر هو بجزيرة قبرس ليملكها فاقتتلت شواني المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم وأخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال وكتب أيضا صلاح الدين الى من

الكبيرة وماندثا والاسكندرية وغاب نحو ٣٠ الخمس سنوات ومات في غيبته بعض اصحاب الدار التي اشتراها منه وبقي من مستحقيها امرأة فكانت تتظلم وتشتكي وترسل له فعرضت امرها الكتخدا بك والباشا الى ان حضر الى مصر وقبضت منه وهي مظلة ما امكنها من ثمن استحقاقها وبنى ابنه المسمى بامين بقطعة من ارض وادارا جهة حارة المناصرة على البستان ومختلطة به ونافذة اليه وجعل لها بابا من المناصرة ينفذ منه الى الازبكية وقنطرة الامير حسين أنفق عليها جملة كبيرة من المال بحيث ان المرخمين اقاموا في شغلهم نحو اربع سنوات خلاف من عداهم من ارباب الاشغال وتجهيز الادوات من الاخشاب وغيرها من انواع الاحتياجات ويتعاطى ابنه المذكور التجارة ايضا والشركة في كثير من الاصناف خلاف الايراد الواسع الخاص به ولما رجع المترجم من سرحته الى مصر اقام مصاحبا اليسير الخمول وتقيد لالقاء الدروس بالازهر أشهرا ويعاني مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ومطالعة ما صنف فيها ويدبر مع بعض اصحابه في دورهم باغراته من مالهم الى ان بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم فتولى كبر السعي عليه هو وباقي الجماعة حسدا وطمعا الخلاص لهم الامر دونه حتى اوقعوا به كما تقدم ذكر ذلك في حوادث

بالقرب

بالقرب من النواب له يامرهم بمثل ذلك ففعلوا واما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا
قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح
الدين ذلك تحول من شفرعم ونزل عليهم لئلا يتعب العسكر كل يوم فى المجىء اليهم
والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم
فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عمن بالبلد ثم وصل ملك انكلتار ثالث عشر
جمادى الاولى وكان قد استولى فى طريقه على جزيرة قبرس وأخذها من الروم فانه لما
وصل اليها غدر بصاحبها وملكها جميعا فكان ذلك زيادة فى ملكه وقوة للفرنج فلما
فرغ منها سار عنها الى من على عكا من الفرنج فوصل اليهم فى خمس وعشرين قطعة
كبار مملوءة رجالا وأموالا فعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم فى المسلمين وكان رجل
زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلى المسلمون منه بالداهية التى لا مثل لها ولما
وردت الاخبار بوصوله أمر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدد
والاقوات فتجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل فلقيها ملك انكلتار
مصادفة فقاتلها وصبر من فيها على قتالها فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدم من بها
الى أسفلها وهو يعقوب الحلبى مقدم الجندارية يعرف بغلام ابن شقتين فخرقها خرقا
واسعا لئلا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر فغرق جميع ما فيها وكانت عكا
محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثم ان الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها
فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج ان
ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلا كبيرا من التراب مستطيلا وما زالوا يقربونه الى البلد
ويقاتلون من ورائه لا ينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف علوه فكانوا يستظلون
به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت
المصيبة على من بعكا من المسلمين فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم
على نفع

(ذكر ملك الفرنج عكا)

فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان
أول وهن دخل على من بالبلد أن الامير سيف الدين على بن احمد الهكارى المعروف
بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أمثلهم وأكبرهم فخرج الى ملك
افرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على ان يطلق المسلمين الذين فيه ويمكنهم من
اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد على بن احمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت
نفوسهم وتخاذلوا واهمتهم أنفسهم ثم ان اميرين ممن كان بعكا لما راوا ما فعلوا
بالمشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الأمان اتخذوا الليل جملا وركبوا فى شئ صغير
وخرجوا سرا من أصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عز الدين ارسل الاسدى وابن عز
الدين جاولى وسنقر الوشاقى ومعهم غيرهم فلما اصبح الناس وراوا ذلك ازدادوا وهنا

سنة اربع وعشرين وفى اثناء هذه الحادثة طلب من الباشا اذنا فى قبض استحقاقه من ٣١ من غلال الانبار فى مدة غيابه
فامر بدفعها له من الخزينة
نقدا بالثمن الذى قدره لنفسه
وهو خمسة وعشرون كيسا وفى
اليوم الذى خرج فيه السيد
عمر انعم عليه الباشا ايضا
بنظر وقف سنان باشا ونظر
ضريح الشافعى بعرضه له
بطلب النظرين وكانا تحت
يد السيد عمر يتحصل منهما مال
كثير وعند ذلك رجع الى حالته
الاولى التى كان قد انقبض
عن بعضها من كثرة السعى
والتردد على الباشا واكابر
دولته فى القضايا والشفاعات
وامور الالتزام والفائظ والرزق
والاطيان وما يتعلق به فى
بلاد الصعيد والفيوم ومحاسبة
الشركاء وازدحمت عليه الناس
وشرع يقرا بالازهر فاذا حضر
اجتمع حول درسه طابق من
الناس فاذا فرغ تكبكب
عليه ارباب الدعاوى والفتاوى
فيكتب لهذا وبعد ذلك
ويسوف آخر يذهب من يريد
ان يذهب معه لحاجته فيقطع
نهاره وليله طوافا وسعيا وذهابا
وايابا لا يستقر بمكان ولا يعثر
به صاحب حاجة الا نادرا ولا
يبيت فى بيت من بيوته الا فى
الجمعة مرة اومرتين ويتفق
مجيئه الى داره بعد العشاء
الاخيرة وغالب لياليه فى غيرها
واذا غاب لا يعلم طريقه الا بعض
اتباعه فيذهب الى بولاق مثلا فيقيم بها عدة ايام وليالى ينتقل فى الاماكن عند

الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وايقنوا بالعطب ثم ان الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين
فى معنى تسليم البلد فاجابهم الى ذلك والشرط بينهم ان يطلق من اسراهم بعدد من فى
البلد ليطلقوا هم من بعكا وان يسلم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل
الى من بعكا من المسلمين يامرهم ان يخرجوا من عكا يدا واحدة و يتركوا البلد بما فيه
ووعدهم انه يتقدم الى تلك الجهة التى يخرجون منها بعساكره و يقاتل الفرنج فيها
ليلحقوا به فشرعوا فى ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من اشغالهم
حتى اسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره فلما عجز الناس عن حفظ البلد وزحف
اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم فظهر من بالبلد على سوره يحركون اعلامهم ليراها
المسلمون وكانت هى العلامة اذا اخترمهم امر فلما راى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء
والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبا منهم ان الفرنج يشتغلون عن الذين
بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو فى أولهم وكان الفرنج قد خفوا عن خنادقهم ومالوا
الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم و يضعون
السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا فى مقابلة من بالبلد من
يقاتلهم فلما راى المشطوب ان صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرا خرج
الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه باموالهم وانفسهم وبذل لهم عن
ذلك مائتى ألف دينار وخمسمائة أسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة
عشر ألف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون
مدة تحصيل المال والاسرى الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما
فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم وحبسوهم
واظهروا أنهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى ارسال المال
والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع فى جمع المال وكان هو لا مال له
انما يخرج ما يصل اليه من دخل البلاد أولا باول فلما اجتمع عنده من المال مائة ألف
دينار جمع الامراء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيئا حتى يعاود يستحلفهم على
اطلاق أصحابه وان يضمن الداوية ذلك لانهم أهل دين يرون الوفاء فراسلهم صلاح
الدين فى ذلك فقال الداوية لانحلف ولا نضمن لاننا نخاف غدر من عندنا وقال ملوكهم
اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح
الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيئا وأعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم
هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنا على الباقى وتطلقوا أصحابنا وتضمن
الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف انما ترسل الينا المائة ألف دينار
التى حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد
حتى يجىء باقى المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر
والفقراء والاكراد ومن لا يؤبه له ويمسكون عندهم الامراء وارباب الاموال ويطلبون
منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين

شركائه ومن يعاملهم من الامناء والخصاصين والابرادية وغيرهم أويذهب الى بلده نهية بالجيزة اوغيرها فيقيم
اياما ايضا وهكذا دابه قديما واذا
قيل له فى ذلك قال انا بيتى
ظهر بغلتى وعلى ما كان فيه
من الغنى وكثرة الايراد
والمصرف تراه مفقود اللذة
عديم الراحة البدنية والنفسية
وانما ذلك لاولاده والمقيمين
ايضا بداره ويتفق انه يذبح
بداره الثلاثة اغنام لضيوف
من الفقهاء عند الحريم ولا ياكل
منها شيئا بل يتركها ويذهب
الى بعض اغراضه ببولاق
مثلا و يتغذى بالجبن الحلوم
أو الفسيخ او البطارخ ويبيت
باى مكان ولو على نخ او حصير فى
اى محل كان * ولما مات الشيخ
سليمان الفيومى عن زوجته
المعروفة بالصحراوية وكانت
من نساء القدماء مشهورة
بالغنى وكثرة الايراد وتزوجت
بالشيخ الفيومى حماية لمالها
وكانت طاعنة فى السن
فاشترت له جارية بيضاء
واعتقتها وزوجتها له ولم يدخل
بها ومات عنها وعن زوجته
الاخرى ثم ماتت الصحراوية
المذكورة لا عن وارث فى
غضون طنطنة المترجم فوضع
يده على دارها ومالها وجواريها
وتعلقاتها من عقار والتزام
وغيره وزوج الجارية لابنه
عبد الهادى وكانها اسقطت
بمالها ونوالها فى بئر عميق ولما
جرد الباشا وعين العساكر
الى الحجاز مع ابنه طوسون باشا اختار ان يصحب معه من اهل العلم فكان المتعين

من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا أكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم وأصحابهم ومن لا مال له فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف فى المال الذى كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى دمشق

(ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها)

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح أمر عكا برزوا منها فى الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهل شعبان نحو حيفا مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكره بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين اياز كوش وعز الدين جورديك وعدة من شجعان الامراء فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وارسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسروا جماعة وارسل الافضل الى والده يستمده ويعرفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانهم ما ركبوا اهبة الحرب وانما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكتار الى ساقة الفرنج فحماها وجمعهم وساروا حتى أتوا حيفا فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون قرية بالقرب منهم وأحضر الفرنج من عكا عوض من قتل منهم واسر ذلك اليوم وعوض ما هلك من الخيل ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطفون منهم من قدروا عليه فيقتلونه لان صلاح الدين كان قد اقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتله بمن قتلوا ممن كان بعكا فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشد قتال فنالوا منهم نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريبا منهم فلما نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون الذين كانوا فى اليزك فقتلوا منهم واسروا منهم ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة الحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتل منهم كثير فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوى أحد على احد وكان كثير من الخيالة والسوقة قد الفوا القيام وقت الحرب قريبا من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة لتبعتهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين شعراء كثيرة الشجر فدخلوها وظنها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم وقتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن فى زمانه مثله فلما نزل الفرنج نزل المسلمون

لذلك المترجم مع السيد احمد الطحطاوى وانعم عليه باكياس وترحيلة للنفقة فلما وقعت الهزيمة بالصفراء رجع مع الراجعين ولما توفى الشيخ الشرقاوى تعين المترجم لمشيخة الجامع ثم انتقضت عليه وقلدوها الشيخ الشنوانى كما تقدم ذكر ذلك فلم يظهر الا الانشراح وعدم التأثر من الانكساف وحضر اليه الشيخ الشنوانى فخلع عليه فروة سمور خاص وزاد فى اكرامه وبآخرة تملك دارا بالكعكيين على شر بطته فى مشتروانه وهى التى كانت سكن الشيخ الحفنى قبل سكناه بالموسكى ثم تملكها الشيخ المرحوم عبد الرحمن العريشى ثم ابن الخنفرى ثم لا ادرى لمن آلت بعد ذلك فلما اخذها شرع فى تجديدها وتعميرها وفتح بها رحبة واسعة واحضر اخشابا كثيرة واحجارا وبلاطا ورخاما وبجانبها زاوية قديمة بها مدافن فهدمها وادخلها فى الدار واخرج عظام الموتى من قبورهم ودفنهم بتربة المجاورين كما اخبرنى عن ذلك من لفظه وجعل مكان الزاوية قاعة لطيفة بخارجها فسحة يتوصل اليها من حوش الدار وجعل مكان القبور مخابئ وعليها طوابق واسكن فى تلك الدار احدى زوجاته وهى التى كانت تحت الشيخ الدمجيى الدمياطى تزوج بها بدمياط واحضرها الى مصر واسكنها بهذه الدار ومعها ضرتها التى كانت من شابوروا كثر

واعنقة خيلهم بايديهم ثم سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها احد من المسلمين فملكوها ولما كان من المسلمين بارسوف من الهزيمة ماذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رأيت ما كان منا بالامس واذا جاء الفرنج الى عسقلان ووقفنا فى وجوههم نصدهم عنها فهم لاشك يقاتلونا لننزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر علينا الان العدو قد قوى باخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن أيدينا ولم تطل المدة حتى نستعد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه احد الى ذلك وقالوا ان اردت حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والا فما يدخلها منا احد لئلا يصيبنا ما اصاب اهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وأمر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان والقيت حجارتها فى البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التى للسلطان والرعية مالا يمكن حصره وعفى أثرها حتى لا يبقى للفرنج فى قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لما اخذ الفرنج عكا قد احس من ملك انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهى له وبيده وكان رجل الفرنج رأيا وشجاعة وكل هذه الحروب هو اثارها فلما خربت عسقلان أرسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغى ان يكون ملكا ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك ياجاهل لما بلغك انه قد شرع فى تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلته وملكتها صفوا عفوا بغير قتال ولا حصار فانه ما خربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لوانى معك كانت عسقلان اليوم بايدينا لم يخرب منها غير برج واحد فلما خربت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثانى شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد وفى مدة مقامه لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل ابى بكر بن أيوب تجاه الفرنج ثم سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره ومافيه من سلاح وذخائر وقرر قواعده وأسبابه ومايحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفى هذه الايام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالا شديدا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض أصحابه بنفسه وتخلص الملك وأسر ذلك الرجل وفيها أيضا كانت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج انتصر فيها المسلمون

❁(ذكر رحيل الفرنج الى نطرون)❁

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا فى عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة وكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أبى بكر بن أيوب أخى صلاح الدين فاستقرت

العمارة فلما كان فى آخر المحرم توعك اياما ثم عوفى وذهب الى الحمام وهناه الناس من المبيت فيها مع استمرار بالعافية ومشى الى جيرانه يتحدث عندهم كعادته مثل الخواجا سيدى محمد ابن الحاج طاهر والسيد صالح الفيومى فخرج ليلة الجمعة الثانى من شهر صفر وذهب عند عثمان بن سلامة السنارى فتحدث عندهم حصة من الليل وتفكهوا ثم قام ذاهبا الى داره ماشيا على اقدامه وصحبته صاحبنا الشيخ خليل الصفتى يحادثه حتى وصل الى داره المذكورة وانصرف الشيخ خليل الى داره ايضا ومضى نحو ساعة واذا بتابع الشيخ المهدى يناديه ويطلبه اليه فقام فى الحين ودخل اليه فوجده راقدا فى المكان الذى نبش من القبو رجس يده فقال له النساء انه ميت واخبرت زوجته انه جامعها ثم استلقى وفارق الدنيا وارسلوا الى اولاده فحضروا وحملوه فى تابوت الى الدار الكبيرة بالموسكى ليلا وشاع موته وجهز وصلى عليه بالازهر فى مشهد حافل جدا ودفن عند الشيخ الحفنى بجانب القبر (فسبحان الحى الذى لايموت) فرحم الله عبدا زهد فى الفانى وعمل لما بعده ونظر الى هذه الدار بعين الاعتبار نساله التوفيق والقناعة وحسن الخاتمة عن نحو خمس وسبعين سنة وحاصل امر المرحوم المترجم

القاعدة ان انكلتار يزوج اخته من العادل ويكون القدس وما بايدى المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكا وما بيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها وان يرضى الداوية بما يقع الاتفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلما ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى اخت انكلتار وانكروا عليها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله أعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعان بعد ذلك ويتجاريان حديث الصلح وطلب من العادل ان يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ولم يتم بينهما صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج أظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقى عشرين يوما ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين مدة المقام عدة وقعات فى كلها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد البيت المقدس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت فى العسكرين بالقتال فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

(ذكر مسير صلاح الدين الى القدس)

لما راى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار متوالية متتابعة والناس منها فى ضنك وحرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر فى تعب دائم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها فاذن لهم فى العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدس فيمن بقى معه فنزلوا جميعا داخل البلد فاستراحوا مما كانوا فيه ونزل هو بدار الاقساء مجاور بيعة قمامة وقدم اليه عسكر مصر مقدمهم الامير ابو الهيجاء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون فى وقعة منها نيفا وخمسين فارسا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس أمر بعمارة سوره وتجديد مادثر منه فاحكم الموضع الذى ملك البلد منه وأتقنه وأمر بحفر خندق خارج الفصيل وسلم كل برج الى أمير يتولى عمله فعمل ولده الافضل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وأرسل أتابك عز الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الحجارين لهم فى قطع الصخر اليد الطولى فعملوا له هناك برجا وبدنة وكذلك جميع الامراء ثم ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الاماكن البعيدة فيقتدى به العسكر فكان يجمع عنده من العمالين فى اليوم الواحد من يعملون قدر عدة أيام

(ذكر عود الفرنج الى الرملة)

انه كان من فحول العلماء يدرس الكتب الصعاب فى المعقول والمنقول بالتحقيق والتدقيق ويقررها بالحاصل وانتفع عليه الكثير من الطلبة ومنهم الآن مدرسون مشتهرون ومميزون بين نظرائهم من اهل العصر ولو استمر على طريقة اهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا لكان نادرة عصره واداه ذلك الى قطع الاشتغال واذا شرع فى الاقراء فلا يتم الكتاب فى الغالب ويحضر الدرس فى الجمعة يوما او يومين ويهمل كذلك ولم يصنف تاليفا ولا رسالة فى فن من الفنون مع تاهله لذلك ولم يعان الشعر ولا النظم ونثره فى المراسلات ونحوها متوسط فى بعض القوافى السهلة وتقيد بقراءة الحكم لابن عطاء الله بعد العصر فى رمضان الثلاث سنين الاخيرة

(ومات) الاستاذ العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النبيه المهذب المتواضع الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف ابن عبد الرحمن الشهير بالصفوى القلعاوى الشافعى ولد فى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين ومائة والف وتفقه على الشيخ الملوى والسحيمى والبراوى والحفنى ولازم شيخنا الشيخ احمد العروسى وانتفع عليه واذن له فى الفتيا عن اساتذه وجمع من تقريراته واقتطف من تحقيقاته والف وصنف وكتب حاشية على ابن قاسم الغزى على ابى شجاع فى

فى العشرين من ذى الحجة عاد الفرنج الى الرملة وكان سبب عودهم انهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلما أبعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثم ان ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوّروا لى مدينة القدس فانى ما رأيتها فصوّروها له فرأى الوادى يحيط بها ما عدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسال عن الوادى وعن عمقه فاخبر انه عميق وعر المسلك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها مهما كان صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لاننا ان نزلنا فى الجانب الذى يلى المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادى وبعضنا من الجانب الآخر جمع صلاح الدين أصحابه وواقع احدى الطائفتين ولم يمكن الطائفة الاخرى انجاد أصحابهم لانهم ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه من يحفظه وسار وانجدوا أصحابهم فالى ان يتخلصوا من الوادى ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذر علينا من ايصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة عندهم وما يجرى للجالبين لها من المسلمين فاشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خائبين خاسرين

(ذكر قتل قزل ارسلان)

فى شعبان من هذه السنة قتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد ذكرنا انه ملك البلاد بعد وفاة أخيه البهلوان ملك أران واذربيجان وهمذان وأصفهان والرى وما بينهما واطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله فى بعض القلاع ودانت له البلاد وفى آخر أمره سار الى أصفهان والفتن بها متصلة من لدن توفى البهلوان الى ذلك الوقت فتعصب على الشافعية واخذ جماعة من اعيانهم فصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثم انه دخل ليلة قتل الى منزله لينام وتفرق اصحابه فدخل اليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله فاخذ اصحابه صاحب بابه ظنا وتخمينا وكان كريما حسن الاخلاق يحب العدل ويؤثره ويرجع الى حلم وقلة عقوبة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قدم معز الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين فى رمضان وكان سبب قدومه ان والده عز الدين قلج ارسلان فرق مملكته على اولاده واعطى ولده هذا ملطية واعطى ولده قطب الدين ملك شاه سيواس فاستولى قطب الدين على أبيه وحجر عليه وأزال حكمه والزمه ان ياخذ ملطية من اخيه ويسلمها اليه فخاف معز الدين فسار الى صلاح الدين ملتجئا اليه معتضدا به فاكرمه صلاح الدين وزوجه بابنة اخيه الملك العادل فامتنع قطب الدين من قصده وعاد معز الدين

الفقه وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازانى على التلخيص وشرح شرح السمرقندى على الرسالة العضدية فى علم الوضع وله منظومة فى آداب البحث وشرحها ومنظومة لمتن التهذيب فى المنطق وشرحها وديوان شعر سماه اتحاف الناظرين فى مدح سيد المرسلين وعدة من الرسائل فى معضلات المسائل وغير ذلك وكان سكنه بقلعة الجبل ويأتى فى كل يوم الى الازهر للاقراء والافادة فلما أمر الباشا سكان القلعة باخلائها والنزول منها الى المدينة فنزلوا الى المدينة وتركوا دورهم وأوطانهم نزل المترجم مع من نزل وسكن بحارة أمير الجيوش جهة باب الشعرية ولم يزل هناك حتى تمرض أياما وتوفى ليلة السبت سابع عشرى شهر رمضان وصلى عليه بالازهر ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقينى بحارة بين السيارج رحمه الله تعالى فانه كان من احسن من رأينا سمتا وعلما وصلاحا وتواضعا وانكسارا وانجماعا عن خلطة الكثير من الناس مقبلا على شانه راضيا مرضيا طاهرا نقيا لطيف المزاج جدا محبوبا للناس عفا الله عنه وغفر لنا وله *(ومات) الشيخ الفاضل الاجل الامثل والوجيه المفضل الشيخ حسين بن حسن كنانى بن على المنصورى الحنفى تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصورى والشيخ

الى

الى ملطية فى ذى القعدة وحدثنى من اثق به قال رايت صلاح الدين وقد ركب ليودع
هذا معز الدين فترجل له معز الدين وترجل صلاح الدين وودعه راجلا فلما اراد الركوب
عضده هذا معز الدين وركب وسوى ثيابه علاء الدين خرمشاه بن عز الدين صاحب
الموصل قال فعجبت من ذلك وقلت ما تبالى يا ابن ايوب اى موتة تموت يركبك ملك
سلجوقى وابن اتابك زنكى وفيها توفى حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وهو ابن اخت
صلاح الدين وعلم الدين سليمان بن جندر وهو من أكابر امراء صلاح الدين أيضا وفى
رجب توفى الصفى بن القابض وكان متولى دمشق لصلاح الدين يحكم فى جميع بلاده

❁(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة)❁

❁(ذكر عمارة الفرنج عسقلان)❁

فى هذه السنة فى المحرم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح
الدين بالقدس فسار ملك انكلتار جريدة من عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم
وجرى بين الطائفتين قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدة مقام صلاح الدين
بالقدس ما برحت سراياه تقصد الفرنج فتارة تواقع طائفة منهم وتارة تقطع الميرة
عنهم ومن جملتها سرية كان مقدمها فارس الدين ميمون القصرى وهو من مقدمى
المماليك الصلاحية خرج على قافلة كبيرة للفرنج فاخذها وغنم ما فيها

❁(ذكر قتل المركيس وملك الكندهرى)❁

فى هذه السنة فى ثالث عشر ربيع الآخر قتل المركيس الفرنجى لعنه الله صاحب صور
وهو اكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله ان صلاح الدين راسل مقدم الاسماعيلية
وهو سنان ان ارسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار
فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من
الفرنج ويتفرغ لهم وشره فى اخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلين فى زى
الرهبان واتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة وكانا مع المركيس بصور
فاقاما معهما ستة اشهر يظهران العبادة فانس بهما المركيس ووثق اليهما فلما كان
بعد التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها واكل طعامه وشرب مدامه
وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيان المذكوران فجرحاه جراحا وثيقة وهرب
احدهما ودخل كنيسة يختفى فيها فاتفق ان المركيس حمل اليها ليشد جراحه فوثب
عليه ذلك الباطنى فقتله وقتل الباطنيان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضع من
ملك انكلتار لينفرد بملك الساحل الشامى فلما قتل ولى بعده مدينة صور كند من
الفرنج من داخل البحر يقال له الكندهرى وتزوج بالملكة فى ليلته ودخل بها وهى
حامل وليس الحمل عندهم مما يمنع النكاح وهذا الكندهرى هو ابن اخت ملك
افرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلتار من امه وملك هذا كندهرى بلاد
الفرنج بالساحل بعد عود ملك انكلتار وعاش الى سنة اربع وتسعين وخمسمائة

محمد الدجى والشيخ احمد الفارسى والشيخ عمر الدبركى والشيخ محمد المصيلحى واقرأ فى فقه المذهب دروسا فى محل
جده لامه بالازهر وسكن داره
بحارة الحبانية على بركة
الفيل مع اخيه الشيخ عبد
الرحمن ثم انتقلا فى حوادث
الفرنساوية الى حارة الازهر
ولما كانت حادثة السيد عمر
مكرم النقيب من مصر الى
دمياط وكتبوا فيه عرضا
للدولة وامتنع السيد احمد
الطحطاوى من الشهادة عليه
كما تقدم وتعصبوا عليه وعزلوه
من مشيخة الحنفية قلدوها
المترجم فلم يزل فيها حتى عرض
وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى
المحرم وصلى عليه بالازهر
ودفن بتربة المجاورين رحمه
الله وايانا (ومات) البليغ
النجيب والنبيه الاريب
نادرة الزمان وفريد الاوان
اخونا ومحبنا فى الله تعالى
ومن اجله السيد اسمعيل بن
سعد الشهير بالخشاب كان
ابوه نجارا ثم فتح له مخزنا لبيع
الخشب تجاه تكية الكلشنى
بالقرب من باب زويلة وولد
له المترجم واخوه ابراهيم ومحمد
وهو اصغرهما فتولع السيد
اسمعيل المترجم بحفظ القرآن
ثم بطلب العلم ولازم حضور
السيد على المقدسى وغيره من
افاضل الوقت وانجب فى فقه
الشافعية والمعقول بقدر
الحاجة وتثقيف اللسان
والفروع الفقهية الواجبة
والفرائض وتنزل فى حرفة
الشهادة بالمحكمة الكبيرة لضرورة التكسب فى المعاش ومصارف العيال وعمل بمطالعة الكتب الادبية

فسقط من سطح فمات وكان عاقلا كثير المداراة والاحتمال ولما رحل ملك انكلتار الى بلاده أرسل هذا كندهرى الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله يطلب منه خلعة وقال انت تعلم ان لبس القباء والشربوش عندنا عيب وأنا ألبسهما منك محبة لك فانفذ اليه خلعة سنية منها القباء والشربوش فلبسهما بعكا

(ذكر نهب بني عامر البصرة)

في هذه السنة في صفر اجتمع بنو عامر في خلق كثير واميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الامير بها اسمه محمد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طغرل مملوك الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمد فيمن معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة ودام القتال الى آخر النهار فلما جاء الليل ثلم العرب في السور عدة ثلم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم اهل البلد فقتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقين ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محال البصرة وعبر اهلها الى شاطئ الملاحين وفارق العرب البلد في يومهم وعاد اهله اليه وكان سبب سرعة العرب في مفارقة البلد انهم بلغهم ان خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم اشد قتال فظفرت عامر وغنمت اموال خفاجة والمنتفق وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من اهل البصرة والسواد جمعا كثيرا فلما عادت عامر قاتلهم اهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة اهلها ونهبت اموالهم وجرت امور عظيمة ونهبت القسامل وغيرها يومين وفارقها العرب وعاد اهلها اليها وقد رايت هذه القصة بعينها في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة والله اعلم

(ذكر ما كان من ملك انكلتار)

في تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخربوه ثم ساروا الى البيت المقدس وصلاح الدين فيه فبلغوا بيت نوبة وكان سبب طمعهم ان صلاح الدين فرق عساكره الشرقية وغيرها لاجل الشتاء وليستريحوا وليحضر البدل عوضهم وسار بعضهم مع ولده الافضل واخيه العادل الى البلاد الجزرية لما نذكره ان شاء الله تعالى وبقي من حلقته الخاص بعض العساكر المصرية فظنوا انهم ينالون غرضا فلما سمع صلاح الدين بقربهم منه فرق ابراج البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة الى قلونية سلخ الشهر وهي فرسخين من القدس فصب المسلمون عليهم البلاء وتابعوا ارسال السرايا فبلي الفرنج منهم بما لا قبل لهم به وعلموا انهم اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم اسرع والتسلط عليهم امكن فرجعوا القهقرى وركب المسلمون أكتافهم بالرماح والسهام ولما بعد الفرنج عن يافا سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الاولى

والتصوف والتاريخ واولع بذلك وحفظ اشياء كثيرة من الاشعار والمراسلات وحكايات الصوفية ونكاتهم وما فيه من الحقائق حتى صار نادرة عصره في المحاضرات والمحاورات واستحضار المناسبات والماجريات وقال الشعر الرائق ونثر النثر الفائق وصحب بسبب ما احتوى عليه من دماثة الاخلاق ولدماثة السجايا وكرم الشمائل وخفة الروح كثيرا من اربار المظاهر والرؤساء من الكتاب والامراء والتجار وتنافسوا في صحبته وتفاخروا بمجالسته ومنهم مصطفى بك المهدي امير الحاج وحسن افندي العربية وشيخ السادات وغيرهم من الاماثل فيرتاحون لمنادمته ويتنقلون على طيب مفاكهته وحسن مخاطبته ولطف عباراته وكان الوقت اذ ذاك غاصا بالاكابر والرؤساء وارباب الفضائل والناس في بلهنية من العيش وأمن من المخاوف والطيش وللمترجم رحمه الله قوة استحضار في ابداء المناسبات بحسب ما يقتضيه حال المجلس فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور في الخطاب ويجاب عقله بلطف محادثته كما يفعل بالعقول الشراب ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه من ذلك اليوم لان القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص (ذكر

(ذكر استيلاء الفرنج على عسكر المسلمين وقفل)

في تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعهم قفل كبير ومقدم العسكر فلك الدين سليمان اخو العادل لامه ومعه عدة من الامراء فاسرى الفرنج اليهم فواقعهم بنواحي الخليل فانهزم الجند ولم يقتل منهم أحد من المشهورين انما قتل من الغلمان والاصحاب وغنم الفرنج خيامهم وآلاتهم وأما القفل فانه أخذ بعضه وصعد من نجا جبل الخليل فلم يقدم الفرنج على اتباعهم ولو اتبعوهم نصف فرسخ لاتوا عليهم وتمزق من نجا من القفل وتقطعوا ولقوا شدة الى ان اجتمعوا وحكى لي بعض أصحابنا وكنا قد سيرنا معه شيئا للتجارة الى مصر وكان قد خرج في هذا القفل قال لما وقع الفرنج علينا كنا قد رفعنا أحمالنا للسير فحملوا علينا واوقعوا بنا فضربت جمالي وصعدت الجبل ومعي عدة أحمال لغيري فلحقنا قوم من الفرنج فاخذوا الاحمال التي في صحبتي وكنت بين أيديهم بمقدار رمية سهم فلم يصلوا الي فنجوت بما معي وسرت لا ادري أين أقصد واذ قد لاح لي بناء كبير على جبل فسألت عنه فقيل لي هذا الكرك فوصلت اليه ثم عدت منه الى القدس سالما وسار هذا الرجل من القدس سالما فلما بلغ براعة عند حلب أخذه الحرامية فنجا من العطب وهلك عند ظنه السلامة

(ذكر مسير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة)

قد تقدم ذكر موت تقي الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده ناصر الدين محمد على بلاد الجزيرة فلما استولى عليها أرسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مضافا الى ما كان لابيه بالشام فلم ير صلاح الدين ان مثل تلك البلاد تسلم الى صبي فما أجابه الى ذلك فحدث نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل علي بن صلاح الدين من أبيه ان يقطعه ما كان لتقي الدين وينزل عن دمشق فاجابه الى ذلك وأمره بالمسير اليها فسار الى حلب في جماعة من العسكر وكتب صلاح الدين الى أصحاب البلاد الشرقية مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يامرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل فلما رأى ولد تقي الدين ذلك علم انه لا قوة له بهم فراسل الملك العادل عم أبيه يسأله اصلاح حاله مع صلاح الدين فانهى ذلك الى صلاح الدين وأصلح حاله وقرر قاعدته بان يقرر له ما كان لابيه بالشام وتؤخذ منه البلاد الجزرية واستقرت القاعدة على ذلك وأقطع صلاح الدين البلاد الجزرية وهي حران والرها وسميساط وميافارقين وحاني العادل وسيره الى ابن تقي الدين ليتسلم منه البلاد ويسيره الى صلاح الدين ويعيد الملك الافضل اين أدركه فسار العادل فلحق الافضل بحلب فاعاده الى أبيه وعبر العادل الفرات وتسلم البلاد من ابن تقي الدين وجعل نوابه فيها واستصحب ابن تقي الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعساكر وكان عوده في جمادى الآخرة من هذه السنة

(ذكر عود الفرنج الى عكا)

يرفع في مجالسهم بعد ان يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد أخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر أو نهي أو خطاب أو جواب أو خطا أو صواب وقرروا له في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة فلم يزل متقيدا في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الاقليم مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة ودبوانهم هذا ضحوة يومين في الجمعة فجمع من ذلك عدة كراريس ولا أدري ما فعل بها وبعد ان رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته مازج المذكور وخالطه ورافقه ووافقه ولازمه فكانا كثيرا ما يبيتان معا ويقطعان الليل باحاديث أرق من نسيم السحر وألطف من اتساق نظم الدرر وكثيرا ما كانا يتنادمان بداري لما بيني وبينهما من الصحبة الاكيدة والمودة العتيدة فكانا يرتاحان عندي ويطرحان التكلفات التي هي على النفس شديدة ويتمثلان بقول من قال في انقباض وحشمة فاذا رأيت أهل الوفاء والكرم أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم ثم يتبادلان أطراف الكلام ويجولان في كل فن من الفنون الادبية والتواريخ والمحاضرات فتارة

لما عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقي الدين فيمن معهما من عساكرهما لحقتهم العساكر الشرقية عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من البلاد واجتمعت العساكر بدمشق أيقن الفرنج انهم لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكا يظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فامر صلاح الدين ولده الافضل أن يسير اليها في عسكره والعساكر الشرقية جميعها معارضا للفرنج في مسيرهم نحوها فسار الى مرج العيون واجتمعت العساكر معه فاقام هنالك ينتظر مسير الفرنج فلما بلغهم ذلك أقاموا بعكا ولم يفارقوها

(ذكر ملك صلاح الدين يافا)

لما رحل الفرنج نحو عكا كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل من بها منهم وملكها في العشرين من رجب بالسيف عنوة ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج واسروا كثيرا وكان بها أكثر ما اخذوه من عسكر مصر والقفل الذي كان معهم وقد ذكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحية قد وقفوا على ابواب المدينة وكل من خرج من الجند ومعه شيء من الغنيمة أخذوه منه فان امتنع ضربوه واخذوا ما معه قهرا ثم زحفت العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها آخر النهار وكادوا يأخذونها فطلب من بالقلعة الامان على انفسهم وخرج البترك الكبير الذي لهم ومعه عدة من اكابر الفرنج في ذلك وترددوا وكان قصدهم منع المسلمين من القتال فادركهم الليل وواعدوا المسلمين ان ينزلوا بكرة غد ويسلموا القلعة فلما اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا واذ قد وصلهم نجدة من عكا وادركهم ملك انكلتار فاخرج من بيافا من المسلمين واتاه المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدم اليه احد فوقف بين الصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل ا كل فامر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم وبالجد في قتالهم فتقدم اليه بعض امرائه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن علي بن احمد الهكاري فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين اخذوا أمس الغنيمة وضربوا الناس بالجماقات يتقدمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليما كريم المقدرة ونزل في خيامه واقام حتى اجتمعت العساكر وجاء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فدخل بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها

(ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق)

في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها هذا التاريخ وافق اول ايلول وسبب الصلح ان ملك انكلتار لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين

يتشاكيان تغير الزمان وتكدر الاخوان . ٤ وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان وما وقع لهما من صد وهجران ووصل واحسان فكانت تجري بينهما منادمات أرق من زهر الرياض وافتك بالعقول من الحدق المراض وهما حينئذ فريدا وقتهما ووحيدا مصرهما لم يعز زافي ذلك الوقت بثالث اذ ليس ثم من يدانيهما فضلا عن مساواتهما في تلك الشؤن التي أربت على المثاني والمثالث واستمرت صحبتهما وتزايدت على طول الايام مودتهما حتى توفي المترجم وبقي بعده الشيخ حسن فريدا ممن يشاكله ويناشده ويتجارى معه ويحاوره فسكت بعد حسن البيان وترك نظم الشعر والنثر الا بقدر الضرورة ونفاق أهل العصر وذلك لتفاقم الخطوب وتزايد الكروب وفقد الاخوان وعدم الخلان واشتغل بما هو خير من ذلك وابقى ثوابا فيما هنالك من تقرير العلوم وتحقيقها والتاليفات المتنوعة في الفنون المختلفة وتنميقها وهو الآن على ما هو عليه من السعي في خدمة العلم واقراء الكتب الصعبة وله بذلك شهرة بين الطلاب وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعره وهو صغير الحجم له شهرة بين المتادبين بعصره ولهم به عناية ووفور رغبة ٣٤ وقد كان له فيه غلو زائد وتادب في الجلوس والحديث انتقد فيه ولم عليه هذه الامور حتى كان لا يخاطبه الا بضمير الغيبة

بلد

بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين فى الصلح وأظهر من ذلك ضد ما كان يظهره أولا فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنا منه انه يفعل ذلك خديعة ومكرا وارسل يطلب منه المصاف والحرب فاعاد الفرنجى رسله مرة بعد مرة وترك تتمة عمارة عسقلان وعن غزة والداروم والرملة وارسل الى الملك العادل فى تقرير هذه القاعدة فاشار هو وجماعة الامراء بالاجابة الى الصلح وعرفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من أسلحتهم ودوابهم ونفد من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجى انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجىء الشتاء وينقطع الركوب فى البحر نحتاج نبقى ههنا سنة أخرى وحينئذ يعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول له فى هذا المعنى فاجاب حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان فى جملة من حضر عند صلاح الدين باليان بن بارزان الذى كان صاحب الرملة ونابلس فلما حلف صلاح الدين قال له ما عمل احد فى الاسلام ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فاننا احصينا من خرج الينا فى البحر من المقاتلة فكانوا ستمائة الف رجل ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلتموه وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل امر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرقوا وعادت كل طائفة الى بلادها واقام بالساحل الشامى ملكا على الفرنج والبلاد التى بايديهم الكندهرى وكان خير الطبع قليل الشر رفيقا بالمسلمين محبا لهم وتزوج بالملكة التى كانت تملك بلاد الفرنج قبل ان يملكها صلاح الدين كما ذكرناه واما صلاح الدين فانه بعد تمام الهدنة سار الى البيت المقدس وامر باحكام سوره وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم على الحج والاحرام منه فلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوال نحو دمشق واستناب بالقدس اميرا اسمه جورديك وهو من المماليك النورية ولما سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلامية كنابلس وطبرية وصفد وتبنين وبيروت وتعهد هذه البلاد وامر باحكامها فلما كان فى بيروت اتاه بيمند صاحب انطاكية واعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلاده فلما عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها فى الخامس والعشرين من شوال وكان يوم دخوله اليها يوما مشهودا وفرح الناس به فرحا عظيما لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام

(ذكر وفاة قلج ارسلان)

فى هذه السنة منتصف شعبان توفى الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقى بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية واعمالها واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم

حتى وبما وقع ذلك فى بعض آيات وأحاديث كما قدمنا الاشارة بذلك فى ترجمته وكان ذلك يوافق غرضه لما جبل عليه من التعاظم وقد كان جلساؤه لما رأوا محبته لذلك يتشبهون بالمترجم فى سلوك هذه الشؤن مع انه لا داعى ولا باعث لارتكاب هذه المعاصى طلبا لمرضاة من هو كثير التلوّن على جلسائه وانما الناس شانهم التقليد وفى طباعهم الميل الى ارباب الدنيا ولو لم ينلهم منها شئ ولم يكن للمترجم شئ يعاب به الا هذه الارتكابات ولما وردت الفرنساوية لمصر اتفق ان علق شابا من رؤساء كتابهم كان جميل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العلوم العربية مائلا الى اكتساب النكات الادبية فصيح اللسان بالعربى يحفظ كثيرا من الشعر فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ووقع بينهما توادد وتصاف حتى كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر فكان المترجم تارة يذهب لداره وتارة يزوره هو ويقع بينهما من لطف المحاورة ما يتعجب منه وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ونظم الغزل الفائق (فمما قاله فيه)

علقته لؤلؤى الثغر باسمه ... فيه خلعت عذارى بل حلا نسكى

ملكته الروح طوعا ثم قلت له

لسانه وهو يثنى الجيد من ضحك

متى ازديارك لى افديك من ملك ... فقال لى وحميا الراح قد عقلت *

فلما كبر فرق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب في مدينة ملكه رجلا يعرف باختيار الدين حسن فلما غلب قطب الدين على الامر قتل حسنا ثم اخذ والده وسار به الى قيسارية لياخذها من اخيه الذى سلمها اليه ابوه فحصرها مدة فوجد والده قلج ارسلان فرصة فهرب ودخل قيسارية وحده فلما علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكهما ولم يزل قلج ارسلان يتحول من ولد الى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلو فلما رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو معه الى قونية فملكها وسارا الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض ابوه فعاد به الى قونية فتوفى بها ودفن هناك وبقى ولده غياث الدين فى قونية مالكا لها حتى اخذها منه اخوه ركن الدين سليمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقد حدثنى بعض من اثق اليه من اهل العلم بما يحكيه وكان قد وصل تلك البلاد بغير هذا ونحن نذكره قال ان قلج ارسلان قسم بلاده بين اولاده فى حياته فسلم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلم قونية الى ولده كيخسرو غياث الدين وسلم انقرة وهى التى تسمى انكورية الى ولده محيى الدين وسلم ملطية الى ولده معز الدين قيصر شاه وسلم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلم قيسارية الى ولده نور الدين محمود وسلم سيواس واقصرا الى ولده قطب الدين وسلم نكسار الى ولد آخر وسلم اماسيا الى ولد أخيه هذه أمهات البلاد وينضاف الى كل بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التى ليست مثل هذه ثم انه ندم على ذلك وأراد ان يجمع الجميع لولده الاكبر قطب الدين وخطب له ابنة صلاح الدين يوسف صاحب مصر والشام ليقوى به فلما سمع باقى أولاده بذلك امتنعوا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه عنهم فسار يتردد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كل واحد منهم مدة وينتقل الى الآخر ثم انه مضى الى ولده كيخسرو صاحب قونية على عادته فخرج اليه ولقيه وقبل الارض بين يديه وسلم قونية اليه وتصرف عن أمره فقال لكيخسرو أريد أسير الى ولدى الملعون محمود وهو صاحب قيسارية وتجىء أنت معى لآخذها منه فتجهز وسار معه وحصر محمودا بقيسارية فمرض قلج ارسلان وتوفى عليها فعاد كيخسرو وبقى كل واحد من الاولاد على البلد التى بيده وكان قطب الدين صاحب اقصرا وسيواس اذا أراد ان يسير من احدى المدينتين الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها أخوه نور الدين محمود وليست على طريقه انما كان يقصدها ليظهر المودة لاخيه والمحبة له وفى نفسه الغدر فكان أخوه محمود يقصده ويجتمع به ففى بعض المرات نزل بظاهر البلد على عادته وحضر أخوه محمود عنده غير محتاط فقتله قطب الدين والقى رأسه الى أصحابه وأراد أخذ البلد فامتنع من به من أصحاب أخيه عليه ثم انهم سلموه اليه على قاعدة استمرت بينهم وكان عند محمود أمير كبير وكان يحذره من أخيه قطب الدين ويخوفه فلم يصغ اليه وكان جوادا كثير الخير والتقدم فى الدولة عند نور الدين فلما قتل قطب الدين أخاه قتل حسنا معه وألقاه على الطريق فجاء كلب يأكل من

اذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت * منه عساكره الاسود الحلك * فجاء فى وجه الصبح مشرقة *
عليه من شفق آثار معترك
فى حلة من أديم الليل رصعها
بمثل انجمه فى قبة الفلك
فخلت بدرا به حفت نجوم دجا
فى اسود من ظلام الليل محتبك
وافى وولى بعقل غير مختبل
من الشراب وستر غير منهتك
(وله فى آخر يسمى ريج)
ادرها على زهر الكواكب والزهر
واشراق ضوء البدر فى صفحة النهر
وهات على نغم المثانى فعاطنى
على خدك الحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكاس من ذهب الطلا
وخضب بنانى من سنى الراح بالتبر
وهاك عقودا من لآلى حبابها
فم الكاس عنها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل واجب بوردها
دجاه وطف بالشمس فينا الى الفجر
وأصل بنار الخد قلبى وأطفه
ببرد ثناياك الشهية والثغر
أريج ذكى المسك انفاسك التى
أريج شذاها قد تنم عن عطر
معنبرة يسرى النسيم بطيبها
فتغدو رياض الزهر طيبة النشر
وبى ذابل الاجفان كالبيض طرفه * مكحلة اجفانه السود بالسحر * رشا فاتك الالحاظ عيناه غادرت * بجمه

لحمه فثار الناس وقالوا الاسمعا ولا طاعة هذا رجل مسلم وله ههنا مدرسة وتربة وصدقات دارة وافعال حسنة لانتركه تاكله الكلاب فامر به فدفن فى مدرسته وبقى أولاد قلج ارسلان على حالهم ثم ان قطب الدين مرض ومات فسار أخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى سيواس وهى تجاوره فملكها ثم سار منها الى قيسارية واقصرا ثم بقى مديدة وسار الى قونية وبها اخوه غياث الدين فحصره بها وملكها ففارقها غياث الدين الى الشام ثم الى بلاد الروم وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم سار بعد ذلك ركن الدين الى نكسار واماسيا فملكها وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين وخمسمائة فملكها وفارقها أخوه معز الدين الى الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان هذا معز الدين تزوج ابنة للعادل فاقام عنده واجتمع لركن الدين ملك جميع الاخوة ما عدا انقرة فانها منيعة لا يوصل اليها فجعل عليها عسكرا يحصرها صيفا وشتاء ثلاث سنين فتسلمها سنة احدى وستمائة ووضع على اخيه الذى كان بها من يقتله اذا فارقها فلما سار عنها قتل وتوفى ركن الدين فى تلك الايام ولم يسمع خبر قتل اخيه بل عاجله الله تعالى لقطع رحمه وانما أوردنا هذه الحادثة ههنا لنتبع بعضها بعضا ولانى لم أعلم تواريخ كل حادثة منها لاثبته فيه

★(ذكر ملك شهاب الدين اجمير وغيرها من الهند)★

قد ذكرنا سنة ثلاث وثمانين غزوة شهاب الدين الغورى الى بلاد الهند وانهزامه وبقى الى الآن وفى نفسه الحقد العظيم على الجند الغورية الذين انهزموا وما ألزمهم من الهوان فلما كانت هذه السنة خرج من غزنة وقد جمع عساكره وسار فيها يطلب غزوة الهندى الذى هزمه تلك النوبة فلما وصل الى برشاوور تقدم اليه شيخ من الغورية كان يدل عليه فقال له قد قربنا من العدو وما يعلم أحد اين يمضى ولا من يقصد ولا ترد على الامراء سلاما وهذا لا يجوز فعله فقال له السلطان اعلم انى منذ هزمنى هذا الكافر ما نمت مع زوجتى ولا غيرت ثياب البياض عنى وانا سائر الى عدوى ومعتمد على الله تعالى لا على الغورية ولا على غيرهم فان نصرنى الله سبحانه ونصر دينه فمن فضله وكرمه وان انهزمنا فلا تطلبونى فيما انهزمت ولو هلكت تحت حوافر الخيل فقال له الشيخ سوف ترى بنى عمك من الغورية ما يفعلون فينبغى أن تكلمهم وترد سلامهم ففعل ذلك وبقى امراء الغورية يتضرعون و يقولون سوف ترى ما نفعل وسار الى أن وصل الى موضع المصاف الاول وجازه مسيرة أربعة أيام وأخذ عدة مواضع من بلاد العدو فلما سمع الهندى تجهز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين فلما بقى بين الطائفتين مرحلة عاد شهاب الدين وراءه والكافر فى أعقابه أربع منازل فارسل الكافر اليه يقول له اعطنى يدك انك تصافقنى فى باب غزنة حتى اجئ وراءك والا فنحن متقلون ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثم يخرج هاربا ما هذا فعل السلاطين فاعاد الجواب انى لا أقدر على حربك وتم على حاله عائدا الى أن بقى بينه وبين بلاد الاسلام ثلاثة أيام والكافر فى اثره

فؤادي فى دمعي دما سائلا يجري ★ طويل نجاد السيف الى مخصب ★ شقيق المها اذا هى البها انا حل الخصر
رقيق حواشى الطبع يغنى حديثه
عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنثر
يعير الرماح اللين عادل قده
ويزرى الدرارى ضوء مبسمه الدر
ويحكيه اغصان الربا فى شمائل
فيرفل فى أثواب أوراقها الخضر
وفوق سنى ذاك الجبين غياهب
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشية
وأمسى بروحى يوم جد النوى يسرى
تباكى لتوديع فابدى شقائقا
مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر
ولما نظم الشيخ حسن موشحته التى يقول فيها شعرا
اما فؤادى فعنك ما انتقلا
فلم تخيرت فى الهوى بدلا
فاعجب
يا معرضا عن محبه الدنف
ومغرما بالجمال والصلف
ومن به زاد فى الهوى شغفى
اما كفى يا ظلوم ما حصلا
حتى جعلت الصدود والمللا مذهب
فتش فؤادى فليس فيه سوى
شخصك ايها المليح ثوى
قد ضل قلبى لسكنه وغوى
وهكذا من يحب معتدلا
لم يلق الا تاسفا وقلا
مشرب
وهى طويلة مذكورة فى ديوانه عارضه المترجم المذكور
بقوله فى معشوقه الذى ذكرناه يهتز كالغصن ماس معتدلا ★ إطلع بدرا عليه قد سدلا
غيهب

يزري بسمر الرماح ان خطرا
وليس لي عنه جار او معدلا
مهرب
وصاح نور الجبين ابلجه
اغيد عذب الرضاب افلجه
وجه غرامي عليه متجه
فلست اصغي لعاذل عذلا
كلا وعنه فلا احول ولا
ارغب
(وبقيتها في ديوانه) وقال
فيه ايضا وهو مما يعتنى به
ادرها على زهر الكواكب
والزهر
واشراق نور البدر في صفحة
النهر
الى آخرها ولم يزل المترجم على
حالته ورقته ولطافته مع
ماكان عليه من كرم النفس
والعفة والنزاهة والتوامح
بعما لى الامور والتكسب
وكثرة الانفاق وسكنى الدور
الواسعة والحزم وكان له
صاحب يسمى احمد العطار
بباب الفتوح توفي وتزوج
هو بزوجته وهي نصف واقام
معها نحو ثلاثين سنة ولها ولد
صغير من المتوفي فتبناه ورباه
ورفهه بالملابس واشفق به
اضعاف والد بولده ولما بلغ
عمل له مهما وزوجه ودعا
الناس الى ولائمه وانفق عليه
في ذلك انفاقا كثيرة وبعد
نحو سنة عرض ذلك الغلام
اشهرا فصرف عليه وعلى
معالجته جملة من المال
وما بجزع عليه جزعا شديدا ويبكي وينتحب وعمل له ماتما وعزاء واختار دفنه
من

يتبعه حتى لحقه قريبا من مرنده فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين الفا وقال اريد هذه الليلة تدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تاتون انتم من تلك الناحية وانا من هذه الناحية ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انهم لايبرحون من مضاجعهم الى ان تطلع الشمس فلما اصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب وضربت الكوسات فلم يلتفت ملك الهند الى ذلك وقال من يقدم على انا هذا والقتل قد كثر في الهنود والنصرة قد ظهرت للمسلمين فلما رأى ملك الهند ذلك احضر فرسا له سابقا وركب ليهرب فقال له اعيان اصحابه انك حلفت اننا انك لاتخلينا وتهرب فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه والقتال شديد والقتل قد كثر في اصحابه فانتهى المسلمون اليه واخذوه اسيرا وحينئذ عظم القتل والاسر في الهنود ولم ينج منهم الا القليل واحضر الهندي بين يدي شهاب الدين فلم يخدمه فاخذ بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتى اصابها جبينه واقعده بين يدي شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استاسرتني ما كنت تفعل بي فقال الكافر قد استعملت لك قيدا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالا كثيرة وامتعة عظيمة وفي جملة ذلك اربعة عشر فيلا من جملتها الفيل الذي جرح شهاب الدين في تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنت طالب بلاد فما بقي فيها من يحفظها وان كنت طالب مال فعندي اموال تحمل جمالك كلها فسار شهاب الدين وهو معه الى الحصن الذي له يعول عليه وهو اجمير فاخذه واخذ جميع البلاد التي تقاربه واقطع جميع البلاد لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض على امير الحاج طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلا في الحاج رفيقا بهم محبا لهم له اوراد كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لاجرم وقفت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ماننذكره ان شاء الله تعالى وفيها خرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد موت قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج بن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج الى الري على ماننذكره ان شاء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة وفيها في رجب توفي الامير السيد على بن المرتضى العلوي الحنفي مدرس جامع السلطان ببغداد وفي شعبان منها توفي ابو على الحسن بن هبة الله ابن البوقي الفقيه الشافعي الواسطي وكان عالما بالمذهب انتفع به الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته)

في هذه السنة في صفر توفي صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة اربع وستين وخمسمائة وكان سبب مرضه انه خرج يتلقى الحاج فعاد ومرض

من يومه مرضا حادا بقي به ثمانية ايام وتوفي رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده
الافضل عليا واخاه الملك العادل ابا بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرغنا من
الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل فاي جهة نقصد فاشار عليه اخوه العادل بقصد
خلاط لانه كان قد وعده اذا اخذها ان يسلمها اليه واشار ولده الافضل بقصد بلاد الروم
التي بيد اولاد قلج ارسلان وقال هي اكثر بلادا وعسكرا ومالا واسرع ماخذا وهي
ايضا طريق الفرنج اذا خرجوا على البر فاذا ملكناها منعناهم من العبور فيها فقال
كلاكما مقصر ناقص الهمة بل اقصد انا بلاد الروم وقال لاخيه تاخذ انت بعض اولادي
وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغت انا من بلاد الروم جئت اليكم وندخل منها
اذربيجان ونتصل ببلاد العجم فما فيها من يمنعها ثم اذن لاخيه العادل في المضي
الى الكرك وكان له وقال له تجهز واحضر لتسير لما سار الى الكرك مرض صلاح الدين
وتوفي قبل عوده وكان رحمه الله كريما حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا على
ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا
يتغير عليه وبلغني انه كان يوما جالسا وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضا بسرموز
فاخطاته ووصلت الى صلاح الدين فاخطاته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة
الاخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها وطلب مرة الماء فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد
خمس مرات فلم يحضر فقال يا اصحابنا والله قد قتلني العطش فاحضر الماء فشربه ولم ينكر
التواني في احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا ارجف عليه بالموت فلما برئ منه
وادخل الحمام كان الماء حارا فطلب ماء باردا فاحضره الذي يخدمه فسقط من الماء
شيء على الارض فناله منه شيء فتالم له لضعفه ثم طلب البارد ايضا فاحضر فلما قاربه
سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال
للغلام ان كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه واما كرمه فانه كان كثير البذل
لا يقف في شيء يخرجه ويكفي دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزانته غير دينار
واحد صوري واربعين درهما ناصرية وبلغني انه اخرج في مدة مقامه على عكا قبالة
الفرنج ثمانية عشر الف دابة من فرس وبغل سوى الجمال واما العين والثياب
والسلاح فانه لا يدخل تحت الحصر ولما انقرضت الدولة العلوية بمصر اخذ من
ذخائرهم من سائر الانواع ما يفوت الاحصاء ففرقه جميعه واما تواضعه فانه كان ظاهرا
لم يتكبر على احد من اصحابه وكان يعيب الملوك المتكبرين بذلك وكان يحضر عنده
الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماع فاذا قام احدهم لرقص او سماع يقوم له فلا
يقعد حتى يفرغ الفقير ولم يلبس شيئا مما ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع
الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادرا في عصره كثير المحاسن والافعال الجميلة
عظيم الجهاد في الكفار وفتوحه تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا

(ذكر حال اهله واولاده بعده)

دفنته بجامع الكردي بالحسينية ورتبت له رواتب وقراء واتخذت مسكنا لاصقا القبر اقامت به نحو
الثلاثين سنة مع دوام عمل الشريك والكعك بالعجمية والسكر وطبخ الاطعمة للقرائين والزائرين ثم ملازمة الميت واتخاذ ما ذكر في كل جمعة على الدوام والمترجم طوع يدها في كل ما طلبته وما كانت به تسخيرا من الله تعالى وكل ما وصل الى يده من حرام او حلال فهو مستهلك عليها وعلى اقاربها وخدمها لا لذة له في ذلك حسية ولا معنوية لانها في ذاتها عجوز شوهاء وهو في نفسه نحيف البنية ضعيف الحركة جدا بل معدومها وابتلي بحصر البول وسلسه القليل مع الحرقة والتالم استدام بها مدة طويلة حتى لزم الفراش اياما وتوفي يوم السبت ثاني شهر الحجة الحرام بمنزله الذي استاجره بدرب قرمز بين القصرين وصلينا عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن عند ابنه المذكور بالحسينية وكثيرا ما كنت اتذكر قول القائل

ومن تراه بالاولاد السوى فرحا ... في عقله عزه ان شئت واندب
اولاد صلب الفتى قلت منافعهم ... فكيف يلمح نفع الابعد الجنب

مع انه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لا يداني فعله
وانقياده الى هذه المرأة وحواشيها نسأل الله السلامة والعافية وحسن العاقبة كما قيل من نكلة ما تقدم

فلاسرور سوى نفع بعافية * وحسن ختم وما ياتى من الشغب * ٤٦ وأمن نكر نكير القبر ثمة ما * يكون بعد من الاهوال والتعب

واستهلت سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف)

(استهل شهر المحرم بيوم السبت) وحاكم مصر وصاحبها واقطاعها وثغورها وكذلك بندر جدة ومكة والمدينة المنوّرة و بلاد الحجاز محمد على باشا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولاظ محمد الذى هو كتخدا بك قائمقامه هو المتصدر لاجراء الاحكام بين الناس عن امر مخدومه وابراهيم أغا أغات الباب والدفتردار محمد افندى صهر الباشا والروزنامجى مصطفى افندى تابع محمد افندى باش جاكرت سابقا وغيطاس افندى سرجى وسليمان افندى الكماخى باشمحاسب ورفيقه احمد افندى باش قلفة وصالح بك السلحدار وحسن اغا اغات الينكجرية وعلى اغا الشعراوى زعيم مصر وهو الوالى واغات التبديل احمد اغا وهو اخو حسن اغا المنذ كورو كاتب الخزينة ولى خوجه ورئيس كتبة الاقباط المعلم غالى واولاد الباشا ابراهيم باشا حاكم الصعيد وطوسون باشا فاتح بلاد الحجاز واسمعيل باشا ببولاق ومحرم بك صهر الباشا ايضا على ابنته بالجيزة احمد اغا المعروف ببونابارته الخازندار وباقى كشاف الاقاليم واكابر اعيانهم مثل

لما مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين على وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة فى حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس و بعلبك وصرخد و بصرى و بانياس وهونين وتبنين و جميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها وكان ولده الظاهر غازى بحلب فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودرب ساك ومنبج وغيرذلك وكان بحماة محمود بن تقى الدين عمه فاطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كما ذكرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند أحد من أولاد أخيه فارسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فاعاد مراسلته وخوّفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن اتابك عز الدين صاحب الموصل فانه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزرية على ما نذكره ويقول له ان حضرت جهزت العساكر وسرت الى بلادك حفظتها وان اقمت قصدك أخى الملك العزيز لما بينكما من العداوة واذا ملك عز الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والا فقل له قد أمرنى ان سرت اليه بدمشق عدت معك وان لم تفعل أسير الى الملك العزيز احالفه على ما يختار فلما حضر الرسول عنده وعده بالمجىء فلما رأى ان ليس معه منه شئ غير الوعد ابلغه ما قيل له فى معنى موافقة العزيز فحينئذ سار الى دمشق وجهز الافضل معه عسكرا من عنده وارسل الى صاحب حمص وصاحب حماة والى اخيه الملك الظاهر بحلب يحثهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزرية ليمنعها من صاحب الموصل و يخوّفهم ان هم لم يفعلوا ومما قال لاخيه الظاهر قد عرفت صحبة أهل الشام لبيت أتابك فوالله ائن ملك عز الدين حران ليقومن أهل حلب عليك ولتخرجن منها وأنت لا تعقل وكذلك يفعل فى أهل دمشق فاتفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهزوا عساكرهم وسيروها الى العادل وقد عبر الفرات فعسكر عساكرهم بنواحى الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

(ذكر مسير اتابك عز الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه)

لما بلغ اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع أهل الرأى من اصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدم على كل من فيها وهو نائبه فيهم واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو أخى مجد الدين أبو السعادات المبارك أنا أرى انك تخرج مسرعا جريدة فيمن خف من اصحابك وحلقتك الخاص وتتقدم الى الباقين باللحاق بك وتعطى من هو محتاج الى شئ ما يتجهز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب اصحاب الاطراف مثل مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وسنجر شاه ابن اخيك صاحب جزيرة ابن عمر واخاك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرفهم انك قد سرت وتطلب منهم المساعدة وتبذل لهم

اليمين على ما يلتمسونه فى رأوك قد سرت خافوك وان اجابك اخوك صاحب سنجار ونصيبين الى الموافقة والا بدأت بنصيبين اخذتها وتركت فيها من يحفظها ثم سرت نحو الخابور وهوله أيضا فاقطعه وتركت عسكره قابل اخيك يمنعه من الحركة ان ارادها أو قصدت الرقة فلا يمنع نفسها وتاتى حران والرها فليس فيهما من يحفظهما الاصاحب ولا عسكر ولا ذخيرة فان العادل اخذهما من ابن تقى الدين ولم يقم فيهما ليصلح حالهما وكافى القوم يتكلمون على قوتهم فلم يظنوا هذا الحادث فاذا فرغت من ذلك الطرف عدت الى من امتنع من طاعتك فقاتلته وليس وراءك ماتخاف عليه فان بلدك عظيم لا يبالى بكل من وراءك فقال مجاهد الدين المصلحة اننا نكاتب اصحاب الاطراف ونأخذ رأيهم فى الحركة ونستميلهم فقال له اخى ان اشار وابترك الحركة تقبلون منهم قال لا قال فانهم لا يشيرون الا بتركها لانهم لا يرون ان يقوى هذا السلطان خوفا منه وكانى بهم يغالطونكم مهما كانت البلاد الجزرية فارغة من صاحب وعسكر فاذا جاء اليها من يحفظها جاهروكم بالعداوة ولم يمكنه اكثر من هذا القول خوفا من مجاهد الدين حيث راى ميله الى ما تكلم به فاتفقوا على ان يكاتبوا اصحاب الاطراف فكاتبوهم فكل اشار بترك الحركة الى ان ينظر ما يكون من اولاد صلاح الدين وعمهم فتثبط ثم ان مجاهد الدين كرر المراسلات الى عماد الدين صاحب سنجار يعده ويستميله فبينماهم على ذلك اذ جاءهم كتاب الملك العادل من المناخ بالقرب من دمشق وقد سار عن دمشق الى بلاده يذكر فيه موت اخيه وان البلاد قد استقرت لولده الملك الافضل والناس متفقون على طاعته وانه هو المدبر لدولة الافضل وقد سيره فى عسكر جم كثير العدد لقصد ماردين لما بلغه ان صاحبها تعرض الى بعض القرى التى له وذكر من هذا النحو شيئا كثيرا فظنوه حقا وان قوله لا ريب فيه ففتروا عن الحركة وذلك الراى فسيروا الجواسيس فاتتهم الاخبار بانه فى ظاهر حران فى نحو مائتى خيمة لا غير فعادوا وتحركوا فالى ان تقررت القواعد بينهم وبين صاحب سنجار واقبلت العساكر الشامية التى سيرها الافضل وغيره الى العادل فامتنع بها وسار اتابك عز الدين عن الموصل الى نصيبين واجتمع هو واخوه عماد الدين بها وساروا على سنجار نحو الرها وكان العادل قد عسكر قريبا منها بمرج الريحان فخافهم خوفا عظيما فلما وصل اتابك عز الدين الى تل موزن مرض بالاسهال فاقام عدة ايام فضعفت منه الحركة وكثر مجىء الدم منه فخاف الهلاك فترك العساكر مع اخيه عماد الدين وعاد جريدة فى مائتى فارس ومعه مجاهد الدين واخى مجد الدين فلما وصل الى دنيسر استولى عليه الضعف فاحضر اخى وكتب وصية ثم سار فدخل الموصل وهو مريض اول رجب

(ذكر وفاة اتابك عز الدين وشىء من سيرته)

فى هذه السنة توفى اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر صاحب الموصل بالموصل وقد ذكرنا ودوده اليها مريضا فبقى فى مرضه الى التاسع والعشرين

دبوس اوغلى وحسن اغا سرششمة وجوبك ومحو بك وخلافهم (وفى ذلك اليوم) قبض كتخدا بك على المعلم غالى وامر بحبسه وكذلك اخوه المسمى فرنسيس وخازنداره المعلم سمعان وذلك عن امر مخدومه من الاسكندرية لانه حول عليه الطلب بستة آلاف كيس تاخر اداؤها اياه من حسابه القديم فاعتذر بعدم القدرة على ادائها فى الحين لانها بواقى على اربابها وهو ساع فى تحصيلها ويطلب المهلة الى رجوع الباشا من غيبته فارسل الكتخدا بمقالته واعتذاره الى الباشا وانتبذ طائفة من الاقباط فى الحط على غالى مع الكتخدا وعرفوه انه اذا حوسب يظهر عليه ثلاثون الف كيس فقال لهم وان لم يتاخر عليه هذا القدر تكونوا ملزومين به الى الخزينة فاجابوه الى ذلك فارسل يعرف الباشا بذلك فورد الامر بالقبض عليه وعلى اخيه وخازنداره وحبسهم وعزله ومطالبته بستة آلاف كيس القديمة اولا ثم حسابه بعد ذلك فاحضر المرافعين عليه وهم المعلم جرجس الطويل ومنقريوس البتنونى وحنا الطويل والبسهم خلعا على رياسة الكتاب عوضا عن غالى ومن يليه واستمر غالى فى الحبس ثم احضره مع اخيه وخازنداره فضربوا اخاه امامه ثم امر بضربه فقال وانا ضرب ايضا قال نعم ثم ضربوه على رجليه بالكرابيج ورفع وكرر عليه الضرب وضرب سمعان ألف كرباج

من شعبان فتوفي رحمه الله ودفن بالمدرسة التي انشاها مقابل دار المملكة وكان قد بقي مايزيد على عشرة ايام لايتكلم الا بالشهادتين وتلاوة القرآن واذا تكلم بغيرهما استغفر الله ثم عاد الى ما كان عليه فرزق خاتمة خير رضي الله عنه وكان رحمه الله خير الطبع كثير الخير والاحسان لاسيما الى شيوخ قد خدموا أباه فانه كان يتعهدهم بالبر والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقربهم ويشفعهم وكان حليما قليل المعاقبة كثير الحياء لم يكلم جليساله الا وهو مطرق وما قال في شئ يسئله لا حياء وكرم طبع وكان قد حج ولبس بمكة حرسها الله خرقة التصوف وكان يلبس تلك الخرقة كل ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه في داره ويصلي فيه نحو ثلث الليل وكان رقيق القلب شفيقا على الرعية بلغني عنه انه قال بعض الايام انني سهرت الليلة كثيرا وسبب ذلك اني سمعت صوت نائحة فظننت ان ولد فلان قد مات وكان قد سمع انه مريض قال فضاق صدري وقمت من فراشي ادور في السطح فلما طال على الامر ارسلت خادما الى الجاندارية فارسل منهم واحدا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانا لااعرفه فسكن بعض ما عندي فنمت ولم يكن الرجل الذي ظن ان ابنه مات من أصحابه انما كان من رعيته كان ينبغي ان تتاخر وفاته وانما قدمناها لتتبع أخباره بعضها بعضا

(ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط)

في هذه السنة أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران فانه أسرف في اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم يمهله الله تعالى ولما بلغه موت صلاح الدين فرح فرحا كثيرا وعمل تختا جلس عليه ولقب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيره وسمى نفسه عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخليط وتجهز ليقصد ميافارقين يحصرها فادركته منيته وكان سبب قتله ان هزار ديناري وهو أيضا من مماليك شاه أرمن ظهير الدين كان قد قوي وكثر جمعه وتزوج ابنة بكتمر فطمع في الملك فوضع عليه من قتله فلما قتل ملك بعده هزار ديناري بلاد خلاط وأعمالها وكان بكتمر دينا خيرا صالحا كثير الخير والصلاح والصدقة محبا لاهل الدين والصوفية كثير الاحسان اليهم قريبا منهم ومن سائر رعيته محبوبا اليهم عادلا فيهم وكان جوادا شجاعا عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة شتى شهاب الدين ملك غزنة في برشاور وجهز مملوكه ايبك في عساكر كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبي ويفتح من البلاد مالم يكنه فدخلها وعاد وخرج هو وعساكره سالما قد ملؤا أيديهم من الغنائم وفيها في رمضان توفي سلطان شاه صاحب مرو وغيرها من خراسان وملك أخوه علاء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين ان شاء الله وفيها أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية

ببغداد

حتى اشرف على الهلاك ووجدوا في جيبه ألف شخص بندقي ومائتي محبوب عنها اثنان وعشرون ألف قرش

ثم بعد ايام افرجوا عن اخيه وسمعان ليسعيا في التحصيل وهلك سمعان واستمر غالي في السجن وقد رفعوا عنه وعن اخيه العقاب اثلاثوتا (وفي عاشره) رجع الباشا من غيبته من الاسكندرية واول ما بدأ به اخراج العساكر مع كبرائهم الى ناحية بحري وجهة البحيرة والثغور فنصبوا خيامهم بالبر الغربي والشرقي تجاه الرحمانية واخذوا صحبتهم مدافع وبارودا وآلات الحرب واستمر خروجهم في كل يوم وذلك من مكايده معهم وابعادهم عن مصر جزاء فعلتهم المتقدمة فخرجوا ارسالا

(واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣١)

(فيه) تشفع جوني الحكيم في المعلم غالي واخذه من الحبس الى داره والعساكر مستمرون في التشهيل والخروج وهم لايعلمون المراد بهم وكثرت الروايات والاخبار والايهامات والظنون ومعنى الشعر في بطن الشاعر

(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٣١)

(فيه) سافر طوسون باشا واخوه اسمعيل باشا الى ناحية رشيد ونصبوا عرضيهما عند الحماد وناحية ابي منصور وحسين بك دالي باشا وخلافه

ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة التى لا يوجد مثلها وفيها فى ربيع الاول فرغ من عمارة الرباط الذى أمر بانشائه الخليفة أيضا بالحريم الظاهرى غربى بغداد على دجلة وهو من أحسن الربط ونقل اليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك ان صاحبها سوسيان بن شملة جعل فيها دزدارا فاساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فارسل اليها وملكها وفيها انقض كوكبان عظيمان وسمع صوت هدة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوءهما القمر وضوء النهار وفيها مات الامير داود بن عيسى ابن محمد بن أبى هاشم أمير مكة وما زالت مكة تكون له تارة ولاخيه مكثر تارة الى ان مات

(ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندى)

كان شهاب الدين الغورى ملك غزنة قد جهز مملوكه قطب الدين وسيره الى بلد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبى وغنم وعاد فلما سمع به ملك بنارس وهو أكبر ملك فى الهند ولايته من حد الصين الى بلاد ملاوا طولا ومن البحر الى مسيرة عشرة أيام من لهاوور عرضا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغورى من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماخون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندى سبعمائة فيل ومن العسكر على ما قيل ألف ألف رجل ومن جملة عسكره عدة امراء مسلمين كانوا فى تلك البلاد ابا عن جد من أيام السلطان محمود بن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وافعال الخير فلما التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم فانهزم الكفار ونصر المسلمون وكثر القتل فى الهنود حتى امتلأت الارض وجافت وكانوا لا يأخذون الا الصبيان والجوارى وأما الرجال فيقتلون وأخذ منهم تسعين فيلا وباقى الفيلة قتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهند ولم يعرفه أحد الا انه كانت اسنانه قد ضعفت اصولها فامسكوها بشريط الذهب فلذلك عرفوه فلما انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزائنها على ألف وار بعمائة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التى اخذها من جملتها فيل ابيض حدثنى من رآه لما اخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وامرت بالخدمة فخدمت جميعها الا الابيض فانه لم يخدم ولا يعجب احد من قولنا الفيلة تخدم فانها تفهم ما يقال لها ولقد شاهدت فيلا بالموصل وفياله يحدثه فيفعل ما يقول له

(ذكر قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الرى ووفاة اخيه سلطان شاه)

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن الب ارسلان بن طغرل بن محمد ابن ملكشاه بن الب ارسلان السلجقى من الحبس وملكه همذان وغيرها وكان قد جرى

مثل حسن اغا ارزجنلى ومحو بك وصارى جله وحجو بك جهة البحيرة وكل ذلك توطين وتلبيس للعساكر بكونه اخرج حتى اولاده العزاز للمحافظة وكذلك الكثير من كبرائهم الى جهة البحر الشرقى ودمياط (وفى ثانى عشره صبيحة المولد النبوى) طلب الباشا المشايخ فلما جلسوا بمجلسهم وفيهم الشيخ البكرى احضر واخلعة والبسوها له على منصب نقابة الاشراف عوضا عن السيد محمد المحروقى وفاوضه فى ذلك ورأى ان يقلده اياه فاعتذر السيد محمد المحروقى واستعفى وقال انا متقيد بخدمة افندينا ومهمات المتاجر والعرب والحجاز فقال قد قلدتك اياها فاعطها لمن شئت فذكر انها كانت مضافة للشيخ البكرى وهو اولى من غيره فلما حضروا وتكاملوا البسوه الخلعة واستصوب الجماعة ذلك وانصرفوا وفى الحال كتب فرمان باخراج الدواخلى منفيا الى قرية دسوق فنزل اليه السيد احمد الملا الترجمان وصحبته قواس تركى وبيده الفرمان فدخلوا اليه على حين غفلة وكان بداخل حريمه لم يشعر بشئ مما جرى فخرج اليهم فاعطوه الفرمان فلما قراه غاب عن حواسه واجاب بالطاعة وامروه بالركوب فركب بغلته وسار به الى بولاق الى المنزل الذى كان شراه بعد موت ولده والشيخ سالم الشرقاوى

بينهما وبين قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد حرب انهزم فيها قتلغ اينانج وتحصن
بالرى وسار طغرل الى همذان وارسل قتلغ اينانج الى خوارزم شاه علاء الدين تكش
يستنجده فسار اليه فى سنة ثمان وثمانين فلما تقاربا ندم قتلغ اينانج على استدعاء
خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصن فى قلعة له فوصل
خوارزم شاه الى الرى وملكها وحصر قلعة طبرك ففتحها فى يومين وراسله طغرل
واصطلحا وبقيت الرى فى يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكرا يحفظها وعاد الى خوارزم
لانه بلغه ان اخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فجد فى السير خوفا عليها فاتاه الخبر وهو
فى الطريق ان اهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها
خائبا فشتى خوارزم شاه بخوارزم فلما انقضى الشتاء سار الى مرو لقصد اخيه سنة تسع
وثمانين فترددت الرسل بينهما فى الصلح فبينما هم فى تقرير الصلح واذ قد ورد على
خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلم اليه القلعة
لانه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدا فتسلم القلعة وصار
معه وبلغ ذلك سلطان شاه فنفت ذلك فى عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع
وثمانين وخمسمائة فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلمها وتسلم
مملكة أخيه سلطان شاه جميعها وخزائنه وأرسل الى ابنه علاء الدين محمد وكان يلقب
حينئذ قطب الدين وهو بخوارزم فاحضره فولاه نيسابور وولى ابنه الكبير ملكشاه
مرو وذلك فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين فلما دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد
السلطان طغرل بلد الرى فاغار على من به من أصحاب خوارزم شاه ففر منه قتلغ اينانج
ابن البهلوان وارسل الى خوارزم شاه يعتذر ويسال انجاده مرة ثانية ووافق ذلك وصول
رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور
باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرى فتلقاه قتلغ اينانج ومن معه بالطاعة وساروا
معه فلما سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرقة فلم يقف ليجمعها بل
سار اليه فيمن معه فقيل له ان الذى يفعله ليس برأى والمصلحة أن تجمع العساكر فلم يقبل
وكان فيه شجاعة بل تمم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الرى فحمل طغرل بنفسه
فى وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع والعشرين
من شهر ربيع الاول وحمل رأسه الى خوارزم شاه فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها
بباب النوبى عدة أيام وسار خوارزم شاه الى همذان وملك تلك البلاد جميعها وكان
الخليفة الناصر لدين الله قد سير عسكرا الى نجدة خوارزم شاه وسير له الخلع السلطانية
مع وزيره مؤيد الدين بن القصاب فنزل على فرسخ من همذان فارسل اليه خوارزم شاه
يطلبه اليه فقال مؤيد الدين ينبغى أن تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمتى وترددت
الرسل بينهما فى ذلك فقيل لخوارزم شاه انها حيلة عليك حتى تحضر عنده ويقبض
عليك فرحل خوارزم شاه اليه قصدا لاخذه فاندفع بين يديه الى بعض الجبال
فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همذان ولما ملك همذان وتلك البلاد سلمها الى

قتلغ

وانسل مما كان فيه كانسلال الشعرة من العجين وتفرق الجمع الذى كان حوله وشرع الاشياخ فى تنميق عرضحال
عن لسانهم بامر الباشا
بتعداد جنايات الدواخلى
وذنوبه وموجبات عزله وان
ذلك بترجيهم والتماسهم
عزله ونفيه ويرسل ذلك
العرضحال لنقيب الاشراف
بدار السلطنة لان الذى
يكون نقيبا بمصر نيابة عنه
ويرسل اليه الهدية فى كل سنة
فالذى نقموه عليه من الذنوب
انه تطاول على حسين افندى
شيخ رواق الترك وسبه
وحبسه من غير جرم وذلك
انه اشترى منه جارية حبشية
بقدر من الفرانسه فلما
اقبضه الثمن اعطاه بدلها
قروشا بدون الفرط الذى
بين المتعاملين فتوقف
السيد حسين وقال اما تعطينى
العين التى وقع عليها الانفصال
او تكمل فرط النقص
وتشاحا وأدى ذلك الى سبه
وحبسه وهو رجل كبير
متضلع ومدرس وشيخ رواق
الاتراك بالازهر وهذه القضية
سابقة على حادثة نفيه بنحو
سنتين (ومنها) ايضا انه
تطاول على السيد منصور
اليافى بسبب فتيا رفعت
اليه وهى ان امراة وقفت وقفا
فى مرض موتها وافتى بصحة
الوقف على قول ضعيف
فسبه فى ملا من الجمع واراد
ضربه ونزع عمامته من على
راسه (ومنها) ايضا انه يعارض القاضى فى احكامه وينقص محاصيله ويكتب فى بيته

قتلغ اينانج وأقطع كثيرا منهم المماليكه وجعل المقدم عليهم مياجق وعاد الى خوارزم

(ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان وملكها)

في هذه السنة في شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النائب في الوزارة مؤيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن القصاب خلع الوزارة وحكم في الولاية وبرز في رمضان وسار الى بلاد خوزستان وولي الاعمال بها وصار له فيها اصحاب واصدقاء ومعارف وعرف البلاد ومن أي وجه يمكن الدخول اليها والاستيلاء عليها فلما ولي ببغداد نيابة الوزارة أشار على الخليفة بان يرسله في عسكر اليها ليملكها له وكان عزمه انه اذا ملك البلاد واستقر فيها أقام مظهر الطاعة مستقلا بالحكم فيها ليأمن على نفسه فاتفق ان صاحبها ابن شملة توفي واختلف أولاده بعده فراسل بعضهم مؤيد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوي الطمع في البلاد فجهزت العساكر وسيرت معه الى خوزستان فوصلها سنة احدى وتسعين وجرى بينه وبين أصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها وملك مدينة تستر في المحرم وملك غيرها من البلاد وملك القلاع منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من الحصون والقلاع وأنفذ بني شملة أصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوا في ربيع الاول

(ذكر حصر العزيز مدينة دمشق)

في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها أخوه الأكبر الملك الأفضل علي بن صلاح الدين وكنت حينئذ بدمشق فنزل بنواحي ميدان الحصى فارسل الافضل الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجده وكان الافضل غاية الواثق به والمعتمد عليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة وأسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق واتفقوا على حفظها علما منهم ان العزيز ان ملكها أخذ بلادهم فلما رأى العزيز اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ في الصلح فاستقرت القاعدة على أن يكون البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية وأعمالها الغور للافضل على ما كانت عليه وأن يعطي الافضل أخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقية وأن يكون للعادل بمصر اقطاعه الاول واتفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الى بلده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كانت زلزلة في ربيع الاول بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبانة التي عند مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وفيها في جمادى الآخرة اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج

وثائق قضايا صالحا ويسبب اتباع القاضي ورسل المحكمة ويعارض شيخ الجامع الأزهر في اموره ونحو ذلك وعندما سطروه وعموه وضعوا عليه ختومهم وارسلوه الى اسلامبول على ان جناياته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة بل ولاء علم له بها ولا التفات واعظم هي اشياء وراء ذلك كما ظهر بعضها وخفي عنا باقيها وذلك ان الباشا يحب الشوكة ونفوذ اوامره في كل مرام ولا يصطفي ويحب الا من لا يعارضه ولو في جزئية او يفتح له بابا يهب منه ريح الدراهم والدنانير او يدله على ما فيه كسب اوربح من أي طريق اوسبب من أي ملة كان ولما حصلت واقعة قيام العسكر في اواخر السنة الماضية واقام الباشا بالقلعة يدبر امره فيهم والزم اعيان المتظاهرين الطلوع اليه في كل ليلة واجل المتعممين الدواخلي لكونه معدودا في العلماء ونقيبا على الاشراف وهي رتبة الوالي عند العثمانيين فداخله الغرور وظن ان الباشا قد حصل في ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والنذور ولكونه رآه يسترضي خواطر الرعية المنهوبين ويدفع لهم اثمانها ويستميل كبار العساكر وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من اكياس المال ويسترسل معه في المسامرة والمسايرة ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة فلما رأى اقبال الباشا عليه زاد طمعه في الاسترسال معه فقال

اليهم هاشم بن قاسم أخو أمير المدينة فقاتلهم فقتل هاشم وكان أمير المدينة قد توجه الى الشام فلهذا طمعت العرب فيه وفيها توفى القاضى أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الصمد الطرسوسى الحلبى بها فى شعبان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم)

قد ذكرنا ملك مؤيد الدين بن القصاب بلاد خوزستان فلما ملكها سار منها الى ميسان من أعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدم ذكر تغلب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامراء فاكرمه وزير الخليفة وأحسن اليه وكان سبب مجيئه أنه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدمهم مياجق مصاف عند زنجان واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج وعسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجئا الى مؤيد الدين الوزير فأعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك مما يحتاج اليه وخلع عليه وعلى من معه من الامراء ورحلوا الى كرمانشاه ورحل منها الى همذان وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق والعسكر الذين معهما فلما قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميون وتوجهوا الى الرى واستولى الوزير على همذان فى شوال من هذه السنة ثم رحل هو وقتلغ اينانج خلفهم فاستولوا على كل بلد جازوا به منها خرقان ومزدغان وساوة وآوة وساروا الى الرى ففارقها الخوارزميون الى خوار الرى فسير الوزير خلفهم عسكرا ففارقها الخوارزميون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر الخليفة الى الرى فاقاموا بها فاتفق قتلغ اينانج ومن معه من الامراء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانهم رأوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الرى فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ اينانج وملكها الوزير ونهبها العسكر فامر الوزير بالنداء بالكف عن النهب وسار قتلغ اينانج ومن معه من الامراء الى مدينة آوة وبها شحنة الوزير فمنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير فى اثرهم نحو همذان فبلغه وهو فى الطريق ان قتلغ اينانج قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على دربند هناك فطلبهم الوزير فلما قاربهم التقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصاف الى همذان فنزل بظاهرها فاقام نحو ثلاثة أشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصدهم منكرا أخذه البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعدها والصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدا الى همذان وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد توفى فى أوائل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقتل بينهم كثير من العسكرين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير من قبره وقطع

له الله يحفظ حضرة افندينا وينصره ٥٢ على اعدائه والمخالفين له ونرجو من احسانه بعد هدوء سره وسكون هذه الفتنة ان ينعم علينا ويجرينا على عوائدنا فى المحاسبات والمسامحات فى خصوص ما يتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق فاجابه بقوله نعم يكون ذلك ولابد من الراحة لكم ولكافة الناس فدعا له وآنس فؤاده وقال الله تعالى يحفظ افندينا وينصره على اعدائه كذلك يكون تمام ما اشرتم به من الراحة لكافة الناس الافراج عن الرزق الاحباسية على المساجد والفقراء فقال نعم ووعده مواعيده العرقوبية فكان الدواخلى اذا نزل من القلعة الى داره يحكى فى مجلسه ما يكون بينه وبين الباشا من امثال هذا الكلام ويذيعه فى الناس ولما امر الباشا الكتاب بتحرير حساب الملتزمين على الوجه المرضى بديوان خاص لرجال دائرة الباشا واكابر العسكر وذلك بالقلعة تطييبا لخواطرهم وديوان آخر فى المدينة لعامة الملتزمين فيحررون للخاصة بالقلعة ما فى قوائم مصروفهم وما كانوا يأخذونه من المضاف والبرانى والهدايا وغير ذلك والديوان العام التحتانى بخلاف ذلك فلما راى الدواخلى ذلك الترتيب قال للباشا وانا الفقير محسوب بكم من رجال الدائرة فقال نعم وحرروا قوائمه مع الاكابر واكابر الدولة وانعم عليه

الباشا باكياس أيضا كثيرة زيادة على ذلك فلما راق الحال ورتب الباشا اموره مع العسكر اخذ يذكر الباشا بانجاز الوعد ويكرر القول عليه وعلى كتخدا بك بقوله انتم تكذبون علينا ونحن نكذب على الناس واخذ يتطاول على كتبة الاقباط بسبب امور يلزمهم ويكلفهم باتمامها وعذرهم يخفى عنه فى تاخيرها فيكلمهم بحضرة الكتخدا ويشتمهم ويقول لبعضهم اما اعتبرتم بما حصل للمعين غالى فيحقدون عليه ويشكون منه للباشا والكتخدا وغير ذلك امور امثل تعرضه للقاضى فى قضاياه وتشكيه منه واتفق انه لما حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية وكان بصحبته احمد جلبى ابن ذى الفقار كتخدا الفلاح وكانه كان كتخداه بالصعيد وتشكت الناس من افاعيله واغواته ابراهيم باشا فاجتمع به الدواخلى عند السيد محمد المحروقى وحضر قبل ذلك اليه للسلام عليه وفى كل مرة يوبخه بالكلام ويلومه على افاعيله بالقول الخشن فى ملا من الناس فذهب الى الباشا وبالغ فى الشكوى ويقول فيها انا نهبت فى خدمة افندينا جهدى وأظهرت من الخبايا ما عجز عنه غيرى فاجازى عليه من هذا الشيخ ما اسمعنيه من قبيح القول وتجبيهى بين الملا واذا كان محبا لافندينا فلا يكره نفعه ولا النصح فى خدمته وامثال ذلك مما يخفى من ناخيره فمثل هذه الامور هى التى اوغرت صدر الباشا

رأسه وسيره الى خوارزم وأظهروا انه قتله فى المعركة ثم ان خوارزم شاه أتاه من خراسان ما اوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان

(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)

فى هذه السنة فى شعبان غزا أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك ان الفنش ملك الفرنج بها ومقر ملكه مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتابا نسخته باسمك اللهم فاطر السموات والارض أما بعد أيها الامير فانه لا يخفى على كل ذى عقل لازب ولا ذى لب ثاقب انك أمير الملة الحنيفية كما انا أمير الملة النصرانية وانك من لا يخفى عليه ما هو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واشتمالهم على الراحات وأنا أسومهم الخسف واخلى الديار واسبي الذرارى وأمثل بالكهول وأقتل الشباب ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم وقد أمكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عددا منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون امتناعا ثم حكى لى عنك أنك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتمطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولا أدرى الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما أنزل عليك ثم حكى لى عنك انك لا تجد سبيلا للحرب لعلك ما يسوغ لك التقحم فيها فها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر عنك ولك ان توفينى بالعهود والمواثيق والايمان ان تتوجه بجملة من عندك فى المراكب والشوانى وأجوز اليك بجملتى وأبارزك فى أعز الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والله يسهل الارادة ويوفق السعادة بمنه لا رب غيره ولا خير الا خيره فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب فى اعلاه هذه الآية ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون واعاده اليه وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز الى الاندلس وقيل كان سبب عبوره الى الاندلس ان يعقوب لما قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم بقى طائفة من الفرنج لم ترض الصلح كما ذكرناه فلما كان الآن جمعت تلك الطائفة جمعا من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا وغنموا واسروا وعاثوا فيها عيثا شديدا فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس فى جيش يضيق عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم واقبلوا اليه مجدين على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالى قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدائرة اولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج فانهزموا اقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته

على الدواخلى مع انها فى الحقيقة ليست ٥٤ ـثلا فاعندمن فيه قابلية للخير وانا أقول ان الذى وقع لهذا الدواخلى

هى العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة وار بعين الفا واسر ثلاثة عشر الفا وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما فمن الخيام مائة الف وثلاثة وار بعون الفا ومن الخيل ستة وار بعون الفا ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وكان يعقوب قد نادى فى عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاح واحصى ما حمل اليه منه فكان زيادة على سبعين الف لبس وقتل من المسلمين نحو عشرين الفا ولما انهزم الفرنج اتبعهم ابو يوسف فرآهم قد اخذوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف فملكها وجعل فيها واليا وجندا يحفظونها وعاد الى مدينة اشبيلية واما الفنش فانه لما انهزم حلق راسه ونكس صليبه وركب حمارا واقسم ان لا يركب فرسا ولا بغلا حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى يعقوب فارسل الى بلاد الغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه فاتاه من المتطوعة والمرتزقين جمع عظيم فالتقوا فى ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدواب وغيرها وتوجه الى مدينة طليطلة فحصرها وقاتلها قتالا شديدا وقطع اشجارها وشن الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون فقتل رجالها وسبى حريمها وخرب دورها وهدم اسوارها فضعفت النصرانية حينئذ وعظم امر الاسلام بالاندلس وعاد يعقوب الى اشبيلية فاقام بها فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها الى بلاد الفرنج وذلوا واجتمع ملوكهم وارسلوا يطلبون الصلح فاجابهم اليه بعد ان كان عازما على الامتناع مريدا الملازمة الجهاد الى ان يفرغ منه فاتاه خبر على بن اسحق الملثم الميورقى انه فعل بافريقية ما نذكره من الافاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدة خمس سنين وعاد الى مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

(ذكر فعلة الملثم بافريقية)

لما عبر ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب الى الاندلس كما ذكرنا واقام مجاهدا ثلاث سنين انقطعت اخباره عن افريقية فقوى طمع على بن اسحق الملثم الميورقى وكان بالبرية مع العرب فعاود قصد افريقية فانبث جنوده فى البلاد فخربوها واكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك البلاد وتغيرت وصارت خالية من الانيس خاوية على عروشها واراد المسير الى بجاية ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ما ذكرناه وعاد الى مراكش عازما على قصده واخراجه من البلاد كما فعله سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه

(ذكر ملك عسكر الخليفة اصفهان)

فى هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله جيشا وسيره الى اصفهان ومقدمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه

انما هو قصاص وجزاء فعله فى السيد عمر مكرم فانه كان من اكبر الساعين عليه الى ان عزلوه واخرجوه من مصر والجزاء من جنس العمل كما قيل

فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ولما جرى على الدواخلى ما جرى من العزل والنفى اظهر الكثير من نظرائه المتفقهين الشماتة والفرح وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات كما يقال

امور تضحك السفهاء منها
ويبكى من عواقبها اللبيب

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس وانهمكوا فى الامور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية ومشاركة الجهال فى المآثم والمسارعة الى الولائم فى الافراح والمآتم يتكالبون على الاسمطة كالبهائم فتراهم فى كل دعوة ذاهبين وعلى الخوانات راكعين وللكباب والمحمرات خاطفين وعلى ما وجب عليهم من النصح تاركين (وفى أواخره) شرعوا فى عمل مهم عظيم بعزل ولى افندى ويقال له ولى خوجا وهو كاتب الخزينة العامرة وهو من طائفة الارنؤد واختص به الباشا واستامنه على الامور وضم اليه دفاتر الايراد من جميع وجوه جبايات الاموال

مع ولده وكان اهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندي رئيس الشافعية باصفهان الديوان ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلاد الى من يصل من الديوان من العساكر وكان يعظم الحاكم باصفهان على جميع اهلها فسيرت العساكر فوصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتخطفوا منهم واخذوا من ساقة العسكر من قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها

(ذكر ابتداء حال كوكجه وملكه بلد الري وهمذان وغيرها)

لما عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرنا اتفق المماليك الذين للبهلوان والامراء وقدموا على انفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانية واستولوا على الري وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزمية منها فلما قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فارسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانه انما قصد اصفهان في طلب العساكر الخوارزمية وحيث رآهم فارقوا اصفهان سار في طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان واما كوكجه فانه تبع الخوارزمية الى طبس وهي من بلاد الاسماعيلية وعاد فقصد اصفهان وملكها وارسل الى بغداد يطلب ان يكون له الري وخوار الري وساوة وقم وقاجان وما ينضم اليها من حد مزدغان وتكون اصفهان وهمذان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة فاجيب الى ذلك وكتب له منشور بما طلب وارسلت له الخلع فعظم شانه وقوي امره وكثرت عساكره وتعظم على اصحابه

(ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها)

وفي هذه السنة ايضا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر في عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزما وسبب ذلك ان من عنده من مماليك ابيه المعروفين بالصلاحية فخر الدين جركس وسراسنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل علي بن صلاح الدين لانه كان قد اخرج من عنده منهم مثل ميمون القصري وسنقر الكبير وايبك وغيرهم فكانوا لا يزالون يخوفون العزيز من اخيه ويقولون ان الاكراد والمماليك الاسدية من عسكر مصر يريدون اخاك ونخاف ان يميلوا اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة ان ناخذ دمشق فخرج في العام الماضي وعاد كما ذكرناه فتجهز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى اخيه الملك الظاهر غازي فاستنجده وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضل اليها ودخلها وكان الافضل لثقته به قد امر نوابه بادخاله الى القلعة ثم عاد الافضل من حلب الى دمشق فارسل مقدم الاسدية وهو سيف الدين اياز كوش وغيره منهم ومن الاكراد ابو الهيجاء السمين وغيره الى الافضل والعادل بالانحياز اليهما والكون معهما ويامرهما بالاتفاق على العزيز والخروج من دمشق ليسلموه اليهما وكان سبب

على البركة المعروفة بابي الشوارب وأدخل فيها عدة بيوت بجانبيها وتجاهها على نسق واصطلاح الابنية الافرنجية والرومية وتانق في زخرفتها واتساعها واستمرت العمارة بها نحو السنتين ولما كملت وتمت احضروا القاضي والمشايخ وعقدوا لولديه على ابنتين من اقارب الباشا بحضرة الاعيان ومن ذكر واحتفلوا بعمل المهم احتفالا زائدا وتقيد السيد محمد المحروقي بالمصاريف والتنظيم واللوازم كما كان في افراح اولاد الباشا واجتمعت الملاعيب والبهلوانات بالبركة وماحولها وبالشوارع وعلقوا تعاليق قناديل وتحفات واحمال بلور ورزينات واجتمع الناس للفرجة وبالليل حراقات ونفوط ومدافع وسواريخ سبع ليال متوالية وعملت الزفة يوم الخميس واجتمعت العربات لارباب الحرف كما تقدم في العام الماضي بل ازيد وذلك لان الباشا لم يشاهد افراح اولاده لكونه كان غائبا بالديار الحجازية وحضر الباشا الفرجة وجلس بمدرسة الغورية بقصد الفرجة وعمل له السيد محمد المحروقي الغداء وخرجوا بالزفة اوائل النهار وداروا بها دورة طويلة فلم يمروا بسوق الغورية الا قريب الغروب واخر النهار

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣١)

الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل ان العزيز لما ملك مصر مال الى المماليك الناصرية وقدمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هؤلاء الامراء فانفوا من ذلك ومالوا الى أخيه وارسلوا الى الافضل والعادل فاتفقا على ذلك واستقرت القاعدة بحضور رسل الامراء أن الافضل يملك الديار المصرية ويسلم دمشق الى عمه الملك العادل وخرجا من دمشق فانحاز اليهما من ذكرنا فلم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزما يطوي المراحل خوف الطلب ولا يصدق بالنجاة وتساقط اصحابه عنه الى أن وصل الى مصر واما العادل والافضل فانهما ارسلا الى القدس وفيه نائب العزيز فسلمه اليهما وسارا فيمن معهما من الاسدية والاكراد الى مصر فرأى العادل انضمام العساكر الى الافضل واجتماعهم عليه فخاف انه ياخذ مصر ولا يسلم اليه دمشق فارسل حينئذ سرا الى العزيز يامره بالثبات وان يجعل بمدينة بلبيس من يحفظها وتكفل بانه يمنع الافضل وغيره من مقاتلة من بها فجعل العزيز الناصرية ومقدمهم فخر الدين جركس بها ومعهم غيرهم ووصل العادل والافضل الى بلبيس فنازلوا من بها من الناصرية واراد الافضل مناجزتهم او تركهم بها والرحيل الى مصر فمنعه العادل من الامرين وقال هذه عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا في الحرب فمن يرد العدو الكافر وما بها حاجة الى هذا فان البلاد لك وبحكمك ومتى قصدت مصر والقاهرة واخذتهما قهرا زالت هيبة البلاد وطمع فيها الاعداء وليس فيها من يمنعك عنها وسلك معه مثل هذا فطالت الايام وارسل الى العزيز سرا يامره بارسال القاضي الفاضل وكان مطاعا عند البيت الصلاحي لعلو منزلته كانت عند صلاح الدين فحضر عندهما واجرى ذكر الصلح وزاد القول ونقص وانفسخت العزائم واستقر الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبرية والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه الذي كان قديما ويكون مقيما بمصر عند العزيز وانما اختار ذلك لان الاسدية والاكراد لا يريدون العزيز فهم يجتمعون معه فلا يقدر العزيز على منعه عما يريد فلما استقر الامر على ذلك وتعاهدوا عاد الافضل الى دمشق وبقي العادل بمصر عند العزيز

(ذكر عدة حوادث)

في ذي القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بعقد المصطنع فاحترقت المربعة التي بين يديه ودكان ابن البخيل الهراس وقيل كان ابتداؤها من دار ابن البخيل

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك شهاب الدين بهنكر وغيرها من بلاد الهند)

في هذه السنة سار شهاب الدين الغوري صاحب غزنة الى بلد الهند وحصر قلعة بهنكر وهي قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب اهلها منه الامان على ان يسلموا اليه فامنهم وتسلمها واقام عندها عشرة ايام حتى رتب جندها واحوالها وسار عنها الى قلعة كوالير وبينهما مسيرة خمسة أيام وفي الطريق نهر فجازه ووصل الى كوالير وهي قلعة منيعة

بحري مستمر وافصح الباشا وذكر في كلامه في مجالسه وبين السر في اخراجهم من وخروج العساكر الى ناحية المدينة بان العساكر قد كثروا وفي اقامتهم بالبلدة مع كثرتهم ضرر وافساد وضيق على الرعية مع عدم الحاجة اليهم داخل البلدة والاولى والاحوط ان يكونوا خارجها وحولها مرابطين لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة او حادث خارجي وليس لهم الا رواتبهم وعلائفهم تاتيهم في اماكنهم ومراكزهم والسر الخفي اخراج الذين قصدوا غدره وخيانته ووقع بسبب حركتهم ما وقع من النهب والازعاج لي اواخر شعبان من السنة الماضية وكان قد بدأ باخراج اولاده وخواصه من تحيله واحدا بعد واحد واسر الى اولاده بما في ضميره واصحب مع ولده طوسون باشا شخصا من خواصه يسمى احمد اغا البخورجي المدللي واخذ طوسون باشا في تدبير الايقاع مع من يريده فبدأ بمحو بك وهو اعظمهم واكثرهم جندا فاخذ في تاليف عساكره حتى لم يبق معه الا القليل ثم ارسل اليه في وقت يطلب محو بك عنده في مشورة فذهب اليه احمد اغا المدللي المذكور واسر اليه ما يراد به واشار اليه بعدم الذهاب فركب محو بك في الحال وذهب عند الدلاة فارسلوا الى مصطفى بك وهو كبير على طائفة من الدلاة واخو زوجة الباشا وقريبه

-صينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهى كبيرة فاقام عليها صفر جميعه
يحاصرها فلم يبلغ منها غرضا فراسله من بها فى الصلح فاجابهم اليه على أن يقر القلعة
بايديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلا حمله ذهب فرحل عنها الى بلاد
آى وسور فاغار عليها ونهبها وسبى وأسر ما يعجز العاد حصره ثم عاد الى غزنة سالما

(ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الافضل)

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل أبو بكر بن أيوب
مدينة دمشق من ابن اخيه الافضل على بن صلاح الدين وكان أبلغ الاسباب فى ذلك
وثوق الافضل بالعادل وانه بلغ من وثوقه انه أدخله بلده وهو غائب عنه ولقد ارسل
اليه اخوه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له أخرج عمنا من بيننا فانه لا يجىء علينا
منه خير ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد وأنا أعرف به منك وأقرب اليه فانه عمى
مثل ما هو عمك وانا زوج ابنته ولو علمت انه يريد لنا خيرا لكنت أنا أولى به منك فقال
له الافضل انت سيئ الظن فى كل أحد أى مصلحة لعمنا فى أن يؤذينا ونحن اذا اجتمعت
كلمتنا وسيرنا معه العساكر من عندنا كان ملك من البلاد اكثر من بلادنا ونربح سوء
الذكر وهذا كان أبلغ الاسباب ولا يعلمها كل أحد وأما غير هذا فقد ذكرنا مسير العادل
والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز بن صلاح الدين ومقام
العادل معه بمصر فلما أقام عنده استماله وقرر معه أنه يخرج معه الى دمشق ويأخذها
من أخيه ويسلمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا أميرا من
امراء الافضل يقال له العزيز بن أبى غالب الحمصى وكان الافضل كثير الاحسان اليه
والاعتماد عليه والوثوق به فسلم اليه بابا من أبواب دمشق يعرف بالباب الشرقى ليحفظه
فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انه يفتح لهما الباب ويدخل العسكر منه الى البلد
غفلة ففتحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه
ومعه جماعة من اصحابه فلم يشعر الافضل الا وعمه معه فى دمشق وركب الملك العزيز
ووقف بالميدان الاخضر غربى دمشق فلما رأى الافضل ان البلد قد ملك خرج الى اخيه
وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل فى دار اسد
الدين شيركوه وتحادثوا فاتفق العادل والعزيز على ان أوهما الافضل انهما يبقيان
عليه البلد خوفا انه ربما جمع من عنده من العسكر وثار بهما ومعه العامة فاخرجهم
من البلد لان العادل لم يكن فى كثرة وعاد الافضل الى القلعة وبات العادل فى دار
شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه فاقام به
وعساكره فى البلد فى كل يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما فبقوا كذلك أياما ثم
ارسلا اليه وامراه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة أن تعطى قلعة صرخد له ويسلم
جميع اعمال دمشق فخرج الافضل ونزل فى جوسق بظاهر البلد غربى دمشق وتسلم
العزيز القلعة ودخلها واقام بها اياما فجلس يوما فى مجلس شرابه فلما اخذت منه

والى اسمعيل باشا ابن الباشا ليتوسطا فى صلح محمد بك مع الباشا ويعفوه ويذهب الى بلاده فارسلا الى الباشا بالخبر
وبما نقله احمد اغا المدللى الى
محمد بك فسفه رايه فى تصديق
المقالة وفى هروبه عند الدلالة
ثم يقول لولا ان فى نفسه خيانة
لما فعل ما فعل من التصديق
والهروب وكان طوسون باشا
لما جرى من احمد اغا ما جرى
من نقل الخبر لمحمد بك عوقه
وارسل الى ابيه يعلمه بذلك
فطلبه للحضور اليه بمصر
فلما مثل بين يديه وبخه
وعزره بالكلام وقال له
ترمى الفتن بين اولادى وكبار
العسكر ثم امر بقتله فنزلوا به
الى باب زويلة وقطعوا راسه
هناك وتركوه مرميا طول
النهار ثم رفعوه الى داره وحملوا
له فى صبحها مشهدا ودفنوه
(وفيه) حضر اسمعيل باشا
ومصطفى بك الى مصر (وفى
اواخره) حضر شخص يسمى
سليم كاشف من الاجناد
المصرية مرسلا من عند بقاياهم
من الامراء واتباعهم الذين
رماهم الزمان بكلكله
واقصاهم وابعدهم عن
اوطانهم واستوطنهم دنقلة
من بلاد السودان يتقوتون
مما يزرعونه بايديهم من
الدخن وبينهم وبين اقصى
الصعيد مسافة طويلة نحو
من اربعين يوما وقد طال
عليهم الامد ومات اكثرهم
ومعظم رؤسائهم مثل عثمان بك حسن وسليم اغا واحمد اغا شويكار وغيرهم

عن لا علم لنا بخبره اخبارهم ابعد المسافة حتى على اهل منازلهم وبقي عن لم يمت منهم ابراهيم بك الكبير وعبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادي وعثمان بك يوسف واحمد بك الالفي زوج عديلة ابنة ابراهيم بك الكبير وعلى بك ايوب وبواقي صغار الامراء والمماليك على ظن خيانتهم وقد كبر سن ابراهيم بك الكبير وعجزت قواه ووهن جسمه فلما طالت عليهم الغربة أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة الى الباشا يستعطفونه ويسالون فضله ويرجون مراحمه بان ينعم عليهم بالامان على نفوسهم وياذن لهم بالانتقال من دنقلة الى جهة من أراضي مصر يقيمون بها ايضا ويتعيشون فيها باقل العيش تحت امانه ويدفعون مايجب عليهم من الخراج الذي يقرره عليهم ولا يتعدون مراسمه واوامره فلما حضر وقابل الباشا وتكلم معه وساله عن حالهم وشانهم ومن مات ومن لم يمت منهم وهو يخبره خبرهم ثم امره بالانصراف الى محله الذي نزل فيه الى ان يرد عليه الجواب وانعم عليه بخمسة اكياس فاقام اياما حتى كتب له جواب رسالته مضمونه انه اعطاهم الامان على انفسهم بشروط شرطها عليهم ان خالفوا منها شرطا واحدا كان أمانهم منقوضا وعهدهم منكرا ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم فاول الشروط انهم اذا عزموا على الانتقال من

الخمر جرى على لسانه انه يعيد البلد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل في وقته فحضر المجلس في ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتى سلم البلد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان العادل يذكر ان الافضل سعى في قتله فلهذا اخذ البلد منه وكان الافضل ينكر ذلك ويتبرأ منه والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة هبت ريح شديدة بالعراق واسودت لها الدنيا ووقع رمل أحمر واستعظم الناس ذلك وكبروا واشتعلت الاضواء بالنهار وفيها اقتتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية باصفهان قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة اصفهان بها وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولي النظر في المدرسة النظامية ببغداد ولما سار مؤيد الدين بن القصاب الى خوزستان سار في صحبته فلما ملك الوزير اصفهان أقام ابن الخجندي بها في بيته وملكه ومنصبه فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة اصفهان للخليفة منافرة فقتله سنقر وفي رمضان درس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك البغدادي الفقيه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد وفي شوال منها اثبت نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي في الوزارة ببغداد وكان قد توجه الى بغداد لما ملك ابن القصاب الري وفيها ولي أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الانشاء ببغداد وكان كاتبا مفلقا وله شعر جيد وفي صفر منها توفي الفخر محمود بن علي القوفاني الفقيه الشافعي بالكوفة عائدا من الحج وكان من اعيان اصحاب محمد بن يحيى وفي رجب منها توفي أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الشاعر الهرثي والهرث بضم الهاء والثاء المثلثة قرية من اعمال واسط عن احدى وتسعين سنة وفي رابع شعبان منها توفي الوزير مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن علي بن القصاب بهمذان وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ارسال الامير أبي الهيجاء الى همذان وما فعله)

وصل الى بغداد أمير كبير من امراء مصر اسمه أبو الهيجاء ويعرف بالسمين لانه كان كثير السمن وكان من أكابر أمراء مصر وكان في اقطاعه أخيرا البيت المقدس وغيره مما يجاوره فلما ملك العزيز والعادل مرتبة دمشق من الافضل أخذ القدس منه ففارق الشام وعبر الفرات الى الموصل ثم انحدر الى بغداد لانه طلب من ديوان الخلافة فلما وصل اليها أكرم اكراما كثيرا ثم أمر بالتجهيز والمصير الى همذان مقدما على العساكر البغدادية فسار اليها والتقى عندها بالملك اوزبك بن البهلوان وامير علم وابنه وابن اسطمش وغيرهم وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة فلما اجتمع بهم وثقوا اليه ولم يحذروه فقبض على اوزبك وابن سطمش وابن قراء واقتة من امير علم فلما وصل الخبر بذلك

الى بغداد انكرت هذه الحال على ابى الهيجاء وامر بالافراج عن الجماعة وسيرت لهم الخلع من بغداد تطييبا لقلوبهم فلم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا امنوا ففارقوا اباالهيجاء السمين فخاف الديوان فلم يرجع اليه ولم يمكنه ايضا المقام فعاد يريد اربل لانه من بلادها وفتر فى قبل وصوله اليها وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل

(ذكر ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها)

فى هذه السنة فى شوال ملك الملك العادل أبو بكر بن ايوب مدينة يافا من الساحل الشامى وهو بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك ان الفرنج كان قد ملكهم الكندهرى على ماذكرناه قبل وكان الصلح قد استقر بين المسلمين والفرنج أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى فلما توفى وملك أولاده بعده كماذكرناه جدد الملك العزيز الهدنة مع الكندهرى وزاد فى مدة الهدنة وبقى ذلك الى الآن وكان بمدينة بيروت أمير يعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشوانى تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والا أخذ المسلمون البلاد فامدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان أكثرهم من ملك الالمان وكان المقدم عليهم قس يعرف بالخنصلير فلما سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار الجزيرة والموصل يطلب العساكر فجاءته الامراء واجتمعوا على عين جالوت فاقاموا اشهر رمضان وبعض شوال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة التى لها فخرب المسلمون المدينة وحصروا القلعة فملكوها عنوة وقهرا بالسيف فى يومها وهو يوم الجمعة وأخذ كل ما بها غنيمة وأسرا وسبيا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بها بملكها فعادوا وكان سبب تاخرهم ان ملكهم الكندهرى سقط من موضع عال بعكا فمات فاختلفت أحوالهم فتأخر والذلك وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بان الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر فى ذى القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذى الحجة وشرعوا فى تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقواهم والفرنج بنواحى صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذى الحجة فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة فارسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقى منها فان صلاح الدين كان قد خرب أكثرها وسافرت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها

الهمل الذى هم فيه يرسلون امامهم نجابا يخبره بخبرهم وحركتهم وانتقالهم لياتيهم من أعينه للاقامة الثانى اذا حلوا بارض الصعيد لاياخذون من أهل النواحى كافة ولا دجاجة ولا رغيفا واحدا وانما الذى يتعين للاقامة لهم يقوم لهم بما يحتاجون اليه من مؤنة وعليق ومصرف الثالث انى لا أقطعهم شيئا من الاراضى والنواحى ولا اقامة فى جهة من جهات أراضى مصر بل ياتون عندى وينزلون على حكمى ولهم ما يليق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف ومن كان ذا قوة قلدته منصبا أو خدمة تليق به اوضممته الى بعض الاكابر من رؤساء العسكر وان كان ضعيفا اوهرما اجريت عليه نفقة لنفسه وعياله الرابع انهم اذا حصلوا بمصر على هذه الشروط وطلبوا شيئا من اقطاع اورزقة او قنطرة اواقل مما كان فى تصرفهم فى الزمن الماضى اونحو ذلك انتقض منى عهدهم وبطل امانى لهم بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط وهى سبعة غاب عن ذهنى باقيها فسبحان المعز المذل مقلب الاحوال ومغير الشؤن* فن العبرانه لما حصر المصريون ودخلوا الى مصر بعد مقتل طاهر باشا وتامروا وتحكموا فكانت عساكر الاتراك فى خدمتهم ومن ارذل طوائفهم وعلائفهم تصرف عليهم من ايدى كتابهم واتباعهم وابراهيم بك هو الامير الكبير وراتب محمد على باشاه ذا

وخربوا ما حولها من قرى وابراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا
عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين واذن للعساكر الشرقية بالعود ظنا منه ان الفرنج
يقيمون ببلادهم واراد ان يعطى العساكر المصرية دستورا بالعود فاتاه الخبر
منتصف المحرم ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا
يحمونه ويمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اول صفر سنة اربع
وتسعين وقاتلوا من به وجدوا فى القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك
ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرت والا فلا
يمكن حفظ هذا الثغر فسار العزيز مجدا فيمن بقى معه من العساكر واما من بحصن
تبنين فانهم لما راوا النقوب قد خربت القلعة ولم يبق الا ان يملكوها بالسيف نزل
بعض من فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلموا القلعة وكان
المرجع الى القسيس الخنصلير من اصحاب ملك الالمان فقال لهؤلاء المسلمين بعض
الفرنج الذين من ساحل الشام ان سلمتم الحصن استاسركم هذا وقتلكم فاحفظوا انفسكم
فعادوا كانهم يراجعون من فى القلعة ليسلموا فلما صعدوا اليها اصروا على الامتناع
وقاتلوا قتال من يحمى نفسه فحموها الى ان وصل الملك العزيز الى عسقلان فى ربيع
الاول فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وان الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم
وان امرهم الى امراة وهى الملكة فاتفقوا وارسلوا الى ملك قبرس واسمه هيمرى
فاحضروه وهو اخو الملك الذى اسر بحطين كما ذكرناه فزوجوه بالملكة زوجة الكندهرى
وكان رجلا عاقلا يحب السلامة والعافية فلما ملكهم لم يعد الى الزحف على الحصن ولا
قاتل واتفق وصول العزيز اول شهر ربيع الاخر ورحل هو والعساكر الى جبل الخليل
الذى يعرف بجبل عاملة فاقاموا اياما والامطار متداولة فبقى الى ثالث عشر الشهر ثم
سار وقارب الفرنج وارسل رماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا ورتب العساكر
ليزحف الى الفرنج ويجد فى قتالهم فرحلوا الى صور خامس عشر الشهر المذكور ليلا ثم
رحلوا الى عكا فسار المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا فى الصلح وتطاول الامر فعاد العزيز
الى مصر قبل انفصال الحال وسبب رحيله ان جماعة من الامراء وهم ميمون القصرى
واسامة وسراسنقر والجحاف وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وبفخر
الدين جركس مدبر دولته والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك فلما سمع بذلك سار الى مصر
وبقى العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فى شعبان سنة اربع وتسعين
فلما انتظم الصلح عاد العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين من ارض الجزيرة فكان
ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة سيف الاسلام وملك ولده)

فى شوال من هذه السنة توفى سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخو صلاح الدين وهو
صاحب اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملك وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشترى

والفقن الذى عيف له من كيلاره نعوذ بالله من سوء المنقلب ورجع سليم كاشف

من الخبز واللحم والارز
المرسل اليهم بالجواب المشتمل
على ما فيه من الشروط
(وفيه) امر الباشا بحبس احمد
افندى المعايرجى بدار الضرب
وحبس ايضا عبد الله بكتاش
ناظر الضربخانه واحتج
عليهما باختلاسات يختلسانها
واستمرا اياما حتى قرر عليهما
نحو الاربعمائة كيس وعلى
الحاج سالم الجواهرجى وهو
الذى يتعاطى ايراد الذهب
والفضة الى شغل الضربخانه
ومثلها ثم اطلق المذكوران
ليحصلا ما تقرر عليهما
وكذلك اطلق الحاج سالم
وشرعوا فى التحصيل بالبيع
والاستدانة واشتد القهر
بالحاج سالم ومات على حين
غفلة وقيل انه ابتلع فص
الماس وكان عليه ديون
باقية من التى استدانها
فى المرة الاولى والغرامة
السابقة *(ومن النوادر
الغريبة والاتفاقات العجيبة)*
انه لما مات ابراهيم بك المداد
بالضربخانه قبل تاريخه تزوج
بزوجته احمد افندى المعايرجى
المذكور فلما عوق احمد افندى
خافت زوجته المذكورة
ان يدهمها امر مثل الختم
على الدار او نحو ذلك فجمعت
مصاغها وما تخاف عليه مما
خف حمله وثقل ثمنه وربطته فى
صرة واودعتها عند امراة من معارفها وسطا على بيت تلك المراة شخص حرامى واخذ تلك الصرة وذهب بها الى اموال

اموال التجار انفسهم وبيعها كيف شاء وارادملك مكة حرسها الله تعالى فارسل الخليفة الناصر لدين الله الى اخيه صلاح الدين في المعنى فمنعه من ذلك وجمع من الاموال مالا يحصى حتى انه من كثرته كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره ولما توفي ملك بعده ابنه اسمعيل وكان اهوج كثير التخليط بحيث انه ادعى انه قرشي من بني امية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي فلما سمع عمه الملك العادل ذلك ساءه واهمه وكتب اليه يلومه ويوبخه ويامره بالعود الى نسبه الصحيح وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه فلم يلتفت اليه ولم يرجع وانضاف الى ذلك انه اساء السيرة مع اجناده وامرائه فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا بعده اميرا من مماليك ابيه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي ابو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني المقرى الواسطي بها عن ثلاث وسبعين سنة وثلاثة اشهر واياما وهو آخر من بقي من اصحاب القلانسي وفي جمادى الآخرة توفي قاضي القضاة ابو طالب علي بن البخاري ببغداد ودفن بتربته في مشهد باب التبن وفيها في ربيع الآخر توفي ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور وكان ابوه قد جعله فيها واضاف اليه عساكر جميع بلاده التي بخراسان وجعله ولي عهده في الملك وخلف ولدا اسمه هندوخان فلما مات جعل فيها ابوه خوارزم شاه بعده ولده الآخر قطب الدين محمدا وهو الذي ملك بعد ابيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة افضت الى ان محمدا لما ملك بعد ابيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره وفيها توفي شيخنا ابو القاسم يعيش بن صدقة ابن علي الفراتي الضرير الفقيه الشافعي كان اماما في الفقه مدرسا صالحا كثير الصلاح سمعت عليه كثيرا لم ار مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدت منه عجبا يدل على دينه وارادته بعمله وجه الله تعالى وذلك اني كنت اسمع عليه ببغداد سنن ابي عبد الرحمن النسائي وهو كتاب كبير والوقت ضيق لاني كنت مع الحجاج قد عدنا من مكة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه مع اخي الاكبر مجد الدين ابي السعادات اذ قد أتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر لتحضر لامر كذا فقال أنا مشغول بسماع هؤلاء السادة ووقتهم يفوت والذي يراد مني لا يفوت فقال انا لا احسن اذكر هذا في مقابل أمر الخليفة فقال لا عليك قل قال أبو القاسم لا أحضر حتى يفرغ السماع فسألناه المشي معه فلم يفعل ذلك وقال اقرؤا فقرأنا فلما كان الغد حضر غلام لنا وذكر ان امير الحاج الموصلي قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولم يعظم عليكم العود الى اهلكم وبلدكم فقلنا لاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم استعير دابة واركبها واسير معكم وانتم تقرؤن فاذا فرغتم عدت ففضى الغلام ليتزود ونحن نقرأ فعاد وذكر ان الحجاج لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يرد امر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ويريد يسير معنا ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا

(ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمسمائة)

دار امراة من اقاربه بالقرب من جامع مسكة وقال لها احفظي عندك هذه الصرة حتى ارجع ونزل الى اسفل الدار فنادته المراة اصبر حتى آتيك بشيء تاكله فقال نعم فاني جيعان وجلس اسفل الدار ينتظر اتيانها له بما ياكله وصادف مجيء زوج المراة تلك الساعة فوجده فرحب به وهو يعلم بحاله ويكره مجيئه الى داره وطلع الى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة فسالها عنها فاخبرته ان قريبها المذكور اتى بها اليها حتى يعود لاخذها فجسها فوجدها ثقيلة فنزل في الحال ودخل على محمد افندي سليم من اعيان جيران الخطة فاخبره فاحضر محمد افندي أنفارا من الجيران ايضا وفيهم الخيا المنسوب الى احمد اغا لاظ المقتول ودخل الجميع الى الدار وذلك الحرامي جالس ومشتغل بالاكل فوكلوا به الخدم واحضروا تلك الصرة وفتحوها فوجدوا بها مصاغا وكيسا بداخله انصاف فضة عددية ذكروا ان عدتها اربعون الفا ولكنها من غير ختم وبدون نقش السكة فاخذوا ذلك وتوجهوا لكتخدا بك وصحبتهم الحرامي فسالوه وهددوه فاقر واخبر عن المكان الذي اختلسها منه فاحضر واصاحبة المكان فقالت هو وديعة عندي لزوجة احمد افندي المعايرجي فثبت لديهم خيانته واختلاسه وسئل احمد افندي فحلف انه لا يعلم بشيء من ذلك وان زوجته كانت زوجا لابراهيم

(ذكر وفاة عماد الدين وملك ولده قطب الدين محمد)

فى هذه السنة فى المحرم توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وقد تقدم ذكر كيف ملكها سنة تسع وسبعين وكان رحمه الله عادلا حسن السيرة فى رعيته عفيفا عن اموالهم واملاكهم متواضعا يحب اهل العلم والدين ويحترمهم ويجلس معهم ويرجع الى اقوالهم الا انه كان بخيلا شديد البخل وملك بعده ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك ابيه وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة كثير البر والاحسان الى الفقراء وكان رحمه الله شديد التعصب لمذهب الحنفية كثير الذم للشافعية فمن تعصبه انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط أن يكون النظر للحنفية من اولاده دون الشافعية وشرط ان يكون البواب والفراش على مذهب ابى حنيفة وشرط للفقهاء طبيخا يطبخ ذلك كل يوم وهذا نظر حسن رحمه الله

(ذكر ملك نور الدين نصيبين)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها واخذها من ابن عمه قطب الدين محمد وسبب ذلك ان عمه عماد الدين كان له نصيبين فتطاول نوابه بها واستولوا على عدة قرى من اعمال بين النهرين من ولاية الموصل وهى تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهد الدين قايماز القائم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل كلها والمرجوع اليه فيها فلم يعلم مخدومه بذلك لما علم من قلة صبره على احتمال مثل هذا وخاف ان يجرى خلف بينهم فارسل من عنده رسولا الى عماد الدين فى المعنى وقبح هذا الفعل الذى فعله النواب بغير أمره وقال اننى ما اعلمت نور الدين بالحال لئلا يخرج عن يدك فانه ليس كوالده وأخاف ان يبدو منه ما يخرج الامر فيه عن يدى فاعاد الجواب انهم لم يفعلوا الا ما امرتهم به وهذه القرى من أعمال نصيبين فترددت الرسل بينهما فلم يرجع عماد الدين عن أخذها فحينئذ اعلم مجاهد الدين نور الدين بالحال فارسل نور الدين رسولا من مشايخ دولته ممن خدم جدهم الشهيد زنكى ومن بعده وحمله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلحق عماد الدين قد مرض فلما سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا اعيد ملكى فاشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك وتسليم ما أخذه وحذره عاقبة ذلك فاغلظ عليه عماد الدين القول وعرض بذم نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جلية الحال فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين وأخذها من عمه فاتفق ان عمه مات وملك بعده ابنه فقوى طمعه فمنعه مجاهد الدين فلم يمتنع وتجهز وسار اليها فلما سمع قطب الدين صاحبها سار اليها من سنجار فى عسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين عنها فوصل نور الدين وتقدم الى البلد وكان بينهما نهر فجازه بعض امرائه وقاتل من بازائه فلم يثبتوا له فعبر جميع العسكر النورى وتمت الهزيمة على قطب الدين فصعد هو ونائبه

ايامه وسئلت هى ايضا عن تحقيق ذلك فقالت الصحيح ان ابراهيم المداد كان اشترى المداد فلعل ذلك عندها من هذه الدراهم من شخص مغربى عندما نهب عسكر المغاربه الضربخانه فى وقت حادثة الامراء المصريين وخروجهم من مصر عندما قامت عليهم عسكر الاتراك فلم يزيلوا الشبهة عن احمد افندى بل زادت وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق فقدروا اثمانها وخصموها من المطلوب منه (وفى يوم الخميس عشرينه) حصلت جمعية ببيت البكرى وحضر المشايخ وخلافهم وذلك بامر باطنى من صاحب الدولة وتذاكروا ما يفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى اخذه اموال الناس والمحاصيل وذلك ان القضاة الذين ياتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لا يتعدونها فى ايام الامراء المصريين فلما استولت هؤلاء الاروام على الممالك والقاضى منهم فحش امرهم وزاد طمعهم وابتدعوا بدعا وابتكروا حيلا لسلب اموال الناس والايتام والارامل وكلما ورد قاض ورأى ما ابتكره الذى كان قبله احدث هو الآخر اشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الامر وتعدى ذلك لقضايا اكابر الدولة وكتخدا بك بل والباشا وصارت ذريعة وأمرا محتما لا يحتشمون منه ولا يراعون خليلا ولا كبيرا

مجاهد الدين برنقش الى قلعة نصيبين وأدركهم الليل فخرجوا منها هاربين الى حران وراسلوا الملك العادل أبا بكر بن أيوب صاحب حران وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال الكثيرة ليجدهم ويعيد نصيبين اليهم وأقام نور الدين بنصيبين مالكها فتضعضع عسكره بكثرة الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى الديار الجزرية فحينئذ فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل فى شهر رمضان فلما فارقها تسلمها قطب الدين وممن توفى من امراء الموصل عز الدين جورديك وشمس الدين عبد الله بن ابراهيم وفخر الدين عبد الله بن عيسى المهرانيان ومجاهد الدين قايماز وظهير الدين بولق بن بلنكرى وجمال الدين محاسن وغيرهم ولما عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل قلعة ماردين فحصرها وضيق على أهلها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الغورية مدينة بلخ من الخطا الكافرة)

فى هذه السنة ملك بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود وهو ابن اخت غياث الدين وشهاب الدين صاحبي غزنة وغيرها وله باميان مدينة بلخ وكان صاحبها تركيا اسمه ازبه وكان يحمل الخراج كل سنة الى الخطا بما وراء النهر فتوفى فى هذه السنة فسار بهاء الدين سام الى المدينة فملكها وتمكن منها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت فى طاعة الكفار

(ذكر انهزام الخطا من الغورية)

وفى هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون الى ناحية خراسان فعاثوا فى البلاد وافسدوا فلقيهم عسكر غياث الدين الغورى وقاتلهم فانهزم الخطا وكان سبب ذلك ان خوارزم شاه تكش كان قد سار الى بلد الرى وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرض الى عساكر الخليفة وأظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فارسل الخليفة الى غياث الدين ملك الغور وغزنة يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه قد عاد الى خوارزم فراسله غياث الدين يقبح له فعله ويتهدده بقصد بلاده وأخذها فارسل خوارزم شاه الى الخطا يشكو اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تدركوه بانفاذ العساكر والا أخذ غياث الدين بلاده كما أخذ مدينة بلخ وقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذر عليهم منعه ويعجزون عنه ويضعفون عن رده عما وراء النهر فجهز ملك الخطا جيشا كثيفا وجعل مقدمهم المعروف بطاينكو وهو كالوزير فساروا وعبروا جيحون فى جمادى الآخرة وكان الزمان شتاء وكان شهاب الدين الغورى اخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة انما يحمل فى محفة والذى يقود الجيش ويباشر الحروب أخوه شهاب الدين فلما وصل الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازما على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا النهر ووصلوا الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرقان

ولا جليلا وكان المعتاد القديم انه اذا ورد القاضى فى أول السنة التوقية التزم بالقسمة بعض المميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم يقوم بدفعه للقاضى وكذلك تقرير الوظائف كانت بالفراغ او المحلول وله شهريات على باقى المحاكم الخارجة كالصالحية وباب سعادة والخرق وباب الشعرية وباب زويلة وباب الفتوح وطيلون وقناطر السباع وبولاق ومصر القديمة ونحو ذلك وله عوائد وطلاقات وغلال من الميرى وليس له غير ذلك الا معلوم الامضاء وهو خمسة انصاف فضة فاذا احتاج الناس فى قضاياهم ومواريثهم احضروا شاهدا من المحكمة القريبة منهم فيقضى فيها ما يقتضيه ويعطونه اجرته وهو يكتب التوثيق اوحجة المبايعة اوالتوريث ويجمع العدة من الاوراق فى كل جمعة أو شهر ثم يمضيها من القاضى ويدفع له معلوم الامضاء لا غير وأما القضايا لمثل العلماء والامراء فبالمسامحة والاكرام وكان القضاة يخشون صولة الفقهاء وقت كونهم يصدعون بالحق ولا يداهنون فيه فلما تغيرت الاحوال وتحكمت الاتراك وقضاتها ابتدعوا بدعا شتى *منها ابطال نواب المحاكم وابطال القضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفى وان تيكون جميع الدعاوى بين يديه ويدي نائبه وبعد الانفصال يامرهم بالذهاب الى كتخداه ليدفع

وغيرهما وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا كثيرا لا يحصى فاستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها فراسل الخطا بهاء الدين سام ملك باميان يأمرونه بالافراج عن بلخ وانه يحمل ما كان من قبله يحمله من المال فلم يجبهم الى ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فندب الامير محمد بن جربك الغورى وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعا وكاتب الحسين بن خرميل وكان بقلعة كرزيان واجتمع معهما الامير حروش الغورى وساروا بعساكرهم الى الخطا فبيتوهم وكبسوهم ليلا ومن عادة الخطا انهم لا يخرجون من خيامهم ليلا ولا يفارقونها فاتاهم هؤلاء الغورية وقاتلوهم واكثروا القتل فى الخطا وانهزم من سلم منهم من القتل واين ينهزمون والعسكر الغورى خلفهم وجيحون بين أيديهم وظن الخطا ان غياث الدين قد قصدهم فى عساكره فلما اصبحوا وعرفوا من قاتلهم وعلموا ان غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامة نهارهم فقتل من الفريقين خلق عظيم ولحقت المتطوعة بالغوريين وأتاهم مدد من غياث الدين وهم فى الحرب فثبت المسلمون وعظمت نكايتهم فى الكفار وحمل الامير حروش على قلب الخطا وكان شيخا كبيرا فاصابه جراحة توفى منها ثم ان محمود بن جربك وابن خرميل حملا فى اصحابهما وتنادوا ان لا يرمى احد بقوس ولا يطعن برمح وأخذوا اللتوت وحملوا على الخطا فهزموهم وألحقوهم بجيحون فمن صبر قتل ومن ألقى نفسه فى الماء غرق ووصل الخبر الى ملك الخطا فعظم عليه وأرسل الى خوارزم شاه يقول له انت قتلت رجالى واريد عن كل قتيل عشرة آلاف دينار وكان القتلى اثنى عشر الفا وانفذ اليه من رده الى خوارزم والزموه بالحضور عنده فارسل حينئذ خوارزم شاه الى غياث الدين يعرفه حاله مع الخطا ويشكو اليه ويستعطفه غير مرة فاعاد الجواب يأمره بطاعة الخليفة واعادة ما أخذه الخطا من بلاد الاسلام فلم ينفصل بينهما حال

(ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارا)

لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه اعاد الجواب ان عسكرك انما قصد انتزاع بلخ ولم يأتوا الى نصرتى ولا اجتمعت بهم ولا امرتهم بالعبور وان كنت فعلت ذلك فانا مقيم بالمال المطلوب منى ولكن حيث عجزتم انتم عن الغورية عدتم على بهذا القول وهذا المطلب واما انا فقد اصلحت الغورية ودخلت فى طاعتهم ولا طاعة لكم عندى فعاد الرسول بالجواب فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسيره الى خوارزم فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج اليهم كل ليلة ويقتل منهم خلقا عظيما واتاه من المتطوعة خلق كثير فلم يزل هذا فعله بهم حتى أتى على اكثرهم فدخل الباقون الى بلادهم ورحل خوارزم شاه فى آثارهم وقصد بخارا فنازلها وحصرها وامتنع أهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتى انهم أخذوا كلبا أعور وألبسوه قباء وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لانه كان أعور وطافوا به على السور ثم ألقوه فى منجنيق الى العسكر وقالوا

الحصول فيطالب منهم المقادير
الخارجة عن المعقول وذلك خلاف الرشوات الخفية
والمصالحات السرية واضاف
التقرير والقسمة لنفسه ولا
يلتزم بها احد من الشهود كما
كان فى السابق واذا دعى
بعض الشهود لكتابة توثيق
او مبايعة او تركة فلا يذهب
لا بعد ان يأذن له القاضى
او يحجبه بجوخدار لمباشر
القضية وله نصيب ايضا وزاد
طمع هؤلاء الجوخدارية حتى
لا يرضون بالقليل كما كان فى
اول الامر وتخلف منهم اشخاص
بمصر من مخاديمهم وصاروا
عند المتولى لما انفتح لهم هذا
الباب واذا ضبط تركة
من التركات وبلغت مقدارا
اخرج والقاضى العشر من ذلك
ومعلوم الكاتب والجوخدار
والرسول ثم التجهيز والتكفين
والمصرف والديون وما بقى
بعد ذلك يقسم بين الورثة
فيتفق ان الوارث واليتيم
لا يبقى له شئ ويأخذ من
ارباب الديون عشر ديونهم
ايضا ويأخذ من محاليل وظائف
الفقراء معلوم سنتين او ثلاثة
وقد كان يصالح عليها بادنى
شئ والا كراما وابتدع بعض
القبض عن وظائف القبانية
والموازين وطالب تقاريرهم
القديمة ومن اين تلقوها وتعالى
عليهم بعدم صلاحية المقرر
وفيها من هو باسم النساء
وليسوا اهلا لذلك وجمع من هذا
النوع مقدارا عظيما من المال ثم محاسبات

هذا سلطانكم وكان الخوارزميون يسبونهم و يقولون يا أجناد الكفار أنتم قد ارتددتم عن الاسلام فلم يزل هذا دابهم حتى ملك خوارزم شاه البلد بعد أيام يسيرة عنوة وعفا عن أهله واحسن اليهم وفرق فيهم مالا كثيرا واقام بها مدة ثم عاد الى خوارزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ذي الحجة توفي ابو طالب يحيي بن سعيد بن زيادة كاتب الانشاء بديوان الخليفة وكان عالما فاضلا له كتابة حسنة وكان رجلا عاقلا خيرا كثير النفع للناس وله شعر جيد وفيها حصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب قلعة ماردين في شهر رمضان وقاتل من بها وكان صاحبها حسام الدين يولق ارسلان بن ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن أرتق كل هؤلاء ملوك ماردين وقد تقدم من اخبارهم ما يعلم به محلهم وكان صبيا والحاكم في بلده ودولته مملوك أبيه النظام يرنقش وليس لصاحبه معه حكم البتة في شئ من الامور ولما حصر العادل ماردين ودام عليها اسلم اليه بعض اهلها الربض بمخامرة منهم فنهب العسكر أهله نهبا قبيحا وفعلوا بهم افعالا عظيمة لم يسمع بمثلها فلما تسلم الربض تمكن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقي عليها الى ان رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفي الشيخ ابو علي الحسن بن مسلم ابن ابي الحسن القادسي الزاهد المقيم ببغداد والقادسية التي ينسب اليها قرية بنهر عيسى من أعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودفن بقريته وأبو المجد علي ابن ابي الحسن علي بن الناصر بن محمد الفقيه الحنفي مدرس أصحاب أبي حنيفة ببغداد وكان من اولاد محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة الملك العزيز وملك أخيه الافضل ديار مصر)

في هذه السنة في العشرين من المحرم توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب صاحب ديار مصر وكان سبب موته انه خرج الى الصيد فوصل الى الفيوم متصيدا فرأى ذئبا فركض فرسه في طلبه فعثر الفرس فسقط عنه في الارض ولحقته حمى فعاد الى القاهرة مريضا فبقي كذلك الى ان توفي فلما مات كان الغالب على أمره مملوك والده فخر الدين جهاركس وهو الحاكم في بلده فاحضر انسانا كان عندهم من أصحاب الملك العادل أبي بكر بن أيوب واراه العزيز ميتا وسيره الى العادل وهو يحاصر ماردين كما ذكرناه ويستدعيه ليملكه البلاد فسار القاصد مجدا فلما كان بالشام رآه بعض اصحاب الافضل علي بن صلاح الدين فقال له قل لصاحبك ان أخاه العزيز توفي وليس في البلاد من يمنعها فليسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل محبوبا الى الناس يريدونه فلم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامراء من مصر يدعونه اليهم ليملكهم وكان السبب في ذلك ان الامير سيف الدين يازكج مقدم الاسدية والفرقة الاسدية والامراء الاكراد يريدونه ويميلون اليه وكان المماليك الناصرية

نظار الاوقاف والعزل والتولية فيهم والمصالحات على ذلك وقرر على نصارى الاقباط والاروام قدرا عظيما في كل سنة بحجة المحاسبة على الديور والكنائس ومما هو زائد الشناعة ايضا انه اذا ادعى مبطل على انسان دعوى لا اصل لها بان قال ادعى عليه بكذا وكذا من المال وغيره كتب المقيد ذلك القول حقا كان او باطلا معقولا او غير معقول ثم يظهر بطلان الدعوى أو صحة بعضها فيطالب الخصم بحصول القدر الذي ادعاه المدعي وسطره الكاتب يدفعه المدعى عليه للقاضي على دور النصف الواحد او يحبس عليه حتى يوفيه وذلك خلاف ما يؤخذ من الخصم الآخر وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجئ لكتخدا بك فحبس على المحصول فارسل الكتخدا يترجى في اطلاقه والمصالحة عن بعضه فابى فعند ذلك حنق الكتخدا وارسل من اعوانه من استخرجه من الحبس ومن الزيادات في نغمة الطنبور كتابة الاعلامات وهو انه اذا حضر عند القاضي دعوى بقاصد من عند الكتخدا او الباشا ليقضي فيها وقضى فيها لاحد الخصمين طلب المقضى له اعلاما بذلك الى الكتخدا او الباشا ليرجع به مع القاصد تقييدا واثباتا فعند ذلك لا يكتب له ذلك الاعلام الا بما عسى لا يرضيه الا ان يسلخ من جلده طاقا وطاقين وقد حكمت عليه

الصورة وتابع الباشاو ٦٦ الكتخداه لازم له وينتهجه ويساعد كتخدا القاضي عليه ويساليه على ذلك الظفر

والنصرة على الخصم مع ان
الفرنساوية الذين كانوا
لايتدينون بدين لما قلدوا
الشيخ احمد العريشي القضاء
بين المسلمين بالمحكمة حددوا
له حدا في أخذ المحاصيل
لايتعداه بان يأخذ على المائة
اثنين فقط له منها جزء والكتاب
جزء فلما زاد الحال وتعدى
الى أهل الدولة رتبوا هذه
الجمعية فلما تكاملوا بمجلس
بيت البكري كتبوا عرضا
محضرا ذكروا فيه بعض هذه
الاحداثات والتمسوا من ولى
الامر رفعها ويرجون من
المراحم ان يجرى القاضي
ويسلك في الناس طريقا من
احدى الطرق الثلاث اما
الطريقة التي كان عليها
القضاة في زمن الامراء المصريين
واما الطريقة التي كانت في
زمن الفرنساوية او الطريقة
التي كانت ايام مجيء الوزير
وهي الاقرب والاوفق وقد
اخترناها ورضيناها بالنسبة
لما هم عليه الآن من الجور
وتمموا العرض محضرا واطلعوا
عليه الباشا فارسله الى القاضي
فامتثل الامر وسجل بالسجل
على مضض منه ولم تسعه
المخالفة

* (واستهل شهر جمادى الثانية
سنة ١٢٣١) *

في منتصفه ورد الخبر بموت
مصطفى بك دالي باشا بناحية الاسكندرية وهو قريب الباشا واخو زوجته

الذين هم مماليك أبيه يكرهونه فاجتمع سيف الدين مقدم الاسدية وفخر الدين جهاركس
مقدم الناصرية ليتفقوا على من يولونه الملك فقال فخر الدين نولي ابن الملك العزيز فقال
سيف الدين انه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولابد من قيم بالملك يجمع العساكر
ويقاتل بها والرأي ان نجعل الملك في هذا الطفل الصغير ونجعل معه بعض أولاد
صلاح الدين يدبره الى ان يكبر فان العساكر لا تطيع غيرهم ولا تنقاد لامير فاتفقا على هذا
فقال جهاركس فمن يتولى هذا فاشار يازكج بغير الافضل لجرى بينه وبين
جهاركس منازعة لئلا يتهم وينفر جهاركس عنه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من
أولاد صلاح الدين واحدا بعد آخر الى ان ذكر آخرهم الافضل فقال جهاركس هو
بعيد عنا وكان بصرخد مقيما فيها من حين أخذت منه دمشق فقال يازكج نرسل
اليه من يطلبه مجدا فاخذ جهاركس يغالطه فقال يازكج نمضي الى القاضي الفاضل
ونأخذ رأيه فاتفقا على ذلك وأرسل يازكج يعرفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلما
اجتمعا عنده وعرفاه صورة الحال أشار بالافضل فارسل يازكج في الحال القصاد وراءه
فسار عن صرخد لليلتين بقيتا من صفر متنكرا في تسعة عشر نفسا لان البلاد كانت
للعادل ويضبط نوابه الطرق لئلا يجوز الى مصر ليجيء العادل ويملكها فلما قارب
الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدي اليه لقيه فارسان قد أرسلا اليه من
القدس فاخبراه ان من بالقدس قد صار في طاعته وجد في السير فوصل الى بلبيس
خامس ربيع الاول ولقيه اخوته وجماعة الامراء المصرية وجميع الاعيان فاتفق ان
أخاه الملك المؤيد مسعود صنع له طعاما وصنع له فخر الدين مملوك أبيه طعاما فابتدأ
بطعام أخيه ليمين حلفها أخوه انه يبدأ به فظن جهاركس انه فعل هذا انحرافا عنه
وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال ان طائفة من
العرب قد اقتتلوا وان لم تمض اليهم تصلح بينهم يؤدي ذلك الى فساد فاذن له الافضل
في المضي اليهم ففارقه وسار مجدا حتى وصل الى البيت المقدس ودخله وتغلب عليه
ولحقه جماعة من الناصرية منهم قراجة الزرده كش وسراسنقر وأحضروا عندهم ميمونا
القصري صاحب نابلس وهو أيضا من المماليك الناصرية فقويت شوكتهم به
واجتمعت كلمتهم على خلاف الافضل وأرسلوا الى الملك العادل وهو على ماردين
يطلبونه اليهم ليدخلوا معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانه كانت أطماعه قد
قويت في أخذ ماردين وقد عجز من بها عن حفظها وانه يأخذها والذي يريدونه لا يفوته
وأما الافضل فانه دخل الى القاهرة سابع ربيع الاول وسمع بهرب جهاركس فاهمه
ذلك وترددت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم يزدادوا الا بعدا ولحق بهم جماعة
من الناصرية أيضا فاستوحش الافضل من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة وايبك
فطيس والبكى الفارس وكل هؤلاء ابطال مشهور ومقدم مذكور سوى من ليس مثلهم
في التقدم وعلو القدر وأقام الافضل بالقاهرة واصلح الامور وقرر القواعد والمرجع في
جميع الامور الى سيف الدين يازكج

(ذكر

(واستهل شهر رجب الاصم بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣١) (فى ثالثه يوم الخميس) قبل الغروب حصل فى الناس انزعاج ولغط ونقل اصحاب الحوانيت بضائعهم منها مثل سوق الغورية ومرجوش وخان الحمزاوى وخان الخليلى وغيرهم ولم يظهر لذلك سبب من الاسباب واصبح الناس مبهوتين وانعطوا بوت الباشا وحضر اغات الينكجرية واغات التبديل الى الغورية واقاما بطول النهار وهما يامر ان الناس بالسكون وفتح الدكاكين وكذلك على اغا الوالى بباب زويلة واصبح يوم السبت فركب الباشا وخرج الى قبة العزب وعمل رماحة وملعبا ورجع الى شبرا وحضر كتخدابك الى سوق الغورية وجلس بالمدفن وامر بضرب شيخ الغورية فبطحوه على الارض فى وسط السوق وهو مرشوش بالماء وضربه الاتراك بعصيهم ثم رفعوه الى داره ثم امر الكتخدا بكتابة اصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم فشرعوا فى ذلك وهرب الكثير منهم وحبسهم فى داره ثم ركب الكتخدا ومر فى طريقه على خان الحمزاوى وطلب البواب فلما مثل بين يديه امر بضربه كذلك وضرب ايضا شيخ مرجوش واما طائفة خان الخليلى ونصارى الحمزاوى فلم يتعرض لهم

(واستهل شهر شعبان بيوم الخميس سنة ١٢٣١) (فيه) من الحوادث ان بعض العيارين من المتراق تعدوا

(ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها)

لما ملك الافضل مصر واستقر بها ومعه ابن أخيه الملك العزيز باسم الملك له لصغره واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ورسل ابن عمه أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها وبذلا له المساعدة بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق وأقام بظاهر القاهرة الى ثالث رجب ورحل فيه وتعوق فى مسيره ولو بادر وعجل المسير لملك دمشق لكنه تاخر فوصل الى دمشق ثالث عشر شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد ارسل اليه نوابه بدمشق يعرفونه قصد الافضل لهم ففارق ماردين وخلف ولده الكامل محمدا فى جميع العساكر على حصارها وسار جريدة مجدا فى السير فسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومين وأما الافضل فانه تقدم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعينه طائفة يسيرة من عسقلان الى دمشق من باب السلامة وسبب دخولهم ان قوما من اجناده ممن بيوتهم بمجاورة الباب اجتمعوا بالامير مجد الدين اخى الفقيه عيسى الهكارى وتحدثوا معه فى ان يقصد هو والعسكر باب السلامة ليفتحوه لهم فاراد مجد الدين ان يختص بفتح الباب وحده فلم يعلم الافضل ولا اخذ معه احدا من الامراء بل سار وحده بمفرده ومعه نحو خمسين فارسا من اصحابه ففتح له الباب فدخله هو ومن معه فلما رآهم عامة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم من به من الجند ونزلوا عن الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم وتماسك واما الذين دخلوا البلد فانهم وصلوا الى باب البريد فلما راى عسكر العادل بدمشق قلة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم واخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمة بالميدان الاخضر وقارب عسكره الباب الحديد وهو من ابواب القلعة فقدر الله تعالى ان اشير على الافضل بالانتقال الى ميدان الحصى ففعل ذلك فقويت نفوس من فيه وضعفت نفوس العسكر المصرى ثم ان الامراء الاكراد منهم تحالفوا فصاروا يدا واحدة يغضبون لغضب احدهم ويرضون لرضا احدهم فظن الافضل وباقى الاسدية انهم فعلوا بقاعدة بينهم وبين الدمشقيين فرحلوا من موضعهم وتاخروا الى العشرين من شعبان ووصل أسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل الخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثانى عشر شهر رمضان وأرادوا الزحف الى دمشق فمنعهم الملك الظاهر مكرا باخيه وحسدا له ولم يشعر أخوه الافضل بذلك وأما الملك العادل فانه لما رأى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل عظم عليه فارسل الى المماليك الناصرية بالبيت المقدس يستدعيهم اليه فسار واسلخ شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسير أسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامراء الى طريقهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم

فجاءوا اولئك ودخلوا دمشق خامس رمضان فقوى العادل بهم قوة عظيمة وأيس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق فى شوّال فكبسوا العسكر المصرى فوجدوهم قد حذروهم فعادوا عنهم خاسرين وأقام العسكر على دمشق ما بين قوة وضعف وانتصار وتخاذل حتى أرسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل محمد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره ان شاء الله تعالى وهو بحران فاستدعاه اليه بعسكره فسار على طريق البر فدخل الى دمشق ثانى عشر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة فعند ذلك رحل العسكر عن دمشق الى ذيل جبل الكسوة سابع عشر صفر واستقر أن يقيموا بحوران حتى يخرج الشتاء فرحلوا الى رأس الماء وهو موضع شديد البرد فتغير العزم عن المقام واتفقوا على ان يعود كل منهم الى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب واسد الدين صاحب حمص الى بلادهما وعاد الافضل الى مصر فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمد)

فى هذه السنة ثامن عشر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى توفى ابو يوسف يعقوب ابن ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكان قد سار اليها من مراكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسماها المهدية من احسن البلاد وانزهها فسار اليها يشاهدها فتوفى بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدو ودين وحسن سيرة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن مذهب مالك فعظم امر الظاهرية فى ايامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية منسوبون الى أبى محمد بن حزم رئيس الظاهرية الا انهم مغمورون بالمالكية ففى ايامه ظهروا وانتشروا ثم فى آخر ايامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال اليهم

(ذكر عصيان اهل المهدية على يعقوب وطاعتهم لولده محمد)

كان ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب لما عاد من افريقية كما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة استعمل اباسعيد عثمان واباعلى يونس بن عمر اينتى وهما وابوهما من اعيان الدولة فولى عثمان مدينة تونس وولى اخاه المهدية وجعل قائد الجيش بالمهدية محمد بن عبد الكريم وهو شجاع مشهور فعظمت نكايته فى العرب فلم يبق منهم الا من يخافه فاتفق انه اتاه الخبر بان طائفة من عوف نازلون بمكان فخرج اليهم وعدل عنهم حتى جازهم ثم اقبل عائدا يطلبهم وأتاهم الخبر بخروجه اليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم امامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير قتال فاخذ الجميع ورجع الى المهدية وسلم العيال الى الوالى واخذ من الاسلاب والغنيمة ما شاء وسلم الباقى الى الوالى والى الجند ثم ان العرب من بنى عوف قصدوا اباسعيد بن عمر اينتى فوحدوا وصاروا من حزب الموحدين واستجاروا به فى رد عيالهم واموالهم فاحضر محمد بن عبد الكريم وامره

جميع ما بالنصبة من الاوانى والبكارج والفناجين والظروف على قهوة الباشا بشبرا وسرقوا فاحضر الباشا بعض اوباب الدرك بتلك الناحية وألزمه باحضار السراق والمسروق ولا يقبل له عذرا فى التاخير ولو يصالح على نفسه بخزينة اواكثر من المال ولا يكون غير ذلك أبدا والا نكل به نكالا عظيما وهو الماخوذ بذلك فترجى فى طلب المهلة فامهله اياما وحضر بخمسة اشخاص واحضروا المسروق بتمامه لم ينقص منه شئ وامر بالسراق فخوزقوهم فى نواحى متفرقين بعد أن قرروهم على امثالهم وعرفوا عن اماكنهم وجمع منهم زيادة على الخمسين وشنق الجميع فى نواح متفرقة بالاقاليم مثل القليوبية والغربية والمنوفية (وفى منتصفه) يوم الجمعة الموافق لرابع مسرى القبطى اوفى النيل اذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت (وفيه) وقع من النوادر ان امرأة ولدت مولودا برأسين وأربعة أيد وله وجهان متقابلان والوجهان بكتفيهما مفروقان من حد الرأس وقيل لحد الصدر والبطن واحدة وثلاثة أرجل واحدى الارجل لها عشرة أصابع فيقال انه أقام يوما وليلة حيا ومات وشاهده بخلق كثير وطلعوا به الى القلعة ورآه كتخدا بك وكل من كان حاضرا بديوانه

با عادة ما اخذ لهم من النعم فقال اخذه الجند ولا أقدر على رده فاغلظ له في القول واراد أن يبطش به فاستمهله الى ان يرجع الى المهدية ويسترد من الجند ما يجده عندهم وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فامهله فعاد الى المهدية وهو خائف فلما وصلها جمع اصحابه واعلمهم ما كان من ابي سعيد وحالفهم على موافقته فخالفوه فقبض على ابي علي يونس وتغلب على المهدية وملكها فارسل اليه ابو سعيد في معنى اطلاق اخيه يونس فاطلقه على اثني عشر الف دينار فلما ارسلها اليه ابو سعيد فرقها في الجند واطلق يونس وجمع ابو سعيد العساكر واراد قصده محاصرته فارسل محمد بن عبد الكريم الى علي بن اسحق الملثم فخالفه واعتضد به فامتنع ابو سعيد من قصده ومات يعقوب وولي ابنه محمد فسير عسكرا مع عمه في البحر وعسكرا آخر في البر مع ابن عمه الحسن بن ابي حفص ابن عبد المؤمن فلما وصل عسكر البحر الى بجاية وعسكر البر الى قسنطينة الهوى هرب الملثم ومن معه من العرب من بلاد افريقية الى الصحراء ووصل الاسطول الى المهدية فشكا محمد بن عبد الكريم ما لقي من ابي سعيد وقال انا على طاعة امير المؤمنين محمد ولا اسلمها الى ابي سعيد وانما اسلمها الى من يرسله امير المؤمنين فارسل محمد من يتسلمها منه وعاد الى الطاعة

(ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين)

في هذه السنة زال الحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل وسبب ذلك ان الملك العادل لما حصر ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها لا يبقى عليهم الا ان العجز عن منعه حملهم على طاعته فلما توفي العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كما ذكرناه وبينه وبين العادل اختلاف فارسل اخذ عسكر مصر من عنده وارسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فلما رحل الملك العادل عن ماردين الى دمشق كما ذكرناه برز نور الدين ارسلان شاه ابن مسعود بن مودود صاحب الموصل عنها ثاني شعبان وسار الى دنيسر فنزل عليها ووافقه ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجر شاه بن غازي بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر فاجتمعوا كلهم بدنيسر الى ان عيدوا عيد الفطر ثم ساروا عنها سادس شوال ونزلوا بحرزم وتقدم العسكر الى تحت الجبل ليرتادوا موضعا للنزول وكان اهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتى ان كثيرا منهم كان لا يطيق القيام فلما راى النظام وهو الحاكم في دولة صاحبها ذلك ارسل الى ابن العادل في تسليم القلعة اليه الى اجل معلوم ذكره على شرط ان يتركهم يدخل اليهم من الميرة ما يقوتهم حسب فاجابهم الى ذلك وحلفوا عليه ورفعوا اعلامهم الى راس القلعة وجعل ولد العادل بباب القلعة اميرا لا يترك يدخلها من الاطعمة الا ما يكفيهم يوما بيوم فاعطى من بالقلعة ذلك الامير

فسبحان الخلاق العظيم *(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٣١)*

(حصل فيه من النوادر) ان في تاسع عشره علق شخص عسكري غلاما من أولاد البلد وصار يتبعه في الطرقات الى ان صادفه ليلة بالقرب من جامع الماس بالشارع فقبض عليه وأراد الفعل به في الطريق فخدعه الغلام وقال له ان كان ولا بد فادخل بنا في مكان لا يرانا فيه احد من الناس فدخل معه درب حلب المعروف الآن بدرب الحمام خير بك حديد وهناك دور الامراء التي صارت خرائب فحل العسكري سراويله فقال له الغلام ارني متاعك فلعله يكون عظيما لا احتمله جميعه وقبض عليه وكان بيده موسى مخفية في يده الاخرى فقطع ذكره بتلك الموسى سريعا وسقط العسكري مغشيا عليه وتركه الغلام وذهب في طريقه وحضر رفقاء ذلك العسكري وحملوه واحضروا له سليما الجرائحي فقطع ما بقي من مذاكيره واخذ في معالجته ومداواته ولم يمت العسكري *(واستهل شهر شوال بيوم السبت سنة ١٢٣١)* وكان حقه يوم الاحد وذلك ان في أواخر رمضان حضر جماعة من دمنهور البحيرة واخبروا عن اهل دمنهور انهم صاموا يوم الخميس فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الليلة فحضر اثنان من العسكر وشهدا برؤيته ليلة الخميس فاثبتوا

شيئا فمكنهم من ادخال الذخائر الكثيرة فبينما هم كذلك اذ اتاهم خبر وصول نور الدين صاحب الموصل فقويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلما تقدم عسكره الى ذيل جبل ماردين قدر الله تعالى ان الملك الكامل بن العادل نزل بعسكره من ربض ماردين الى لقاء نور الدين وقتاله ولو اقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا ازالتهم لكن نزلوا ليقضى الله امرا كان مفعولا فلما اصحروا من الجبل اقتتلوا وكان من عجيب الاتفاق ان قطب الدين صاحب سنجار كان قد واعد العسكر العادلى ان ينهزم اذا التقوا ولم يعلم بذلك احد من العسكر فقدر الله تعالى انه لما نزل العسكر العادلى واصطفت العساكر للقتال الجات قطب الدين الضرورة بالزحمة الى ان وقف فى سفح بجبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادلى ولا يرى الحرب الواقعة بينهم وبين نور الدين ففاته ما اراده من الانهزام فلما التقى العسكران واقتتلوا حمل ذلك اليوم نور الدين بنفسه واصطلى الحرب الناس انفسهم بين يديه فانهزم العسكر العادلى وصعدوا فى الجبل الى الربض واسر منهم كثير فحملوا الى بين يدى نور الدين فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظن ان الملك الكامل ومن معه يرحلون عن ماردين سريعا فجاءهم امر لم يكن فى الحساب فان الملك الكامل لما صعد الى الربض رأى أهل القلعة قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب فى قلوب الجميع فاعملوا رأيهم على مفارقة الربض ليلا فرحلوا ليلة الاثنين سابع شوال وتركوا كثيرا من اثقالهم ورحالهم وما أعدوه فاخذه أهل القلعة ولو ثبت العسكر العادلى بمكانه لم يمكن أحدا ان يقرب منهم ولما رحلوا نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازى الى نور الدين ثم عاد الى حصنه وعاد اتابك الى دنيسر ورحل عنها الى رأس عين على عزم قصد حران وحصرها فاتاه رسول من الملك الظاهر بطلب الخطبة والسكة وغير ذلك فتغيرت نية نور الدين وفتر عزمه عن حصرها فعزم على العود الى الموصل فهو يقدم الى العود رجلا ويؤخر أخرى اذ أصابه مرض فتحقق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وأرسل رسولا الى الملك الافضل والملك الظاهر يعتذر عن عوده بمرضه فوصل الرسول ثانى ذى الحجة اليهم وهم على دمشق وكان عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانه كان هو وكل من عنده ينتظرون ما يجىء من اخباره فان من بحران استسلموا فقدر الله تعالى انه عاد فلما عاد جاء الملك الكامل الى حران وكان قد سار عن ماردين الى ميافارقين فلما رجع نور الدين سار الكامل الى حران وسار الى أبيه بدمشق على ماذكرناه فازداد به قوة والافضل ومن معه ضعفا

(ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان)

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروزكوه عمت الرعية والملوك والامراء وسببها ان الفخر محمد بن عمر بن الحسين الرازى الامام المشهور والفقيه الشافعى كان قدم الى غياث الدين مفارقا لبهاء الدين سام صاحب باميان وهو ابن أخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ فى اكرامه وبنى

بذلك هلال رمضان ويكون تمامه يوم الجمعة واخبر جماعة ايضا انهم رأوا هلال شوال ليلة السبت وكان قوسه فى حساب قواعد الاهلة تلك الليلة قليلا جدا ولم ير فى ثانى ليلة منه الا بعسر وانما اشتبه على الرائين لان المريخ كان مقارنا للزهرة فى برج الشمس من خلفها وبينهما وبين الشمس رؤيا بعدها فى شعاع الشمس شبه الهلال فظن الراؤن انه الهلال فليتنبه لذلك فان ذلك من الدقائق التى تخفى على اهل الفطانة فضلا عن غيرهم من العوام الذين يسارعون الى افساد العبادات حسبة بالظنون الكاذبة لاجل ان يقال شهد فلان ونحو ذلك (وفى اواخره) قلد الباشا شخصا من اقاربه يسمى شريف اغا على دواوين المبتدعات وضم اليه جماعة من الكتبة ايضا المسلمين والاقباط وجعلوا ديوانهم ببيت ابى الشوارب وعمروه عمارة عظيمة وواظبوا الجلوس فيه كل يوم لتحرير المبتدعات ودفاتر المكوس

(واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣١)

(فيه) انهدم جانب من السواقى التى انشاها الباشا بشبرا على حين غفلة وقد قوى عليها النيل فتهدمت وتكسرت اخشابها وسقط معها اشخاص كانوا حولها فمنهم من نجا وغرق منهم من غرق وكان الباشا بقصر شبرا فعاينه وهو يرى ذلك وانقضت السنة واخبار بعض حوادثها واستمرار

له

له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصده الفقهاء من البلاد فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة وأما الغورية فكلهم كرامية وكرهوه وكان أشد الناس عليه الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته فاتفق أن حضر الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين بفيروزكوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبه وشتمه وبالغ فى أذاه وابن القدوة لا يزيد على ان يقول لا يفعل مولانا الا واخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضياء الدين فى هذه الحادثة وشكا الى غياث الدين وذم الفخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ غياث الدين اليه فلما كان الغد وعظ ابن عم المجد بن القدوة بالجامع فلما صعد المنبر قال بعد أن حمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أيها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلاى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وعن سنة نبيه وبكى وضج الناس وبكى الكرامية واستغاثوا وأعانهم من يؤثر بعد الفخر الرازى عن السلطان وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون ويجرى ما يهلك فيه خلق كثير فبلغ ذلك السلطان فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم وتقدم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها

(ذكر مسير خوارزم شاه الى الرى)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الرى وغيرها من بلاد الجبل لانه بلغه ان نائبه بها مياجق قد تغير عن طاعته فسار اليه فخافه مياجق فجعل يفر من بين يديه وخوارزم شاه فى طلبه يدعوه الى الحضور عنده وهو يمتنع فاستامن أكثر أصحابه الى خوارزم شاه وهرب هو فحصل بقلعة من اعمال مازندران فامتنع بها فسارت العساكر فى طلبه فاخذ منها وأحضر بين يدى خوارزم شاه فامر بحبسه بشفاعة أخيه أقجه وسيرت الخلع من الخليفة لخوارزم شاه ولولده قطب الدين محمد وتقليد ما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فافتتح قلعة على باب قزوين تسمى ارسلان كشاه وانتقل الى حصار ألموت فقتل عليها صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالرى وكان قد تقدم عنده تقدما عظيما فقتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن على فقتلوه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين فامر تكش ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش وهى من قلاعهم فحصرها فاذعنوا له بالطاعة وصالحوه على مائة الف دينار

ماتجدد فيها من المبتدعات التى لا حصر لها (منها) الجبر على المزارع التى يزرعها الفلاحون فى الاراضى التى يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم واذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئا كعادتهم وانما يشتريه الباشا بالثمن الذى يفرضه ويقدره على يد امناء النواحى والكشاف ويحملونه الى المحل الذى يؤمرون بحمله اليه ويعطى لهم الثمن او يحسب لهم من اصل المال فان احتاجوا الشئ من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض وكذلك القمح والفول والشعير لا يبيعون منه شيئا لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافى (ومنها) الامر لكشاف الاقاليم بالمناداة العامة بالمنع لمن يأخذ ويأكل من الفول الاخضر والحمص والحلبة وان المعينين فى الخدم والمباشرين وكشاف النواحى لا يأخذون شيئا من الفلاحين كعادتهم من غير ثمن فمن عثر عليه باخذ شئ ولو رغيفا او تبنا او من رجيع البهائم حصل له مزيد الضرر ولو كان من الاعاظم وكذلك الامر بتكميم افواه المواشى التى تسرح للرعى حوالى الجسور والغيطان (ومنها) ان نصرانيا من الارمن التزم بقلم الابزار التى تأتى من بلاد الصعيد مثل الكبة السوداء والشمر والانيسون والكمون والكراويا ونحو ذلك بقدر كبير من الاكياس ويتولى هو

ففارقها واغتاظ الحجيم لانه بلغه خبر مرض ابيه وكانوا ايراسلونه بالصلح فلا يفعل فلما سمع بمرض ابيه لم يرحل حتى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي مجاهد الدين قايماز رحمه الله بقلعة الموصل وهو الحاكم في دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتداء ولايته قلعة الموصل في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولي اربل سنة تسع وخمسين وخمسمائة فلما مات زين الدين علي كوكج سنة ثلاث وستين بقي هو الحاكم فيها ومعه من يختاره من اولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلا دينا خيرا فاضلا يعرف الفقه على مذهب ابي حنيفة ويحفظ من التاريخ والاشعار والحكايات شيئا كثيرا وكان كثير الصوم يصوم من كل سنة نحو اربعة اشهر وله اوراد كثيرة حسنة كل ليلة ويكثر الصدقة وكان له فراسة حسنة فيمن يستحق الصدقة ويعرف الفقير المستحق ويبرهم وبنى عدة جوامع منها الجامع الذي بظاهر الموصل بباب الجسر وبنى الربط والمدارس والخانات في الطرق وله من المعروف شيء كثير رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية وصار شافعي المذهب وكان سبب ذلك انه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفننا في كثير من العلوم فاوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين ابا الفتح محمد بن محمود المروروذي الفقيه الشافعي فاوضح له مذهب الشافعي وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعيا وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنة مسجدا لهم أيضا واكثر مراعاتهم فسعى الكرامية في أذى وجيه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك وقيل ان غياث الدين وأخاه شهاب الدين لما ملكا خراسان قيل لهما ان الناس في جميع البلاد يزرون على الكرامية ويحتقرونهم والرأي ان تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين كان حنفيا والله أعلم وفي هذه السنة توفي أبو القاسم يحيى بن علي بن فضلان الفقيه الشافعي وكان اماما فاضلا ودرس ببغداد وكان من أعيان أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي النيسابوري

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك العادل الديار المصرية)

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدي صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى رأس الماء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتاء فلما أقاموا برأس الماء وجد العسكر بردا شديدا لان البرد في ذلك المكان في الصيف موجود فكيف في الشتاء فتغيرا العزم على المقام واتفقوا على ان يعود كل انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرقوا تاسع ربيع الاول فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فاقام بها ووصلته الاخبار بان عمه

الملك

شراءها دون غيره ويبيعها بالثمن الذي يفرضه ومقدار ما التزم بدفعه من الاكياس للخزينة على ما بلغنا خمسمائة كيس وكانت في أيام الامراء المصريين عشرة اكياس لا غير فلما تولى علي وكالة دار السعادة صالح بك المحمدي زادها عشرة اكياس وكانت وكالة الابزار والقطن وقفا لمصطفى اغا دار السعادة سابقا على خيرات الحرمين وخلافهما فلما كانت هذه الدولة تولاها بنحو على مائتي كيس وعند ذلك اسعر الابزار أضعاف الثمن الاصلي ومن داخل الابزار الثمر الابريمي والسلطاني والخوص والمقاطف والسلب والليف وبلغ سعر المقطف الذي يسع الكيلة من البر خمسة وعشرين نصفا وكان يباع بنصف أو نصفين ان كان جيدا وفي الجملة باقل من ذلك (ومنها) ان كرابيت معلم ديوان الكمرك ببولاق التزم بشيخة الحمامية واحدث عليها وعلى توابعها حوادث وعلى النساء البلانات في كل جمعة قدرا من الدراهم وجعل لنفسه يوما في كل جمعة ياخذ ايراده من كل حمام (ومنها) ما حصل في هذه السنة من شحة الصابون وعدم وجوده بالاسواق ومع السراحين وهو شيء لا يستغنى عنه الغني ولا الفقير وذلك ان تجاره بوكالة الصابون زادوا في ثمنه محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لاهل الدولة فيامر الكتخدا فيه بامر ويسعر بثمن فيدعون الخسران

الملك العادل قد سار من دمشق قاصدا مصر ومعه المماليك الناصرية وقد حلفوه على ان يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبر للملك الى ان يكبر فساروا على هذا وكان عسكره بمصر قد تفرق عن الافضل من الخشي فسار كل منهم الى اقطاعه ليربعوا دوابهم فرام الافضل جمعهم من أطراف البلاد فاعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع منهم الا طائفة يسيرة ممن قرب اقطاعه ووصل العادل فاشار بعض الناس على الافضل ان يخرب سور بلبيس ويقيم بالقاهرة واشار غيرهم بالتقدم الى أطراف البلاد ففعل ذلك فسار عن بلبيس ونزل موضعا يقال له السائح فى طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الآخر فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلا وفى تلك الليلة توفى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى كاتب الانشاء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فجمع الافضل من عنده من الامراء واستشارهم فراى منهم تخاذلا فارسل رسولا الى عمه فى الصلح وتسليم البلاد اليه واخذ العوض عنها وطلب دمشق فلم يجبه العادل فنزل عنها الى حران والرها فلم يجبه فنزل الى ميافارقين وحانى وجبل جور فاجابه الى ذلك وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر واجتمع بالعادل وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ولما وصل الافضل الى صرخد ارسل من تسلم ميافارقين وحانى وجبل جور فامتنع نجم الدين ايوب ابن الملك العادل من تسليم ميافارقين وسلم ما عداها فترددت الرسل بين الافضل والعادل فى ذلك والعادل يزعم ان ابنه عصاه فامسك عن المراسلة فى ذلك لعلمه ان هذا فعل بامر العادل ولما ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور ابن الملك العزيز فى شوال من السنة وخطب لنفسه وحاقق الجند فى اقطاعاتهم واعترضهم فى اصحابهم ومن عليهم من العسكر المقرر فتغيرت لذلك نياتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شاء الله

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

فى هذه السنة فى العشرين من رمضان توفى خوارزم شاه تكش بن ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والرى وغيرها من البلاد الجبالية بشهرستانه بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فاشار عليه الاطباء بترك الحركة فامتنع وسار فلما بلغ شهرستانه اشتد مرضه ومات ولما اشتد مرضه ارسلوا الى ابنه قطب الدين محمد يستدعونه ويعرفونه شدة مرض أبيه فسار اليهم وقد مات أبوه فولى الملك بعده ولقب علاء الدين لقب أبيه وكان لقبه قطب الدين وأمر فحمل أبوه ودفن بخوارزم فى تربة عملها فى مدرسة بناها كبيرة عظيمة وكان عادلا حسن السيرة له معرفة حسنة وعلم يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة ويعرف الاصول وكان ولده على شاه باصفهان فارسل اليه أخوه خوارزم شاه محمد يستدعيه فسار اليه فنهب أهل اصفهان خزانته ورحله فلما وصل الى أخيه ولاه حرب خراسان والتقدم على

وعدم الربح وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ويشكون من قلة الجلوب الى ان سعر رطله بستة وثلاثين نصفا فلم يرتضوا ذلك وبالغوا فى التشكى فطلب قوائمهم وعمل حسابهم وزادهم خمسة انصاف فى كل رطل وحلف ان لا يزيد على ذلك وهم مصممون على دعوى الخسران فارسل من اتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع وعدم الزيادة فياتى الى الخان فى كل يوم يباشر البيع على من يشترى بذلك الثمن لاربابه ويمكث مقدار ساعتين من النهار ويغلق الحواصل ويرفع البيع الى ثانى يوم وفى ظرف هاتين الساعتين تزدحم العسكر على الشراء ولا يتمكن خلافهم من أهل البلد من اخذ شئ وتخرج العسكر فيبيعون من الذى اشتروه على الناس بزيادة فاحشة فياخذ الرطل بقرش ويبيعه على غيره بقرشين ورفع التشكى الى كتخدا فامر ببيعه عند باب زويلة فى السبيلين المواجه احدهما للباب والسبيل الذى أنشاته الست نفيسة المرادية عند الخان تجاه الجامع المؤيدى ليسهل على العامة تحصيله وشراؤه فلم يزدد الحال الا عسرا وذلك ان البائع يجلس داخل السبيل ويغلق عليه بابه ويتناول من خروق الشبابيك من المشترى الثمن ويناوله الصابون فازدحمت

طوائف العساكر على الشراء ويتعلقون بايديهم وارجلهم على شبابيك السبيلين

جنده واوصلهم الى نيسابور وكان هندو خان ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمه محمدا فهرب منه ونهب كثيرا من خزائن جده تكش للمامات وكان معه وسار الى مرو ولما سمع غياث الدين ملك غزنة وفاة خوارزم شاه امر ان لاتضرب نوبته ثلاثة ايام وجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة والمحاربة فعل ذلك عقلا منه ومروأة ثم ان هندو خان جمع جمعا كثيرا بخراسان فسير اليه عمه خوارزم شاه جيشا مقدمهم جقر التركى فلما سمع هندو خان بمسيرهم هرب عن خراسان وسار الى غياث الدين يستنجده على عمه فاكرم لقاءه وانزاله واقطعه ووعده النصرة فاقام عنده ودخل جقر مدينة مرو وبها والدة هندو خان واولاده فاستظهر عليهم واعلم صاحبه فامره بارسالهم الى خوارزم مكرمين فلما سمع غياث الدين ذلك ارسل الى محمد بن جربك صاحب الطالقان يامره ان يرسل الى جقر يتهدده ففعل وسار من الطالقان فاخذ مرو الروذ والخمس قرى وتسمى بالفارسية بنجده وارسل الى جقر يامره باقامة الخطبة بمرو لغياث الدين او يفارق البلد فاعاد الجواب يتهدد ابن جربك ويتوعده وكتب اليه سرا يساله ان ياخذ له امانا من غياث الدين ليحضر خدمته فكتب الى غياث الدين بذلك فلما قرأ كتابه علم ان خوارزم شاه ليس له قوة فلهذا طلب جقر الانحياز اليه فقوى طمعه فى البلاد وكتب الى اخيه شهاب الدين يامره بالخروج الى خراسان ليتفقا على اخذ بلاد خوارزم شاه محمد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة وثب الملاحدة الاسماعيلية على نظام الملك مسعود ابن على وزير خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحا كثير الخير حسن السيرة شافعى المذهب بنى للشافعية بمرو جامعا مشرفا على جامع الحنفية فتعصب شيخ الاسلام وهو مقدم الحنابلة بها فيهم والرياسة وجمع الاوباش فاحرقه فانفذ خوارزم شاه فاحضر شيخ الاسلام وجماعة ممن سعى فى ذلك فاغرمهم مالا كثيرا وبنى الوزير ايضا مدرسة عظيمة بخوارزم وجامعا وجعل فيها خزانة كتب وله آثار حسنة بخراسان باقية وللمامات خلف ولدا صغيرا فاستوزره خوارزم شاه رعاية لحق ابيه فاشير عليه ان يستعفى فارسل يقول اننى صبى لا اصلح لهذا المنصب الجليل فيولى السلطان فيه من يصلح له الى ان اكبر فان كنت اصلح فانا المملوك فقال خوارزم شاه لست اعفيك وانا وزيرك فكن مراجعى فى الامور فانه لا يقف منها شئ فاستحسن الناس هذا ثم ان الصبى لم تطل ايامه فتوفى قبل خوارزم شاه بيسير وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى شيخنا ابو الفرج عبد المنعم ابن عبد الوهاب بن كليب الحرانى المقيم ببغداد وله ست وتسعون سنة وشهران وكان عالى الاسناد فى الحديث وكان ثقة صحيح السماع وفى ربيع الآخر منها توفى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى الكاتب لم يكن فى زمانه احسن كتابة منه ودفن بظاهر مصر بالقرافة وكان دينا كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفك الاسارى وكان يكثر الحج والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان

والعامة اسفلهم لا يتمكنون من اخذ شئ ويمنعون من يزاحمهم فيكون على السبايل ضجة وصياح من الفريقين فلا يسع ابن البلد الفقير المضطر الآن يشترى من العسكرى بما احب والا رجع الى منزله من غير شئ واستمر الحال على هذا المنوال اياما وفى بعض الاحايين يكثر وجود الصابون بين ايدى الباعة بوسط السوق ولا تجد عليه مزاحمة وامامه البيع كوم عظيم وهو ينتظر من يشترى وذلك فى غالب الاسواق مثل الغورية والاشرفية وباب زويلة والبندقانيين والجهات الخارجة ثم يصبحون فلا يوجد منه شئ ويرجع الازدحام على السبايل كالاول (ومنها) ان الباشا اطلق المناداة فى البلدة وندب جماعة من المهندسين والمباشرين لكشف على الدور والساكن فان وجدوا به او ببعضه خللا امروا صاحبه بهدمه وتعميره فان كان يعجز عن ذلك فيؤمر بالخروج منها واخلائها ويعاد بناؤها على طرف الميرى وتصير من حقوق الدولة وسبب هذه النكتة انه بلغ الباشا سقوط دار ببعض الجهات وماتت تحت ردمها ثلاثة اشخاص من سكانها فامر بالمناداة وارسل المهندسين والامر بما ذكر فنزل باهل البلد من الكرب امر عظيم مع ما هم فيه من الافلاس وقطع الايراد وغلو الاسعار

صلاح

صلاح الدين يعظمه ويحترمه ويكرمه ويرجع الى قوله رحمهما الله تعالى

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو وأخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها)

قد ذكرنا قبل ملك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وانه لما فعل ذلك لم يرضه الامراء المصريون وخبثت نياتهم في طاعته فراسلوا اخويه الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم من مصر أسلموه وصاروا معهما فتملكا البلاد وكثر ذلك حتى فشا الخبر واتصل بالملك العادل واضاف الى ذلك ان النيل لم يزد بمصر الزيادة التى تركب الارض ليزرع الناس فكثر الغلاء فضعفت قوة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصرية لحصار بانياس ليأخذها لنفسه بامر العادل وكانت لامير كبير تركى اسمه بشارة قد اتهمه العادل فامر جهاركس بذلك وكان أمير من أمراء العادل يعرف بعز الدين أسامة قد حج هذه السنة فلما عاد من الحج وقارب صرخد نزل الملك الافضل فلقيه وأكرمه ودعاه الى نفسه فاجابه وحلف له وعرفه الافضل جلية الحال وكان أسامة من بطانة العادل وانما حلف لينكشف له الامر فلما فارق الافضل أرسل الى العادل وهو بمصر يعرفه الخبر جميعه فارسل الى ولده الذى بدمشق يامره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى اياس جركس وميمون القصرى صاحب بلبيس وغيرهما من الناصرية يامرهم بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل وسمع الافضل الخبر فسار الى أخيه الظاهر بحلب مستهل جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر وكان الظاهر قد أرسل أميرا كبيرا من امرائه الى عمه العادل فمنعه العادل من الوصول اليه وأمره بان يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرك الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فملكها السادس والعشرين من رجب وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلمها سلخ رجب وأما الملك المعظم عيسى بن العادل المقيم بدمشق فانه سار الى بصرى وأرسل الى جهاركس ومن معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه فلما طال مقامه على بصرى عاد الى دمشق وأرسل الامير اسامة اليهم يدعوهم الى مساعدته فاتفق انه جرى بينه وبين البكاء الفارس بعض المماليك الكبار الناصرية منافرة اغلظ له البكاء القول وتعدى الى الفعل باليد وثار العسكر جميعه على اسامة فاستذمهم يمون فامنه وأعاده الى دمشق واجتمعوا كلهم عند الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وانزلوه من صرخد وأرسلوا الى الملك الظاهر والافضل يحثونهما على الوصول اليهم والملك الظاهر يتربص ويتعوق فوصل من منبج الى حماة فى عشرين يوما وأقام على حماة يحصرها وبها صاحبها ناصر الدين

على ان من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء لا يجد من أدواته شيئا بحسب التحجير الواقع على ارباب الاشغال واستعمال الجميع فى عمائر الباشا واكابر الدولة حتى ان الانسان اذا احتاج لبناء كانون لا يجد من يبنيه ولا يقدر على تحصيل صانع او فاعل او اخذ شئ من رماد الحمام الا بفرمان ومن حصل شيئا من ذلك على طريق السرقة فى غفلة وعثر عليه فكاوابه وبرئيس الحمام وحمير الباشا وهى أزيد من الفى حمار تنقل بالمزابل والسرقانيات طول النهار ما يوجد بالحمامات من الرماد وتنقل ايضا الطوب والدبش والاتربة وانقاض البيوت المنهدمة لمحل العمائر بالقلعة وغيرها فترى الاسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحمير الذاهبة والراجعة واذا هدم انسان داره التى أمروه بهدمها وصل اليه فى الحال قطار من الحمير لاخذ الطوب الذى يتساقط الا ان يكون من اهل القدرة على منعهم وربما كانت هذه الاوامر حيلة على اخذ الانقاض واما الاتربة فتبقى بحالها حتى فى طرق المارة للعجز عن نقلها فترى غالب الطرق والنواحى مردومة بالاتربة واما الهدم ونقل الانقاض من البيوت الكبار والدور الواسعة التى كانت مساكن الامراء المصريين بكل ناحية وخصوصا بركة الفيل وجهة الجبانية فهو مستمر حتى بقيت خرابا خرائب ودعائم قائمة وكيمان

محمد بن تقي الدين الى تاسع عشر شهر رمضان فاصطلحا وحمل له ابن تقي الدين ثلاثين ألف
دينار صورية وساروا منها الى حمص وسار منها الى دمشق على طريق بعلبك فنزلوا عليها
عند مسجد القدم فلما نزلوا على دمشق أتاهم المماليك الناصرية مع الملك الظافر خضر
ابن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرت بين الظاهر وأخيه الافضل أنهم اذا ملكوا
دمشق تكون بيد الافضل و يسيرون الى مصر فاذا ملكوها تسلم الظاهر دمشق فيبقى
الشام جميعه له وتبقى مصر للافضل وسلم الافضل صرخد الى زين الدين قراجة مملوك
والده ليحضر في خدمته وأنزل والدته وأهله منها وسيرهم الى حمص فاقاموا عند أسد الدين
شيركوه صاحبها وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل على مدينة نابلس
وسير جمعا من العسكر الى دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وحضر
فخر الدين جهاركس وغيره من الناصرية فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل
وزحفوا الى دمشق وقاتلوها رابع عشر ذي القعدة واشتد القتال عليها فالتصق الرجال
بالسور فادركهم الليل فعادوا وقد قوى الطمع في أخذها ثم زحفوا اليها مرة ثانية وثالثة
فلم يبق الا ملكها الان العسكر صعد الى سطح خان ابن المقدم وهو ملاصق السور فلو لم
يدركهم الليل لملكوا البلد فلما أدركهم الليل وهم عازمون على الزحف بكرة وليس
لهم عن البلد مانع حسد الظاهر أخاه الافضل فارسل اليه يقول له تكون دمشق له
وبيده و يسير العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمت ان والدتي وأهلي وهم
اهلك أيضا على الارض ليس لهم موضع ياوون اليه فاحسب ان هذا البلد لك تعيرنا
اياه ليسكنه اهلي هذه المدة الى ان يملك مصر فلم يجبه الظاهر في ذلك ولج فلما رأى الافضل
ذلك الحال قال للناصرية وكل من جاء اليهم من الجند ان كنتم جئتم الى فقد اذنت لكم
في العود الى العادل وان كنتم جئتم الى أخي الظاهر فانتم وهو واخبر وكان الناس كلهم
يريدون الافضل فقالوا انما نريدك والعادل احب الينا من اخيك فاذن لهم في العود
فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجة الذي اعطاه الافضل صرخد فمنهم من
دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما انفسخ الامر عليهم عادوا الى تجديد الصلح
مع العادل فترددت الرسل بينهم واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية
وكفرطاب وقرى معينة من المعرة و يكون للافضل سميساط وسروج ورأس العين
وجملين ورحلوا عن دمشق أول المحرم سنة ثمان وتسعين فقصد الافضل حمص فاقام
بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرم وسار الافضل اليه
من حمص فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها اليه لم سميساط
فتسلمها وتسلم باقي ما استقر له برأس العين وسروج وغيرها

(ذكر ملك غياث الدين واخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان)

قد ذكرنا مسير محمد بن خرميل من الطالقان واستيلاءه على مرور وذوسوال جقر التركي
نائب علاء الدين محمد خوارزم شاه بمرو أن يكون في جملة عسكر غياث الدين ولما وصل

هائلة واختلطت بها الطرق وأصبحت موحشة ولا مارى بها حتى للبوم بعد ان كانت مراتع غزلان فكنت كلما
وايتها أتذكر قول القائل
هذي منازل اقوام عهدتهم
في خفض عيش نعيم ماله خطر
صاحت بهم نوب الايام فارتحلوا
الى القبور فلا عين ولا اثر
وكذلك بولاق التي كانت
منتزه الاحباب والرفاق
فانه تسلط عليها كل من
سليمان اغا السلحدار
واسمعيل باشا في الهدم واخذ
انقاض الابنية لابنيتهم ببر
انبابة والجزيرة الوسطى بين
انبابة و بولاق فان سليمان
اغا انشا بستانا كبيرا بين
انبابة وسوره و بنى به قصرا
وسواقي واخذ يهدم ابنية
بولاق من الوكائل والدور
وينقل أحجارها وانقاضها في
المراكب ليلا ونهارا الى البر
الآخر واسمعيل باشا كذلك
انشا بستانا وقصرا بالجزيرة
وشرع ايضا في اتساع
سرايته ومحل سكنه ببولاق
واخذ الدور والمساكن
والوكائل من حد الشون
القديم الى آخر وكالة الابزار
العظيمة طولا فيهدمون الدور
وغيرها من غير مانع ولا شافع
و ينقلون الانقاض الى محل
البناء وكذلك ولي خوجه
شرع في بناء قصر بالروضة
ببستان فهو الآخر يهدم
ما يهدمه من مصر القديمة
و ينقل انقاضه لبنائه وهلك
قبل اتمامه واما نصارى الارمن وما ادراك ما الارمن الذين هم اخصاء الدولة

كتاب ابن خرميل الى غياث الدين في معنى جقر وعلم ان هذا انما دعاه الى الانتماء اليهم ضعف صاحبه فارسل الى اخيه شهاب الدين يستدعيه الى خراسان فسار من غزنة في عساكره وجنوده وعدته وما يحتاج اليه وكان بهراة الامير عمر بن محمد المرغني نائبا عن غياث الدين وكان يكره خروج غياث الدين الى خراسان فاحضره غياث الدين واستشاره فاشار بالكف عن قصدها وترك المسير اليها فانكر عليه ذلك واراد ابعاده عنه ثم تركه ووصل شهاب الدين في عساكره وعساكر سجستان وغيرها في جمادى الاولى من هذه السنة فلما وصلوا الى ميمنة وهي قرية بين الطالقان وكرزبان وصل الى شهاب الدين كتاب جقر مستحفظ مرو يطلبه ليسلمها اليه فاستاذن اخاه غياث الدين فاذن له فسار اليها فخرج اهلها مع العسكر الخوارزمي وقاتلوه فامر اصحابه بالحملة عليهم والجد في قتالهم فحملوا عليهم فادخلوهم البلد وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب اهل البلد الامان فامنهم وكف الناس عن التعرض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده الجميل ثم حضر غياث الدين الى مرو وبعد فتحها فاخذ جقر وسيره الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش وقد ذكرنا هربه من عمه خوارزم شاه محمد بن تكش الى غياث الدين ووصاه بالاحسان الى اهلها ثم سار غياث الدين الى مدينة سرخس فاخذها صلحا وسلمها الى الامير زنكي بن مسعود وهو من اولاد عمه واقطعه معها نسا وابيورد ثم سار بالعساكر الى طوس فاراد الامير الذي بها ان يمتنع فيها ولا يسلمها فاغلق باب البلد ثلاثة ايام فبلغ الخبز ثلاثة امناء بدينار ركني فضج اهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين يطلب الامان فامنه فخرج اليه فخلع عليه وسيره الى هراة ولما ملكها ارسل الى علي شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نائب اخيه علاء الدين محمد بنيسابور يامره بمفارقة البلد ويحذره ان اقام سطوة اخيه شهاب الدين وكان مع علي شاه عسكر من خوارزم شاه فاتفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصروه وخربوا ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها اوائل رجب وتقدم عسكر اخيه شهاب الدين الى القتال فلما راى غياث الدين ذلك قال لولده محمود قد سبقنا عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون ان يفتحوا نيسابور فيحصلون بالاسم فاحمل الى البلد ولا ترجع حتى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغورية فلم يردهم احد عن السور حتى اصعدوا علم غياث الدين عليه فلما راى شهاب الدين علم اخيه على السور قال لاصحابه اقصدوا ابناء هذه الناحية واصعدوا السور من ههنا واشار الى مكان فيه فسقط السور منهدما فضج الناس بالتكبير وذهل الخوارزميون واهل البلد ودخل الغورية البلد وملكوه عنوة ونهبوه ساعة من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فامر بالنداء من نهب مالا او آذى احدا فدمه حلال فاعاد الناس ما نهبوه عن آخره ولقد حدثني بعض اصدقائنا من التجار وكان بنيسابور في هذه الحادثة نهب من متاعي شيء من جملته سكر فلما سمع العسكر النداء ردوا جميع ما اخذوا مني وبقي لي بساط وشيء من السكر مع جماعة فطلبته منهم فقالوا اما السكر فاكلناه فقسا للتان لا يسمع احد وان اردت

الآن فانهم انشؤا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة اسكنهم فهم يهدمون ايضا وينقلون لابنيتهم ماشاؤا ولا حرج عليهم واعما الحرج والمنع والحجر والهدم على المسلمين من اهل البلدة فقط (ومنها) ان الباشا امر ببناء مساكن للعسكر الذين اخرجهم من مصر بالاقاليم يسمونها القشلات بكل جهة من اقاليم الارياف لسكن العساكر المقيمين بالنواحي لتضررهم من الاقامة الطويلة بالخيام في الحر والبرد واحتياج الخيام في كل حين الى تجديد وترقيع وكثير خدمة وهي جمع قشلة بكسر القاف وسكون الشين وهي في اللغة التركية المكان الشتوي لان الشتاء في لغتهم يسمى قش بكسر القاف وسكون الشين فكتب مراسيم الى النواحي بسائر القرى بالامر لهم بعمل الطوب اللبن ثم حرقه وحمله الى محل البناء وفرضوا على كل بلد وقرية فرضا وعددا معينا فيفرض على القرية مثلا خمسمائة الف لبنة واكثر بحسب كبر القرية وصغرها فيجمع كاشف الناحية مشايخ القرى ثم يفرض على كل شيخ قدرا وعددا من اللبن عشرين الفا او ثلاثين الفا او اكثر او اقل ويلزم بضربها وحرقها ورفعها واجلهم مدة ثلاثين يوما وفرضوا على كل قرية ايضا مقادير من افلاق النخل ومقادير من الجريد ثم فرضوا عليهم ايضا اشخاصا من الرجال لحمل الاشغال والعمائر يستعملونهم في فعالة نقل

ادوات العمارة فى النواحى حتى الاسكندرية وخلافها ولهم اجرة اعمالهم فى كل يوم لكل شخص سبعة انصاف

عنده اعطيناك فقلت انتم فى حل منه ولم يكن البساط مع اولئك قال فمشيت الى باب
البلد مع النظارة فرايت البساط الذى لى قد القى عند باب البلد لم يجسر احد يأخذه
فاخذته وقلت هذا لى فطلبوا منى من يشهد به فاحضرت من شهد لى واخذته ثم ان
الخوارزميين تحصنوا بالجامع فاخرجهم اهل البلد فاخذهم الغورية ونهبوا اموالهم
واخذ على شاه بن خوارزم شاه واحضر عند غياث الدين راجلا فانكر ذلك على من احضره
وعظم الامر فيه وحضر تدابة كانت لعلى شاه وقال لغياث الدين اهكذا يفعل باولاد
الملوك فقال لا بل هكذا واخذ بيده واقعده معه على السرير وطيب نفسه وسير جماعة
الامراء الخوارزمية الى هراة تحت الاستظهار واحضر غياث الدين ابن عمه وصهره على
ابنه ضياء الدين محمد بن ابى على الغورى وولاه حرب خراسان وخراجها ولقبه علاء الدين
وجعل معه وجوه الغورية ورحل الى هراة وسلم على شاه الى اخيه شهاب الدين واحسن
الى اهل نيسابور وفرق فيهم مالا كثيرا ثم رحل بعده شهاب الدين الى ناحية قهستان
فوصل الى قرية فذكر له ان اهلها اسماعيلية فامر بقتل المقاتلة ونهب الاموال وسبى
الذرارى وخرب القرية فجعلها خاوية على عروشها ثم سار الى كناباد وهى من المدن
التى جميع اهلها اسماعيلية فنزل عليها وحصرها فارسل صاحب قهستان الى غياث
الدين يشكو اخاه شهاب الدين ويقول بيننا عهد فما الذى بدا منا حتى تحاصر بلادى
واشتد خوف الاسماعيلية الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوا الامان ليخرجوا منه
فامنهم واخرجهم وملك المدينة وسلمها الى بعض الغورية فاقام بها الصلوات وشعار
الاسلام ورحل شهاب الدين فنزل على حصن آخر للاسماعيلية فوصل اليه رسول اخيه
غياث الدين فقال الرسول معى تقدم من السلطان فلا يجرى حردان فعلته فقال لا ارحل
قال اذن افعل ما امرنى قال افعل فسل سيفه وقطع اطناب سرادق شهاب الدين وقال
ارحل بتقدم السلطان فرحل شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلاد الهند ولم يقم
بغزنة غضبا لما فعله اخوه معه

(ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما)

فى هذه السنة ايضا تجهز نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى
بلاد الملك العادل بالجزيرة حران والرها وكان سبب حركته ان الملك العادل لما ملك
مصر على ما ذكرناه قبل اتفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب
ماردين وغيرهما على ان يكونوا يدا واحدة متفقين على منع العادل عن قصد احدهم
فلما تجدد حركة الافضل والظاهر ارسلا الى نور الدين ليقصد البلاد الجزرية فسار عن
الموصل فى شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمه قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى
صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى رأس العين وكان الزمان قيظا
فكثرت الامراض فى عسكره وكان بحران ولد للعادل يلقب بالملك الفائز ومعه عسكر
يحفظ البلاد فلما وصل نور الدين الى رأس العين جاءت رسل الفائز ومن معه من اكابر

الامراء

فضة لا غير ولمن يعمل اللبن اجرة
ايضا ولثمن الاقلاق والجريد
قدر معلوم لكنه قليل (ومنها)
انه توجه الامر لكشاف
النواحى عند انكشاف الماء
عن الاراضى بان يتقدموا الى
الفلاحين بان من كان زارعا
فى العام الماضى فدانى كتان
او حمص او سمسم او قطن
فليزرع فى هذه السنة اربعة
افدنة ضعف ما تقدم لان
المزارعين عزموا على عدم
زراعة هذه الاشياء لما حصل
لهم من اخذ ثمرات متاعهم
وزراعاتهم التى دفعوا
خراجها الزائد بدون القيمة
التى كانوا يبيعون بها مع
قلة الخراج الذى كانوا
يماطلون فيه الملتزمين
السابقين مع التظلم والتشكى
فيزرع الزارع ما يزرعه من
هذه الاشياء من التقاوى
المتروكة فى مخزنه ثم يبيع
الفدان من الكتان الاخضر
فى غيطه ان كان مستعجلا
بالثمن الكثير والا ابقاه الى
تمام صلاحه فيجمعه ويدقه
ويبيع ما يبيعه من البزر
خاصة باغلى ثمن ثم يتمم
خدمته من التعطين والنشر
والتمشيط الى ان يصفى
وينظف من ادرانه وخشوناته
ويصلح للغزل والنسج فيباع
حينئذ بالاوقية والرطل وكذا القطن والنيلة والعصفر فلما وقع عليهم التحجير وحرموا

الامراء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بان الصلح بدا يتم بين الملك العادل والملك الظاهر والافضل وانضاف الى ذلك كثرة الامراض فى عسكره فاجاب اليه وحلف الملك الفائز ومن عنده من اكابر الامراء على القاعدة التى استقرت وحلفوا انهم يحلفون الملك العادل له فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو للملك العادل وسارت الرسل من عنده ومن عند ولده فى طلب اليمين من العادل فاجاب الى ذلك وحلف له واستقرت القاعدة وامنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة

(ذكر ملك شهاب الدين نهرواله)

لما سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يقم بغزنة وقصد بلاد الهند وارسل مملوكه قطب الدين ايبك الى نهرواله فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالا شديدا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدواب وغيرها وتقدم الى نهرواله فملكها عنوة وهرب ملكها فجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انه لا يقدر على حفظها الا بان يقيم هو فيها او يخليها من اهلها فيتعذر عليه ذلك فان البلد عظيم هو اعظم بلاد الهند واكثرها اهلا فصالح صاحبها على مال يؤديه اليه عاجلا وآجلا واعادها ورحل عنها وسلمها الى صاحبها

(ذكر ملك ركن الدين ملطية من اخيه وارزن الروم)

فى هذه السنة فى شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصرشاه فسار اليه وحصرها اياما وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك ابن محمد بن صلتق وهم بيت قديم ملكوا ارزن الروم مدة طويلة فلما سار اليها وقارب بها اخرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلد وكان هذا آخر اهل بيته ملكوا فتبارك الله الحى القيوم الذى لا يزول ملكه ابدا سرمدا

(ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك اخيه محمود)

فى هذه السنة توفى قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لاخيه محمود والنفور عنه قد ابعده وانزله حصن منصور فى آخر بلادهم واتخذ مملوكا اسمه اياس فزوجه اخته واحبه حبا شديدا وجعله ولى عهده فلما توفى ملك بعده عدة ايام وتهدد وزيرا كان لقطب الدين وغيره من امراء الدولة فارسلوا الى اخيه محمود سرا يستدعونه فسار مجدا فوصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك اخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقى مدة محبوسا ثم شفع له صاحب بلاد الروم فاطلق من الحبس وسار الى الروم فصار اميرا من امراء الدولة

(ذكر عدة حوادث)

من المكاسب التى كانوا يتوسعون بها فى معايشهم باقتناء المواشى والحلى للنساء قالوا اما عدنا نزرع هذه الاشياء وظنوا ان يتركوا على هواهم ونسوا مكر اوليائهم فنزل عليهم الامر والالزام بزرع الصنف فضجوا وترجوا واستشفعوا ورضوا بمقدار العام الماضى فمنهم من سومح ومنهم من لم يسامح وهو ذو المقدرة وبعد اتمامه وكمال صلاحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميرى ويباع لمن يشترى من اربابه او خلافهم بالثمن المقدر وربح زيادته لطرف حضرة الباشا مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن الاختلاس فمن عثر واطلع عليه باختلاس شئ ولو قليلا عوقب عقابا شديدا ليرتدع خلافه والكتبة والموظفون لتحرير كل صنف ووزنه وضبطه فى تنقلات اطواره وعند تسليم الصناع ونتج من ذلك واثمر عزة الاشياء وغلو الاسعار على الناس منها ان المقطع القماش الذى كان ثمنه ثلاثين نصفا بلغ سعره عشرة قروش مع عزة وجدانه بالاسواق المعدة لبيعه مثل سوق مرجوش وخلافه خلا الطوافين به والثوب البطانة الذى كان ثمنه قرشين بلغ ثمنه سبعة قروش وادركناه فى الازمان السابقة يباع بعشرين نصفا وبلغ ثمن الثوب من البفتة المحلاوى اربعة عشر قرشا وكان يباع فيما ادركنا بدكان التاجر بستين نصفا

في هذه السنة اشتد الغلاء بالبلاد المصرية لعدم زيادة النيل وتعذرت الاقوات حتى اكل الناس الميتة وأكل بعضهم بعضا ثم لحقهم عليه وباء وموت كثير أفنى الناس وفي شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها فاثرت في الشام آثارا قبيحة وخربت كثيرا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى وأثرت في الساحل الشامي أثرا كثيرا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلاد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا وفيها ولد ببغداد طفل له رأسان وذلك ان جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في الناس لاسيما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة وفيها ايضا توفي عيسى بن نصير النميري الشاعر وكان حسن الشعر وله أدب وفضل وكان موته ببغداد وفيها توفي العماد أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد وله باللام المشددة وهو العماد الكاتب الاصفهاني كتب لنور الدين محمود بن زنكي ولصلاح الدين يوسف بن ايوب رضي الله عنهما وكان كاتبا مفلقا قادرا على القول وفيها جمع عبد الله بن حمزة العلوي المتغلب على جبال اليمن جموعا كثيرة فيها اثنا عشر ألف فارس ومن الرجالة ما لا يحصى كثرة وكان قد انضاف اليه من جند المعز بن اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن أيوب صاحب اليمن خوفا منه وايقنوا بملك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الاسلام خوفا عظيما فاجتمع قواد عسكر ابن حمزة ليلا ليتفقوا على رأي يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثني عشر قائدا فنزلت عليهم صاعقة اهلكتهم جميعهم فاتى الخبر ابن سيف الاسلام في باقي الليلة بذلك فسار اليهم مجدا فاوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم فقتل منهم ستة آلاف قتيل او اكثر من ذلك وثبت ملكه واستقر أمره وفيها وقع في بني عنزة بارض الشراة بين الحجاز واليمن وباء عظيم وكانوا يسكنون في عشرين قرية فوقع الوباء في ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم احد وكان الانسان اذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقيت ابلهم وأغنامهم لا مانع لها وأما القريتان الاخريان فلم يمت فيهما احد ولا احسوا بشيء مما كان فيه اولئك

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك خوارزم شاه ما كان اخذه الغورية من بلاده)

قد ذكرنا في سنة سبع وتسعين ملك غياث الدين واخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمد بن تكش بخراسان ومرو ونيسابور وغيرها وعودهما عنها بعد أن اقطعا البلاد ومسير شهاب الدين الى الهند فلما اتصل بخوارزم شاه علاء الدين محمد ابن تكش عود العساكر الغورية عن خراسان ودخول شهاب الدين الهند أرسل الى

وقس على ذلك وبسبب التحجير على النيلة فلا صبغ ثياب الفقراء حتى بلغ صبغ الذراع الواحد نصف قرش والله يلطف بحال خلقه وما دام توزون له امرأة مطاعة فالميل في الجمر (ومنها) استمر التحجير على الارز ومزارعه على مثل هذا النسق بحيث ان الزراعين له المتعبانين فيه لا يمكنون من اخذ حبة منه فيؤخذ باجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثمن ثم يخدم ويضرب ويبيض في المداور والمدقات والمناشر باجرة العمال على طرفه ثم يباع بالثمن المفروض واتفق ان شخصا من ابناء البلد يسمى حسين جلبي عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهي التي يدقون بها الارز وعمل لها مثالا من الصفيح تدور باسهل طريقة بحيث ان الآلة المعتادة اذا كانت تدور باربعة أثوار فيدير هذه ثوران وقدم ذلك المثال الى الباشا فاعجبه وانعم عليه بدراهم وامره بالمسير الى دمياط ويبني بها دائرة ويهندسها برايه ومعرفته واعطاه مرسوما بما يحتاجه من الاخشاب والحديد والمصرف ففعل وصح قوله ثم فعل اخرى برشيد وراج أمره بسبب ذلك (ومنها) ان الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبي هذا قال ان في اولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف فامر ببناء مكتب بحوش السراية ويرتب فيه جملة من اولاد

غياث الدين يعاتبه و يقول كنت أعتقد ان تخلف على بعد أبى وان تنصرنى على الخطا
وتردهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا أقل من ان لا تؤذينى وتاخذ بلادى والذى أريده
ان تعيد ما أخذته منى الى والا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الاتراك ان عجزت عن
أخذ بلادى فانى انما شغلنى عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدى وتقرير أمر بلادى
والا فما أنا بعاجز عنكم وعن أخذ بلادك خراسان وغيرها فغالطه غياث الدين فى الجواب
ليمهد الايام بالمراسلات ويخرج أخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر فان غياث الدين
كان عاجزا باستيلاء النقرس عليه فلما وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين أرسل
الى علاء الدين الغورى نائب غياث الدين بخراسان يامره بالرحيل عن نيسابور و يتهدده
ان لم يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك و يعرفه ميل أهل البلد الى
الخوارزميين فاعاد غياث الدين جوابه يقوى قلبه ويعده النصرة والمنع عنه وجمع
خوارزم شاه عساكره وسار عن خوارزم نصف ذى الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة
فلما قارب نسا وابيورد هرب هندوخان ابن أخى ملك شاه من مرو الى غياث الدين بفيروز
كوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحصره وقاتله
قتالا شديدا وطال مقامه عليها وراسله غير مرة فى تسليم البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك
انتظار المدد من غياث الدين فبقى نحو شهرين فلما أبطات عليه النجدة أرسل الى خوارزم
شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغورية وانه لا يتعرض اليهم بحبس ولا غيره
من الاذى فاجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد وأحسن خوارزم شاه اليهم
ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى فى الصلح بينه
وبين غياث الدين وأخيه فاجابه الى ذلك وسار الى هراة وفيها أقطاعه ولم يمض الى
غياث الدين تجنيا عليه لتاخر أمداده ولما خرج الغورية من نيسابور وأحسن خوارزم
شاه الى الحسين بن خرميل وهو من أعيان أمرائهم زيادة على غيره وبالغ فى اكرامه فقيل
ان من ذلك اليوم استحلفه لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين وأخيه شهاب الدين ثم
سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكى فحصره أربعين يوما وجرى بين الفريقين
حروب كثيرة فضاقت الميرة على أهل البلد لاسيما الحطب فارسل زنكى الى خوارزم شاه
وطلب منه ان يتاخر عن باب البلد حتى يخرج هو وأصحابه ويترك البلد له فراسله خوارزم
شاه فى الاجتماع به ليحسن اليه والى من معه فلم يجبه الى ذلك واحتج بقرب نسبه من غياث
الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكى فاخذ من الغلات وغيرها
التى فى المعسكر ما أراد لاسيما من الحطب وعاد الى البلد وأخرج منه من كان قد ضاق به
الامر وكتب الى خوارزم شاه العود أجهد فندم حيث لم ينفعه الندم ورحل عن البلد
وترك عليه جماعة من الامراء يحصرونه فلما أبعد خوارزم شاه سار محمد بن جربك من
الطالقان وهو من أمراء الغورية وأرسل الى زنكى أمير سرخس يعرفه انه يريد يكبس
الخوارزميين لئلا ينزعج اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميون الخبر ففارقوا سرخس
وخرج زنكى والتقى محمد بن جربك وعسكرا فى مرو الروذ وأخذا خراجها وما يجاورها فسير

البلاد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن افندى المعروف بالدرويش الموصلى يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة
وعلم المقادير والقياسات
والارتفاعات واستخراج
المجهولات مع مشاركة شخص
رومى يقال له روح الدين
افندى بل واشخاص من
الافرنج واحضر لهم آلات
هندسية متنوعة من اشغال
الانكليز ياخذون بها الابعاد
والارتفاعات والمساحة
ورتب لهم شهريات وكساوى
فى السنة واستمروا على
الاجتماع بهذا المكتب
وسموه مهندس خانه فى كل
يوم من الصباح الى بعد
الظهيرة ثم ينزلون الى بيوتهم
ويخرجون فى بعض الايام الى
الخلاء لتعليم مساحات الاراضى
وقياساتها بالاقصاب وهو
الغرض المقصود للباشا
(ومنها) استمرار الانشاء فى
السفن الكبار والصغار لنقل
الغلال من قبلى وبحرى
لناحية الاسكندرية لتباع
على الافرنج من سائر اصناف
الحبوب فيشحنون السفن
من سواحل البلاد القبلية
وتاتى الى ساحل بولاق ومصر
القديمة فيصبونها كيمانا
هائلة عظيمة صاعدة
فى الهواء فتصل المراكب
البحرية لنقلها فتصبح ولا
يبقى شئ منها وياتى غيرها
وتعود كما كانت بالامس
ومثل ذلك بساحل رشيد واما الحبوب البحرية فانها لا تاتى الى هذه السواحل

اليهم خوارزم شاه عسكرا مع خاله فلقيهم محمد بن جربك وقاتلهم وحمل بلك في يده على صاحب علم الخوارزمية فضربه فقتله والقى علمهم وكسر كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا أعلامهم فانهزموا وركبهم الغورية قتلا وأسرا نحو فرسخين فكانوا ثلاثة آلاف فارس وابن جربك في تسعمائة فارس وغنم جميع عسكرهم فلما سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى خوارزم وأرسل الى غياث الدين في الصلح فاجابه عن رسالته مع أمير كبير من الغورية يقال له الحسين بن محمد المرغني ومرغن من قرى الغور فقبض عليه خوارزم شاه

(ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها)

لما أرسل خوارزم شاه الى غياث الدين في الصلح وأجابه عن رسالته مع الحسين المرغني مغالطا قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة ليحاصرها فكتب الحسين الى أخيه عمر بن محمد المرغني امير هرات يخبره بذلك فاستعد للحصار وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة ان رجلين اخوين ممن كان يخدم محمدا سلطان شاه اتصلا بغياث الدين بعد وفاة سلطان شاه فاكرمهما غياث الدين واحسن اليهما يقال لاحدهما الامير الحاجي فكاتبا خوارزم شاه واطمعاه في البلد وضمناله تسليمه اليه فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فسلم الامير عمر المرغني امير البلد مفاتح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقة منه بهما وظنا منه انهما عدوا خوارزم شاه تكش وابنه محمد بعده فاتفق ان بعض الخوارزمية اخبر الحسين المرغني عند خوارزم شاه بحال الرجلين وانهما هما اللذان يدبران خوارزم شاه ويامرانه بما يفعل فلم يصدقه وأتاه بخط الامير حاجي فاخذه وأرسله الى أخيه عمر امير هراة فاخذهما واعتقلهما واخذ اصحابهما ثم ان الب غازي وهو ابن اخت غياث الدين جاء في عسكر من الغورية فنزل على خمسة فراسخ من هراة فكان يمنع الميرة عن عسكر خوارزم شاه ثم ان خوارزم شاه سير عسكرا الى اعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسن بن جربك فقاتلهم فظفر بهم فلم يفلت منهم احد وسار غياث الدين عن فيروزكوه الى هراة في عسكره فنزل برباط رزين بالقرب من هراة ولم يقدم على خوارزم شاه لقلة عسكره لان اكثر عساكره كانت مع اخيه بالهند وغزنة فاقام خوارزم شاه على هراة اربعين يوما وعزم على الرحيل لانه بلغه انهزام اصحابه بالطالقان وقرب غياث الدين وكذلك ايضا قرب الب غازي وسمع ايضا ان شهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان وصوله اليها في رجب من هذه السنة فخاف ان يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فارسل الى امير البلد عمر المرغني فصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد واما شهاب الدين فانه لما وصل الى غزنة بلغه الخبر بما فعله خوارزم شاه بخراسان وملكه لها فسار الى خراسان فوصل الى بلخ ومنها الى باميان ثم الى مرو عازما على حرب خوارزم شاه وكان نازلا هناك فالتقت اوائل عسكريهما واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان خوارزم شاه

بل تذهب من سواحلها الى حيث هى برشيد ثم الى الاسكندرية ولما بطل البغاز جمعوا الحمير الكثيرة والجمال ينقلون عليها على طريق البر بالاجرة القليلة فكانت تموت من قلة العلف ومشقة الطريق وتوسق بها السفن الواصلة بالطلب الى بلاد الافرنج بالثمن عن كل اردب من البرستة آلاف فضة واما الفول والشعير والحلبة والذرة وغيرها من الحبوب والادهان فاسعارها مختلفة ويعوض بالبضائع والنقود من الفرانسة معباة فى صناديق صغيرة تحمل الثلاثة منها على بعير الى الخزينة وهى مصفحة بالحديد يمرون بها قطارات الى القلعة وعند قلة الغلال ومضى وقت الحصاد يتقدم الى كشاف النواحى القبلية والبحرية بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد من القمح والفول والذرة ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين وهم ايضا يعملون بفلاحى بلادهم ما يعملون بجورهم واغراضهم ويأخذون الاقوات المدخرة للعيال وذلك بالثمن عن كل اردب من البرغمانية ريالات يعطى له نصفها ويبقى له النصف الثانى ليحسب له من اصل المال الذى سيطالب به فى العام القابل (ومنها) ان الباشا سمح له ان ينشئ بالمحل المعروف براس الوادى بشرقية

ارتحل

ارتحل عن مكانه شبه المنهزم وقطع القناطر وقتل الامير سنجر صاحب نيسابور لانه اتهمه بالمظاهرة عليه وتوجه شهاب الدين الى طوس فاقام بها ثلاث الشتوة على عزم المصير الى خوارزم ليحصرها فاتاه الخبر بوفاة اخيه غياث الدين فقصد هراة وترك ذلك العزم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة درس مجد الدين ابو على يحيى بن الربيع الفقيه الشافعى بالنظامية ببغداد فى ربيع الاول وفيها توفيت بنفشة جارية الخليفة المستنصر بامر الله وكان كثير الميل اليها والمحبة لها وكانت كثيرة المعروف والاحسان والصدقة وفيها ايضا توفى الخطيب عبد الملك بن زيد الدولعى خطيب دمشق وكان فقيها شافعيا والدولعية قرية من اعمال الموصل

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة)

(ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها)

فى هذه السنة فى المحرم سير الملك العادل ابو بكر بن ايوب صاحب دمشق ومصر عسكرا مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشعثوا على اعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل وسنجار وغيرهما ونزلوا بخرزم تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعية وهى لصاحب ماردين يقطعون الميرة عن العسكر العادلى فسار اليهم طائفة من العسكر العادلى فاقتتلوا فانهزم عسكر البارعية وثار التركمان وقطعوا الطريق فى تلك الناحية واكثروا الفساد فتعذر سلوك الطريق الا لجماعة من ارباب السلاح فسار طائفة من العسكر العادلى الى راس العين لاصلاح الطرق وكف عادية الفساد واقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب فى الصلح بينهم وارسل الى عمه العادل فى ذلك فاجابه اليه على قاعدة ان يحمل له صاحب ماردين مائة وخمسين الف دينار فى صرف الدينار احد عشر قيراطا من اميرى ويخطب له ببلاده ويضرب اسمه على السكة ويكون عسكره فى خدمته اى وقت طلبه واخذ الظاهر عشرين الف دينار من النقد المذكور وقرية القرادى من اعمال شبختان فرحل ولد العادل عن ماردين

(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشئ من سيرته)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام الغورى صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها واخفيت وفاته وكان اخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة اخيه فسار الى هراة فلما وصل اليها جلس للعزاء باخيه فى رجب واظهرت وفاته حينئذ وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود لقب بعد موت ابيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرا ولما سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الامير محمد بن جربك فسار اليه جماعة من الامراء الخوارزمية فخرج اليهم محمد ليلا وبيتهم فلم ينج منهم الا القليل وانفذ الاسرى والرؤس الى هراة

بالبيمر سواقى وعمارات ومزارع واشجار توت وزيتون فذهب هناك وكشف عن اراضيه فوجدها مقسمة وخالية من المزارع وهى اراضى رمال واودية فوكل اناسا لاصلاحها وتمهيدها وان يحفروا بها جملة من السواقى تزيد عن الالف ساقية ويبنوا ابنية ومساكن ويزرعوا اشجار التوت لتربية دود القز واشجارا كثيرة من الزيتون لعمل الصابون وشرعوا فى العمل والحفر والبناء وفى انشاء توابيت خشب للسواقى تصنع ببيت الجبجى بالتبانة وتحمل على الجمال الى راس الوادى شيئا بعد شئ وامر ايضا ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه مثل الذى يصنع ببلاد الشام وتوكل بذلك السيد احمد بن يوسف فخر الدين وعمل به احواضا كبيرة للزيت والقلى (ومن المتجددات) ايضا محل بخطة تحت الربع يعمل به وتسبك اوان ودسوت من النحاس فى غاية الكبر والعظم (ومنها) شغل البارود وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة بالقرب من المقياس بعد ان يستخرجوه من كيمان السباخ فى احواض مبنية ومخفقة ثم يكررونه بالطبخ حتى يكون بطه غاية فى البياض والجودة كالذى يجلب من بلاد الافرنج وكثر والمتقيد كبيرا على صناعته شخص افرنجى ولهم معالم

فامر شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم على طريق الرمل وجهز خوارزم شاه جيشا وسيرهم مع برفور التركى الى قتال محمد بن جربك فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو فاقتتلوا قتالا شديدا قتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغورية ودخل محمد بن جربك مروفى عشرة فرسان وجاء الخوارزميون فحصروه خمسة عشر يوما فضعف عن الحفظ فارسل فى طلب الامان فحلفوا له ان خرج اليهم على حكمهم انهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه واخذوا كل ما معه وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وترددت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فلم يستقر الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن اخيه البغازى وفلك الملك علاء الدين محمد بن ابى على الغورى على مدينة فيروزكوه وجعل اليه حرب خراسان وأمر كل ما يتعلق بالمملكة وأتاه محمود ابن أخيه غياث الدين فولاه مدينة بست واسفرار وتلك الناحية وجعله بمعزل من الملك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد أبيه ولا على غيره من اهله فمن جملة فعله ان غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنية فهويها وتزوجها فلما مات غياث الدين قبض عليها وضربها ضربا مبرحا وضرب ولدها غياث الدين وزوج اختها واخذ اموالهم واملاكهم وسيرهم الى بلد الهند فكانوا فى اقبح صورة وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها اباها وامها واخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم منها واما سيرة غياث الدين واخلاقه فانه كان مظفرا منصورا فى حروبه لم تنهزم له راية قط وكان قليل المباشرة للحروب وانما كان له دهاء ومكر وكان جوادا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بنى المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعى وبنى الخانقاهات فى الطرق واسقط المكوس ولم يتعرض الى مال احد من الناس ومن مات ببلده يسلم ماله الى أهل بلده من التجار فان لم يجد احدا يسلمه الى القاضى ويختم عليه الى ان يصل من ياخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلد عم احسانه اهله والفقهاء واهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كل سنة من خزانته ويفرق الاموال فى الفقراء وكان يراعى كل من وصل الى حضرته من العلويين والشعراء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خط وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها فى المدارس التى بناها ولم يظهر منه تعصب على مذهب ويقول التعصب فى المذاهب من الملك قبيح الا انه كان شافعى المذهب فهو يميل الى الشافعية من غير ان يطمعهم فى غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم

(ذكر أخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل)

فى هذه السنة اخذ الظاهر غازى قلعة نجم من اخيه الافضل وكانت فى جملة ما اخذ من العادل لما صالحه سنة سبع وتسعين فلما كان هذه السنة اخذ العادل من الافضل سروج وجملين وراس العين وبقى بيده سميساط وقلعة نجم فارسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن له انه يشفع الى عمه العادل فى اعادة ما اخذه منه فلم يعطه فتهدده بان

يكون

تصرف فى كل شهر ومكان ايضا بالقلعة عند باب الينكجرية لسبك المدافع وعملها وقياساتها وهندستها والبنبات وارتفاعها ومقاديرها وسمى ذلك المكان الطبخانه وعليه رئيس وكتبة وصناع ولهم شهريات (ومنها) شدة رغبة الباشا فى تحصيل الاموال والزيادة من ذلك من اى طريق بعد استيلائه على البلاد والاقطاعات والرزق الاحباسية وابطال الفراغ والبيع والشراء والحلول عن الموتى من ذلك والعلوفات وغلال الانبار ونحو ذلك فكل من مات عن حصته او رزقته او مرتب انحل بموته ما كان على اسمه وضبط وأضيف الى ديوانه ولو له اولاد او كان هو كتبه باسم اولاده وماتت اولاده قبله انحل عنه واصبح هو واولاده من غير شئ فان عرض حاله على الباشا امر بالكشف عن ايراده فان وجدوا بالدفاتر جهة او وظيفة اخرى قيل له هذه تكفيك وان لم يوجد فى حوزه خلافها امر له بشئ يستغله من اقلام المكوس اما قرش او نصف قرش فى كل يوم او نحو ذلك هذا مع التفاته ورغبته فى انواع التجارات والشركات وانشاء السفن ببحر الروم والقلزم واقام له وكلاء بسائر الاساكل حتى ببلاد فرانسه والانكليز ومالطه وازمير وتونس والنابلطان والونديك والبنادقة واليمن والهند واعطى اناسا جملا عظيمة من

يكون الباء عليه ولم تزل الرسل تتردد حتى سلمها اليه فى شعبان وطلب منه ان يعوضه
قرى او مالا فلم يفعل وكان هذا من اقبح ما سمع عن ملك يزاحم اخاه فى مثل قلعة نجم
مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده ووعدها الاخيه واما العادل فانه لما اخذ سروج
وراس العين من الافضل ارسل والدته اليه لتسال فى ردها فلم يشفعها وردها خائبة
ولقد عوقب البيت الصلاحى بما فعله ابوهم مع البيت الاتابكى فانه لما قصد حصار
الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين اليه
يسالانه ان يعود فلم يشفعهما فجرى لاولاده هذا وردت زوجته خائبة كما فعل ولما راى
الافضل عمه واخاه قد اخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان
صاحب ملطية وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون فى خدمته
ويخطب له ببلده ويضرب السكة باسمه فاجابه ركن الدين الى ذلك وارسل له خلعة
فلبسها الافضل وخطب له بسميساط فى سنة ستمائة وصار فى جملته

﴿ذكر ملك الكرج مدينة دوين﴾

فى هذه السنة استولى الكرج على مدينة دوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها
واكثروا القتل فى اهلها وكانت هى وجميع بلاد اذربيجان للامير ابى بكر بن البهلوان
وكان على عادته مشغولا بالشرب ليلا ونهارا لا يفيق ولا يصحو ولا ينظر فى امر مملكته
ورعيته وجنده قد القى الجميع عن قلبه وسلك طريق من ليس له علاقة وكان اهل
تلك البلاد قد اكثرت الاستغاثة اليه واعلامه بقصد الكرج بلادهم بالغارة مرة بعد
اخرى فكانهم ينادون صخرة صماء فلما حصر الكرج هذه السنة مدينة دوين سار
منهم جماعة يستغيثون فلم يغثهم وخوفه جماعة من امرائه عاقبة اهماله وتوانيه
واصراره على ما هو فيه فلم يصغ اليهم فلما طال الامر على اهلها ضعفوا وعجزوا واخذهم
الكرج عنوة بالسيف وفعلوا ما ذكرناه ثم ان الكرج بعد ان استقر امرهم بها احسنوا الى
من بقى من اهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويسهل لثغورهم من يحفظها ويحميها
فانها مستباحة لا سيما هذه الناحية فانا لله وانا اليه راجعون فقد بلغنا من فعل
الكرج باهل دوين من القتل والسبي والاسر ما تقشعر منه الجلود

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة احضر الملك العادل محمدا ولد العزيز صاحب مصر الى الرها وذلك انه
لما قطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين كما ذكرناه خاف شيعة ابيه ان يجتمعوا
عليه ويصير له معهم فتنة فاخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثم نقله هذه السنة الى
الرها فاقام بها ومعه جميع اخوته واخواته ووالدته ومن يخصه وفيها فى رجب توفى الشيخ
وجيه الدين محمد بن محمود المروروذى الفقيه الشافعى وهذا الذى كان السبب فى ان
صار غياث الدين شافعيا وفى ربيع الاول منها توفى ابو الفتح عبيد الله بن ابى المعمر
الفقيه الشافعى المعروف بالمستملى ببغداد وله خط حسن وفى ربيع الآخر توفيت

اموال يسافرون بها ويجلبون البضائع وجعل لهم الثلث فى الربح فى نظير سفرهم ٨٥ وخدمتهم فمن ذلك انه اعطى للرئيس
حسن المحروقى خمسمائة
الف فرانسه يسافر بها الى
الهند ويشترى البضائع الهندية
وياتى بها الى مصر ولشخص
نصرانى ايضا ستمائة الف
فرانسه وكذلك لمن يذهب
الى بيروت وبلاد الشام ليشترى
القز والحرير وغير ذلك وعمل
بمصر اماكن ومصانع لنسج
القطانى التى يتخذها الناس
فى ملابسهم من القطن والحرير
وكذلك الجنفس والصندل
واحتكر ذلك باجمعه وابطل
دواليب الصناع لذلك ومعلميهم
واقامهم يشتغلون وينسجون
فى المناسج التى احدثها
بالاجرة وابطل مكاسبهم ايضا
وطرائقهم التى كانوا عليها
فيأخذ من ذلك ما يحتاجه فى
اليلكات والكساوى وما زاد
يرميه على التجار وهم يبيعونه
على الناس باغلى ثمن وبلغ ثمن
الدرهم من الحرير خمسة
وعشرين نصفا بعد ان كان
يباع بنصفين (ومنها) انه
ابطل ديوان المنجرة وهى
عبارة عما يؤخذ من المعاشات
وهى المراكب التى تغدو
وتروح لموارد الارياف مثل
شيبين الكوم ومنوف والبلاد
البحرية وعليها ضرائب
وفرائض لملتزم بذلك وهو
شخص يسمى عليا الجزار
وسبب ذلك ان معظم المراكب
التى تصعد بحر النيل وتنحدر من انشاء الباشا ولم يبق غيره الا القليل جدا والعمل والانشاء بالترسخانة مستمر

زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله وأخرجت جنازتها ظاهرة وصلى الخلق الكثير عليها ودفنت فى التربة التى بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف

(ثم دخلت سنة ستمائة)

(ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية)

فى هذه السنة أول رجب وصل خوارزم شاه محمد الى مدينة هراة فحصرها وبها الب غازى ابن اخت شهاب الدين الغورى ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين فى الصلح فلم يتم وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوور عازما على غزو الهند فاقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دائما والقتل من الفريقين كثيرا وممن قتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس وكان الحسين بن خرميل بكرزبان وهى اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له أرسل الى عسكر لأسلم اليهم الفيلة وخزانة شهاب الدين فارسل اليه ألف فارس من أعيان عسكره الى كرزبان فخرج عليهم هو والحسين بن محمد المرغنى فقتلوهم الا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط فى يديه وندم على انفاذ العسكر وارسل الى الب غازى يطلب منه ان يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانية ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتفق ان الب غازى مرض واشتد مرضه فخاف ان يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح وأهدى له هدية جليلة وخرج من البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميتا ولم يشعر أحد بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق المجانيق وسار الى سرخس فاقام بها

(ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا)

فى هذه السنة فى رمضان عاد شهاب الدين الغورى الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت ألب غازى نائبه بها فعاد حنقا على خوارزم شاه فلما بلغ ميمند عدل الى طريق أخرى قاصدا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الى لاحاربك والا سرت الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس الى مرو فاقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلك تنهزم كما فعلت تلك الدفعة لكن خوارزم تجمعنا ففرق خوارزم شاه عساكره وأحرق ما جمعه من العلف ورحل يسابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق وأجرى المياه فيها فتعذر على شهاب الدين سلوكها وأقام أربعين يوما يصلحها حتى أمكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوقرا ومعناه الماء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثرت القتلى فيه بين الفريقين وممن قتل من الغورية الحسين المرغنى وغيره وأسر جماعة من الخوارزمية فامر شهاب الدين بقتلهم فقتلوا وأرسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينئذ أصحاب ما وراء النهر فاستعدوا وساروا الى بلاد الغورية فلما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فلقى أوائلهم فى صحراء اندخوى أول صفر سنة احدى وستمائة فقتل

فيهم

على الدوام والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالاجرة وعمارة لحالها واحبالها وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانه ولذلك مباشرون وكتاب وامناء يكتبون و يقيدون الصادر والوارد وهذه الترسخانه بساحل بولاق بها الاخشاب الكثيرة والمتنوعة وما يصلح للعمائر والمراكب و ياتى اليها المجلوب من البلاد الرومية والشامية فاذا ورد شئ من انواع الاخشاب سمع والخشابة بشئ يسير منها بالثمن الزائد و رفع الباقى الى الترسخانه وجميع الاخشاب الواردة و الاحطاب جميعها فى متاجر الباشا وليس لتجارها الا ما كان من داخل متاجره وهو القليل (ومن النوادر) انه وصل من بلاد الانكليز سواقى بالآلات الحديد تدور بالماء فلم يستقم لها دوران على بحر النيل (ومنها) انه انشا جسرا ممتدا من ناحية قنطرة الليمون على يمنة السالك الطريق بولاق متصلا الى شبرا على خط مستقيم وزرعوا بحافتيه اشجار التوت وعلى هذا النسق جسور بطرق الارياف والاقاليم (ومنها) ان اللحم قل وجوده من اول شهر رجب الى غاية السنة وغلا سعره مع رداءته وهزاله حتى بيع الرطل بعشرين نصفا وازيدوا قل مع ما فيه من العظام واجزاء السقط والشغت وسبب ذلك رواتب الدولة وأخذها بالثمن القليل فيستعوض الجزارون خسارتهم من الناس وكان

فيهم وأسر كثيرا فلما كان اليوم الثاني دهمه من الخطا مالا طاقة له بهم فانهزم المسلمون
هزيمة قبيحة وبقي شهاب الدين في نفر يسير وقتل بيده أربعة افيال له لانها اعيت واخذ
الكفار فيلين ودخل شهاب الدين اندخوى فيمن معه وحصره الكفار ثم صالحوه على
أن يعطيهم فيلا آخر ففعل وخلص ووقع الخبر في جميع بلاده بانه قد عدم وكثرت
الاراجيف بذلك ثم وصل الى الطالقان في سبعة نفر وقد قتل أكثر عسكره ونهبت
خزائنه جميعها فلم يبق معه شيء فاخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خياما
وجميع ما يحتاج اليه وسار الى غزنة وأخذ معه الحسين بن خرميل لانه قيل له عنه انه شديد
الخوف لانهزامه وانه قال اذا سار السلطان هربت الى خوارزم شاه فاخذه معه وجعله أمير
حاجب ولما شاع الخبر بقتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو مملوك اشتراه شهاب
الدين أصحابه وقصد قلعة غزنة ليصعد اليها فمنعه مستحفظها فعاد الى داره فاقام بها
وأفسد الخلج وسائر المفسدين في البلاد وقطعوا الطرق وقتلوا كثيرا فلما عاد شهاب
الدين الى غزنة بلغه ما فعله الدز فاراد قتله فشفع فيه سائر المماليك فاطلقه ثم اعتذر
وسار شهاب الدين في البلاد فقتل من المفسدين من تلك الامم نفرا كثيرا وكان له أيضا
مملوك آخر اسمه أيبك بال ترفه لم من المعركة ولحق بالهند ودخل المولتان وقتل نائب
السلطان بها وملك البلد وأخذ الاموال السلطانية وأساء السيرة في الرعية وأخذ
أموالهم وقال قتل السلطان وأنا السلطان وكان يحمله على ذلك ويحسنه له انسان اسمه
عمر بن يزان وكان زنديقا ففعل ما أمره وجمع المفسدين وأخذ الاموال فاخاف الطريق
فبلغ خبره الى شهاب الدين فسار الى الهند وأرسل اليه عسكرا فاخذوه ومعه عمر بن يزان
فقتلهما أقبح قتلة وقتل من وافقهما في جمادى الآخرة من سنة احدى وستمائة ولما
رآهم قتلى قرأ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا
او يصلبوا الآية وامر شهاب الدين في جميع بلاده بالتجهز لقتال الخطا وغزوهم والاخذ
بثارهم وقيل كان سبب انهزامه انه لما عاد الى الخطا من خوارزم فرق عسكره في
المفازة التي في طريقه لقلة الماء وكان الخطا قد نزلوا على طرف المفازة فكلما خرج من
أصحابه طائفة فتكوا فيهم بالقتل والاسر ومن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع
اليه أحد يعلم الحال وجاء شهاب الدين في ساقة العسكر في عشرين ألف فارس ولم يعلم
الحال فلما خرج من البرية لقيه الخطا مستريحين وهو ومن معه قد تعبوا وأعيوا وكان
الخطا أضعاف أصحابه فقاتلهم عامة نهاره وحمى نفسه منهم وحصروه في اندخوى فجرى
بينهم في عدة أيام أربعة عشر مصافا منها مصاف واحد كان من العصر الى بكرة الغد ثم
انه بعد ذلك سير طائفة من عسكره ليلا سرا وأمرهم أن يرجعوا اليه بكرة كأنهم قد أتوه
مددا من بلاده فلما فعلوا ذلك خافه الخطا وقال لهم صاحب سمرقند وكان مسلما وهو
في طاعة الخطا وقد خاف على الاسلام والمسلمين ان هم ظفروا بشهاب الدين فقال لهم ان
هذا الرجل لا تجد قط أضعف منه لما خرج من المفازة ومع ضعفه وتعبه وقلة من معه

البعض من العسكر يشتري الاغنام ويذبحها او يبيعها بالثمن الغالي ويتقص الوزن ولا يقدر ابن البلد على
مراجعته (ومنها) ان ابراهيم
اغا الذي كان كتخدا ابراهيم
باشا قلده الباشا كشوفية
المنوفية فمن أفاعيله انه يطلب
مشايخ البلدة او القرية
فيسأل الشخص منهم على
من شيخه فيقول استاذ البلدة
فيقول له في أي وقت فيقول
سنة كذا فيقول وما الذي
قدمته له في شيء اخترته ويهدده
او يحبسه على الانكار
او يخبر من بادئ الامر ويقول
أعطيته كذا وكذا اما دراهم
او اغناما فيأمر الكاتب
بتقييده وتحريره وضبطه على
الملتزم وسطر بذلك دفترا
وأرسله الى الديوان ليخصم
على الملتزمين من فائظهم
المحرر لهم بالديوان فيتفق ان
المحرر عليه يزيد على القدر
المطلوب له فيطالب بالباقي
او يخصم عليه من السنة
القابلة (ومنها) التحجير على
القصب الفارسي فلا يتمكن
أحد من شراء شيء منه ولو
قصبة واحدة الا بمرسوم من
كتخدا بك فمن احتاج منه في
عمارة أو شباك اولدوارات
الحرير او اقصاب الدخان
أخذ فرمانا بقدر احتياجه
واحتاج الى وسائط ومعالجات
واحتجاجات حتى يظفر
بمطلوبه (ومنها) وهي من
محاسن الافعال ان الباشا أعمل همته في اعادة السد الاعظم الممتد الموصل الى الاسكندرية وقد كان اتسع

أمره وتخرب من مدة سنين وزحف منه ماء البحر المالح وأتلف أراضي كثيرة وخربت منه قرى ومزارع
وتعطلت بسببه الطرق
والمسالك وعجزت الدول في
أمره ولم يزل يتزايد في التهور
وزحف المياه المالحة على
الاراضي حتى وصلت الى
خليج الاشرفية التي يمتلئ منها
صهاريج الثغر فكانوا
يجسرون عليه بالاتربة
والطين فلما اعتنى الباشا
بتعمير الاسكندرية وتشييد
أركانها وابراجها وتحصينها
ولم تزل بها العمارات اعتنى
أيضا بامر الجسر وأرسل اليه
المباشرين والقومة والرجال
والفعلة والنجارين والبنائين
والمسامير وآلات الحديد
والاحجار والمؤن والاخشاب
العظيمة والسهوم والبراطيم
حتى تممه وكان له مندوحة
لم تمكن لغيره من ملوك هذه
الازمان فلو وفقه الله لشئ
من العدالة على ما فيه من
العزم والرياسة والشهامة
والتدبير والمطاولة لكان
أعجوبة زمانه وفريد أوانه
وأما أمر المعاملة فلم يزل حالها في
التزايد حتى وصل صرف
الريال الفرانسه الى تسعة
قروش وهو أربعة امثال
الريال المتعارف ولما بطل
ضرب القروش من العام
الماضي ضربوا بدلها انصاف
قروش وارباعها واثمانها
وتصرف بالفرط والانصاف
العددية لاوجود لها بايدى الناس الا ما قل جدا

لم نظفر به والامداد أتته وكأنكم بعساكره وقد أقبلت من كل طريق وحينئذ نطلب الخلاص منه فلا نقدر عليه والرأى أننا اصالحه فاجابوا الى ذلك فارسلوا اليه في الصلح وكان صاحب سمرقند قد أرسل اليه وعرفه الحال سرا وأمره باظهار الامتناع من الصلح أولا والاجابة اليه أخيرا فلما أتته الرسل امتنع وأظهر القوة بانتظار الامداد وطال الكلام فاصطلحوا على ان الخطا لا يعبرون النهر الى بلاده ولا يعبر الى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد الى بلاده والباقي نحو ما تقدم

﴿ذكر قتل طائفة من الاسماعيلية بخراسان﴾

في هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغورى من عند مقدم الاسماعيلية بخراسان برسالة انكرها فامر علاء الدين محمد بن أبي على متولى بلاد الغورية بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار في عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزم شاه ونزل علاء الدين على مدينة قاين وهي للاسماعيلية وحصرها وضيق على أهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين على ما نذكره فصالح اهلها على ستين ألف دينار ركنية ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فاخذه وقتل المقاتلة وسبي الذرية ورحل الى هراة ومنها الى فيروز كوه

﴿ذكر ملك القسطنطينية من الروم﴾

في هذه السنة في شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينية من الروم وأزالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم بها تزوج أخت ملك افرنسيس وهو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا ثم وثب على الملك اخ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدس فاخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصد الاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيها وكان بالقسطنطينية من الروم من يريد الصبي فالقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من أبواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شئ وأخرجوا اباه من السجن الا ان الفرنج هم الحكام في البلد فثقلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموالا عجزوا عنها وأخذوا اموال البيع وما فيها من ذهب ونقرة وغير ذلك حتى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الاناجيل من ذلك أيضا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ستمائة

فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضعفوا ضعفا كثيرا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفا ولعظم البلد لا يظهر أمرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة أيام وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فاصبح الروم كلهم ما بين قتيل أو فقير لا يملك شيئا ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى سوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسلون بها الى الفرنج ليبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم أجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وهو شيخ أعمى اذا ركب تقاد فرسه والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والآخر يقال له كند افلند وهو اكثرهم عددا فلما استولوا على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كند افلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة عليه ملكوه عليها وعلى ما يجاورها وتكون لدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التي هي شرقي الخليج مثل ازنيق ولاذيق فلم يحصل لاحد منهم شيء غير الذي اخذ القسطنطينية وأما الباقي فلم يسلم من به من الروم وأما البلاد التي كانت لملك القسطنطينية شرقي الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها ازنيق ولاذيق فانها تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه اشكرى وهي بيده الى ان توفي

(ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادلية)

في هذه السنة في العشرين من شوال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادلية وسبب ذلك ان نور الدين كان بينه و بين عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وحشة مستحكمة أولا فاتفقا وسار معه الى ميافارقين سنة خمس وتسعين وقد ذكرناه فلما كان الآن أرسل الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق و بلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له فلما سمع نور الدين ذلك سار الى مدينة نصيبين سلخ شعبان وهي لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فبينما هو يحاصرها وقد أشرف على ان يتسلمها اتاه الخبر ان مظفر الدين بوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل قد قصد أعمال الموصل فنهب نينوى واحرق غلاتها فلما بلغه ذلك من نائبه المرتب بالموصل يحفظها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ونهبه جزاء عما فعل

فاذا اراد انسان منها دفع في ابدالها عشرة قروش عنها اربعمائة نصف فضة زيادة على المبدل ان كان ذهبا او فرانسه او قروشا ووصل صرف البندقي الى ثمانمائة نصف والمجر ثمانية عشر قرشا والمحبوب المصري الى اربعمائة والاسلامبولي الى اربعمائة وثمانين كل ذلك اسماء لا مسميات لانعدام الانصاف مع انه يضرب منها القناطير والقناطير يأخذها التجار الشاميون والروميون بالفرط ثم يرسلونها متاجر بدلا عن البضائع لان الريال في تلك البلاد صرفه ثلثمائة نصف فقط فيكون فيه من الربح ستون نصفا في كل ريال ولما علم الباشا ذلك جعل يرسل لوكلائه بالشام في كل شهر الف كيس من الفضة العددية ويأتيه بدلها فرانسه فيضيف عليها ثلاثة امثالها نحاسا او يضربها فضة عددية فيربح فيها ربحا بدون حد عظيما وهكذا من هذا الباب فقط (ومن حوادث السنة) الآفاقية واقعة الانكليز مع اهل الجزائر وهو ان لاهل الجزائر صولة واستعدادا وغزوات في البحر ويغزون مراكب الافرنج ويغتنمون منها غنائم ويأخذون منهم اسرى وتحت ايديهم من اسارى الانكليز وغيرهم شيء كثير وميناتهم حصينة يدور بها سور خارج في البحر كنصف الدائرة في غاية الضخامة والمتانة ذو ابراج مشحونة بالمدافع والقنابر

صاحبها يلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفر الدين الى بلده وتحقق نور الدين ان الذى قيل له وقع فيه زيادة فسار الى تل اعفر من بلد وهى لصاحب سنجار وحصرها وأخذها ورتب امورها واقام عليها سبعة عشر يوما وكان الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل ابن ايوب قد سار من مدينة حران الى راس عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اتفق هو ومظفر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من أخذ شئ من بلاده وكلهم خائفون منه ولم يمكنهم الاجتماع وهو على نصيبين فلما فارقها نور الدين سار الاشرف اليها واتاه أخوه نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعاء ريبا من بوشرى وسار نور الدين من تل اعفر الى كفر زمار وعزم على المطاولة ليتفرقوا فاتاه كتاب من بعض مماليكه يسمى جرديك وقد أرسله يتجسس اخبارهم فيقللهم فى عينه ويطمعه فيهم ويقول ان أذنت لى لقيتهم بعفردى فسار حينئذ نور الدين الى بوشرى فوصل اليها من الغد الظهر وقد تعبت دوابه وأصحابه ولقوا شدة من الحر فنزل بالقرب منهم أقل من ساعة واتاه الخبر ان عساكر الخصم قد ركبوا فركب هو وأصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم أثرا فعاد الى خيامه ونزل هو وعساكره وتفرق كثير منهم فى القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فجاءه من أخبره بحركة الخصم وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدموا اليهم وبينهم نحو فرسخين فوصلوا وقد ازداد تعبهم والخصم مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم يطل الحرب بينهم حتى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو أيضا وطلب الموصل فوصل اليها فى أربعة أنفس وتلاحق الناس وأتى الاشرف ومن معه فنزلوا فى كفر زمار ونهبوا البلاد نهبا قبيحا وأهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيما مدينة بلد فانهم أفحشوا فى نهبها ومن أعجب ما سمعنا ان امرأة كانت تطبخ فرأت النهب فالقت سوارين كانتا فى يديها فى النار وهربت فجاء بعض الجند ونهب ما فى البيت فرأى فيه بيضا فاخذه وجعله فى النار ليأكله فرأى السوارين فيها فاخذهما وطال مقامهم والرسل تتردد فى الصلح فوقف الامر على اعادة تل اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاولى وتوقف نور الدين فى اعادة تل اعفر فلما طال الامر سلمها اليهم واصطلحوا أوائل سنة احدى وستمائة وتفرقت العساكر من البلاد

(ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلاد الاسلام والصلح معهم)

فى هذه السنة خرج كثير من الفرنج فى البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك لملكهم قسطنطينية وأرسوا بعكا وعزموا على قصد البيت المقدس حرسه الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكا ساروا فنهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحى الاردن وسبوا وفتكوا فى المسلمين وكان الملك العادل بدمشق فارسل فى جمع العساكر من بلاد الشام ومصر وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا وأغاروا على كفر كنا فاخذوا كل من بها وأموالهم والامراء يحثون

والمرابطين والمحاربين ومراكبهم من داخله فوصل اليهم بعض مراكب الانكليز ومعهم مرسوم من السلطان العثمانى ليفتدوا اسارهم بمال فاعطوهم ما يزيد عن الالف أسير ودفعوا عن كل رأس أسير مائة وخمسين فرانسا ورجعوا من حيث أتوا وبعد مدة وصل منهم بعض سفائن الى خارج الميناء رافعين اعلام السلم والصلح فعبروا داخل الميناء من غير ممانع ونزل منهم انفار فى فلوكة وبيدهم مرسوم بطلب باقى الاسرى فامتنع حاكمهم من ذلك وترددوا فى المخاطبات وفى اثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم وشلنبات وهى المراكب الصغار المعدة للحرب وصبروا مع مساعدة الريح الى الميناء واثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستجدة فاحرقوا مراكب اهل الجزائر مع المضاربة ايضا من اهل المدينة مع تاخر استعدادهم وسرعة استعداد الخصم ومدافع الابراج الداخلة لا تصيب الشلنبات الصغيرة المتسفلة وهم لا يخطؤن ثم هم فى شدة الغارة والحرب اذ قيل لحاكم بان عساكره الاتراك تركوا المحاربة واشتغلوا بنهب البلدة واحراق الدور فسقط فى يده واحتار فى امره ما بين قتال العدو الواصل او قتال عسكره ومنعهم وكفهم عن النهب والاحراق والفساد وهذا شانهم فلم يسعه الا خفض الاعلام وطلب الامان من الانكليز فعند ذلك ابطلوا الحرب وكفوا عن الضراب

العادل على قصد بلادهم ونهبها فلم يفعل فبقوا كذلك الى ان انقضت السنة وذلك سنة احدى وستمائة فاصطلح هو والفرنج على دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من المناصفات فى الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فقاتلهم وكان فى قلة فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج

(ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش)

قد ذكرنا قبل تغلب كوكجة مملوك البهلوان على الرى وهمذان وبلد الجبل وبقى الآن وكان قد اصطنع مملوكا آخر كان للبهلوان اسمه ايتغمش وقدمه وأحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك وغيرهم ثم قصد كوكجة فتصافا واقتتل الفريقان فقتل كوكجة فى الحرب واستولى ايتغمش على البلاد وأخذ معه اوزبك ابن البهلوان له اسم الملك وايتغمش هو المدبر والقيم بامر المملكة وكان شهما شجاعا ظالما وكان كوكجة عادلا حسن السيرة رحمه الله

(ذكر وفاة ركن الدين بن قلج ارسلان وملك ابنه بعده)

وفى هذه السنة سادس ذى القعدة توفى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود ابن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطية وقونية وكان موته بمرض القولنج فى سبعة أيام وكان قبل مرضه بخمسة أيام قد غدر باخيه صاحب انكورية وتسمى أيضا انقرة وهى مدينة منيعة وكان مشاققا لركن الدين فحصره عدة سنين حتى ضعف وقلت الاقوات عنده فاذعن بالتسليم على عوض يأخذه فعوضه قلعة فى اطراف بلاده وحلف له عليها فنزل أخوه عن مدينة انقرة وسلمها ومعه ولدان له فوضع ركن الدين عليه من أخذه وأخذ اولاده معه فقتله فلم يمض غير خمسة ايام حتى اصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده قلج ارسلان وكان صغيرا فبقى فى الملك الى بعض سنة احدى وستمائة واخذ منه على ما نذكره هنالك وكان ركن الدين شديدا على الاعداء قيما بامر الملك الا ان الناس كانوا ينسبونه الى فساد الاعتقاد كان يقال انه يعتقد مذهب الفلاسفة وكان كل من يرمى بهذا المذهب ياوى اليه ولهذه الطائفة منه احسان كثير الا انه كان عاقلا يحب ستر هذا المذهب لئلا ينفر الناس عنه حكى لى عنه انه كان عنده انسان وكان يرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يوما عنده فقيه فتناظرا فاظهر شيئا من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه اليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين يجرى على مثل هذا فى حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلمت لقتلنا جميعا ولا يمكن اظهار ما تريده أنت

(ذكر قتل الباطنية بواسط)

وترددوا فى الصلح على شرائطهم التى منها تسليم بواقى الاسرى واسترداد المال ٩١ الذى سلموه فى الفداء السابق حالا من غير مهلة فكان ذلك وتسلموا الاسرى وفيهم من كان صغيرا واسلم وقرأ القرآن واتفقوا على المتاركة والمهلة زمنا مقداره ستة اشهر ورجعوا الى بلادهم بالظفر والاسرى والامر لله وحده ثم ان الجزائرلية اجتهدوا فى تعمير ما تهدم وتخرب من السور والابراج والجامع فى الحرب وكذلك ما اخربه عساكرهم الذين هم اعدى من الاعداء واضر ما يكون على الاسلام واهله وصارت الاخبار بذلك فى الآفاق وامدهم سلطان المغرب مولاى سليمان وبعث اليهم مراكب عوضا عن الذى تلف من مراكبهم فارسل اليهم معمرين وادوات ولوازم عمارات وكذلك حاكم تونس وغيرها ومن السلطان العثمانى ايضا ولم يتفق فيما نعلم لاهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة ولا اشنع منها وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوال من السنة وهو يوم عيد الفطر وكان عيدا عليهم فى غاية الشناعة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(واما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر) مات الشيخ الفهامة والنحرير العلامة الفقيه النحوى الاصولى ابراهيم البسيونى البجيرمى الشافعى وهو ابن اخت الشيخ موسى البجيرمى الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد حضر

في هذه السنة في رمضان قتل الباطنية بواسط وسبب كونهم بها وقتلهم انه ورد اليها رجل يعرف بار كم محمد بن طالب بن عصية واصله من القاروب من قرى واسط وكانا باطنيا ملحدا ونزل بمجاور الدور بني الهروي وغشيه الناس وكثر اتباعه وكان ممن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابوني فاتفق انه اجتاز بالسويقة فكلمه رجل نجار في مذهبهم فرد عليه الصابوني ردا غليظا فقام اليه النجار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا من وجدوا ممن ينتسب الى هذا المذهب وقصدوا دار ابن عصية وقد اجتمع اليه خلق من اصحابه واغلقوا الباب وصعدوا الى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا اليهم من بعض الدور من على السطح وتحصن من بقي في الدار باغلاق الابواب والمعارق فكسروها ونزلوا فقتلوا من وجدوا في الدار واحرقوا وقتل ابن عصية وفتح الباب وهرب منهم فقتلوا وبلغ الخبر الى بغداد وانحدر فخر الدين ابو البدر بن امسينا الواسطي لاصلاح الحال وتسكين الفتنة

(ذكر استيلاء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت)

في هذه السنة استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميري على مدينة مرباط وظفار وغيرهما من حضرموت وكان ابتداء امره انه له مركب يكريه في البحر للتجار ثم وزر لصاحب مرباط وفيه كرم وشجاعة وحسن سيرة فلما توفي صاحب مرباط ملك المدينة بعده واطاعه الناس محبة له لكرمه وسيرته ودامت ايامه بها فلما كان سنة تسع عشرة وستمائة خرب مرباطا وظفارا وبنى مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وعندها عين عذبة كبيرة اجراها الى المدينة وعمل عليها سورا وخندقا وحصنها وسماها الاحمدية وكان يحب الشعر ويكثر الجائزة عليه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج اسطول من الفرنج الى الديار المصرية فنهبوا مدينة فوة واقاموا خمسة أيام يسبون وينهبون وعساكر مصر مقابلهم بينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم لم تكن لهم سفن وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت اكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخربت من مدينة صور سورها واثرت في كثير من الشام وفيها في رجب اجتمع جماعة من الصوفية برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفي اسمه احمد بن ابراهيم الداري من اصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مغن يغني بقول الشعر

اعاذ لتي اقصري * كفى بمشيبي عذل
شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل
وحق ليالي الوصال * وآخرها والاول
وصفرة لون المحب * عند استماع العذل
لئن عاد عيشي بكم * حلا العيش لي واتصل

جل الاشياخ المتقدمين وهو في عداد الطبقة الاولى ودرس وافاد وانتفع به الطلبة بل غالب الناس كان طارحا للتكلف متقشفا مع التواضع والانكسار ملازما على العبادة مستحضر للفروع الفقهية والمعقولية والمناسبات الشعرية والشواهد النحوية والادبية جيدا لمحافظة لا تمل مجالسته ومؤانسته ولم يزل على حالته وافادته وانجماعه وعفته حتى تمرض وتوفي يوم السبت منتصف المحرم من السنة عن نحو الخمسة وسبعين وصلي عليه بالازهر في مشهد حافل رحمه الله تعالى وايانا

(ومات) الشيخ العلامة الاصولي الفقيه النحوي علي الحصاوي الشافعي نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة حضر الى الجامع الازهر صغيرا وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الاشياخ كالشيخ علي العدوي المنسفيسي الشهير بالصعيدي والشيخ عبد الرحمن النحريري الشهير بالمقري ولازم الشيخ سليمان الجمل وبه تخرج وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوي مصطلح الحديث وكان يحفظ جمع الجوامع مع شرحه للجلال المحلي في الاصول ومختصر السعد ويقرأ الدروس ويفيد الطلبة وكان انسانا حسنا مهذبا متواضعا ولا يرى لنفسه مقاما عاش معانقا للخمول في جهد وقلة من العيش مع العفة وعدم التطلع لغيره

فتحرك الجماعة عادة الصوفية فى السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد ثم سقط مغشيا عليه فحركوه فاذا هو ميت فصلى عليه ودفن وكان رجلا صالحا وفيها توفى ابو الفتوح اسعد بن محمود العجلى الفقيه الشافعى باصفهان فى صفر وكان اماما فاضلا وفى رمضان منها توفى قاضى هراة عمدة الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوى وولى بعده ابنه صاعد

(ثم دخلت سنة احدى وستمائة)

(ذكر ملك كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن اخيه)

فى هذه السنة فى رجب ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم التى كانت بيد اخيه ركن الدين سليمان وكان سبب ملك غياث الدين لها ان ركن الدين كان قد اخذ ما كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونية فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولا فسار من عنده وتقلب فى البلاد الى ان وصل الى القسطنطينية فاحسن اليه ملك الروم واقطعه واكرمه فاقام عنده وتزوج بابنة بعض البطارقة الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينية فلما ملك الفرنج القسطنطينية هرب غياث الدين الى حميه وهو بقلعته فانزله عنده وقال له نشترك فى هذه القلعة ونقنع بدخلها فاقام عنده فلما مات اخوه سنة ستمائة كما ذكرناه اجتمع الامراء على ولده وخالفهم الاتراك الاوج وهم كثير بتلك البلاد وانف من اتباعهم وارسل الى غياث الدين يستدعيه اليه ليملكه البلاد فسار اليه فوصل فى جمادى الاولى اجتمع به وكثر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فاخرجوا اليه طائفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقى حيران لا يدرى أين يتوجه فقصد بلدة صغيرة يقال لها اوكرم بالقرب من قونية فقدر الله تعالى أن أهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالى فاخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلما سمع أهل قونية بما فعله اهل اقصرا قالوا نحن اولى بفعل هذا لانه كان حسن السيرة فيهم لما كان ملكهم فنادوا باسمه أيضا واخرجوا من عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة وقبض ابن اخيه ومن معه وآتاه الله الملك وجمع له البلاد جميعها فى ساعة واحدة فسبحان من اذا أراد أمرا هيأ اسبابه وكان اخوه قيصرشاه الذى كان صاحب ملطية لما أخذها ركن الدين منه سنة سبع وتسعين خرج منها وقصد الملك العادل ابا بكر بن ايوب لانه كان زوج ابنته مستنصرا به فامره بالمقام بمدينة الرها فاقام بها فلما سمع بملك أخيه غياث الدين سار اليه فلم يجد عنده قبولا انما اعطاه شيئا وأمره بمفارقة البلاد فعاد الى الرها واقام بها فلما استقر ملك غياث الدين سار اليه الافضل صاحب سميساط فلقيه بمدينة قيسارية وقصده أيضا نظام الدين صاحب خرت برت وصار معه فعظم شانه وقوى امره

(ذكر حصر صاحب آمد خرت برت ورجوعه عنها)

صابرا على ما نكده تزوجته وباخرة أصيب فى شقه بداء الفالج انقطع بسببه اشهرا ثم انجلى عنه يسيرا مع سلامة حواسه وعاد الى الاقراء والافادة ولم يزل على حسن حاله ورضاه وانشراح صدره وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين الى ان توفى فى شهر جمادى الثانية سنة احدى وثلاثين ومائتين والف رحمه الله وايانا (ومات) الشيخ العلامة والنحرير الفهامة السيد احمد بن محمد بن اسمعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطى الطهطاوى الحنفى والده رومى حضر الى ارض مصر متقلدا القضاء بطهطا بلدة بالقرب من اسيوط بالصعيد الادنى فتزوج بامرأة شريفة فولد له منها المترجم واخوه السيد اسمعيل ولم يزل مستوطنا بها الى ان مات وترك ولديه المذكورين واختا لهما حضر المترجم الى مصر فى سنة احدى وثمانين ومائة والف وكان قد بدا انبات لحيته بعدما حفظ القرآن ببلده وقرأ شيئا من النحو فدخل الازهر ولازم الحضور فى الفقه على الشيخ احمد الحماقى والمقدسى والحريرى والشيخ مصطفى الطائى والشيخ عبد الرحمن العريشى حضر عليه من اول كتاب الدر المختار الى كتاب البيوع وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن امر على بك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة والف فالتمس الجماعة

كانت خرت برت لعماد الدين بن قرا ارسلان فمات وملكها بعده ابنه نظام الدين
ابو بكر والتجا الى ركن الدين بن قلج ارسلان و بعده الى اخيه غياث الدين ليمتنع به من
ابن عمه ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان فامتنع به وكان صاحب آمد ملتجئا الى
الملك العادل وفي طاعته وحضر مع ابنه الملك الاشرف قتال صاحب الموصل على شرط
انه يسير معه عساكره وياخذله خرت برت وانما طمع فيها بموت ركن الدين فلما دخلت
هذه السنة طلب ما كان استقر الامر عليه فسار معه الملك الاشرف وعساكر ديار الجزيرة
من سنجار وجزيرة ابن عمر والموصل وغيرها وكان نزولهم عليها في شعبان وفي رمضان
تسلموا ربضها وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدين بعد ان ملك البلاد الرومية وصار
معه في طاعته فلما نزل صاحب آمد على خرت برت خاطب صاحبها غياث الدين يستنجده
بعسكر يرحلهم عنه فجهز عسكرا كثيرا عدتهم ستة آلاف فارس وسيرهم مع الملك
الافضل صاحب سميساط فلما وصل العسكر الى ملطية فارق صاحب آمد ومن معه
من خرت برت ونزلوا الى الصحراء وحصروا البحيرة المعروفة ببحيرة سمنين وبها حصنان
أحدهما لصاحب آمد والآخر لصاحب خرت برت فحصره وزاحفه ففتحه ثاني ذي الحجة
ووصل صاحب خرت برت مع العسكر الرومي الى خرت برت فرحل صاحب آمد عن البحيرة
وقوى الحصن الذي فتحه فيها فازاح علته ورحل الى خلف مرحلة ونزل وترددت الرسل
والعسكر الرومي يطلب اعادة البحيرة وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلما طال الامر بقي
الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران وعاد كل فريق الى بلاده

(ذكر الفتن ببغداد)

في سابع عشر شعبان جرت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج واهل المامونية وسببها ان
أهل باب الازج قتلوا سبعا وأرادوا ان يطوفوا به فمنعهم أهل المامونية فوقعت
الفتنة بينهما عند البستان الكبير فجرح منهم خلق كثير وقتل جماعة وركب صاحب
الباب لتسكين الفتنة فجرح فرسه فعاد فلما كان الغد سار أهل المامونية الى باب
الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتال بالسيوف والنشاب واشتد الامر فنهبت الدور
القريبة منهم وسعى الركن بن عبد القادر ويوسف في تسكين الناس وركب الاتراك
فصاروا يبيتون تحت المنظرة فامتنع أهل الفتنة من الاجتماع فسكنوا وفي العشرين
منه جرت فتنة بين اهل قطفتا والقرية من محال الجانب الغربي بسبب قتل سبع أيضا
اراد اهل قطفتا ان يجتمعوا ويطوفوا به فمنعهم اهل القرية ان يجروا به عندهم
فاقتتلوا وقتل بينهم عدة قتلى فارسل اليهم عسكر من الديوان لتلافي الامر ومنع
الناس عن الفتنة فامتنعوا وفي تاسع رمضان كانت فتنة بين اهل سوق السلطان
والجعفرية منشؤها ان رجلين من المحلتين اختصما وتوعد كل واحد منهما صاحبه
فاجتمع اهل المحلتين واقتتلوا في مقبرة الجعفرية فسير اليهم من الديوان من تلافى الامر
وسكنه فلما كثرت الفتن ركب امير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كثيرة فطاف

فاجابهم لذلك فكانوا يأتون للتلقي عنه في المنزل والمترجم معهم وفي اثناء ذلك قرأت
تكملة الكتاب على الوالد
مع المترجم على الوالد متن
نور الايضاح بعد انصراف
الجماعة عن الدرس وتخلف
المترجم وذلك لعلو السند فان
الوالد تلقاه عن ابن المؤلف
وهو عن جد الوالد عن
المؤلف وجد الوالد والمؤلف
يسميان بحسن فهو من عجيب
الاتفاق وكان المترجم يلائم
طبع الفقير في الصحبة فكنت
معه في غالب الاوقات اما في
الجامع او في المنزل للطافة
طبعه وقرب سني من سنه
وكان الوالد يرى ذلك ويسالني
عنه اذا تخلف في بعض
الاحيان ويقول اين رفيقك
الصعيدي فكان يعيده معي
ويفهمني ما يصعب على فهمه
ولم يزل يداب في الاشتغال
والطلب مع جودة ذهنه وخلو
باله وتفرغه والفقير بخلاف
ذلك وتلقى المترجم الحديث
سماعا واجازة عن كل من
الشيخ حسن الجداوي والشيخ
محمد الامير والشيخ عبد العليم
الفيومي ثلاثتهم عن الشيخ
على العدوي المنفيسي عن
الشيخ محمد عقيلة بسنده
المشهور ولما ترشح للافادة
والتدريس وكان مسكنه
بناحية الصليبة وجلس
للاقراء بالمدرسة الشيخونية
والصرغتمشية احتف به سكان
تلك الناحية واكابرهم واعتنوا بشانه واسكنوه في دار تليق به وهادوه وواسوه واكرموه وكانت تلك الناحية

في البلد وقتل جماعة ممن فيه شبهة فسكن الناس

(ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام)

في هذه السنة اغارت الكرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فاكثروا العيث والفساد والنهب والسبي ثم اغاروا على ناحية خلاط من ارمينية فاوغلوا في البلاد حتى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم احد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون وكلما تقدموا تأخرت عساكر المسلمين منهم ثم انهم رجعوا فالله تعالى ينظر الى الاسلام واهله وييسر لهم من يحمي بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزو اعداءهم وفيها اغارت الكرج على بلاد خلاط فاتوا الى ارجيش ونواحيها فنهبوا وسبوا وخربوا البلاد وساروا الى حصن التين من اعمال خلاط وهو مجاور ارزن الروم فجمع صاحب خلاط عسكره وسار الى طغرل شاه ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على الكرج فسير عسكره جميعه معه فتوجهوا نحو الكرج فلقوهم وتصافوا واقتتلوا فانهزمت الكرج وقتل زكري الصغير وهو من اكابر مقدميهم وهو الذي كان مقدم هذا العسكر من الكرج والمقاتل بهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراع وغير ذلك وقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا كذلك وعاد الى بلاده

(ذكر الحرب بين امير مكة وامير المدينة)

وفي هذه السنة ايضا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسيني امير مكة وبين الامير سالم ابن قاسم الحسيني امير المدينة ومع كل واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالا شديدا وكانت الحرب بذي الحليفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلى عندها ودعا وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكة فحصره بها فارسل قتادة الى من مع سالم من الامراء فافسدهم عليه فمالوا اليه وحالفوه فلما راى سالم ذلك رحل عنه عائدا الى المدينة وعاد امر قتادة قويا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قطعت خطبة ولي العهد واظهر خط قرئ بدار الوزير نصير الدين بن مهدي الرازي واذهم وخط ولي العهد الامير ابي نصر ابن الخليفة الى ابيه الناصر لدين الله امير المؤمنين يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الاقالة وشهد عدلان انه خطه وان الخليفة اقاله وعمل بذلك محضر شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء وفي هذه السنة ولدت امراة ببغداد ولدا له راسان واربع ارجل ويدان ومات في يومه وفيها ايضا وقع الحريق في خزانة السلاح التي للخليفة فاحترق فيها منه شيء كثير وبقيت النار يومين وسار ذكر هذا الحريق في البلدان فحمل الملوك من السلاح الى بغداد شيئا كثيرا وفي هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعا كاملا فلما سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سرا خرب كثيرا من البلد ومحى من

عامرة باكابرها وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم واصله من جنس

الاتراك وخلو تلك النواحي من اهل العلم وخصوصا الاحناف وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الافادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة الا ما ياتيه عفوا فازدادت محبتهم له ووثقوا فيما يقضيه ثم تصدى لوقف الشيخونيتين وايرادهما واستخلاص اماكنهما وشرع في تعميرهما وساعده على ذلك كل من كان يحب الاصلاح فجدد عمارة المسجد والتكية وانشا بها صهريجا وفي اثناء ذلك انتقل باهله الى دار مليحة بجوار المسجد بالدرب المعروف بدرب الميضاة وقفها بانيها على المسجد كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور الى الازهر في كل يوم ويقرأ درسه أيضا بالجامع ولما كثرت جماعته انتقل الى المدرسة العينية بالقرب من الازهر ولما عمر محمد افندي الودنلي الجامع المجاور لمنزله تجاه القنطرة المعروفة بعمارشاه والمكتب قرر المترجم في درس الحديث بها في كل يوم بعد العصر وقرر له عشرة من الطلبة ورتب للشيخ والطلبة معلوما وافرا يقبض من الديوان ولما مات الشيخ ابراهيم الحريري تعين المترجم لمشيخة الحنفية فتقلدها على امتناع منه فاستمر الى ان اخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا وكتبوا في شانه عرضحال الى الدولة نسبوا اليه فيه اشياء لم تحصل منه

حصنه قطعة عظيمة وجاء بعده برد شديد اهلك الثمار فلم يكن بها تلك السنة شئ الا اليسير وفيها في شعبان خرج عسكر من الغور يقدمهم الامير زنكى بن مسعود الى مدينة مرو فلقيهم نائب خوارزم شاه بمدينة سرخس وهو الامير جقر وكمن لهم كمينا فلما وصلوا اليه هزمهم واخذ وجوه الغورية اسرى فلم يفلت منهم الا القليل واخذ اميرهم زنكى اسيرا فقتل صبرا وعلقت رؤسهم بمرو اياما وفيها في ذى القعدة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغورى صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهى للاتراك الخطا فافتتحها عنوة وجعل بها ولده الاكبر وقتل من بها من الخطا ونقل العلويين منها الى بلخ وصارت ترمذ دار اسلام وهى من امنع الحصون واقواها وفيها توفى صدر الدين السجزى شيخ خانكاه السلطان بهراة وفيها في صفر توفى ابو على الحسن بن محمد بن عبدوس الشاعر الواسطى وهو من الشعراء المجيدين واجتمعت به بالموصل وردها مادحا لصاحبها نور الدين ارسلان شاه وغيره من المقدمين وكان نعم الرجل حسن الصحبة والعشرة وفيها اجتمع ببغداد رجلان اعميان على رجل اعمى ايضا وقتلاه بمسجد طمعا ان ياخذا منه شيئا فلم يجدا معه ما ياخذانه وادركهما الصباح فهربا من الخوف يريدان الموصل ورئى الرجل مقتولا ولم يعلم قاتله فاتفق ان بعض اصحاب الشحنة اجتاز من الحريم في خصومة جرت فراى الرجلين الضريرين فقال لمن معه هذان اللذان قتلا الاعمى يقوله مزحا فقال احدهما هذا والله قتله فقال الآخر بل انت قتلته فاخذا الى صاحب الباب فاقرا فقتل احدهما وصلب الآخر على باب المسجد الذى قتلا فيه الرجل

(ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة)

(ذكر الفتنة بهراة)

في هذه السنة في المحرم ثار العامة بهراة وجرت فيه فتنة عظيمة بين اهل السوقين الحدادين والصفارين قتل فيها جماعة ونهبت الاموال وخربت الديار فخرج امير البلد ليكفهم فضرب به بعض العامة بحجر فناله منه الم شديد واجتمع الغوغاء عليه فرفع الى القصر الفيروزى واختفى اياما الى ان سكنت الفتنة ثم ظهر

(ذكر قتال شهاب الدين الغورى بنى كوكر)

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمد بن سام الغورى صاحب غزنة من الخطا الكفار وان الخبر ظهر ببلاده انه عدم من المعركة لم يقف اصحابه له على خبر فلما اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون في اطراف البلاد وكان ممن افسد دانيال صاحب جبل الجودى فانه كان قد اسلم فلما بلغه الخبر ارتد عن الاسلام وتابع بنى كوكر وهما كانهم في جبال بين لهاوور والمولتان حصينة منيعة وكانوا قد اطاعوا شهاب الدين وحملوا اليه الخراج فلما بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم واطاعهم صاحب جبل الجودى وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لهاوور وغيرها الى

وطلبوا الشهادة فيها فامتنع فشفعوا عليه وبالغوا في الحط عليه وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسينا المنصورى فلما مات المذكور اعيد المترجم الى مشيخة الحنفية وذلك في غرة شهر صفر سنة الف ومائتين وثلاثين ولبس الخلع من الشيخ الشنوانى شيخ الجامع ثم من الباشا و باقى المشايخ أرباب المظاهر ولم يختلف عليه اثنان وفي هذه السنة استاذن الفقير في بناء مقبرة يدفن فيها اذا مات بجوار الشيخ أبى جعفر الطحاوى بالقرافة لكونى ناظرا عليها فاذنت له في ذلك فبنى له قبرا بجانب مقام الاستاذ ولما توفى دفن فيه وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف وله من المآثر حاشية على الدر المختار شرح تنوير الابصار في أربع مجلدات جمع فيها المواد التى على الكتاب وضم اليها غيرها (ومات) النجيب الاريب والنادرة العجيب اعجوبة الزمان وبهجة الخلان حسن افندى المعروف بالدرويش الموصلى كما اخبر عن نفسه الذكى الالمعى والسميذع اللوذعى كان انسانا عجيبا في نفسه مميزا شهيرا في مصره طاف البلاد والنواحى وجال في الممالك والضواحى واطلع على عجائب المخلوقات وعرف الكثير من الالسن واللغات و يعتزى

غزنة فلما بلغ شهاب الدين من قبل مملوكه ايبك بال وقد ذكرناه ارسل الى نائبه بلهاوود
والمولتان وهو محمد بن ابى على يامره بحمل المال لسنة ستمائة وسنة احدى وستمائة
ليتجهز به لحرب الخطا فاجاب ان اولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال
وحضر جماعة من التجار وذكروا ان قفلا كبيرا اخذه اولاد كوكر ولم ينج منه الا القليل
فامر شهاب الدين مملوكه ايبك مقدم عساكر الهند ان يراسل بنى كوكر يدعوهم الى الطاعة
ويتهددهم ان لم يجيبوا ففعل ذلك فقال ابن كوكر لاى معنى لم يرسل السلطان الينا رسولا
فقال له الرسول وما قدركم انتم حتى يرسل اليكم وانما مملوكه يبصركم رشدكم ويهددكم
فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيا لراسلنا وقد كنا ندفع الاموال اليه فحيث عدم
فقل لايبك يترك لنا لهاوور وما والاها وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول نفذ أنت
جاسوسا تثق اليه ياتيك بخبر شهاب الدين من فرشابور فلم يصغ الى قوله فرده فعاد واخبر
بما سمع ورأى فامر شهاب الدين مملوكه قطب الدين أيبك بالعود الى بلاده وجمع
العساكر وقتال بنى كوكر فعاد الى دهلى وأمر عساكره بالاستعداد فاقام شهاب الدين
فى فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستمائة ثم عاد الى غزنة فوصلها اوّل
رمضان وأمر بالنداء فى العساكر بالتجهز لقتال الخطا وان المسير يكون أوّل شوّال فتجهزوا
لذلك فاتفق ان الشكايات كثرت من بنى كوكر وما يتعهدونه من اخافة السبل
وانهم قد أنفذوا اشحنة الى البلاد ووافقهم أكثر الهنود وخرجوا من طاعة أميرها اووور
والمولتان وغيرهما ووصل كتاب الوالى يذكر ما قدده منهم وان عماله قد أخرجهم
بنو كوكر وجبوا الخراج وان ابن كوكر مقدمهم أرسل اليه ليترك له لهاوور والبلاد
والا قتله ويقول له ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والا خرجت
البلاد من يده وتحدث الناس بكثرة من معهم من الجموع وما لهم من القوّة فتغير عزم
شهاب الدين حينئذ عن غزو الخطا واخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاوّل
سنة اثنتين وستمائة فلما ساروا بعد انقطعت أخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتى
ارجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لما سار عن فرشابور أتاه خبر ابن كوكر انه
نازل فى عساكره ما بين جيلم وسودرة فجد السير اليه فدهمه قبل الوقت الذى كان يقدر
وصوله فيه فاقتتلوا قتالا شديدا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر من بكرة الى
العصر واشتد القتال فبينما هم فى القتال واذ قد اقبل قطب الدين ايبك فى عساكره
فنادوا بشعائر الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكرية ومن انضم اليهم وقتلوا
بكل مكان وقصدوا أجمة هناك فاحتموا بها وأضرموا نارا فكان أحدهم يقول لصاحبه
لا تترك المسلمين يقتلونك ثم يلقى نفسه فى النار فيلقى صاحبه نفسه بعده فيها فعمهم
الفناء قتلا وحرقا فبعدا للقوم الظالمين وكان أهلهم واموالهم معهم لم يفارقوها فغنم
المسلمون منهم ما لم يسمع بمثله حتى ان المماليك كانوا يباعون كل خمسة بدينار ركنى
ونحوه وهرب ابن كوكر بعد ان قتل اخوته واهله وأما ابن دانيال صاحب جبل
الجود فانه جاء ليلا الى قطب الدين أيبك فاستجار به فاجاره وشفع فيه الى شهاب

لكل قبيل ويخالط كل جيل فرقة ينتسب الى فارس واخرى الى بنى مكانس فكأنه المعنى بما قيل
طورا يمان اذا لاقيت ذا يمن
وان رأيت معديا فعدنانى
هذا مع فصاحة لسان وقوة
جنان والمشاركة فى كل فن
من الرياضيات والادبيات
حتى يظن سامعه انه مجيد فى
ذلك الفن منفرد به وليس
الامر كذلك وانما ذلك بقوة
الفهم والحفظ وما فيه من
القابلية فيستغنى بذلك عن
التلقى من الاشياخ وأيضا
فقد انقرض أهل الفنون
فيحفظ اصطلاحات الفن
وأوضاع أهله ويبرزه فى الفاظ
ينمقها ويحسنها ويذكر اسماء
كتب مؤلفة واشياخا وحكما
يقل الاطلاع عليها والوصول
اليها ولمعرفته باللغات خالط
كل ملة حتى يظن كل اهل
ملة انه واحد منهم ويحفظ
كثيرا من الشبه والمدركات
العقلية والبراهين الفلسفية
واهمل الواجبات الشرعية
والفرائض القطعية وربما قلد
كلام الملحدين وشكوك
المارقين ويزلق لسانه فى
بعض المجالس بغلطات من
ذلك ووساوس فلذلك طعن
الناس عليه فى الدين واخرجوه
عن اعتقاد المسلمين وساءت
فيه الظنون وكثر عليه الطاعنون
وصرحوا بعده وتنبهوا كانوا
يخفونه فى حياته لاتقاء شره
وسطوانه وكان له تداخل
عجيب فى الاعيان ومع كل اهل دولة وزمان ورؤساء الكتبة والمباشرين من الاقباط

الدين فشفعه فيه وأخذ منه قلعة الجودى فلما فرغ منهم سار نحو لهاوور ليؤمن اهلها ويسكن روعهم وامر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا واقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وأرسل الى بهاء الدين سام صاحب باميان ليتجهز للسير الى سمرقند وليعمل جسرا ليعبر هو وعساكره عليه

(ذكر الظفر بالتيراهية)

كان من جملة الخارجين المفسدين أيضا على شهاب الدين التيراهية فانهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فاوقع بهم نائب تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالخلجي وقتل منهم خلقا كثيرا وحمل رؤس المعروفين فعلقت ببلاد الاسلام وكانت فتنة هؤلاء التيراهية على بلاد الاسلام عظيمة قديما وحديثا وكان اذا وقع بايديهم أسير من المسلمين عذبوه بانواع العذاب وكان أهل فرشابور معهم في ضر شديد لانهم يحيطون بتلك الولاية من جوانبها لاسيما آخر أيام سبكتكين فان الملوك ضعفوا وقوى هؤلاء عليهم وكانوا يغيرون على اطراف البلاد وكانوا كفارا لا دين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه الا انهم كانوا اذا ولد لاحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوج هذه من يقبلها فان أجابه أحد تركها والا قتلها ويكون للمرأة عدة أزواج فاذا كان أحدهم عندها جعل مداسه على الباب فاذا جاء غيره من أزواجها ورأى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتى اسلم طائفة منهم آخر أيام شهاب الدين الغورى فكفوا عن البلاد وسبب اسلامهم انهم أسروا انسانا من فرشابور فعذبوه فلم يمت ودامت ايامه عندهم فاحضره يوما مقدمهم وساله عن بلاد الاسلام وقال له لو حضرت انا عند شهاب الدين ماذا كان يعطيني فقال له كان يعطيك الاموال والاقطاع ويرد اليك حكم جميع البلاد التي لكم فارسله الى شهاب الدين في الدخول في الاسلام فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالاقطاع فلما وصل اليه الرسول سار هو وجماعة من اهله الى شهاب الدين فاسلموا وعادوا وكان للناس بهم راحة فلما كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل اكثرهم من الجبال فلم يكن لهذه الطائفة بهم قدرة ليمنعوهم فافسدوا وعملوا ما ذكرناه

(ذكر قتل شهاب الدين الغورى)

في هذه السنة اول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام الغورى ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك وقت صلاة العشاء وكان سبب قتله ان نفرا من الكفار الكوكرية لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والاسر والسبي فلما كان هذه الليلة تفرق عنه اصحابه وكان قد عاد ومعه من الاموال ما لا يحد فانه كان عازما على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد امر عساكره بالهند باللحاق به وامر عساكره الخراسانية بالتجهز الى ان يصل اليهم فاتاه الله من حيث لم يحتسب ولم يغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال

والمسلمين بالمعرفة الزائدة واستجلاب الفائدة لا تمل مجالسته ولا معاشرته وبآخره لما رغب الباشا في انشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة تعين المترجم رئيسا ومعلما لمن يكون متعلما بذلك المكتب وذلك انه تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ورتب له خرجا وشهرية ونجب تحت يده بعض المماليك في معرفة الحسابيات ونحوها واعجب الباشا ذلك فذاكره وحسن له بان يفرد مكانا للتعليم ويضم الى مماليكه من يريد التعليم من اولاد الناس فامر بانشاء ذلك المكتب وحضر اليه اشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الانكليز وغيرهم واستجلب من اولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم ورتبوا لكل شخص شهرية وكسوة في آخر السنة فكان يسعى في تكميل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين اقرانه ويواسي من يستحق المواساة ويشتري لهم الحمير مساعدة لطلوعهم ونزولهم الى القلعة فيجتمعون للتعليم في كل يوم من الصباح الى بعد الظهر واضيف اليه آخر حضر من اسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون اعجميا لا يعرف العربية مساعد المترجم في التعليم يسمى روح الدين افندي فاستمر نحوا

لكن

لكن كان على نية صالحة من قتال الكفار فلما تفرق عنه اصحابه و بقي وحده في
خركاه فثاراولئك النفر فقتل احدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين فلما
قتلوه صاح فثار اصحابه من حول السرادق لينظروا مابصاحبهم فاخلوا مواقفهم وكثر
الزحام فاغتنم الكوكرية غفلتهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو في الخركاه
فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه اصحابه فوجدوه على
مصلاه قتيلا وهو ساجد فاخذوا اولئك الكفار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان
وقيل انما قتله الاسماعيلية لانهم خافوا خروجه الى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض
قلاعهم على ماذكرناه فلما قتل اجتمع الامراء عند وزيره مؤيد الملك بن خواجا
سجستان فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى أن يظهر من يتولاه
واجلسوا شهاب الدين وخيطوا جراحه وجعلوه في المحفة وساروا به ورتب الوزير الامور
وسكن الناس بحيث لم ترق محجمة دم ولم يوجد في أحد شئ وكانت المحفة محفوفة بالحشم
والوزير والعسكر والشمسة على حاله في حياته وتقدم الوزير الى أميرداد العسكر
باقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التي في صحبته ألفي حمل ومائتي
حمل وشغب الغلمان الاتراك الصغار لينهبوا المال فمنعهم الوزير والامراء الكبار من
المماليك وهو صونج صهر الدز وغيره وأمروا كل من له اقطاع عند قطب الدين ايبك
مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرقوا فيهم اموالا كثيرة فعادوا وسار
الوزير ومعه من له اقطاع واهل بغزنة وعلموا انه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث
الدين اخي شهاب الدين الاكبر وبين بهاء الدين صاحب باميان وهو ابن اخت شهاب
الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان
الامراء الغورية يميلون الى بهاء الدين سام صاحب باميان فارسل كل طائفة الى من
يميلون اليه يعرفونه قتل شهاب الدين وجلية الامور وجاء بعض المفسدين من أهل
غزنة فقال للمماليك ان فخر الدين الرازي قتله ولا كم لانه هو أوصل من قتله فوضع
من خوارزمشاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيد الملك الوزير فاعلمه الحال فسيره
سرا الى مامنه ولما وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغورية يقولون نسير
الى غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها
بهاء الدين سام فيملك الخزانة وقال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم
ان يكونوا قريبا من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين
غزنة ولهاوور وليست بكرمان التي تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة و يرسلوا من
كرمان الى غياث الدين يستدعونه الى غزنة و يملكونه وكثر بينهم الاختلاف حتى
كادوا يقتتلون فتوصل مؤيد الملك مع الغورية حتى اذنوا له وللاتراك باخذ
الخزانة والمحفة التي فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وساروا هم على طريق
مكرهان ولقي الوزير ومن معه مشقة عظيمة وخرج عليهم الامم الذين في تلك الجبال
التيراهية واوغان وغيرهم فنالوا من اطراف العسكر الى ان وصلوا الى كرمان فخرج

من تسعة اشهر ومات المترجم وذلك انه افتصد ولط لم الى القلعة فخنق على بعض
المتعلمين وضربه فانحلت
الرفادة فسال منه دم كثير فحم
حمى مختلطة واستمر اياما
وتوفي ودفن بجامع السراج
البلقيني بين السيارج وعند
ذلك زاد قول الشامتين وصرحوا
بما كانوا يخفونه في حياته
فيقول البعض مات رئيس
الملحدين وآخر يقول انهدم
ركن الزندقة ونسبوا اليه ان
عنده الكتاب الذي الفه
ابن الراوندي لبعض اليهود
وسماه دافع القرآن وانه
كان يقرؤه و يعتقده واخبروا
بذلك كتخدا البك فطلب كتبه
وتصفحوها فلم يجدوا بها ذلك
الكتاب وما كفى مبغضه
وحاسده من الشناعات حتى
رأواله منامات شنيعة تدل
على انه من اهل النار والله اعلم
بخلقه وبالجملة فكان غريبا
في بابه وكانت وفاته يوم
الخميس سابع عشري
جمادى الثانية من السنة
وانفرد برياسة المكتب روح
الدين افندي المذكور
*(ومات) الاجل المكرم
الشريف غالب بسلانيك
وهو المنفصل عن امارة
مكة وجدة والمدينة وما
انضاف الى ذلك من بلاد
الحجاز فكانت امارته نحوا
من سبع وعشرين سنة فانه
تولى بعد موت الشريف
سرور في سنة ثلاث ومائتين
والف وكان من دهاة العالم واخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين ولم يزل حتى سلط الله عليه باشا فاهمله هذا الباشا

اليهم تاج الدين الدز يستقبلهم فلما عاين المحفة وفيها شهاب الدين ميتا نزل وقبل الارض على عادته في حياة شهاب الدين وكشف عنه فلما رآه ميتا خرق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس وكان يوما مشهودا

(ذكر ما فعله الدز)

كان الدز من أول مماليك شهاب الدين وأكبرهم واقدمهم وأكبرهم محلا عنده بحيث ان أهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه في اشغالهم فلما قتل صاحبه طمع ان يملك غزنة فاول ما عمل انه سال الوزير مؤيد الملك عن الاموال والسلاح والدواب فاخبره بما خرج من ذلك وبالباقي معه فانكر الحال واساء أدبه في الجواب وقال ان الغورية قد كاتبوا بهاء الدين سام صاحب باميان ليملكوه غزنة وقد كتب الى غياث الدين محمود وهو مولاي يامرني انني لا أترك أحدا يقرب من غزنة وقد جعلني نائبه فيها وفي سائر الولاية المجاورة لها لانه مشتغل بامر خراسان وقال للوزير انه قد امرني أيضا ان اتسلم الخزانة منك فلم يقدر على الامتناع لميل الاتراك اليه فسلمها اليه وسار بالمحفة والمماليك والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين في التربة بالمدرسة التي انشاها ودفن ابنته فيها وكان وصوله اليها في الثاني والعشرين من شعبان من السنة

(ذكر بعض سيرة شهاب الدين)

كان رحمه الله شجاعا مقداما كثير الغزو الى بلاد الهند عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم حاكما بينهم بما يوجبه الشرع المطهر وكان القاضي بغزنة يحضر داره من كل أسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء ويحضر معه أمير حاجب وأمير دار وصاحب التربة فيحكم القاضي وأصحاب السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضره وسمع كلامه وأمضى عليه أوله حكم الشرع فكانت الامور جارية على أحسن نظام (وحكي عنه) انه لقيه صبي علوي عمره نحو خمس سنين فدعا له وقال لي خمسة أيام ما أكلت شيئا فعاد من الركوب لوقته ومعه الصبي فنزل في داره واطعم العلوي اطيب الطعام بحضرته ثم اعطاه مالا بعد ان احضر اباه وسلمه اليه وفرق في سائر العلويين مالا عظيما (وحكي) ان تاجرا من مراغة كان بغزنة وله على بعض مماليك شهاب الدين دين مبلغه عشرة آلاف دينار فقتل المملوك في حرب كانت له فرفع التاجر حاله فامر بان يقر اقطاع المملوك بيد التاجر الى ان يستوفي دينه ففعل ذلك (وحكي عنه) انه كان يحضر العلماء بحضرته فيتكلمون في المسائل الفقهية وغيرها وكان فخر الدين الرازي يعظ في داره فحضر يوما فوعظ وقال في آخر كلامه يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي وان مردنا الى الله فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثرة بكائه وكان رقيق القلب وكان شافعي المذهب مثل اخيه قيل وكان حنفيا والله اعلم

(ذكر مسير بهاء الدين سام الى غزنة وموته)

فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه وقبض عليه وارسله الى بلاده سلانيك وخرج من سلطنته وسيادته الى بلاد الغربة ونهبت امواله وماتت اولاده وجواريه ثم مات هو في هذه السنة *(ومات) الامير مصطفى بك د الى باشا وهو قريب الباشا ونسيبه أيضا وكان من أعاظم أركان دولته شهير الذكر موصوفا بالاقدام والشجاعة ومات بالاسكندرية ولما وصل خبره الى الباشا اغتم غما شديدا وتاسف عليه وكان الباشا ولاه كشوفية الشرقية وقرن به علي كاشف فاقام بها نحو السنتين ومهد البلاد وأخاف العربان واذلهم وقتل منهم الكثير وجمع لمخدومه أموالا جمة وكان جسيما بطينا يأكل التيس المخصي وحده ويشرب عليه الزق من الشراب ثم يتبعه بشالية او اثنتين من اللبن ويستلقي نائما مثل الجمل العظيم ذي الخوار الا أنه كان يقضي حاجة من التجا اليه ويحب أولاد الناس ويواسيهم ويتجاوز عن الكثير ويعطي ما يلزمه من الحقوق لاربابها ولما تحققت اخته التي هي زوج الباشا وكذلك والدته امرتا باحضار رمته الى مصر ويدفن بمدفنهم وتعين لذلك سليمان اغا السلحدار فسافر الى الاسكندرية ووضعه في صندوق مزفت على عربية ووصل به بعد اثنى عشر يوما من موته وكان وصوله في

لما

لما ملك غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام باميان اقطعها ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود وزوجه اخته فاتاه منها ولد اسمه سام فبقي فيها الى ان توفي وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عباس وامه تركية فغضب غياث الدين واخوه شهاب الدين في ذلك وارسلا من احضر عباسا عندهما فاخذا الملك منه وجعلا ابن اختهما سام ملكا على باميان وتلقب بهاء الدين وعظم شانه ومحله وجمع الاموال ليملك البلاد بعد خاله واحبه امراء الغورية حبا شديدا وعظموه فلما قتل خاله شهاب الدين سار بعض الامراء الغورية الى بهاء الدين سام فاخبره بذلك فلما بلغه قتله كتب الى من بغزنة من الامراء الغورية يامرهم بحفظ البلد ويعرفهم انه على الطريق سائرا اليهم وكان والي قلعة غزنة ويعرف باميردار قد ارسل ولده الى بهاء الدين سام يستدعيه الى غزنة فاعاد جوابه انه تجهز ويصل اليه ويعده الجميل والاحسان وكتب بهاء الدين الى علاء الدين محمد بن أبي علي ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل والى هراة يامرهما باقامة الخطبة له وحفظ ما بايديهما من الاعمال ولم يظن ان أحدا يخالفه فاقام أهل غزنة ينتظرون وصوله او وصول غياث الدين محمود والاتراك ويقولون لا نترك غير ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنة والغورية يتظاهرون بالميل الى بهاء الدين ومنع غيره فسار من باميان الى غزنة في عساكره ومعه ولداه علاء الدين محمود وجلال الدين فلما سار عن باميان مرحلتين وجد صداعا فنزل يستريح ينتظر خفته عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فايقن بالموت فاحضر ولديه وعهد الى علاء الدين وأمرهما بقصد غزنة وحفظ مشايخ الغورية وضبط الملك وبالرفق بالرعايا وبذل الاموال وأمرهما ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند

❁(ذكر ملك علاء الدين غزنة وأخذها منه)❁

لما فرغ بهاء الدين من وصيته توفي فسار ولداه الى غزنة فخرج امراء الغورية واهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كره منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علاء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهل رمضان وكانوا قد وصلوا في ضر وقلة من العسكر وأراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيد الملك وزير شهاب الدين لقلتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل والي هراة على ما نذكره فلم يرجعوا ولما استقرا بالقلعة ونزلا بالدار السلطانية راسلهما الاتراك بان يخرجا من الدار والا قاتلوهما ففرقا فيهم أموالا كثيرة واستحلفاهم فحلفوا واستثنوا غياث الدين محمودا وانفذا خلعا الى تاج الدين الدز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة في الاقطاع وامارة الجيش والحكم في جميع الممالك فاتاه الرسول فلقيه وقد سار عن كرمان في جيش كثير من الترك والخلج والغز وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فاني قد أمرني مولاي غياث الدين ان اسير الى غزنة

ثاني ساعة من ليلة الجمعة سادس عشري جمادى الثانية وذهبوا به الى المدفن في المشاعل من خلف الجراة فلما وصلوا الى المدفن ارادوا انزاله الى القبر بالصندوق فلم يمكنهم فكسروا الصندوق فعبقت رائحته وقد تهرى فهرب كل من كان حاضرا فكبوه على حصير ولفوه فيه وانزلوه الى الحفرة وغشى على الحفارين وتخرعت النفوس من رائحة اخشاب الصندوق فحثوا عليه الاتربة وليس من يفتكر او يعتبر (ومات) ايضا حسن اغا كتخدا بندر السويس مطعونا وولى الباشا عوضه السيد احمد الملا الترجمان (ومات) ايضا سليمان اغا كتخدا رشيد (ومات) الامير الكبير الشهير بابراهيم بك المحمدي عين اعيان امراء الالوف المصريين ومات بدنقلة متغربا عن مصر وضواحيها وهو من مماليك محمد بك ابي الذهب تقلد الامرة والامارة في سنة اثنتين وثمانين ومائة والف في ايام علي بك الكبير وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر بعد موت استاذه في سنة تسع وثمانين ومائة والف مع مشاركة خشداشه مراد بك وباقي امرائهم والجميع راضون برياسته وامارته لا يخالفهم ولا يخالفونه ويراعي جانب الصغير منهم قبل الكبير ويحرص على جمعية امرهم والفة قلوبهم فطالت ايامه وتولى قائم مقامية مصر على الوزراء نحو العشرة مرار وطلع اميرا على الحج في سنة ست وثمانين

وامنعهما عنها فان عادا الى بلدهما والافعلت بهما وبمن معهما ما يكرهون ورد ما معه من الهدايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانما أراد ان يجعل هذا طريقا الى ملك غزنة لنفسه فعاد الرسول وأبلغ علاء الدين رسالة الدز فارسل وزيره وكان قبله وزيرا بيه الى باميان و بلخ وترمذ وغيرها من البلاد هم ليجمع العساكر ويعود اليه فارسل الدز الى الاتراك الذين بغزنة يعرفهم ان غياث الدين أمره ان يقصد غزنة ويخرج علاء الدين وأخاه منها فحضروا عند دوزير علاء الدين وطلبوا منه سلاحا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علاء الدين وقال له قد كان كذا و كذا فلم يقدر ان يفعل شيئا وسمع مؤيد الملك وزير شهاب الدين فركب وأنكر على الخازن تسليم المفاتيح وأمره فاسترد ما نهبه الترك جميعه لانه كان مطاعا فيهم ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علاء الدين جماعة من الغورية ومن الاتراك وفيهم صونج صهر الدز فاشار عليه أصحابه ان لا يفعل و ينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسير العساكر فالتقوا خامس رمضان فلما التقوا خدعه الاتراك وعادوا معه على عسكر علاء الدين فقاتلوهم فهزموهم وأسروا مقدمهم وهو محمد بن على بن حردون ودخل عسكر الدز المدينة فنهبوا بيوت الغورية والبامانية وحصر الدز القلعة فخرج جلال الدين منها في عشرين فارسا وسار عن غزنة فقالت له امرأة تستهزئ به الى اين تمضى خذ الجتر والشمسة معك ما قبح خروج السلاطين هكذا فقال لها انك سترين ذلك اليوم وافعل بكم ما تقرون به بالسلطنة لى وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان آتيك بالعساكر فبقى الدز يحاصرها وأراد من مع الدز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وأرسل الى علاء الدين يامره بالخروج من القلعة وتهدده ان لم يخرج منها وترددت الرسل بينهما في ذلك فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلده وارسل من حلف له الدز ان لا يؤذيه ولا يعترض اليه ولا الى أحد ممن يحلف له وسار عن غزنة فلما رآه الدز وقد نزل من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علاء الدين والقوه عن فرسه واخذوا ثيابه وتركوه عريانا بسراويله فلما سمع الدز ذلك أرسل اليه بدواب وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما لبسه وترك الباقى فلما وصل الى باميان لبس ثياب سواد وركب حمارا فاخرجوا له مراكب ملوكية وملابس جميلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد ان يرانى الناس وما صنع بى أهل غزنة حتى اذا عدت اليها وخربتها ونهبتها لا يلومنى أحد ودخل دار الامارة وشرع في جمع العساكر

(ذكر ملك الدز غزنة)

قد ذكرنا استيلاء الدز على الاموال والسلاح والدواب وغير ذلك مما كان صحبة شهاب الدين وأخذه من الوزير مؤيد الملك فجمع له العساكر من انواع الناس الاتراك والخلج والغز وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع علاء الدين ما ذكرنا فلما خرج علاء الدين من غزنة اقام الدز بدار ه اربعة ايام يظهر طاعة غياث الدين الا انه لم يامر الخطيب بالخطبة

وتولى الدفتردارية في سنة سبع وثمانين وكلاهما في حياة استاذه واشترى المماليك الكثيرة ورباهم واعتقهم وامر وقلد منهم صناجق و كشافا واسكنهم الدور الواسعة واعطاهم الاقطاعات ومات الكثير منهم في حياته واقام خلافهم من مماليكه و راى اولاد اولاده بل واولادهم وما زال يولد له واقام في الامارة نحو ثمان واربعين سنة وتنعم فيها وقاسى في اواخر امره شدائد واغترابا عن الاهل والاوطان وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية وباشر عدة حروب وكان ساكن الجاش صبورا ذا تؤدة وحلم قريبا للانقياد للحق متجنبا للهزل الا نادرا مع الكمال والحشمة لا يحب سفك الدماء مرخصا لخشداشينه في افاعليهم كثير التغافل عن مساويهم مع معارضتهم له في كثير من الامور وخصوصا مراد بك واتباعه فيغضى ويتجاوز ولا يظهر غما ولا خلافا ولا تاثرا حرصا على دوام الالفة وعدم المشاغبة وان حدث فيما بينهم ما يوجب وحشة تلافاه واصلحه وكان هذا الاهمال والترخص والتغافل سببا لمبادى الشرور فانهم تمادوا في التعدى وداخلهم الغرور وغمرتهم الغفلة عن عواقب الامور واستصغروا من عداهم وامتدت ايديهم لاخذ اموال التجار وبضائع الافرنج الفرنساوية وغيرهم بدون الثمن مع الحقارة لهم ولغيرهم وعدم المبالاة

بالخطبة له ولا لغيره وانما يخطب للخليفة ويترحم على شهاب الدين الشهيد حسب
ولما كان في اليوم الرابع احضر مقدمي الغورية والاتراك وذم من كاتب علاء الدين
وأخاه وقبض على اميرداروالي غزنة فلما كان الغد وهو سادس عشر رمضان احضر
القضاة والفقهاء والمقدمين واحضر أيضا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو علي
ابن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وكان قد ورد الى غزنة رسولا الى
شهاب الدين فقتل شهاب الدين وهو بغزنة فارسل اليه والى قاضي غزنة يقول له انني
اريد ان انتقل الى الدار السلطانية وان اخاطب بالملك ولا بد من حضورك والمقصود
من هذا ان تستقر امور الناس فحضر عنده فركب الدز والناس في خدمته وعليه
ثياب الحزن وجلس في الدار في غير مجلس كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيرت لذلك
نيات كثير من الاتراك لانهم كانوا يطيعونه ظنا منهم انه يريد الملك لغياث الدين
فحيث راوه يريد الانفراد تغيروا عن طاعته حتى ان بعضهم بكى غيظا من فعله واقطع
الاقطاعات الكثيرة وفرق الاموال الجليلة وكان عند شهاب الدين جماعة من اولاد
ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فانفوا من خدمة الدز وطلبوا منه ان يقصدوا خدمة
غياث الدين واخيه صاحب باميان وارسل غياث الدين الى الدز يشكره ويثني عليه
لاخراج اولاد بهاء الدين من غزنة وسير له الخلع وطلب منه الخطبة والسكة فلم يفعل
واعاد الجواب فغالطه وطلب منه ان يخاطبه بالملك وان يعتقه من الرق لان غياث
الدين ابن اخي سيده لا وارث له سواه وان يزوج ابنه بابنة الدز فلم يجبه الى ذلك واتفق
ان جماعة من الغوريين من عسكر صاحب باميان اغاروا على اعمال كرمان وسوران
وهي اقطاع الدز القديمة فغنموا وقتلوا فارسل صهره صونج في عسكر فلقوا عسكر
الباميان فظفر بهم وقتل منهم كثيرا وانفذ رؤسهم الى غزنة فنصبت بها واجرى الدز
في غزنة رسوم شهاب الدين وفرق في اهلها اموالا جليلة المقدار والزم مؤيد الملك ان
يكون وزيرا له فامتنع من ذلك فالح عليه فاجابه على كره منه فدخل على مؤيد الملك
صديق له يهنئه فقال بماذا تهنئني من بعد ركوب الجواد بالحمار وانشد

ومن ركب الثور بعد الجوا * د انكر اطلاقه والغبب

بينا الدز ياتي الى بابي الف مرة حتى آذن له في الدخول اصبح على بابه ولولا حفظ النفس
مع هؤلاء الاتراك لكان لي حكم آخر

(ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمه)

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فانه كان في اقطاعه وهو بست واسفرار وكان
الملك علاء الدين بن محمد بن ابي علي قد ولاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من أرض
الراون فلما بلغه قتله سار الى فيروزكوه خوفا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلد
ويأخذ الخزائن التي بها وكان علاء الدين حسن السيرة من أكابر بيوت الغورية الا ان
الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين وأبى الامراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين

والاكتراث بسلطانهم الذي يدعون انهم في طاعته مع مخالفة اوامره ومنع خزينته
واحتقار الولاة ومنعهم من
التصرف والحجر عليهم فلا
يصل للولي عليهم الا بعض
صدقاتهم الى ان تحرك عليهم
حسن باشا الجزائرلي في سنة
مائتين والف وحضر على
الصورة التي حضر فيها وساعدته
الرعية وخرجوا من المدينة
الى الصعيد وانتهكت حرمتهم
ثم رجعوا بعد الفصل في سنة
ست ومائتين الى امارتهم
ودولتهم وعادوا الى حالتهم
الاولى بل وازيد منها في
التعدي فاوجب ذلك ركوب
الفرنساوية عليهم ولم يزل
الحال يتزايد والاهوال يتلو
بعضها بعضا حتى انقلبت
اوضاع الديار المصرية وزالت
حرمتها بالكلية وادى الحال
بالمترجم الى الخروج والتشتيت
والتشريد هو ومن بقي من
عشيرته الى بلاد العبيد
يزرعون الدخن ويتقوتون
منه وملابسهم القمصان التي
يلبسها الجلابة في بلادهم
الى ان وردت الاخبار بموته
في شهر ربيع الاول من السنة
واما جملة اخباره فقد تقدمت
في ضمن السوابق والماجريات
واللواحق (ومات) الامير
الاجل احمد اغا الخازندار
المعروف ببونابارته وهو أيضا
شهير الذكر من اعاظم الدولة
وقد تقدم كثير من اخباره
وسفره الى الحجاز وكان عمر
دارا عظيمة على بركة الازبكية جهة الرويعي ثم عمل مهما بكبير الزواج ابنه وهو اذ ذاك مريض في حياض

سلطانه ولانه كان كراميا مغاليا فى مذهبه وأهل فيروزكوه شافعية والزمهم ان يجعلوا
الاقامة مثنى فلما وصل الى فيروزكوه أحضر جماعة من الامراء منهم محمد المرغنى واخوه
ومحمد بن عثمان وهم من أكابر الامراء وحلفهم على مساعدته على قتال خوارزمشاه
وبهاء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارا له فحلفوا له ولولده من بعده
وكان غياث الدين بمدينة بست لم يتحرك فى شئ انتظارا لما يكون من صاحب باميان
لانهما كانا قد تعاهدا أيام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند
لبهاء الدين وكان بهاء الدين أقوى فلهذا لم يفعل شيئا فلما بلغه خبر موت بهاء الدين جلس
على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان وحلف الامراء الذين قصدوه وهم
اسمعيل الخلجى وسونج أميرشكار وزنكى بن خرجوم وحسين الغورى صاحب
تكياباذ وغيرهم وتلقب بالقاب أبيه غياث الدين وكتب الى علاء الدين محمد بن أبى على
وهو بفيروزكوه يستدعيه اليه ويستعطفه ليصده عن رأيه ويسلم مملكته اليه وكتب
الى الحسين بن خرميل والى هراة بمثل ذلك أيضا ووعده الزيادة فى الاقطاع فأما علاء
الدين فاغلظ له فى الجواب وكتب الى الامراء الذين معه يتهددهم فرحل غياث الدين
الى فيروزكوه فارسل علاء الدين عسكرا مع ولده وفرق فيهم مالا كثيرا وخلع عليهم
ليمنعوا غياث الدين فلقوه قريبا من فيروزكوه فلما تراءى الجمعان كشف اسمعيل
الخلجى المغفر عن وجهه وقال الحمد لله ان الاتراك الذين لا يعرفون آباءهم لم يضيعوا
حق التربية وردوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغورية الذين انعم عليكم والد هذا
السلطان وآباكم واحسن اليكم كفرتم الاحسان وجئتم تقاتلون ولده اهذا فعل
الاحرار فقال محمد المرغنى وهو مقدم العسكر الذين يصدرون عن رأيه لا والله ثم ترجل
عن فرسه وألقى سلاحه وقصد غياث الدين وقبل الارض بين يديه وبكى بصوت عال
وفعل سائر الامراء كذلك فانهزم أصحاب علاء الدين مع ولده فلما بلغه الخبر خرج من
فيروزكوه هاربا نحو الغور وهو يقول أنا أمشى اجاور بمكة فانفذ غياث الدين خلفه من
رده اليه فاخذه وحبسه وملك فيروزكوه وفرح به اهل البلد وقبض غياث الدين على
جماعة من اصحاب علاء الدين الكرامية وقتل بعضهم ولما دخل غياث الدين فيروزكوه
ابتدأ بالجامع فصلى فيه ثم ركب الى دار ابيه فسكنها واعاد رسوم ابيه واستخدم حاشيته
وقدم عليه عبد الجبار بن محمد الكيرانى وزير ابيه واستوزره وسلك طريق ابيه فى
الاحسان والعدل ولما فرغ غياث الدين من علاء الدين لم يكن له همة الا ابن خرميل
بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتخذه ابا واستدعاه اليه وكان ابن خرميل
قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع اعيان الناس منهم قاضى هراة صاعد
ابن الفضل النيسابورى وعلى بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة
وشيخ الاسلام رئيس هراة ونقيب العلويين ومقدمى المحال وقال لهم قد بلغنى وفاة
السلطان شهاب الدين وانا فى نحر خوارزمشاه واخاف الحصار واريد ان تحلفوا لى على
المساعدة على كل من نازعنى فاجابه القاضى وابن زياد باننا نحلف على كل الناس الا ولد

الموت حتى اشيع فى الناس يوم زفة العروس ثم مات بعد أيام قليلة مضت من الفرح وذلك يوم الاربعاء ثالث شهر
جمادى الثانية (وماتت)
الست الجليلة خاتون وهى
سرية على بك بلوط قبان
الكبير وكانت محظيته
وبنى لها الدار العظيمة على
بركة الازبكية بدرب عبد
الحق والساقية والطاحون
بجانبها ولما مات على بك
وتأمر مراد بك فتزوج بها
وعمرت طويلا مع العز
والسيادة والكلمة النافذة
واكثر نساء الامراء من
جواريها ولميات بعد الست
شويكار من اشتهر ذكره
وخبره سواها ولما كان ايام
الفرنساوية واصطلح معهم
مراد بك حصل لها منهم غاية
الكرامة ورتبوا لها من ديوانهم
فى كل شهر مائة الف نصف
فضة وشفاعتها عندهم مقبولة
لاترد وبالجملة فانها كانت
من الخيرات ولها على الفقراء
بر واحسان ولها من المآثر
الخان الجديد والصهريج
داخل باب زويلة توفيت
يوم الخميس لعشرين من
شهر جمادى الاولى بمنزلها
المذكور بدرب عبد الحق
ودفنت بحوشهم فى القرافة
الصغرى بجوار الامام الشافعى
واضيفت الدار الى الدولة
وسكنها بعض اكابرها
وسبحان الحى الذى لا يموت
(ومات) المقر الكريم
المخدوم احمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد على باشا مالك الاقاليم

غياث الدين فحقد عليهما فلما وصل كتاب غياث الدين خاف ميل الناس اليه فغالطه
في الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزمشاه يطلب منه ان يرسل اليه عسكرا
ليصير في طاعته ويمتنع به على الغورية فطلب منه خوارزمشاه انفاذ ولده رهينة
ويرسل اليه عسكرا فسير ولده الى خوارزمشاه فكتب خوارزمشاه الى عسكره الذين
بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان يامرهم بالتوجه الى هراة وان يكونوا يتصرفون بامر
ابن خرميل ويمتثلون امره هذا وغياث الدين يتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يحتج
بشئ بعد شئ انتظار العسكر خوارزمشاه ولا يؤيسه من طاعته ولا يخطب له ويطيعه
طاعة غير مستوية ثم ان الامير علي بن ابي علي صاحب كالوين اطلع غياث الدين على حال
ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجه الى هراة فثبطه بعض الامراء الذين معه
واشاروا عليه بانتظار آخر امره وترك محاققته واستشار ابن خرميل القاضي في امر غياث
الدين فقال له علي بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة وهو متولي وقوف
خراسان التي بيده للغورية جميعها ينبغي ان تخطب للسلطان غياث الدين وتترك
المغالطة انني اخاف على نفسي فامض أنت وتوثق لي منه وكان قصده ان يبعده عن
نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين واطلعه على ما يريد ابن خرميل يفعله من الغدر به
والميل الى خوارزمشاه وحثه على قصد هراة وقال له انا اسلمها اليك ساعة تصل اليها
ووافقه بعض الامراء وخالفه غيرهم وقال ينبغي ان لا تترك له حجة فترسل اليه تقليدا
بولاية هراة ففعل ذلك وسيره مع ابن زياد وبعض اصحابه ثم ان غياث الدين كاتب
ميران بن قيصر صاحب الطالقان يستدعيه اليه فتوقف وارسل الى صاحب مرو
ليسير اليه فتوقف ايضا فقال له اهل البلد ان لم تسلم البلد الى غياث الدين وتتوجه
والا سلمناك وقيدناك وارسلناك اليه فاضطر الى المجئ الى فيروزكوه فخلع عليه غياث
الدين واقطعه اقطاعات شتى واقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف بامير اشكار

(ذكر استيلاء خوارزمشاه على بلاد الغورية بخراسان)

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والي هراة خوارزمشاه ومراسلته في الانتماء اليه
والطاعة له وترك طاعة الغورية وخداعه لغياث الدين ومغالطته له بالخطبة له والطاعة
انتظار الوصول عسكر خوارزمشاه ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال
يوم الجمعة نخطب له فاتفق قرب عسكر خوارزمشاه منهم فلما كان يوم الجمعة قيل له
في معنى الخطبة فقال نحن في شغل اهم منها بوصول هذا العدو فطالت المجادلات بينهم في
ذلك وهو مصر على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزمشاه فلقيهم ابن خرميل وانزلهم
على باب البلد فقالوا له قد امرنا خوارزمشاه اننا لا نخالف لك امرا فشكرهم على ذلك وكان
يخرج اليهم كل يوم واقام لهم الوظائف الكثيرة واتاه الخبر ان خوارزمشاه نزل على بلخ
يحاصرها فلقيه صاحبها وقاتله بظاهر البلد فلم ينزل بالقرب منها فنزل على اربعة فراسخ
فندم ابن خرميل على طاعة خوارزمشاه وقال لخواصه لقد اخطأنا حيث صرنا مع هذا
الرجل فانني اراه عاجزا وشرع في اعادة العسكر فقال للامراء ان خوارزمشاه قد ارسل

المصرية والحجازية والثغور وما اضيف اليها وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية وتوجهه الى
الاسكندرية ورجوعه الى
مصر ثم عوده الى ناحية رشيد
وعرضي خيامه جهة الجهاد
بالعسكر على الصورة المذكورة
وهو ينتقل من العرضي الى
رشيد ثم الى برنبال والى منضوف
والعزب ولما رجع في هذه
المرة اخذ صحبته من مصر
المغنين وارباب الآلات
المطربة بالعود والقانون
والناي والكمنجات وهم
ابراهيم الوراق والحبابي وقشوة
ومن يصحبهم من باقي رفقائهم
فذهب ببعض خواصه الى
رشيد ومعه الجماعة
المذكورون فاقام اياما وحضر
اليه من جهة الروم جوار
وغلمان ايضا رقاصون فانتقل
بهم الى قصر برنبال ففي ليلة
حلوله بها نزل به ما نزل به
من المقدور فتمرض بالطاعون
وتعلل نحو عشر ساعات
وانقضى نحبه وذلك ليلة
الاحد سابع شهر القعدة
وحضره خليل افندي قوللي
حاكم رشيد وعندما خرجت
روحه انتفخ جسمه وتغير
لونه الى الزرقة فغسلوه وكفنوه
ووضعوه في صندوق من
الخشب ووصلوا به في السفينة
منتصف ليلة الاربعاء عاشره
وكان والده بالجيزة فلم يتجاسروا
على اخباره فذهب اليه احمد اغا
اخو كتخدا بك فلما علم
بوصوله ليلا الا انه تذكر حضوره في ذلك الوقت فاخبره عنه انه ورد الى شبرا متوعكا فركب

الى غياث الدين يقول له انني على العهد الذي بيننا وانا اترك ما كان لابيك بخراسان والمصلحة ان ترجعوا حتى ننظر ما يكون فعادوا وارسل اليهم الهدايا الكثيرة وكان غياث الدين حيث اتصل به وصول عسكر خوارزمشاه الى هراة اخذ اقطاع ابن خرميل وارسل الى كرزبان واخذ كل ماله بها من مال واولاد ودواب وغير ذلك واخذ أصحابه في القيود وأتاه كتب من يميل اليه من الغورية يقولون له ان وَرَآكَ غياث الدين قتلناك ولما سمع أهل هراة بما فعل غياث الدين باهل ابن خرميل وماله عزموا على قبضه والمكاتبة الى غياث الدين بانفاذ من يتسلم البلد وكتب القاضي صاعد قاضي هراة وابن زياد الى غياث الدين بذلك فلما سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين باهله وبما عزم عليه أهل هراة خاف ان يعاجله بالقبض فحضر عند القاضي وأحضر اعيان البلد والان لهم القول وتقرب اليهم وأظهر طاعة غياث الدين وقال قد رددت عسكر خوارزمشاه وأريد ارسل رسولا الى غياث الدين بطاعتي والذي اوثره منكم ان تكتبوا معه كتابا بطاعتي فاستحسنوا قوله وكتبوا له بما طلب وسير رسوله الى فيروزكوه وأمره اذا جنه الليل أن يرجع على طريق نيسابور ويلحق عسكر خوارزمشاه ويجد السير فاذا لحقهم ردهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر على يومين من هراة فامرهم بالعود فعادوا فلما كان اليوم الرابع من سير الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلما دخلوا اخذ ابن زياد الفقيه فسمله واخرج القاضي صاعدا من البلد فسار الى غياث الدين بفيروزكوه واخرج من عنده من الغورية وكل من يعلم انه يريدهم وسلم ابواب البلد الى الخوارزمية واما غياث الدين فانه برز من فيروزكوه نحو هراة وارسل عسكرا فاخذوا حشيرا كان لاهل هراة فخرج الخوارزمية فشنوا الغارة على هراة الروذ وغيره فامر غياث الدين عسكره بالتقدم الى هراة وجعل المقدم عليهم علي بن ابي علي واقام هو بفيروزكوه لما بلغه ان خوارزمشاه لي بلخ فسار العسكر وعلى يزكه الامير اميران بن قيصر الذي كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرفه انه على اليزك ويامره بالمجيء اليه فانه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل في عسكره فكبس عسكر غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتى خالطوهم فقتلوا فيهم فكف ابن خرميل أصحابه عن الغور يتخوفا ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجي وأقام بمكانه وأرسل عسكره فشنوا الغارة على البلاد باذغيس وغيرها وعظم الامر على غياث الدين فعزم على المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر ان علاء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الدز واما بلخ فان خوارزمشاه لما بلغه قتل شهاب الدين أخرج من كان عنده من الغور يين الذين كان أسرهم في المصاف على باب خوارزم فخلع عليهم وأحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال ان غياث الدين أخي ولا فرق بيني و بينه فمن أحب منكم المقام عندي فليقم ومن أحب ان يسير اليه فانني اسيره ولو ارادمني مهما أراد نزلت له عنه وعهد الى محمد بن علي بن بشير وهو من أكابر

في الحين القبة وانحدر الى شبرا وطلع الى القصر وصار يمر بالمخادع ويقول أين هو فلم يتجاسر أحد ان يصرح بموته وكانوا ذهبوا به وهو في السفينة الى بولاق ورسوا به عند الترسخانه واقبل كتخدا بك على الباشا فرآه يبكي فانزعج انزعاجا شديدا وكاد ان يقع على الارض ونزل السفينة فاتى بولاق آخر الليل وانطلقت الرسل لاخبار الاعيان فركبوا باجمعهم الى بولاق وحضر القاضي والاشياخ والسيد المحروقي ثم نصبوا اقطاف ساترا على السفينة واخرجوا الناووس والدم والصديد يقطر منه وطلبوا القلاقطة اسد خرقه ومنافسه ونصبوا عودا عند رأسه ووضعوا عليه تاج الوزارة المسمى بالطلخان وانجروا بالجنازة من غير ترتيب والجميع مشاة امامه وخلفه وليس فيها من جوقات الجنائز المعتادة كالفقهاء وأولاد المكاتيب والاحزاب شئ من ساحل بولاق على طريق المدابغ وباب الخرق على الدرب الاحمر على التبانة الى الرميلة فصلوا عليه بمصلى المؤمنين وذهبوا به الى المدفن الذي أعده الباشا لنفسه ولموتاه كل هذه المسافة ووالده خلف نعشه ينظر اليه و يبكي ومع الجنازة أربعة من الهجن تحمل القروش وربعيات الذهب ودراهم انصاف عددية ينثرون بها على

الاحراء

الامراء الغورية فاحسن اليه واقطعه استمالة للغورية وجعله سفيرا بينه وبين صاحب
بلخ فسير اخاه على شاه بين يديه فى عسكره الى بلخ فلما قاربها خرج اليه عماد الدين عمر بن
الحسين الغورى اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ عنها فارسل
الى اخيه خوارزمشاه يعلمه قوتهم فسار اليها فى ذى القعدة من السنة فلما وصل الى بلخ
خرج صاحبها فقاتلهم فلم يقو بهم لكثرتهم فنزلوا فصار يوقع بهم ايلافا كانوا معه على
اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرا وهو ينتظر المدد من اصحابه أولاد بهاء الدين
صاحب باميان وكانوا قد اشتغلوا عنه بغزنة على ما ذكرناه وعلى ما نذكره ان شاء الله
تعالى فاقام خوارزمشاه على بلخ اربعين يوما كل يوم يركب الى الحرب فيقتل من اصحابه
كثير ولا يظفر بشئ فراسل صاحبها عماد الدين مع محمد بن على بن بشير الغورى وبذل له
بذلا كثيرا ليسلم اليه البلد فلم يجبه الى ذلك وقال لا أسلم البلد الا الى اصحابه فعزم على
المسير الى هراة فلما سار اصحابه أولاد بهاء الدين صاحب باميان الى غزنة المرة
الثانية على ما نذكره ان شاء الله تعالى واسرهم تاج الدين الدز عاد عن ذلك العزم
وارسل محمد بن على بن بشير الى عماد الدين ثانيه يعرفه حال اصحابه واسرهم وانه لا يبقى
عليه حجة ولا له فى التاخر عنه عذر فدخل اليه ولم يزل يخدعه تارة يرغبه وتارة يرهبه
حتى اجاب الى طاعة خوارزمشاه والخطبة له وذكر اسمه على السكة وقال انا اعلم انه
لا يفى له وارسل من يستحلفه على ما اراد فتم الصلح وخرج الى خوارزمشاه فخلع عليه
واعاده الى بلده وكان سلخ ربيع الاول سنة ثلاث وستمائة ثم سار خوارزمشاه الى
كرزبان ليحاصرها وبها على بن ابى على وارسل الى غياث الدين يقول ان هذه كان قد
اقطعها عمك لابن خرميل فتنزل عنها اقامته ثم وقال بينى وبينكم السيف فارسل اليه
خوارزمشاه مع محمد بن على بن بشير فرغبه وآيسه من نجدة غياث الدين ولم يزل به
حتى نزل عنها وسلمها وعاد الى فيروزكوه فامر غياث الدين بقتله فشفع فيه الامراء فتركه
وسلم خوارزمشاه كرزبان الى ابن خرميل ثم ارسل الى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه اليه
ويقول قد حضرهم ولا غنى عن حضورك فانت اليوم من اخص اوليائنا فحضر عنده
فقبض عليه وسيره الى خوارزم ومضى هو الى بلخ فاخذها واستناب بها جعفرا التركى

(ذكر ملك خوارزمشاه ترمذ وتسليمها الى الخطا)

لما اخذ خوارزمشاه مدينة بلخ سار عنها الى مدينة ترمذ مجدا وبها ولد عماد الدين الذى
كان صاحب بلخ فارسل اليه محمد بن على بن بشير يقول له ان اباك قد صار من أخص
اصحابى وأكابر امراء دولتى وقد سلم الى بلخ واما ظهر لى منه ما انكرته فسيرته الى
خوارزم مكرما محترما واما انت فتكون عندى أخا وعده واقطعه الكثير فخدعه
محمد بن على فرأى صاحبها ان خوارزمشاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من
جانب آخر واصحابه قد اسرهم الدز بغزنة فضعفت نفسه وارسل من يستحلف له
خوارزمشاه فحلف له وتسلم منه ترمذ وسلمها الى الخطا فلقد اكتسب بها خوارزمشاه

الارض وعلى الكيمان وعن يمين الكتخدا ويساره شخصان يتناولان منهما
قراطيس الفضة يفرق على من يتعرض ا
له من الفقراء والصبيان فاذا
تكاثروا عليه نثر ما بقى فى يده
عليهم فيشتغلون عنه
بالتقاطها من الارض فكان
جملة ما فرق وبدر من الانصاف
العددية فقط خمسة وعشرين
كيسا عنها خمسمائة الف فضة
وذلك خلاف القروش أيضا
والربعيات الذهب وساقوا
امام الجنازة ستة رؤس من
الجواميس الكبار أخذ منها
خدمة التربة ومن حولهم
وخدمة ضريح الامام الشافعى
ولم ينل الفقراء الا ما فضل
عنهم واخرجوا لاسقاط
صلاة المتوفى خمسة وأربعين
كيسا تناولها فقراء الازهر
وفرقت بجامع الغما كما فى
بحسب الاغراض للغنى منهم
اضعاف قسم الفقير وأكثر
الفقراء من الفقهاء لم ينالوا
ولا القليل ولما وصلوا الى
المدفن هدموا التربة وانزلوه
فيها بتابوته الخشب لتعسر
اخراجه منه بسبب انتفاخه
وتهريه حتى انهم كانوا
يطلقون حول تابوته البخورات
فى مجامر الذهب والرائحة
غالبة على ذلك وليس ثم من
يتعظ او يعتبر ولما مات
لم يخبروا والدته بموته الا بعد
دفنه فجزعت عليه جزعا
شديدا ولبست السواد
وكذلك جميع نسائهم
واتباعهم وصبغوا ابراقعهم بالسواد والزرقة وكذلك من ينافقهم من الناس حتى لطخوا أبواب البيوت ببولاق

مصيبة عظيمة وذكرا قبيحا في عاجل الامر ثم ظهر للناس بعد ذلك انه انما سلمها اليهم ليتمكن بذلك من ملك خراسان ثم يعود اليهم فيأخذها وغيرها منهم لانه لما ملك خراسان وقصد بلاد الخطا واخذها وافناهم ظهر على الناس انه فعل ذلك خديعة ومكرا غفر الله له

(ذكر عود اصحاب باميان الى غزنة)

قد ذكرنا قبل وصول الدز التركي الى غزنة واخراجه علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين سام صاحب باميان منها بعد ان ملكها وأقام هو في غزنة من عاشر رمضان سنة اثنتين وستمائة الى خامس ذى القعدة من السنة يحسن السيرة ويعدل في الرعية وأقطع البلاد للاجناد فبعضهم أقام وبعضهم سار الى غياث الدين ولم يخطب لاحد ولا لنفسه وكان يعد الناس بان رسولي عند مولاى غياث الدين فاذا عاد خطبت له ففرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرا وخديعة بهم وبغياث الدين لانه لولم يظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وسائر الرعايا وكان حينئذ يضعف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا القول وأشباهه فلما ظفر بصاحب باميان على ما نذكره أظهر ما كان يضمره فبينما هو في هذا أتاه الخبر بقرب علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين صاحب باميان في العساكر الكثيرة وانهم قد عزموا على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفا شديدا وجهز الدز كثيرا من عسكره وسيرهم الى طريقهم فلقوا أوائل العسكر فقتل من الاتراك وأدركهم العسكر فلم يكن لهم قوة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علاء الدين يقتلون ويأسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج عنها الدز منهزما يطلب بلده كرمان فادركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة آلاف فارس فقاتلهم قتالا شديدا فردهم عنه وأحضر من كرمان مالا كثيرا وسلاحا ففرقه في العسكر واما علاء الدين واخوه فانهما تركا غزنة لم يدخلاها وسارا في اثر الدز فسمع بهم فسار عن كرمان فنهب الناس بعضهم بعضا وملك علاء الدين كرمان وامنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونهبها فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضي سعيد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى وزير علاء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيب قلوبهم واخبرهم غيره ممن يثقون اليه انهم مجمعون على النهب فاستعدوا وضيقوا ابواب الدروب والشوارع واعدوا العرادات والاحجار وجاءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يسكنهم احد فقصدوا داود مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فسكنهم ووعدهم الشفاعة فيهم وفي اهل البلد فارسل الى امير كبير من الغورية يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخا كبيرا يرجعون الى قوله يعرفه الحال ويقول له يكتب الى علاء الدين واخيه يتشفع في الناس ففعل وبالغ في الشفاعة وخوفهم من اهل البلدان اصروا على النهب فاجابوه الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد

وغيرها بالوحل وامتنع الناس بالامر عليهم من عمل الافراح ودق الطبول طبلخاناة ونوبة الباشا واسمعيل باشا وطاهر باشا حتى ما يفعله دراويش المولوية في تكاياهم عند المقابلة من الناى والطبل اربعين يوما واقاموا عليه العزاء عند القبر وعدة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدة الاربعين يوما ورتبوا لهم ذبائح وما كل وكل ما يحتاجونه ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته واخوانه والواردين من اقاربه وغيرهم على حد قول القائل

مصائب قوم عند قوم فوائد

ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين وكان ابيض جسيما كما قد دارت لحيته بطلا شجاعا جوادا له ميل لاولاد العرب منقادا لملة الاسلام ويعترض على ابيه في افعاله تخافه العسكر وتهابه ومن اقترف ذنبا صغيرا قتله مع احسانه وعطاياه للمنقادين منهم ولامرائه ولغالب الناس اليه ميل وكانوا يرجون تأمره بعد أبيه ويأبى الله الا ما يريد (ومات) الوزير المعظم يوسف باشا المنفصل عن امارة الشام وحضر الى مصر من نحو ثلاث سنوات هاربا ومتحيزا الى حاكم مصر وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين ومائتين وألف واصله من الاكراد الدكرلية وينسب الى الاكراد الملية وابتداء أمره باخبار من يعرفه انه هرب من أهله وعمره اذذاك خمس

وعدوا

وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة فعوضهم من الخزانة فسكن الناس وعاد العسكر الى غزنة اواخر ذى القعدة ومعهم الخزانة التى اخذها الدز من مؤيد الملك لما عاد ومعه شهاب الدين قتيلا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والعين تسعمائة حمل ومن جملة ما كان فيها من الثياب المعزج المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم علاء الدين ان يستوزر مؤيد الملك فسمع اخوه جلال الدين فاحضره وخلع عليه على كراهة منه للخلعة واستوزره فلما سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيد الملك وقيده وحبسه فتغيرت نيات الناس واختلفوا ثم ان علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة وجرى بينهما من المشاححة فى القسمة ما لا يجرى بين التجار فاستدل بذلك الناس على انهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما واختلافهما وندم الامراء على ميلهم اليهما وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثم ان جلال الدين وعمه ساسا الى بعض العسكر الى باميان وبقى علاء الدين بغزنة فاساء وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد والرعية ونهب اموال الاتراك حتى انهم باعوا امهات اولادهم وهن يبكين ويصرخن ولا يلتفت اليهن

(ذكر عود الدز الى غزنة)

لما سار جلال الدين عن غزنة واقام بها اخوه علاء الدين جمع الدز ومن معه من الاتراك عسكرا كثيرا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كلوا فملكوها وقتلوا جماعة من الغورية ووصل المنهزمون الى كرمان فسار الدز اليهم وجعل على مقدمته مملوكا كبيرا من مماليك شهاب الدين اسمه ايدكز التتر فى الفى فارس من الخلج والاتراك والغز والغورية وغيرهم وكان بكرمان عسكر لعلاء الدين مع امير يقال له ابن المؤيد ومعه جماعة من الامراء منهم ابو على بن سليمان بن سيسر وهو وابوه من اعيان الغورية وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب لا يفتران عن ذلك فقيل لهما ان عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك ولا تركا ما كانا عليه فهجم عليهم ايدكز التتر ومن معه من الاتراك فلم يمهلهم يركبون خيولهم فقتلوا عن آخرهم منهم من قتل فى المعركة ومنهم من قتل صبرا ولم ينج الا من تركه الاتراك عمدا ولما وصل الدز ورأى امراء الغورية كلهم قتلى قال كل هؤلاء قاتلونا فقال ايدكز التتر لا بل قتلناهم صبرا فلامه على ذلك ووبخهوا حضر راس ابن المؤيد بين يديه فسجد شكرا لله تعالى وامر بالمقتولين فغسلوا ودفنوا وكان فى جملة القتلى ابو على بن سليمان ابن سيسر ووصل الخبر الى غزنة فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة فصلب علاء الدين الذى جاء بالخبر فتغيمت السماء وجاء مطر شديد خرب بعض غزنة وجاء بعده برد كبار مثل بيض الدجاج فضج الناس الى علاء الدين بانزال المصلوب فانزله آخر النهار فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه وملك الدز كرمان واحسن الى اهلها وكانوا فى ضر شديد مع اولئك ولما صح الخبر عند علاء الدين ارسل وزيره الصاحب الى اخيه جلال الدين فى باميان يخبره بحال الدز ويستنجده وكان قد اعد العساكر ليسير الى بلخ يرحل

عشرة سنة فوصل الى حماة وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين الى ان البسه قلبق ثم خدم بعده ملا اسمعيل بالكتاش وتعلم الفروسية والرماحة فلعب يوما فى القمار وخسر فيه وخاف على نفسه فخرج هاربا الى عمر اغا باسيلى من اشراقات ابراهيم باشا المعروف بالازدن فتوجه معه الى غزة وكان مع المترجم جوادا اشقر من جياد الخيل فقلده على اغا متسلم غزة عمر اغا المذكور وجعله دالى باشا ففى بعض الايام طلب المتسلم من المترجم الجواد فقال له ان قلدتنى دالى باشا قدمته لك فاجابه الى ذلك وعزل عمر اغا وقلد المترجم المنصب عوضا عنه وامتنع من اعطائه ذلك الجواد واقام فى خدمته مدة فوصل مرسوم من احمد باشا الجزار خطابا للمترجم بالقبض على المتسلم واحضاره الى طرفه وان فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة بيرق ففعل ذلك واوقع القبض على على اغا المتسلم وتوجه الى عكا بلدة الجزار فقال المتسلم للمترجم فى اثناء الطريق تعلم ان الجزار رجل سفاك دماء فلا توصلنى اليه وان كان وعدك بمال انا اعطيك اضعافه واطلقنى اذهب حيث شاء الله ولا تشاركه فى دمى فلم يجبه الى ذلك واوصله الى الجزار فحبسه ثم قتله ورماه فى البحر واقام المترجم بباب الجزار اياما ثم ارسل اليه يامره بالذهاب

عنها خوارزمشاه فلما اتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة وكان اكثر عسكره من الغورية قد فارقوه وفارقوا اخاه وقصدوا غياث الدين فلما كانوا خرذى الحجة وصل الدز الى غزنة ونزل هو وعسكره بازاء قلعة غزنة وحصر علاء الدين وجرى بينهم قتال شديد وامر الدز فنودى فى البلد بالامان وتسكين الناس من اهل البلد والغورية وعسكر باميان واقام الدز محاصر القلعة فوصل جلال الدين فى اربعة آلاف من عسكر باميان وغيرهم فرحل الدز الى طريقهم وكان مقامه الى ان سار اليهم اربعين يوما فلما سار الدز سير علاء الدين من كان عنده من العسكر وامرهم ان ياتوا الدز من خلفه ويكون اخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره احد فلما خرجوا من القلعة سار سليمان بن سيسر الغورى الى غياث الدين بفيروزكوه فلما وصل أكرمه وعظمه وجعل أمير دار فيروزكوه وكان ذلك فى صفر سنة ثلاث وستمائة واما الدز فانه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية بلق فاقتتلوا قتالا صبر وافيه فانهزم جلال الدين وعسكره وأخذ جلال الدين اسيرا واتى الى الدز فلما رآه ترجل وقبل يده وامر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه اسير والف اسير من البامياينة وغنم اصحابه اموالهم ولما عاد الى غزنة ارسل الى علاء الدين يقول له ليسلم القلعة اليه والا قتل من عنده من الاسرى فلم يسلمها فقتل منهم اربعمائة اسير بازاء القلعة فلما رأى علاء الدين ذلك أرسل مؤيد الملك يطلب الامان فامنه الدز فلما خرج قبض عليه ووكل به وباخيه من يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه تكش مع علاء الدين بقلعة غزنة فلما خرج منها قبض عليه أيضا وكتب الى غياث الدين بالفتح وأرسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

(ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان)

فى هذه السنة اتفق صاحب مراغة وهو علاء الدين هو ومظفر الدين كوكبرى صاحب اربل على قصد اذربيجان وأخذها من صاحبها أبى بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلا ونهارا وتركه النظر فى أحوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علاء الدين وتقدما نحو تبريز فلما علم صاحبها أبو بكر أرسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان والرى وما بينهما من البلاد وهو مملوك أبيه البهلوان وهو فى طاعة أبى بكر الا انه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى أبى بكر فارسل اليه أبو بكر يستنجده ويعرفه الحال وكان حينئذ ببلاد الاسماعيلية فلما أتاه الخبر سار اليه فى العساكر الكثيرة فلما حضر عنده أرسل الى صاحب اربل يقول له اننا كنا نسمع عنك انك تحب أهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنا نعتقد فيك الخير والدين فلما كان الآن ظهر لنا منك ضد ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب أموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فما لك عقل تجىء الينا وأنت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل واحسب انك هزمت هذا اما تعلم ان له مماليك انا أحدهم ولو أخذ من كل قرية شحنة

الى حيث يريد فانه لاخير فيه . ١١ الخيانته لمخدومه فذهب الى حماة واقام عند اغاته اسمعيل اغا وهو متول من طرف عبد الله باشا المعروف بابن العظم فاقام فى خدمته كالارجى زمنا نحو الثلاث سنوات وكان بين عبد الله باشا واحمد باشا الجزار عداوة فتوجه عبد الله باشا الى الدورة فارسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق فسلك طريقا اخرى فلما وصل الى جنينى وهى مدينة قريبة من بلاد الجزار وجه الجزار عساكره عليه فلما تقارب العسكران وتسامعت اهل النواحى امتنعوا من دفع الاموال فما وسع عبد الله باشا الا الرحيل وتوجه الى ناحية نابلس مسافة يومين وحاصر بلدة تسمى صوفين واخذ مدافع من يافا واقام محاصرها ستة ايام ثم طلبوا الامان فامنهم ورحل عنهم الى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة وفرق عساكره لقبض اموال الميرى من البلاد واقام هو فى قله من العسكر فوصل اليه خيال وقت العصر فى يوم من الايام يخبره بوصول عساكر الجزار وانه لم يكن بينه وبينهم الا نصف ساعة وهم خمسة آلاف مقاتل فارتبك فى أمره وارسل الى النواحى فحضر اليه من حضروهم نحو الثلثمائة خيال وهو بدائرته نحو الثمانين فامر بالركوب فلما تقارب باهاله كثرة عساكر العدو وايقنوا بالهلاك فتقدم المترجم الى العسكر واشار عليهم بالثبات وقال

ومن كل مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انك ترجع الى
بلدك وانما أقول لك هذا ابقاء عليك ثم سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلما سمعها
مظفر الدين وبلغه مسيرا يتغمش عزم على العود فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه
ويسلم عسكره اليه وقال له انني قد كاتبني جميع امرائه ليكونوا معي اذا قصدتهم فلم يقبل
مظفر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقة والمضايق الصعبة والعقاب
الشاهقة خوفا من الطلب ثم ان أبا بكر وايتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهما
صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى أبي بكر هي كانت سبب الاختلاف واقطعه
ابو بكر مدينتي استوا وارمية وعاد عنه

(ذكر ايقاع ايتغمش بالاسماعيلية)

وفي هذه السنة سار ايتغمش الى بلاد الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة
كبيرة ونهب وسبي وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمم العزم على حصر الموت
واستئصال أهلها فاتفق ما ذكرنا من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه
الامير أبو بكر ففارق بلادهم وسار الى أبي بكر كما ذكرناه

(ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلاد الجبل وما كان منهم)

وفي هذه السنة سار من عسكر خوارزم طائفة كبيرة نحو عشرة آلاف فارس باهليهم
وأولادهم فوصلوا الى زنكان وكان ايتغمش صاحبها مشغولا مع صاحب اربل
وصاحب مراغة واغتنموا واخلوا البلاد فلما عاد مظفر الدين الى بلده وانفصل الحال بين
ايتغمش وصاحب مراغة سار ايتغمش نحو الخوارزمية فلقيهم وقاتلهم فاشتد القتال
بين الطائفتين ثم انهزم الخوارزميون واخذهم السيف فقتل منهم وأسر خلق كثير
ولم ينج منهم الا الشريد وسبي نساؤهم وغنمت أموالهم وكانوا قد افسدوا في البلاد
بالنهب والقتل فلقوا عاقبة فعلهم

(ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب)

وفي هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الارمني صاحب الدروب على ولاية حلب
فنهب وحرق وأسر وسبي فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب
حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن
حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس اليه
طريق لان جميع بلاده لا طريق اليها الا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر
غيره على الدخول اليها لاسيما من ناحية حلب فان الطريق منها متعذر جدا فنزل الظاهر
على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع أمير كبير من
مماليك أبيه يعرف بميمون القصري ينسب الى قصر الخلفاء العلويين بمصر لان أباه منهم
أخذه فانفذ الظاهر ميرة وسلاحا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ
الى ميمون ليرسل طائفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها

لهم لم يكن غير ذلك فانما ان فررناها اسكناء عن آخرنا وتقدم المترجم مع اغاته ١١ ملا اسمعيل وتبعهم العسكر وهجموا وسط
خيل العدو وصدقوا الحملة
حملة واحدة فحصلت في العدو
الهزيمة وركبوا أقفيتهم
وتبعهم المترجم حتى حال الليل
بينهم فرجعوا برؤس القتلى
والقلائع فلما اصبح النهار
عرضوها على الوزير وهي
نحو الالف رأس والف قليعة
فخلع عليهم وشكرهم
وارتحلوا الى دمشق وذهب
المترجم مع اغاته الى مدينة حماة
واستمر هنالك الى ان حضر
الوزير الاعظم يوسف باشا
المعروف بالمعدن الى دمشق
بسبب الفرنساوية ففارق
المترجم مخدومه في نحو
السبعين خيالا وجعل يدور
باراضي حماة بطالا ويقال
له قبس فيراسل الجزار لينضم
اليه وكان الجزار عند حضور
الوزير انفصل حكمه عن
دمشق ووجه ولايتها الى
عبد الله باشا العظم فلما بلغ
المترجم ذلك توجه الى لقاء
عبد الله باشا بالمعرة فاكرمه
عبد الله باشا وقلده دالي باشا
كبيرا على جميع الخيالة حتى
على اغاته ملا اسمعيل اغا
واقام بدمشق مدة الى ان حاصر
عبد الله باشا مدينة طرابلس
فوصل اليه الخبر بان عساكر
الجزار استولوا على دمشق
وبلادها فركب عبد الله
باشا وذهب الى دمشق ودخلها بالسيف ونهب عرضيه خارجها فوصل خبر ذلك الى الجزار فكاتب عساكر عبد الله

الى در بساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجد فوافاه وهو مخف من العسكر فقاتله واشتد القتال بينهم فارسل ميمون الى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الارمن فانهزم المسلمون ونال العدو منهم فقتل واسر وكذلك ايضا فعل المسلمون بالارمن من كثرة القتل وظفر الارمن باثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر الى در بساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم الا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم المسلمون أيضا وعاد الارمن الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم

(ذكر نهب الكرج ارمينية)

في هذه السنة قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من ارمينية ونهبوا وقتلوا واسروا وسبوا أهلها كثيرا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج اليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرفين في النهب والسبي والبلاد شاغرة لا مانع لها لان صاحبها صبي والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجند فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا وحرض بعضهم بعضا واجتمعت العساكر الاسلامية التي بتلك الولاية جميعها وانضاف اليهم من المتطوعة كثير فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون فرأى بعض الصوفية الاخيار الشيخ محمد البستي وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفي أراك ههنا فقال جئت لمساعدة المسلمين على عدوهم فاستيقظ فرحا بجعل البستي من الاسلام وأتى الى مدبر العسكر والقيم بامره وقص عليه رؤياه ففرح بذلك وقوي عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر اليهم فنزل منزلا فوصلت الاخبار الى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فانتقلوا من موضعهم بالوادي الى اعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين اذا لم لايل فاتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج وأمسكوا عليهم رأس الوادي وأسفله وهو واد ليس اليه غير هذين الطريقين فلما رأى الكرج ذلك ايقنوا بالهلاك وسقط في أيديهم وطمع المسلمون فيهم وضايقوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيرا وأسروا مثلهم ولم يفلت من الكرج الا القليل وكفى الله المسلمين شرهم بعد ان كانوا أشرفوا على الهلاك

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الامير طاشتكين مجير الدين أمير الحاج بتستر وكان قد ولاه الخليفة على جميع خوزستان وكان أميرا على الحاج سنين كثيرة وكان خيرا صالحا حسن السيرة كثير العبادة يتشيع ولما مات ولى الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين زوج ابنته وفيها قتل سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش أمير عبادة بالعراق وكان سبب قتله انه سعى بابيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فامر بالتوكيل على أبيه فبقي مدة ثم اطلقه الخليفة ثم ان سنجرا قتل أخا له اسمه م

باشا يستميلهم لان معظمهم غرباء فاتفقوا على خيانته والقبض عليه وتسليمه الى الجزار وعلم ذلك وتثبته فركب في بعض مماليكه وخاصته الى وطاق المترجم وهو اذذاك دالي باشا واعلمه الخبر وانه يريد النجاة بنفسه فركب بمن معه واخرجه من بين العسكر قهرا عنهم واوصله الى شول بغداد ثم ذهب هو الى الهند الى بغداد ورجع المترجم الى حماة فقبل وصوله اليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه فذهب اليه فجعله مقدم ألف وقلده باش الجردة فسافر الى الحجاز بالملاقاة وكان امير الحاج الشامي اذذاك سليمان باشا عوضا عن مخدومه احمد باشا الجزار فلما وصلوا في نصف الطريق وصلهم خبر موت الجزار فرجع يوسف المترجم الى الشام واستولى اسمعيل باشا على عكا وتوجه منصب ولاية الشام الى ابراهيم باشا المعروف بقطراغاسي أي اغات البغال وفي فرمان ولايته الامر بقطع رأس اسمعيل باشا وضبط مال الجزار فذهب المترجم بخيله واتباعه الى ابراهيم باشا وخدم عنده وركب الى عكا وحصروها وحطوا في ارض الكرداني مسيرة ساعة من عكا وكانت الحرب بينهم سجالا وعساكر اسمعيل باشا نحو العشرة آلاف والمترجم يباشر الوقائع وكل وقعة يظهر فيها على الخصم ففي يوم من الايام لم يشعروا الا وعسكر اسمعيل باشا نافذ اليهم من طريق

فاوقر

فاوغر بهذه الاسباب صدور اهله واخوته فلما كان هذه السنة في شعبان نزل بارض المعشوق وركب في بعض الايام ومعه اخوته وغيرهم من أصحابه فلما انفرد عن أصحابه ضربه اخوه علي بن مقلد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته اليه فقتلوه وفيها تجهز غياث الدين خسروشاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون وحصر صاحبها لانه كان قد خرج عن طاعته فضيق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها براو بحرا ولم يخرج منهم أحد الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لانهم كانوا يتجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير فحيث لم ينفتح الطريق تاذوا أذى كثيرا فكان السعيد منهم من عاد الى رأس ماله وفيها تزوج أبو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك ان الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما رأوا من عجزه وانهماكه في الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما رأى هو أيضا ذلك ولم يكن عنده من الحمية والانفة من هذه المناحس ما يترك ماهو مصر عليه وانه لا يقدر على الذب عن البلاد عدل الى الذب عنها بايره فخطب ابنة ملكهم فتزوجها فكف الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل أغمد سيفه وسل ايره وفيها حمل الى ازبك خروف وجهه صورة آدمي وبدنه بدن خروف وكان هذا من العجائب وفيها توفي القاضي أبو محمد بن محمد المانداي الواسطي بها وفيها في شوال توفي فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المرورودي وكان حسن الشعر بالفارسية والعربية وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كتب وشطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون بالشطرنج وفيها في ذي الحجة توفي ابو الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي الفقيه الشافعي ببغداد وبقي مدة طويلة معيدا بالنظامية وصار مدرسا بالمدرسة التي انشأتها ام الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحا طلب للنيابة في القضاء ببغداد فامتنع فالزم بذلك فوليه يسيرا ثم في بعض الايام مشى الى جامع ابن المطلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظ وغير ثيابه وامر الوكلاء وغيرهم بالانصراف واقام به حتى سكن الطلب عنه وعاد الى داره بغير ولاية وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكي المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلا صالحا كثير العبادة وفيها ايضا توفي العفيف ابو المكارم عرفة بن علي بن بصلا البندنيجي ببغداد وكان رجلا صالحا منقطعا الى العبادة رحمه الله

(ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة)

(ذكر ملك عباس باميان وعودها الى ابن اخيه)

في هذه السنة ملك عباس باميان من علاء الدين وجلال الدين ولدي اخيه بهاء الدين وسبب ذلك ان عسكر باميان لما انهزموا من الدزو وعادوا اليها اخبروا ان علاء الدين وجلال الدين اسروا وان الدزو من معه غنموا ما في ايديهم فاخذ وزير ابيهما المعروف

اخرى فركب المترجم واخذ صحبته ثلاثة مدافع وتلاقى معهم وقاتلهم وهزمهم الى ان حصرهم بقرية تسمى دعوق ثم اخرجهم بالامان الى وطاقه واكرمهم وعمل لهم ضيافة ثلاثة ايام ثم ارسلهم الى عكا بغير امر الوزير ثم توجه ابراهيم باشا الى الدورة وصحبته المترجم وتركوا سليمان باشا مكانهم وخرج اسمعيل باشا من عكا وأغلقت ابوابها فاتفقت عساكره وقبضوا عليه وسلموه الى ابراهيم باشا فعند ذلك برز امر ابراهيم باشا بتسليم عكا الى سليمان باشا وذهب بالمرسوم المترجم فادخله اليها ورجع الى مخدومه وذهب معه الى الدورة ثم عاد معه الى الشام وورد الامر بعزل ابراهيم باشا عن الشام وولاية عبدالله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد فخرج المترجم لملاقاته من على حلب فقلده الى باشا على جميع العسكر فلما وصل الى الشام ولاه على حوران واربد والقنيطرة ليقبض اموالها فاقام نحو السنة ثم توجه صحبة الباشا مع الحج وتلاقوا مع الوهابية في الجديدة فحاربهم المترجم وهزمهم وحجوا واعتمروا ورجعوا ومكثوا الى السنة الثانية فخرج عبدالله باشا بالحج وابقى المترجم نائبا عنه بالشام فلما وصل الى المدينة المنورة منعه الوهابيون ورجع من غير حج ووصل خبر ذلك الى الدولة فورد الامر بعزل

بالصاحب من الاموال كثيرا ومن الجواهر وغيرها من التحف واخذ فيلا وسار الى
خوارزم شاه يستنجده على الدز ليسير معه عسكرا يستخلص به صاحبيه فلما فارق باميان
ورأى عمه ما صار خلوا البلد منه ومن ابنى اخيه جمع اصحابه وقام فى البلد فملكه
وصعد الى القلعة فملكها واخرج اصحاب ابنى اخيه علاء الدين وجلال الدين منها فبلغ
الخبر الى الوزير السائر الى خوارزم شاه فعاد الى باميان وجمع الجموع الكثيرة وحصر
عباسا فى القلعة وكان مطاعا فى جميع ممالك بهاء الدين وولديه من بعده واقام محاصرا
الا انه لم يكن معه من المال ما يقوم بما يحتاج اليه انما كان معه ما اخذه ليحمله الى
خوارزم شاه فلما خلص جلال الدين من اسر الدز على ما نذكره وسار الى باميان
فوصل الى ارصف وهى مدينة باميان وجاء اليه وزير ابيه الصاحب واجتمع به وسار
الى القلاع وراسلوا عباسا المتغلب عليها ولاطفوه فسلم الجميع الى جلال الدين وقال
انما حفظتها خوفا ان يأخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى ملكه

❁(ذكر ملك خوارزم شاه الطالقان)❁

لما سلم خوارزم شاه ترمذ الى الخطا سار عنها الى ميمنة واندخرى وكتب الى سونج امير
اشكار نائب غياث الدين محمود بالطالقان يستميله فعاد الرسول خائبا لم يجبه سونج الى
ما اراده منه وجمع عسكره وخرج يحارب خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من الطالقان فلما
تقابل العسكران حمل سونج وحده مجدا حتى قارب عسكر خوارزم شاه فالقى نفسه الى
الارض ورمى سلاحه عنه وقبل الارض وسال العفو فظن خوارزم شاه انه سكران فلما
علم انه صاح ذمه وسبه وقال من يثق الى هذا واشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان
من مال وسلاح ودواب وانفذه الى غياث الدين مع رسول وحمله رسالة تتضمن التقرب
اليه والملاطفة له واستناب بالطالقان بعض أصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج
اليه حسام الدين على بن أبى على صاحب كالوين وقاتله على رؤس الجبال فارسل اليه
خوارزم شاه يتهدده ان لم يسلم اليه فقال اما أنا فمملوك وهذه الحصون هى أمانة بيدى
ولا أسلمها الا الى صاحبها فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذم سونج ولما بلغ
غياث الدين خبر سونج وتسليم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده وشق عليه فسلاه
أصحابه وهونوا الامر ولما فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها
ولم يمكن ابن خرميل احدا من الخوارزميين ان يتطرق بالاذى الى أهلها وانما كان يجتمع
منهم الجماعة بعد الجماعة فيقطعون الطريق وهذه عادة الخوارزميين ووصل رسول
غياث الدين الى خوارزم شاه بالهدايا ورأى الناس عجبا وذلك ان الخوارزميين
لا يذكرون غياث الدين الكبير والد هذا غياث الدين ولا يذكرون أيضا شهاب الدين أخاه
وهما حيان الا بالغورى وصاحب غزنة وكان وزير خوارزم شاه الآن مع عظم شانه
وقلة هذا غياث الدين لا يذكر الا بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلة بلاده واما ابن
خرميل فانه سار من هراة فى جمع من عسكر خوارزم شاه فنزل على اسفرار فى صفر وكان

عبد الله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على الشام وضواحيها فارتاعت النواحى والعربان وأقام السنة ولم
يخرج بنفسه الى الحج بل
أرسل ملا حسن عوضا عنه
فمنع أيضا عن الحج فلما كانت
القابلة انفتح عليه أمر الدورة
وعصى عليه بعض البلاد
فخرج اليها وحاصر بلدة تسمى
كردانية ووقع له فيها مشقة
كبيرة الى ان ملكها بالسيف
وقتل أهلها ثم توجه الى جبل
نابلس وقهرهم وجبى منهم
أموالا عظيمة ثم رجع الى
الشام واستقام أمره وحسنت
سيرته وسلك طريق العدل فى
الاحكام وأقام الشريعة
والسنة وأبطل البدع
والمنكرات واستتاب الخواطئ
وزوجهن وطفق يفرق
الصدقات على الفقراء واهل
العلم والغرباء وابن السبيل
وامر بترك الاسراف فى المآكل
والملابس وشاع خبر عدله فى
النواحى ولكن ثقل ذلك على
اهل البلاد بترك مالوفهم ثم انه
ركب الى بلاد النصيرية وقاتلهم
وانتصر عليهم وسبى نساءهم
واولادهم وكان خيرهم بين
الدخول فى الاسلام او الخروج
من بلادهم فامتنعوا وحاربوا
وانخذلوا وبيعت نساؤهم
واولادهم فلما شاهدوا ذلك
اظهروا الاسلام تقية فعفا
عنهم وعمل بظاهر الحديث
وتركهم فى البلاد ورحل عنهم
الى طرابلس وحاصرها بسبب
عصيان اميرها بربر باشا على الوزير واقام محاصرا لها عشرة اشهر حتى ملكها واستولى
صاحبها

صاحبها قد توجه الى غياث الدين فحصرها وارسل الى من بها يقسم بالله ان سلموها ان يؤمنهم وان امتنعوا أقام عليهم الى ان ياخذهم فاذا أخذهم قهرا لا يبقى على كبير ولا صغير فخافوا فسلموها فى ربيع الاول فامنهم ولم يتعرض الى أهلها بسوء فلما أخذها ارسل الى حرب بن محمد صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فاجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك فى الخطبة والدخول فى طاعته فغالطه ولم يجبه الى ما طلب ولما كان خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضى صاعد بن الفضل الذى كان ابن خرميل قد أخرجه من هراة فى العام الماضى وسار الى غياث الدين فعاد الآن من عنده فلما وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه ان هذا يميل الى الغورية ويريد دولتهم ووقع فيه فسجنه خوارزم شاه بقلعة زوزن وولى القضاء بهراة الصفى ابا بكر بن محمد السرخسى وكان ينوب عن صاعد وابنه فى القضاء بهراة

(ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك)

لما عاد الدز الى غزنة واسر علاء الدين واخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فاجابه فى هذه المدة اشد منه فيما تقدم فاعاد غياث الدين اليه يقول اما ان تخطب لنا واما ان تعرفنا ما فى نفسك فلما وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وامره يخطب لنفسه بعد الترحم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنة فلما سمع الناس ذلك ساءهم وتغيرت نياتهم ونيات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلا ان يخدموه وانما كانوا يطيعونه ظنا منهم انه ينصر دولة غياث الدين فلما خطب لنفسه أرسل الى غياث الدين يقول له بماذا تشتط علي وتتحكم هذه الخزانة نحن جمعناها باسيافنا وهذا الملك قد أخذته وانت قد اجتمع عندك الذين هم أساس الفتنة واقطعتهم الاقطاعات ووعدتني باموري لم تف بها فان أنت أعتقتني خطبت لك وحضرت خدمتك فلما وصل الرسول أجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه على ما بيده وقصد غزنة ومحاربته بها فلما اجابه الى العتق اشهد عليه به واشهد عليه أيضا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند وأرسل الى كل واحد منهما الف قباء والف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفا كثيرة وجترين ومائة رأس من الخيل وارسل الى كل واحد منهما رسولا فقبل الدز الخلع ورد الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له اصحاب وسار رسول ايبك اليه وكان بفرشابور وقد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه فى امن فلما قرب الرسول منه لقيه على بعد وترجل وقبل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال اما الجتر فلا يصلح للمماليك واما العتق فمقبول وسوف اجازيه بعبودية الابد واما خوارزم شاه فانه ارسل الى غياث الدين يطلب منه ان يتصاهرا ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسير معه فى العساكر الى غزنة فاذا املكها من الدز اقتسموا المال أثلاثا ثلثا لخوارزم شاه وثلثا لغياث الدين وثلثا للعسكر فاجابه الى ذلك

على قلعتها ونهبت منها أموال التجار وغيرهم ثم ارتحل الى دمشق واقام بها مدة فطرقه خبر الوهابية انهم حضروا الى المزيريب فبادر مسرعا وخرج الى لقائهم فلما وصل الى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال فاقام هناك اياما فوصل اليه الخبر بان سليمان باشا وصل الى الشام وملكها فعاد مسرعا الى الشام وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران الى المساء وبات كل منهم فى محله ففى نصف الليل فى غفلتهم والمترجم نائم وعساكره ايضا هامدة فلم يشعروا الا وعساكر سليمان باشا كبستهم فحضر اليه كتخداه وايقظه من منامه وقال له ان لم تسرع والا قبضوا عليك فقام فى الحين وخرج هاربا وصحبته ثلاثة اشخاص من مماليكه فقط ونهبت امواله وبرقه وزالت عنه سيادته فى ساعة واحدة ولم يزل حتى وصل الى حماة فلم يتمكن من الدخول اليها ومنعه اهلها عنها وطردوه فذهب الى سيجر وارتحل منها الى بلدة يعمل بها البارود ومنها الى بلدة تسمى ديه ونزل عند سعيد اغا فاقام عنده ثلاثة ايام ثم توجه الى نواحى انطاكية بصحبته جماعة من عند سعيد اغا المذكور ثم الى السويدية ولم يبق معه سوى فرس واحد ثم انه ارسل الى محمد على باشا صاحب مصر واستاذنه فى حضوره الى مصر فكاتبه بالحضور اليه والترحيب به فوصل الى مصر فى التاريخ

المذكور فلاقاه صاحب مصر ١١٦ واكرمه وقدم اليه خيولا وقماشا ومالا وانزله بدار واسعة بالازبكية ورتب له خبزا وجازاية من
لحم وخبز وسمن وارز وحطب
وجميع اللوازم المحتاج اليها
وانعم عليه بجوار وغير ذلك
واقام بمصر هذه المدة وارسل
في شانه الى الدولة وقبلت
شفاعة محمد على باشا فيه
ووصله العفو والرضا ماعدا
ولاية الشام وحصلت فيه علة
ذات الصدر فكان يظهر به
شبه السلعة مع الفواق بصوت
يسمعه من يكون بعيدا عنه
ويذهب اليه جماعة الحكماء
من الافرنج وغيرهم ويطالع
في كتب الطب مع بعض الطلبة
من المجاورين فلم ينجع فيه
علاج وانتقل الى قصر الآثار
بقصد تبديل الهواء ولم يزل
مقيما هناك حتى اشتد به
المرض ومات في ليلة السبت
العشرين من شهر ذى القعدة
وحملت جنازته من الآثار
الى القرافة من ناحية الخلاء
ودفن بالحوش الذى انشاه
الباشا واعده لموتاه وكانت
مدة اقامته بمصر نحو الستة
سنوات فسبحان الحى الذى
لا يموت الدائم الملك السلطان
(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين
ومائتين والف)
(استهل المحرم) بيوم
الخميس وحاكم مصر والمتولى
عليها وعلى ضواحيها
وثغورها من حد رشيد
ودمياط الى أسوان وأقصى
الصعيد وايالة القصير والسويس وساحل القلزم وجدة ومكة والمدينة والاقطار

ولم يبق الا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بموت صاحب مازندران فسار عن هراة
الى مرو وسمع الدز بالصلح فجزع لذلك جزعا عظيما اظهر اثره عليه وارسل الى غياث الدين
يقول له ما حملك على هذا فقال حملني عليه عصيانك وخلافك على فسار الدز الى تكياباذ
فاخذها والى بست وتلك الاعمال فملكها وقطع خطبة غياث الدين منها وأرسل الى
صاحب سجستان يامره باعادة الترحم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه
وأرسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهددهما بقصد بلادهما فخافه الناس
ثم ان الدز اخرج جلال الدين صاحب باميان من اسره وسير معه خمسة آلاف فارس
مع ايدكز التتر مملوك شهاب الدين الى باميان ليعيدوه الى ملكه ويزيلوا ابن عمه عنه
وزوجه ابنته وسار ومعه ايدكز فلما خلا به لامه على لبسه خلعة الدز وقال أنتم ما رضيتم
تلبسون خلعة غياث الدين وهو اكبر سنا منكم واشرف بيتا فلبس خلعة هذا المابون يعنى
الدز ودعاه الى العود معه الى غزنة واعلمه ان الاتراك كلهم مجمعون على خلاف الدز
فلم يجبه الى ذلك فقال ايدكز فاني لا اسير معك وعاد الى كابل وهى اقطاعه فلما وصل
ايدكز الى كابل لقيه رسول من قطب الدين ايبك الى الدز يقبح له فعله ويامره باقامة
خطبة غياث الدين ويخبره انه قد خطب له في بلاده ويقول له ان لم يخطب له هو ايضا
بغزنة ويعود الى طاعته والا قصده وحاربه فلما علم ايدكز ذلك قويت نفسه على محاربة
الدز وصمم العزم على قصد غزنة ووصل ايضا رسول ايبك الى غياث الدين بالهدايا
والتحف وبشر باجابة خوارزم شاه الى ما طلب الآن وعند الفراغ من امر غزنة تسهل
امور خوارزم شاه وغيره وانفذ له ذهبا عليه اسمه فكتب ايدكز الى ايبك يعرفه
عصيان الدز على غياث الدين وما فعله في البلاد وانه على عزم مشاققة الدز وهو ينتظر
امره فاعاد ايبك جوابه يامره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة أقام بها الى ان ياتيه
وان لم تحصل له القلعة وقصده الدز انحاز اليه او الى غياث الدين او يعود الى كابل
فسار الى غزنة وكان جلال الدين قد كتب الى الدز يخبره خبر ايدكز وما عزم عليه
فكتب الدز الى نوابه بقلعة غزنة يامرهم بالاحتياط منه فوصلها ايدكز اول رجب من
السنة وقد حذروه فلم يسلموا اليه القلعة ومنعوه عنها فامر أصحابه بنهب البلد فنهبوا عدة
مواضع منه فتوسط القضي الحال بان سلم اليه من الخزانة خمسين الف دينار ركنية
واخذ له من التجار شيئا آخر وخطب ايدكز بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز
ففرح الناس بذلك وكان مؤيد الملك ينوب عن الدز بالقلعة ووصل الخبر الى الدز
بوصول ايدكز الى غزنة ووصول رسول ايبك اليه ففت في عضده وخطب لغياث الدين
في تكياباذ واسقط اسمه من الخطبة فخطب له ورحل الى غزنة فلما قاربها رحل ايدكز
عنها الى بلد الغور فاقام في تمران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وانفذ اليه المال
الذى اخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعا واعتقه وخاطبه بملك
الامراء ورد عليه المال الذى كان اخذه من الخزانة وقال له اما مال الخزانة فقد اعدناه
اليك لتخرجه واما اموال التجار واهل البلد فقد ارسلته مع رسولى ليعاد الى اربابه لئلا

نفتح

فتح دولتنا بالظلم وقد عوضنا عنه ضعفه وارسل اموال الناس الى غزنة الى قاضي غزنة وامره ان يرد المال المنفذ على اربابه فانهى القاضي الحال الى الدز واشار عليه بالخطبة لغياث الدين وقال انا اسعى في الوصلة بينكما والصلح فامره بذلك فبلغ الخبر الى غياث الدين فارسل الى القاضي ينهاه عن المجيء اليه وقال لا تسعى في فساد قد ابان فساده واتضح عناده فاقام بغزنة هو والدز وسير غياث الدين عسكرا الى ايدكز التتر فاقام وامعه وسير الدز عسكرا الى روين كان وهي لغياث الدين وقد اقطعها لبعض الامراء فهجموا على صاحبها فنهبوا ماله واخذوا اولاده فنجا وحده الى غياث الدين فاقتضى الحال ان سار غياث الدين الى بست وتلك الولاية فاستردها واحسن الى اهلها واطلق لهم خراج سنة لما نالهم من الدز من الاذى

(ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده)

في هذه السنة توفي حسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلف ثلاثة أولاد فملك بعده ابنه الاكبر واخرج أخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك علي شاه بن خوارزمشاه تكش اخو خوارزمشاه محمد وهو ينوب عن اخيه فيها فشكا اليه ما صنع به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه ان ينجده عليه ويأخذ له البلاد ليكون في طاعته فكتب علي شاه الى اخيه خوارزمشاه في ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران واخذ البلاد له واقامة الخطبة لخوارزمشاه فيها فساروا عن جرجان فاتفق ان حسام الدين صاحب مازندران مات في ذلك الوقت وملك البلاد بعده اخوه الاصغر واستولى على القلاع والاموال فوصل علي شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخربوها وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع وأقام بقلعة كوراوهي التي فيها الاموال والذخائر وحصره فيها بعد ان ملكوا سائر البلاد مثل سارية وآمل وغيرهما من البلاد والحصون وخطب لخوارزمشاه فيها جميعها فصارت في طاعته وعاد علي شاه الى جرجان وأقام ابن ملك مازندران في البلاد مالكها جميعها سوى القلعة التي فيها أخوه الاصغر وهو يراسله ويستميله ويستعطفه واخوه لا يرد جوابا ولا ينزل عن حصنه

(ذكر ملك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاكية)

في هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وبلاد الروم مدينة انطاكية بالامان وهي للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انه كان حصرها قبل هذا التاريخ واطال المقام عليها وهدم عدة ابراج من سورها ولم يبق الا فتحها عنوة فارسل من بها من الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهي قريبة منها فاستنجدوهم فوصل اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طائفة من عسكره بالقرب منها بالجبال التي بينها وبين بلاده وامرهم بقطع الميرة عنها فاستمر الحال على ذلك مدة حتى ضاق باهل البلد واشتد الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم فظن الفرنج ان الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع

الحجازية باسرها محمد علي باشا القوللي ووزيره وكتخداه محمد أغا لاظ والدفتردار محمد بك ١١٧ صهر الباشا وزوج ابنته وأغات الباب ابراهيم اغا ومدبر امور البلاد والاطيان والرزق والمساحات وقبض الاموال الميرية وحساباتها ومصارفها محمود بك الخازندار والسلحدار سليمان اغا وحاكم الوجه القبلي محمد بك الدفتردار صهر الباشا عوض ابراهيم باشا ولد الباشا لانفصاله عن امارة الوجه القبلي وسفره الى الحجاز آنفا لمحاربة الوهابيين وباقي امراء الدولة مثل عابدين بك واسمعيل باشا ابن الباشا وخليل باشا وهو الذي كان حاكم الاسكندرية سابقا وشريف اغا وحسين بك دالي باشا وحسين بك الشماشرجي وحسن بك الشماشرجي الذي كان حاكما بالفيوم وغير هؤلاء وحسن اغا اغات الينكجرية واحمد اغا اغات التبديل وعلي اغا الوالي وكاتب الروزنامه مصطفى افندي وحسن باشا بالديار الحجازية وشاه بندر التجار السيد محمد المحروقي وهو المتعين لمهمات الاسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم وملاقاة الاخبار الواصلة من الديار الحجازية والمتوجه اليها واليها المحمول وشحنة السفن ولوازم الصادرين والواردين والمتسفرين والمقيمين والراحلين والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشير وغوائلهم ومحاكاتهم وارغابهم وارهابهم وسياستهم على اختلاف اخلاقهم وطباعهم وهو المتعين ايضا

الخلف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليه مجدا فى طائفة من عسكره فوصلها ثانى شعبان وتقرر الحال بينه وبين الروم وتسلم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذى فيه الفرنج وتسلمه وقتل كل من كان به من الفرنج

(ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط وملك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده)

وفى هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه ارمن بن سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك ان ولد بكتمر كان صبيا جاهلا فقبض على الامير شجاع الدين قتلغ مملوك من مماليك شاه ارمن وهو كان اتابكه ومدبر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند والرعية فلما قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان الشرب فكاتب جماعة من اهل خلاط وجماعة من الجند ناصر الدين صاحب ماردين يستدعونه اليهم وانما كاتبوه دون غيره من الملوك لان اباه قطب الدين ايلغازى كان ابن اخت شاه ارمن بن سكمان وكان شاه ارمن قد حلف له الناس فى حياته لانه لم يكن له ولد فلما تجددت بعده هذه الحادثة تذكروا تلك الايمان وقالوا نستدعيه ونملكه فانه من اهل شاه ارمن فكاتبوه وطلبوه اليهم ثم ان بعض مماليك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد جاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان سار من خلاط الى بلاد ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط فملكها واتفق وصول صاحب ماردين اليها وهو يظن ان احدا لا يمتنع عليه ويسلمون اليه المدينة فنزل قريبا من خلاط عدة ايام فارسل اليه بلبان يقول له ان اهل خلاط قد اتهمونى بالميل اليك وهم ينفرون من العرب والرأى انك ترحل عائدا مرحلة واحدة وتقيم فاذا تسلمت البلد سلمته اليك لاننى لا يمكننى ان املكه انا ففعل صاحب ماردين ذلك فلما ابعد عن خلاط ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والا جئت اليك واوقعت بك وبمن معك وكان فى قلة من الجيش فعاد الى ماردين وكان الملك الاشرف موسى بن العادل ابى بكر بن ايوب صاحب حران وديار الجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين لما سمع انه يريد قصد خلاط يقول له ان سرت الى خلاط قصدت بلدك وانما خاف ان يملك خلاط فيقوى عليهم فلما سار الى خلاط جمع الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاخذ دخلها واقام بدنيسر حتى تجبى الاموال اليه فلما فرغ منه عاد الى حران فكان مثل صاحب ماردين كما قيل خرجت تطلب قرنين عادت بلا اذنين واما بلبان فانه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط وضيق على اهلها وبها ولد بكتمر فجمع من عنده بالبلد من الاجناد والعامة وخرج اليه

وارباب الحرف البلدية وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم وتاديب المنحرفين منهم لفصل قضايا التجار والباعة والنصابين وبعوثات الباشا ومراسلاته ومكاتباته وتجاراته وشركاته وابتداعاته واجتهاده فى تحصيل الاموال من كل وجه واى طريق ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر الى نواحى الحجاز للاغارة على بلاد الوهابية واخذ الدرعية مستمر لا ينقطع والعرضى منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح واذا ارتحلت طائفة خرجت اخرى مكانها (وفيه) سومحت ارباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والخبازون ونحوهم من المسانهات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ونودى برفعها امام المحتسب فى الاسواق وعوض المحتسب عنها خمسة اكياس فى كل شهر يستوفيها من الخزينة العامرة وعملوا تسعيرا بترخيص اسعار المبيعات بدلا عما كانوا يغرمونه للمحتسب ولكن من غير مراعاة النسبة والمعادلة فى غالب الاصناف فان العادة عند اقبال وجود الفاكهة او الخضراوات تباع باغلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ وشهوة الطباع واشتياق النفوس لجديد الاشياء وزهدها فى القديم الذى تكرر استعماله وتعاطيه كما يقال لكل جديد لذة فلم يراعوا ذلك ولم ينظروا فى اصول الاشياء

فالتقوا

فالتقوا فانهزم بلبان ومن معه من بين يديه وعاد الى الذى بيده من البلاد وهو ملاز كرد وأرجيش وغيرهما من الحصون وجمع العساكر واستكثر منها وعاود حصار خلاط وضيق على أهلها فاضطرهم الى خذلان ولد بكتمر لصغره وجهله بالملك واشتغاله بلهوه ولعبه ثم قبضوا عليه فى القلعة وأرسلوا الى بلبان وحلفوه على ما أرادوا وسلموا اليه البلد وابن بكتمر واستولى على جميع اعمال خلاط وسجن ابن بكتمر فى قلعة هناك واستقر ملكه فسبحان من اذا أراد امرا هيأ اسبابه بالامس يقصدها شمس الدين محمد ابن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن ايوب فلم يقدر احدهما عليها والآن يظهر هذا المملوك العاجز القاصر عن الرجال والبلاد والاموال فيملكها صفوا عفوا ثم ان نجم الدين ايوب بن العادل صاحب ميافارقين سار نحو ولاية خلاط وكان قد استولى على عدة حصون من اعمالها منها حصن موسى ومدينته فلما قارب خلاط أظهر له بلبان العجز عن مقابلته فطمعوا وغل فى القرب فاخذ عليه بلبان الطريق وقاتله فهزمه ولم يفلت من اصحابه الا القليل وهم جرحى وعاد الى ميافارقين

(ذكر ملك الكرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج)

فى هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من اعمال خلاط وكانوا قد حصروه مدة طويلة وضيقوا على من فيه واخذ وادخل الولاية عدة سنين وكل من نزل خلاط لا ينجدهم ولا يسعى فى راحة تصل اليهم وكان الوالى بها يواصل رسله فى طلب النجدة وازاحة من عليه من الكرج فلا يجاب له دعاء فلما طال الامر عليه ورأى ان لا ناصر له صالح الكرج على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع يأخذه منهم وصارت دار شرك بعد ان كانت دار توحيد فانا لله وانا اليه راجعون ونسال الله ان يسهل للاسلام واهله نصرا من عنده فان ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سد الثغور وحفظ البلاد ثم ان الله تعالى نظر الى قلة ناصر الاسلام فتولاه فماتت ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم وكفى الله شرهم الى آخر السنة

(ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان)

فى هذه السنة فى رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولى لتلك الاعمال وليها بعد موت طاشتكين امير الحاج لانه زوج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يعرف بابى طاهر وهى جبال منيعة بين فارس واصبهان وخوزستان فقاتلوا اهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك ان مملوكا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من اكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير رآه من الوزير نصير الدين العلوى الرازى واجتاز بخوزستان واخذ منها ما امكنه ولحق بابى طاهر صاحب كرستان فاكرمه وعظمه وزوجه ابنته ثم توفى ابو طاهر فقوى امر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فامر سنجر بجمع العساكر وقصده وقاتله فدفعا

وجمع العساكر وسار اليه فارسل قشتمر يعتذر ويسال ان لا

عسكر

عسكر ما امر به

يقصده ويخرج الى

السنين وما يضاف الى ذلك من طمع الباعة والسوقة وغشهم وقبحهم وعدم ديانتهم وخبث طباعهم فلما نودى بذلك وسمع الناس رخص المبيعات ظنوا بغفلتهم حصول الرخاء ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السعرانة وخطفوا ما كان بالاسواق بموجب التسعيرة من اللحم وأنواع الخضراوات والفاكهة والادهان فلما اصبح اليوم الثانى لم يوجد بالاسواق شئ من ذلك واغلقت الفكهانية حوانيتهم واخفوا ما عندهم وطفقوا يبيعونه خفية وفى الليل بالثمن الذى يرتضونه والمحتسب يكثر الطواف بالاسواق ويتجسس عليهم ويقبض على من اغلق حانوته او وجدها خالية او عثر عليه انه باع بالزيادة وينكل بهم ويسحبهم مكشوفين الرؤس مشنوقين وموثقين بالحبال ويضربهم ضربا مؤلما ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الانوف ومعلق فيها النوع المزاد فى ثمنه فلم يرتجعوا عن عادتهم ثم ان هذه المناداة والتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعية ورخص الاسعار وباطنها المكر والتحيل والتوصل لما سيظهر بعد عن قريب وذلك ان ولى الامر لم يكن له من الشغل الا صرف همته وعقله وفكرته فى تحصيل المال [...] والمكاسب وقطع ارزاق المسترزقين والجور والاحتكار بجميع الاسباب

الخروج من العبودية فلم يقبل هذه فجمع اهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وارسل الى صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب اصبهان وهمذان والري يعرفهما الحال و يقول انني لا قوة لي بعسكر الخليفة لما اضيف اليهم عساكر اخرى من بغداد وعادوا الى حربي وحينئذ لا اقدر بهم وطلب منهما النجدة وخوفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فاجاباه الى ما طلب فقوي جنانه واستمر على حاله

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة قتل صبي صبيا آخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كل واحد منهما يقارب عشر سنين فقال احدهما للآخر الساعة اضربك بهذه السكين يمازحه بذلك واهوى نحوه بها فدخلت في جوفه فمات فهرب القاتل ثم اخذ وامر به ليقتل فلما ارادوا قتله طلب دواة و بياضا وكتب فيها من قوله

قدمت على الكريم بغير زاد ❁ من الاعمال بالقلب السليم
وسوء الظن ان تعتد زادا ❁ اذا كان القدوم على كريم

وفيها حج برهان الدين صدر جهان محمد بن احمد بن عبد العزيز بن مازة البخاري رئيس الحنفية ببخارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدي الخراج الى الخطا وينوب عنهم في البلاد فلما حج لم تحمد سيرته في الطريق ولم يصنع معروفا وكان قد اكرم ببغداد عند قدومه من بخارا فلما عاد لم يلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاج وسماه الحجاج صدر جهنم وفيها في شوال مات شيخنا ابو الحرم مكي بن ريان بن شبة النحوي المقري بالموصل وكان عارفا بالنحو واللغة والقراآت لم يكن في زمانه مثله وكان ضريرا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة الى الليل وفيها فارق أمير الحاج مظفر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع الحاج بموضع يقال له المرخوم ومضى في طائفة من اصحابه الى الشام وسار الحاج ومعهم الجند فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل ابي بكر بن ايوب فاقطعه اقطاعا كثيرا بمصر واقام عنده الى ان عاد الى بغداد سنة ثمان وستمائة في جمادى الاولى فانه لما قبض الوزير أمن على نفسه وأرسل يطلب العود فاجيب اليه فلما وصل اكرمه الخليفة واقطعه الكوفة وفيها في جمادى الآخرة توفي ابو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني المعروف بابن النطروني في مارستان بغداد وكان قد مضى الى المايورقي في رسالة بافريقية فحصل له منه عشرة آلاف دينار مغربية ففرقها جميعها في بلده على معارفه واصدقائه وكان فاضلا خيرا نعم الرجل رحمه الله وله شعر حسن وكان قيما بعلم الادب واقام بالموصل مدة واشتغل على الشيخ أبي الحرم واجتمعت به كثيرا عند الشيخ ابي الحرم رحمه الله

ولا يتقرب اليه من يريد قربه الا بمساعدته على مراداته ومقاصده ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقا ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح او فعل مناسب ولو على سبيل التشفع حقد عليه وربما اقصاه وابعده وعاداه معاداة من لا يصفو أبدا وعرفت طباعه واخلاقه في دائرته وبطانته فلم يكلمهم الا الموافقة والمساعدة في مشروعاته اما رهبة او خوفا على سيادتهم ورياستهم ومناصبهم واما رغبة وطمعا وتوصلا للرياسة والسيادة وهم الاكثر وخصوصا أعداء الملة من نصارى الارمن وامثالهم الذين هم الآن اخصاء حضرته ومجالسته وهم شركاؤه في أنواع المتاجر وهم أصحاب الرأي والمشورة وليس لهم شغل ودرس الا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدومهم وموافقة أغراضه وتحسين مخترعاته وربما ذكروه ونبهوه على أشياء تركها وغفل عنها من المبتدعات وما يتحصل منها من المال والمكاسب التي يسترزقها أرباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم ثم يقع الفحص على أصل الشيء وما يتفرع منه وما يؤول اذا أحكم امره وانتظم ترتيبه وما يتحصل منه بعد التسعير الذي يجعلونه مصاريف الكتبة والمباشرين أبرزت مبادئه في قالب العدل والرفق بالرعية ولما وقع الالتفات الى أمر

●(ثم دخلت سنة اربع وستمائة)●

●(ذكر ملك خوارزم شاه ما وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها)●

فى هذه السنة عبر علاء الدين محمد بن خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك ان الخطا كانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما وراء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم فى كل مدينة نائب يجبى اليهم الاموال وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل ان يملكوا وكان مقامهم بنواحى أوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحى فاتفق ان سلطان سمرقند وبخارا ويلقب خان خانان يعنى سلطان السلاطين وهو من اولاد الخانية عريق النسب فى الاسلام والملك انف وضجر من تحكم الكفار على المسلمين فارسل الى خوارزمشاه يقول له ان الله عز وجل قد اوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدى الكفار وتخلصهم مما يجرى عليهم من التحكم فى الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك فى الخطبة وعلى السكة فاجابه الى ذلك وقال اخاف انكم لا توفون لى فسير اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارا وسمرقند بعد ان حلفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمنه وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل وجعلوا عنده رهائن فشرع فى اصلاح امر خراسان وتقرير قواعدها فولى اخاه على شاه طبرستان مضافة الى جرجان وامره بالحفظ والاحتياط وولى الامير كزلك خان وهو من اقارب امه واعيان دولته بنيسابور وجعل معه عسكرا وولى الامير جلدك مدينة الجام وولى الامير امين الدين ابابكر مدينة زوزن وكان هذا امين الدين جمالا ثم صار اكبر الامراء وهو الذى ملك كرمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأقر الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها ألف فارس من الخوارزمية وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب فى مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوابا وأمرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وسمع الخطا فحشدوا وجمعوا وجاؤا اليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه

●(ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة وأسر خوارزمشاه وخلاصه)

ثم ان ابن خرميل صاحب هراة رأى سوء معاملة عسكر خوارزمشاه للرعية وتعديهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولا الى خوارزمشاه يعتذر ويعرفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه معاقبته لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يستحسن فعله ويأمره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته اليهم وقال له اننى قد امرت عز الدين جلدك بن طغرل صاحب الجام ان يكون عندك لما اعلمه من عقله وحسن سيرته وارسل الى جلدك يأمره بالمسير الى هراة واسر اليه ان يحتال فى القبض على حسين بن خرميل ولو اول ساعة يلقاه فسار جلدك فى الفى فارس وكان ابوه طغرل ايام السلطان

المذابح والسلخانه وما يتحصل منها وما يكتسبه الموظفون فيها فاول ما بدؤا به ابطال جميع المذابح التى بجهات مصر والقاهرة وبولاق خلاف السلخانه السلطانية التى خارج الحسينية وتولى رياستها شخص من الاتراك ثم سعرت هذه التسعيرة فجعل الرطل الذى يبيعه القصاب بسبعة انصاف فضة وثمنه على القصاب من المذبح ثمانية انصاف ونصف وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزيادة الفاحشة فشح وجود اللحم واغلقت حوانيت الجزارين وخسروا فى شراء الاغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر وانهى أمر شحة اللحم الى ولى الامر وان ذلك من قلة المواشى وغلوا ثمان مشترواتها على الجزارين وكثرة رواتب الدولة والعساكر وأشيع انه أمر بمراسيم الى كشاف الاقاليم قبلى وبحرى لشراء الاغنام من الارياف لخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصة وأهل الدولة ويترك ما يذبحه جزارو المذبح لاهل البلدة وعند ذلك ترخص الاسعار ثم تبين خلاف ذلك وان هذه الاشاعة توطئة وتقدمة لما سيتلى عن قريب (وفى منتصفه) وصلت اغنام وعجول وجواميس من الارياف هزيلة وازدادت باقامتها هزالا من الجوع وعدم مراعاتها فذبحوا منها بالمذابح اقل من المعتاد ووزعت على الجزارين فيخص الشخص منهم الاثنان او الثلاثة فعند

سفروا اليها بهراة فهو اليها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلما قارب هراة امر
ابن خرميل الناس بالخروج لتلقيه وكان للحسين وزير يعرف بخواجه الصاحب
وكان كبيرا قد حنكته التجارب فقال لابن خرميل لا تخرج الى لقائه ودعه يدخل
البلد منفردا فانني اخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزمشاه امره بذلك فقال لا يجوز
ان يقدم مثل هذا الامير ولا القيه واخاف ان يضطغن ذلك على خوارزمشاه وما اظنه
يتجاسر على فخرج اليه الحسين بن خرميل فلما بصر كل واحد منهما بصاحبه ترجل
للالتقاء وكان جلدك قد امر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل
واصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق
الباب والصعود الى الاسوار واستعد للحصار ونزل جلدك على البلد وارسل الى الوزير
يبذل له الامان ويتهدده ان لم يسلم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث
الدين محمود الغوري وقال لجلدك لا اسلم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانما هو
لغياث الدين ولابيه قبله فقدموا ابن خرميل الى السور فخاطب الوزير وامره بالتسليم فلم
يفعل فقتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدم من اخباره عند شهاب الدين
الغوري ما يدل على غدره وكفرانه الاحسان ممن احسن اليه فلما قتل ابن خرميل كتب
جلدك الى خوارزمشاه بجلية الحال فانفذ خوارزمشاه الى كزلك خان والى نيسابور
والى امين الدين ابي بكر صاحب زوزن يامرهما بالمسير الى هراة وحصارها واخذها
فسارا في عشرة آلاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم
وقال ليس لكم من المحل ما يسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزمشاه
سلمتها اليه فقاتلوه وجدوا في قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصن هراة
وعمل لها اربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلما فرغ من كل ما اراد قال
بقيت اخاف على هذه المدينة شيئا واحدا وهو ان تسكر المياه التي لها اياما كثيرة
ثم ترسل دفعة واحدة فتغرق اسوارها فلما حصرها هؤلاء سمعوا قول ابن خرميل
فسكروا المياه حتى اجتمعت كثيرا ثم اطلقوها على هراة فاحاطت بها ولم تصل الى
السور لان ارض المدينة مرتفعة فامتلأ الخندق ماء وصار حولها وحل فانتقل
العسكر عنهم ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة وهذا كان قصد ابن خرميل ان يمتلئ
الخندق ماء ويمنع الوحل من القرب من المدينة فاقاموا مدة حتى نشف الماء فكان
قول ابن خرميل من احسن الحيل ونعود الى قتال خوارزمشاه الخطا واسره واما
خوارزمشاه فانه دام القتال بينه وبين الخطا في بعض الايام اقتتلوا واشتد القتال
ودام بينهم ثم انهزم المسلمون هزيمة قبيحة واسر كثير منهم وقتل كثير وكان من جملة
الاسرى خوارزمشاه واسر معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين مسعود واسرهما
رجل واحد ووصلت العساكر الاسلامية الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فارسلت
اخت كزلك خان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة واعلمته الحال فلما اتاه الخبر
سار عن هراة ليلا الى نيسابور واحتاط به الامير امين الدين ابو بكر صاحب زوزن فاراد

الرامي فيتخاطفها العساكر التي بتلك الخطة وتزدحم الناس فلا ينوبهم شئ
مايصل الى حانوته وهو مثل
وتذهب في لمح البصر ثم امتنع
وجودها واستمر الحال والناس
لا يجدون ما يطبخونه لعيالهم
وكذلك امتنع وجود الخضراوات
فكان الناس لا يحصلون
القوت الا بغاية المشقة واقتاتوا
بالفول المصلوق والعدس
والبيصار ونحو ذلك وانعدم
وجود السمن والزيت والشيرج
وزيت البزر وزيت القرطم
لاحتكارها لجهة الميري
واغلقت المعاصر والسيارج
وامتنع وجود الشمع العسل
والشمع المصنوع من الشحم
لاحتكار الشحم والحجز على
عمال الشمع فلا يصنعه
الشماعون ولا غيرهم ونودي
على بيع الموجود منه باربعة
وعشرين نصفا وكان يباع
بثلاثين واربعين فاخفوه
وطفقوا يبيعونه خفية بما
احبوا وانعدم وجود بيض
الدجاج لجعلهم العشرة منه
باربعة انصاف وكان قبل
المناداة اثنان بنصف وكل
ذلك والمحتسب يطوف
بالاسواق والشوارع ويشدد
على الباعة ويؤلمهم بالضرب
والتجريس وفقد وجود
الدجاج فلا يكاد يوجد
بالاسواق دجاجة لانه نودي
على الدجاجة بثماني عشر نصفا
وكان الثمن عنها قبل ذلك
خمسة وعشرين فاكثر (واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣٢)

هو ومن عنده من الامراء منعه مخافة ان يجري بينهم حرب يطمع بسببها اهل هراة فيهم ويخرجون اليهم فيبلغون منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضته وكان خوارزمشاه قد خرب سور نيسابور لما ملكها من الغورية فشرع كزلك خان يعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الجند وعزم على الاستيلاء على خراسان ان صح فقد السلطان وبلغ خبر عدم السلطان الى اخيه علي شاه وهو بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعد لطلب السلطنة واختلطت خراسان اختلاطا عظيما واما السلطان خوارزمشاه فانه لما اسر قال له ابن شهاب الدين مسعود يجب ان تدع السلطنة في هذه الايام وتصير خادما لعلي احتال في خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود ويقدم له الطعام ويخلع ثيابه وخفه ويعظمه فقال الرجل الذي اسرهما لابن مسعود ارى هذا الرجل يعظمك فمن انت فقال انا فلان وهذا غلامي فقام اليه واكرمه وقال لولا ان القوم عرفوا بكانك عندي لاطلقتك ثم تركه اياما فقال له ابن مسعود اني اخاف ان يرجع المنهزمون فلا يراني اهلي معهم فيظنون اني قتلت فيعملون العزاء والمأتم وتضيق صدورهم لذلك ثم يقتسمون مالي فاهلك واحب ان تقرر علي شيئا من المال حتى احمله اليك فقرر عليه مالا وقال له اريد ان تامر رجلا عاقلا يذهب بكتابي الى اهلي ويخبرهم بعافيتي ويحضر معه من يحمل المال ثم قال ان اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامي اثق به ويصدقه اهلي فاذن له الخطائي بانفاذه فسيره وارسل معه الخطائي فرسا وعدة من الفرسان يحمونه فساروا حتى قاربوا خوارزم وعاد الفرسان عن خوارزمشاه ووصل خوارزمشاه الى خوارزم فاستبشر به الناس وضربت البشائر وزينوا البلد واتته الاخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع اخوه علي شاه بطبرستان

ذكر ما فعله خوارزمشاه بخراسان

لما وصل خوارزمشاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلك خان واخوه علي شاه وغيرهم فسار الى خراسان وتبعته العساكر فتقطعت ووصل هو اليها في اليوم السادس ومعه ستة فرسان وبلغ كزلك خان وصوله فاخذ امواله وعساكره وهرب نحو العراق وبلغ اخاه علي شاه فخافه وسار على طريق قهستان ملتجئا الى غياث الدين محمود الغوري صاحب فيروزكوه فتلقاه واكرمه وانزله عنده واما خوارزمشاه فانه دخل نيسابور واصلح امرها وجعل فيها نائبا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى اولئك الامراء ووثق بهم لانهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيروا ولم يبلغوا من هراة غرضا بحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزمشاه الى الوزير يقول له انك وعدت عسكري انك تسلم المدينة اذا حضرت وقد حضرت فسلم فقال لا افعل لاني اعرف انكم غدارون لا تبقون على احد ولا اسلم البلد الا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزمشاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتفق جماعة من اهل هراة وقالوا هلك الناس من الجوع والقلة وقد تعطلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهر وكان الوزير يعد بتسليم البلد الى خوارزمشاه اذا وصل اليه وقد حضر خوارزمشاه

فيه حضر المعلم غالي من الجهة القبلية ومعه مكاتبات من محمد بك الدفتردار الذي تولى امارة الصعيد عوضا عن ابراهيم باشا ابن الباشا الذي توجه الى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية يذكر فيها نصح المعلم غالي وسعيه في فتح ابواب تحصيل الاموال للخزينة وانه ابتكر اشياء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال فقوبل بالرضا والاكرام وخلع عليه الباشا واختص به وجعله كاتب سره ولازم خدمته واخذ فيما انتدب اليه وحضر لاجله الذي منها حسابات جميع الدفاتر واقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الاقاليم (وفيه) تجردت عدة عساكر اتراك ومغاربة الى الحجاز وصحبتهم ارباب صنائع وحرف (وفيه) ارسل الباشا الى بندر السويس اخشابا وادوات عمارة وبلاطا كذان وحديدا وصناعا بقصد عمارة قصر لخصوصه اذا نزل هنالك

(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٢)

فيه شحت المبيعات والغلال والادهان وغلا سعر الحبوب وقل وجودها في الرقع والسواحل فكان الناس لا يحصلون شيئا منها الا بغاية المشقة (وفيه) عزل الباشا حكام الاقاليم والكشاف ونوابهم وطلبهم للحضور وامر بحسابهم وما اخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه لهم وارسل من قبله اشخاصا معينين للفحص والتجسس على ما عسى يكون اخذوه

منهم من غير ثمن فاخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ويحررون اثمان مفرق الاشياء من غنم اودجاج اوتبن او عليق او بيض اوغير ذلك في المدة التي اقامها احدهم بالناحية فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر وكذلك من انتمى اليهم فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان (وفيه) حضر على كاشف من شرقية بلبيس معزولا عن كشوفيتها وقلدها خلافه وكان كاشفا بالاقاليم عدة سنوات وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية وحضر أيضا حسن بك الشماشرجي من الفيوم معزولا ووجهه الباشا الى ناحية درنة لمحاربة أولاد على

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣٢)

فيه حصل الحجز والمنع على من يذبح شيئا من المواشي في داره أوغيرها ولا ياخذ الناس لحوم أطعمتهم الامن المذبح واوقفت عساكر بالطرق رصدا لمن يدخل المدينة بشئ من الاغنام وذلك انه لما نزلت المراسيم الى الكشاف بمشترى المواشي من الفلاحين وارسالها الى المكان الذي أعده الباشا لذلك ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانه في كل يوم لرواتب الدولة والبيع طلب كشاف النواحي شراء الاغنام والعجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها فهرب الكثير من الفلاحين باغنامهم فيخرجون

ولم يسلم ويجب ان نحتال في تسليم البلد والخلاص من هذه الشدة التي نحن فيها فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وأمرهم بالقبض عليهم فضى الجند اليهم فثارت فتنة في البلد عظم خطبها فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فضى لذلك فكتب من البلد الى خوارزمشاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلطون فخربوا برجين من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزمشاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستمائة واصلح حاله وسلمه الى خاله أمير ملك وهو من اعيان امرائه فلم تزل بيده حتى هلك خوارزمشاه واما ابن شهاب الدين مسعود فانه اقام عند الخطا مديدة فقال له الذي استاسره يوما ان خوارزمشاه قد عدم فايش عندك من خبره فقال له اما تعرفه قال لا قال هو اسيرك الذي كان عندك فقال لم لا عرفتني حتى كنت اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتكم عليه فقال الخطائي سربنا اليه فسارا اليه فاكرمهما واحسن اليهما وبالغ في ذلك

(ذكر قتل غياث الدين محمود)

لما سلم خوارزمشاه هراة الى خاله أمير ملك وسار الى خوارزم أمره ان يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام الغوري صاحب الغور وفيروزكوه وان يقبض عليه وعلى اخيه على شاه بن خوارزمشاه وياخذ فيروزكوه من غياث الدين فسار امير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فاعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه امير ملك وعلى على شاه اخي خوارزمشاه فسالاه ان يحملهما الى خوارزمشاه ليرى فيهما رايه فارسل الى خوارزمشاه يعرفه الخبر فامره بقتلهما فقتلا في يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه وذلك سنة خمس وستمائة ايضا وهذا غياث الدين هو آخر ملوك الغورية ولقد كانت دولتهم من احسن الدول سيرة واعدلها واكثرها جهادا وكان محمود هذا عادلا حليما كريما من اكرم الملوك اخلاقا رحمه الله تعالى

(ذكر عود خوارزمشاه الى الخطا)

لما استقرامر خراسان لمحمد خوارزمشاه وعبر نهر جيحون جمع له الخطا جمعا عظيما وساروا اليه والمقدم عليهم شيخ دولتهم القائم مقام الملك فيهم المعروف بطاينكوه وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقى حروبا كثيرة وكان مظفرا احسن التدبير والعقل واجتمع خوارزمشاه وصاحب سمرقند وتصافوا هم والخطا سنة ست وستمائة فجرت حروب لم يكن مثلها شدة وصبر وانهزم الخطا هزيمة منكرة وقتل منهم واسر خلق لا يحصى وكان فيمن اسر طاينكوه مقدمهم وجيء به الى خوارزمشاه فاكرمه واجلسه على سريره وسيره الى خوارزم ثم قصد خوارزمشاه الى بلاد ماوراء النهر فملكها مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ اوزكند وجعل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من أحسن الناس صورة فكان أهل خوارزم يجتمعون حتى ينظروا

اليه فزوجه خوارزمشاه بابنته ورده الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان رسم الخطا

(ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين)

لما عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة لخوارزمشاه وأقام معه نحو سنة فرأى سوء سيرة الخوارزميين وقبح معاملتهم فندم على مفارقة الخطا فارسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلمها اليه ويعود الى طاعته وأمر بقتل كل من في سمرقند من الخوارزمية ممن سكنها قديما وحديثا وأخذ اصحاب خوارزمشاه فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الاسواق كما يعلق القصاب اللحم واساء غاية الاساءة ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزمشاه فاغلقت الابواب ووقفت بجواريها تمنعه وارسلت اليه تقول انا امرأة وقتل مثلي قبيح ولم يكن مني اليك ما استوجب به هذا منك ولعل تركي احمد عاقبة فاتق الله في فتركها ووكل بها من يمنعها التصرف في نفسها ووصل الخبر الى خوارزمشاه فقامت قيامته وغضب غضبا شديدا وأمر بقتل كل من بخوارزم من الغرباء فمنعته أمه عن ذلك وقالت ان هذا البلد قد أتاه الناس من أقطار الارض ولم يرض كلهم بما كان من هذا الرجل فامر بقتل أهل سمرقند فنهته امه فانتهى وأمر عساكره بالتجهيز الى ماوراء النهر وسيرهم ارسالا كلما تجهز جماعة عبروا جيحون فعبر منهم خلق كثير لا يحصى ثم عبر هو بنفسه في آخرهم ونزل على سمرقند وانفذ الى صاحبها يقول له قد فعلت ما لم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت فقال لا أخرج وافعل ما بدا لك فامر عساكره بالزحف فاشار عليه بعض من معه بان يامر بعض الامراء اذا قصدوا البلدان يقصدوا الدرب الذي يسكنه التجار فيمنع من نهبوا التطرق اليهم بسوء فانهم غرباء وكلهم كارهون لهذا الفعل فامر بعض الامراء بذلك وزحف ونصب السلاليم على السور فلم يكن باسرع من ان أخذوا البلد واذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من أهل سمرقند فنهب البلد وقتل أهله ثلاثة أيام فيقال انهم قتلوا منهم مائتي الف انسان وسلم ذلك الدرب الذي فيه الغرباء فلم يعدم منهم الفرد ولا الآدمي الواحد ثم امر بالكف عن النهب والقتل ثم زحف الى القلعة فرأى صاحبها اماملا قلبه هيبة وخوفا فارسل يطلب الامان فقال لا امان لك عندي فزحفوا عليها فملكوها واسروا صاحبها واحضروه عند خوارزمشاه فقبل الارض فطلب العفو فلم يعف عنه وامر بقتله فقتل صبرا وقتل معه جماعة من اقاربه ولم يترك احدا ممن ينسب الى الخانية ورتب فيها وفي سائر البلاد نوابه ولم يبق لاحد معه في البلاد حكم

(ذكر الوقعة التي افنت الخطا)

لما فعل خوارزمشاه بالخطا ما ذكرناه مضى من سلم منهم الى ملكهم فانه لم يحضر الحرب فاجتمعوا عنده وكان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديما

من القرية ليلا ويدخلون المدينة ويمرون بها في الاسواق ويبيعونها بما احبوا من الثمن على الناس فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ويشترك الجماعة في الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الاشارة اليه وان تيسر وجوده فيكون هزيلا رديئا فان في كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحري وقبلي الى المكان المعد لها ولم يكن ثم من يراعيها بالعلف والسقي فتهزل وتضعف فلما كثر ورود الفلاحين بالاغنام وشراء الناس لها ووصل خبر ذلك الى الباشا فامر بوقوف عساكره على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية فياخذون الشاة من الفلاحين اما بالثمن او يذهب صاحبها معها الى المذبح فتذبح في يومها او من الغد ويوزن اللحم خالصا ويعطى لصاحبها ثمنه عن كل رطل ثمانية فضة ونصف ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمنحر والمذاكير والمخرج بما فيه من الزبل ايضا والجزارون يبيعونها على من يشتري لشدة الطلب بزيادة النصف والنصفين بل والثلاثة والاربعة ان كان به نوع جودة واما الاسقاط من الرؤس والجلود والكروش فهي للميري وكذلك يفعل فيما يرد لخاصة الناس من الاغنام يفعل بها كذلك ولا ياخذ الاقدر

راتبه فى كل يوم من المذبح (وفيه) شح وجود الغلال فى الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز فى الاسواق فاخرج
الباشا جانب غلة ففرقت على
الرقع وبيعت على الناس وهى
الف اردب انقضت فى يومين
ولا يبيعون ازيد من كيلة
او كيلتين وبيع الاردب بالف
وماثتين وخمسين نصفا (وفيه)
افرد محل لعمل الشمع الذى
يعمل من الشحوم بمعرفة ابن
عبد الله بك جهة السروجية
واحتكر والاجل عمله جميع
الشحوم التى من المذبح وغيره
وامتنع وجود الشحم من
حوانيت الدهانين ومنعوا
من يعمل شيئا من الشمع فى
داره اوفى القوالب الزجاج
وتتبعوا من يكون عنده شئ
منها فاخذوها منه وحذروا
من عمله خارج المعمل كل
التحذير وسعروا رطله باربعة
وعشرين نصفا

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٢)

(فيه) حول معمل الشمع الى
جهة الحسينية عند الدرب
الذى يعرف بالسبع والضبع
(وفيه) ارتحلت عساكر
مجردة الى الحجاز (وفيه)
برزت اوامر الى كشاف
النواحى باحصاء عدد اغنام
البلاد والقرى ويفرض
عليها كل عشر شياه واحدة
من اعظمها اما كبش او
نعجة باولادها يجمعون ذلك
ويرسلون به الى مجمع اغنام الباشا وفرض ايضا على كل فدان رطلا من السمن يجمع

ونزلوا وراء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلما سمعوا بما فعله
خوارزمشاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلى خان فلما رأى ملك الخطا ذلك أرسل الى
خوارزمشاه يقول له اما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفو عنه وقد اتى
من هذا العدو من لاقبل لنا به وانهم ان انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك
والمصلحة ان تسير الينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك اننا اذا ظفرنا بهم
لانتعرض الى ما أخذت من البلاد ونقنع بما فى أيدينا وأرسل اليه كشلى خان ملك التتر
يقول ان هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعدنا عليهم ونحلف أننا اذا
انتصرنا عليهم لانقرب بلادك ونقنع بالمواضع التى ينزلونها فاجاب كلا منهما انى معك
ومعاضدك على خصمك وسار بعساكره الى أن نزل قريبا من الموضع الذى تصافوا فيه فلم
يخالطهم مخالطة يعلم بها انه من احدهما فكانت كل طائفة منهم تظن انه معها
وتواقع الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينئذ خوارزمشاه وجعل يقتل
ويأسر وينهب ولم يترك أحدا ينجو منهم فلم يسلم منهم الا طائفة يسيرة مع ملكهم فى
موضع من نواحى الترك يحيط به جبال ليس اليه طريق الا من جهة واحدة تحصنوا
فيه وانضم الى خوارزمشاه منهم طائفة وساروا فى عسكره وانفذ خوارزمشاه الى
كشلى خان ملك التتر يمن عليه بانه حضر لمساعدته ولولاه ما تمكن من الخطا فاعترف له
كشلى خان بذلك مدة ثم ارسل اليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا وقال كما اننا اتفقنا
على ابادتهم ينبغى ان نقتسم بلادهم فقال ليس لك عندى غير السيف ولستم باقوى من
الخطا شوكة ولا اعز ملكا فان قنعت بالمسالمة والا سرت اليك وفعلت بك شر مما
فعلت بهم وتجهز وسار حتى نزل قريبا منهم وعلم خوارزمشاه انه لا طاقة له به فكان
يراوغه فاذا سار الى موضع قصد خوارزمشاه اهله واثقالهم فينهبها واذا سمع ان طائفة
سارت عن موطنهم سار اليها فاوقع بها فارسل اليه كشلى خان يقول له ليس هذا فعل
الملوك هذا فعل اللصوص والا ان كنت سلطانا كما تقول فيجب أن نلتقى فاما ان تهزمنى
وتملك البلاد التى بيدى واما أن أفعل أنا بك ذلك فكان يغالطه ولا يجيبه الى ما طلب
لكنه امر اهل الشاش وفرغانة واسفيجاب وكاسان وما حولها من المدن التى لم يكن
فى الدنيا انزه منها ولا احسن عمارة بالجلاء عنها واللحاق ببلاد الاسلام ثم خربها جميعها
خوفا من التتر ان يملكوها ثم اتفق خروج هؤلاء التتر الآخر الذين خربوا الدنيا وملكهم
جنكزخان النهرجى على كشلى خان التترى الاول فاشتغل بهم كشلى خان عن
خوارزمشاه فخلا وجهه فعبر النهر الى خراسان

(ذكر ملك نجم الدين ابن الملك العادل خلاط)

فى هذه السنة ملك الملك الاوحد نجم الدين ايوب ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب مدينة
خلاط وسبب ذلك انه كان بمدينة ميافارقين من جهة ابيه فلما كان من ملك بلبان خلاط
ما ذكرناه قصدهو مدينة موش وحصرها واخذها واخذ غيرها مما يجاورها وكان

بلبان

بلبان لم تثبت قدمه حتى يمنعه فلما ملكها طمع فى خلاط فسار اليها فهزمه بلبان كما ذكرناه ايضا فعاد الى بلاده وجمع وحشد وسير اليه ابوه جيشا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكن نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وارسل رسولا الى مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان وهو صاحب ارزن الروم يستنجده على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما نجم الدين وحصرا موش فاشرف الحصار على ان تملك فغدر ابن قلج ارسلان بصاحب خلاط وقتله طمعا فى البلاد فلما قتله سار الى خلاط فمنعه اهلها عنها فسار الى ملازكرد فرده اهلها ايضا وامتنعوا عليه فلما لم يحصل فى شئ من البلاد مطمعا عاد الى بلده فارسل اهل خلاط الى نجم الدين يستدعونه اليهم ليملكوه فحضر عندهم وملك خلاط واعمالها سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له ملكه لها خوفا من ابيه وكذلك ايضا خافه الكرج وكرهوه فتابعوا الغارات على اعمال خلاط وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها فلقى المسلمون من ذلك اذى شديدا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على حصن وان وهو من اعظم الحصون وامنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فارسل نجم الدين الى ابيه الملك العادل يعرفه الحال ويطلب منه نجدة وان يمده بعسكر فسير اليه اخاه الملك الاشرف موسى بن العادل فى عسكر فاجتمعا فى عسكر كثير وحصرا قلاعة وان وبها الخلاطية وجدوا فى قتالهم فضعف اولئك عن مقاومتهم فسلموها صلحا وخرجوا منها وتسلمها نجم الدين واستقر ملكه بخلاط واعمالها وعاد اخوه الاشرف الى بلده حران والرها

(ذكر غارات الفرنج بالشام)

وفى هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد واكثروا الاغارة على بلد حمص وولاياتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرا فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بهم قوة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم فاستنجد الظاهر غازى صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده احد الا الظاهر فانه سير له عسكرا اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فصالحه صاحبها الفرنجى على قاعدة استقرت من اطلاق اسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص فنزل على بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس وحاصر موضعا يسمى القليعات واخذه صلحا واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخربه وتقدم الى طرابلس فنهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فلم تستقر قاعدة ودخل الشتاء وطلبت العساكر الشرقية العود الى بلادهم قبل البرد فنزل طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وعادت عساكر ديار الجزيرة الى اماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر ان اهل قبرس الفرنج اخذوا عدة قطع

الارطال مشايخ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحى ويرسلونها الى مصر وتسبب

هذه الحادثة انه لما عمت التسعيرة وتسعر رطل السمن بستة وعشر ين نصفا و يبيعه السمان والزيات بزيادة وعفين امتنع وجوده وظهوره فيأتى به الفلاح ليلا فى الخفية و يبيعه للزبون او للمتسبب بما احب و يبيعه المتسبب ايضا بالزيادة لمن يريده سرا فيبيعون الرطل بار بعين وخمسين ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن فيصقو على النصف ولا يقدر مشتريه على رد غشه للبائع لانه ما حصله الا بغاية المشقة والعزة والانكار والمنع وان فعل لا يجد من يعطيه ثانيا و تقف الطائفة من العسكر بالطرق ليلا وفى وقت الغفلات يرصدون الواردين من الفلاحين و يأخذونه منهم بالقهر و يعطونهم ثمنه بالسعر المرسوم ويحتكرونه هم ايضا و يبيعونه لمن يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة فامتنع وروده الا فى النادر خفية مع الغرر او الخفارة والتحامى فى بعض العساكر من امثالهم واشتد الحال فى انعدام السمن حتى على اكابر الدولة فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من

السمن و يعطى فى ثمن الرطل عشرين نصفا فاشتغلوا بتحصيل ما دهمهم من هذه النازلة وطولب المزارع

من أسد ول مصر وأسروا من فيها فارسل العادل الى صاحب عكا فى رد ما أخذوا ويقول نحن صلح فلم غدرتم باصحابنا فاعتذر بان أهل قبرس ليس لى عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان أهل قبرس ساروا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم تعذرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكا وأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حال فخرج بالعساكر وفعل بعكا ماذكرنا فاجابه حينئذ صاحبها الى ماطلب وأرسل الاسرى

(ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من أهلها)

لما تم ملك خلاط وأعمالها للملك الأوحد نجم الدين بن العادل سار عنها الى ملازكرد ليقرر قواعدها أيضا ويفعل ماينبغى أن يفعله فيها فلما فارق خلاط وثب أهلها على من بها من العسكر فاخرجوه من عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها أصحاب الاوحد ونادوا بشعار شاه ارمن وان كان ميتا يعنون بذلك رد الملك الى أصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحصر خلاط فاختلف أهلها فمال اليه بعضهم حسدا للآخرين فملكها وقتل بها خلقا كثيرا من أهلها وأسر جماعة من الاعيان فسيرهم الى ميافارقين وكان كل يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم يسلم الا القليل وذل أهل خلاط بعد هذه الوقعة وتفرقت كلمة الفتيان وكان الحكم اليهم وكفى الناس شرهم فانهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكا ويقتلون آخر والسلطنة عندهم لاحكم لها وانما الحكم لهم واليهم

(ذكر ملك أبى بكر بن البهلوان مراغة)

فى هذه السنة ملك الامير نصرة الدين أبو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك ان صاحبها علاء الدين قراسنقر مات هذه السنة وولى بعده ابن له طفل وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لابيه فعصى عليه أمير كان مع أبيه وجمع جمعا كثيرا فارسل اليه الخادم من عنده من العسكر فقاتلهم ذلك الامير فانهزموا واستقر ملك ولد علاء الدين الا انه لم تطل أيامه حتى توفى فى أول سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته ولم يبق منهم أحد فلما توفى سار نصرة الدين أبو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ماعدا قلعة روين دز فانها اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر فامتنع بها على الامير أبى بكر

(ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة)

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى من أهل الرى من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين بن القصاب وزير الخليفة الرى ولقى من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيرا وحكم ابنه صاحب المخزن فلما كان فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل وأغلق بابه وكان سبب عزله انه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع فانه

هرب

بمقدار مايزرعه من الافدنة ارطالا من السمن ومن لم يكن متأخرا عنده شئ من معين بهيمته أو لم يكن له بهيمة
او احتاج الى تكملة موجود عنده فيشتريه ممن يوجد عنده باغلى ثمن ليسدها عليه اضطرارا اجزاء وفاقا (وفيه) حصل الاذن بدخول مادون العشرة من الاغنام الى المدينة وكذلك الاذن لمن يشترى شيئا منها من الاسواق وسبب اطلاق الاذن بذلك مجئ بعض اغنام الى اكابر الدولة ولا غنى عن ذلك لادنى منهم ايضا وعجزوا عن وصولها الى دورهم فشكوا الى الباشا فاطلق الاذن فيما دون العشرة (وفيه) ايضا امتنع وجود الغلال بالعرصات والسواحل بسبب احتكارها واستمرار انجرارها ونقلها فى المراكب قبلى وبحرى الى جهة الاسكندرية للبيع على الافرنج بالثمن الكثير كما تقدم ووجهت المراسيم الى كشاف النواحى بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشترى منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم وبان كل مااحتاجوا لبيعه مما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ لطرف الميرى بالثمن المفروض بالكيل الوافى واشتد الحال فى هذا الشهر وماقبله حتى قل وجود الخبز من الاسواق بل امتنع وجوده فى بعض الايام واقبلت الفقراء نساء ورجالا الى الرقع بمقاطفهم ورجعوا بها فوارغ من غير شئ وزاد الهول والتشكى وبلغ الخبر الباشا

هرب من يده الى الشام سنة ثلاث وستمائة فارق الحاج بالمرخوم وأرسل يعتذر ويقول ان الوزير يريد أن لا يبقى فى خدمة الخليفة أحدا من مماليكه ولا شك انه يريد أن يدعى الخلافة وقال الناس فى ذلك فاكثروا وقالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم

الا مبلغ عنى الخليفة أحمدا * توق وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * فعالك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدعى غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

فعزله وقيل فى سبب ذلك غيره ولما عزل أرسل الى الخليفة يقول اننى قدمت الى ههنا وليس لى دينار ولا درهم وقد حصل لى من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف دينار و يسال أن يؤخذ منه الجميع و يمكن من المقام بالمشهد اسوة ببعض العلويين فاجابه اننا ما أنعمنا عليك بشئ فنوينا اعادته ولو كان ملء الارض ذهبا ونفسك فى أمان الله وأماننا ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك غير ان الاعداء قد أكثروا فيك فاختر لنفسك موضعا تنتقل اليه موقرا محترما فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه العدو فتذهب نفسه ففعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبا الى الناس حسن اللقاء لهم والانبساط معهم عفيفا عن أموالهم غير ظالم لهم فلما قبض عاد أمير الحاج من مصر فى الخدمة العادلية وعاد أيضا قشتمر وأقيم فى النيابة فى الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن امسينا الواسطى الا انه لم يكن متحكما

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة ليلة الاربعاء الخمس بقين من رجب زلزلت الارض وقت السحر وكنت حينئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجاءت الاخبار من كثير من البلاد بانها زلزلت ولم تكن بالقوية وفيها أطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حق البيع وما يؤخذ من ارباب الامتعة من المكوس من سائر المبيعات وكان مبلغا كثيرا وكان سبب ذلك أن بنتا لعز الدين نجاح شرابى الخليفة توفيت فاشترى لها بقرة لتذبح و يتصدق بلحمها عنها فرفع الى حساب ثمنها مؤنة البقرة فكانت كثيرة فوقف الخليفة على ذلك وأمر باطلاق المؤنة جميعها وفيها فى شهر رمضان أمر الخليفة ببناء دور فى المحال ببغداد ليفطر فيها الفقراء وسميت دور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضان والخبز الجيد عمل ذلك فى جانبى بغداد وجعل فى كل دار من يوثق بامانته وكان يعطى كل انسان قدحا مملوأ من الطبيخ واللحم ومنا من الخبز فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء فى خندق بغداد من ناحية باب كلواذى فخيف على البلد من الغرق فاهتم الخليفة بسد الخندق وركب فخر الدين نائب الوزارة وعز الدين الشرابى ووقفا ظاهر البلد فلم يبرحا حتى سد الخندق وفيها توفى الشيخ حنبل

فاطلق ايضا الف اردب توزع على الرقع ويباع على الناس امار بيع واحدا وكيلة فقط وكل ربع ثمنه قرش فيكون الاردب باربعة وعشرين قرشا (وفيه) حضر حسن بك الشعراوى من ناحية درنة و بلد اخرى يقال لها سيوة وصحبته فرقة من اولاد على وذلك ان اولاد على افترقوا فرقتين احداهما طائعة والاخرى عاصية عن الطاعة ومتحازون الى هذه الناحية فجرد الباشا عليهم حسن بك المذكور فحاربهم فهزمهم وهزموه ثانيا فرجع الى مصر فضم اليه الباشا جملة من العساكر واصحب معه الفرقة الاخرى الطائعة فسار الجميع ودهموهم على حين غفلة وتقدم لحربهم اخوانهم الطائعة وقتلوا منهم واغاروا على مواشيهم واباعرهم واغنامهم فارسلوا المنهوبات الى جهة الفيوم وفى ظن العرب ان الغنائم تطيب لهم وحضر حسن بك وصحبته كبار العرب من أولاد على الطائعين وفى ظنهم الفوز بالغنيمة وان الباشا لا يطمع فيها لكون النصرة كانت بايديهم وانه يشكرهم ويزيدهم انعاما وكانوا نزلوا ببر الجيزة وحضر حسن بك الى الباشا فطلب كبار العرب ليخلع عليهم و يكسوهم فلما حضروا اليه أمر بحبسهم واحضار الغنيمة من ناحية الفيوم بتمامها فاحضروها بعد ايام واطلقهم فيقال ان الاغنام ستة عشر الف رأس

ابن عبد الله بن الفرج المكبر بجامع الرصافة وكان عالى الاسناد روى عن ابن الحصين مسند أحمد بن حنبل وله اسناد حسن وقدم الموصل وحدث بها وبغيرها

(ثم دخلت سنة خمس وستمائة)

(ذكر ملك الكرج ارجيش وعودهم عنها)

فى هذه السنة سارت الكرج فى جموعها الى ولاية خلاط وقصدوا مدينة ارجيش فحصروها وملكوها عنوة ونهبوا جميع ما بها من الاموال والامتعة وغيرها وأسروا وسبوا أهلها واحرقوها وخربوها بالكلية ولم يبق بها من أهلها أحد فاصبحت خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وكان نجم الدين أيوب صاحب ارمينية بمدينة خلاط وعنده كثير من العساكر فلم يقدم على الكرج لاسباب منها كثرتهم وخوفه من اهل خلاط لما كان أسلف اليهم من القتل والاذى وخاف ان يخرج منها فلا يمكن من العود اليها فلما لم يخرج الى قتال الكفار عادوا الى بلادهم سالمين لم يذعرهم ذاعر وهذا جميعه وان كان عظيما شديدا على الاسلام وأهله فانه يسير بالنسبة الى ما كان مما نذكره سنة أربع عشرة الى سنة سبع عشرة وستمائة

(ذكر قتل سنجر شاه وملك ابنه محمود)

فى هذه السنة قتل سنجر شاه بن غازى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عم نور الدين صاحب الموصل قتله ابنه غازى ولقد سلك ابنه فى قتله طريقا عجيبا يدل على مكر ودهاء وسبب ذلك ان سنجر كان سيئ السيرة مع الناس كلهم من الرعية والجند والحريم والاولاد وبالغ من قبيح فعله مع اولاده انه سير ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلد الزوزان واخرج ابنه هذا الى دار بالمدينة اسكنه فيها ووكل به من يمنعه من الخروج وكانت الدار الى جانب بستان لبعض الرعية فكان يدخل اليه منها الحيات والعقارب وغيرهما من الحيوان المؤذى ففى بعض الايام اصطاد حية وسيرها فى منديل الى ابيه لعله يرق له فلم يعطف عليه فاعمل الحيلة حتى نزل من الدار التى كان بها واختفى ووضع انسانا كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد الموصل واظهر انه غازى بن سنجر فلما سمع نور الدين بقربه منها ارسل نفقة وثيابا وخيلا وامره بالعود وقال ان اباك يتجنى لنا الذنوب التى لم نعملها ولو تقبح ذكرنا فاذا صرت عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والبشاعات ونقع معه فى صداع لا ينادى وليده فسار الى الشام واما غازى بن سنجر فانه تسلق الى دار ابيه واختفى عند بعض سراريه وعلم به كثير من بالدار فسترت عليه بغضا لابيه وتوقعا للخلاص منه لشدته عليهن فبقى كذلك وترك ابوه الطلب له ظنا منه انه بالشام فاتفق ان اباه فى بعض الايام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمائه فكان يقترح على المغنين ان يغنوا فى الفراق وماشا كل ذلك ويبكى ويظهر فى قوله قرب الاجل ودنو الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى آخر النهار وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه ففى الليل دخل الخلاء وكان ابنه عند تلك الحظية

فدخل

او اكثر ومن الجمال ثمانية آلاف جمل وناقة وقيل اكثر من ذلك (وفيه) نجزت عمارة السواقى التى انشاها الباشا بالارض المعروفة برأس الوادى بناحية شرقية بلبيس قيل انها تزيد على الف ساقية وهى سواقى دواليب خشب تعمل فى الارض التى يكون منبع الماء فيها قريبا واستمر الصناع مدة مستطيلة فى عمل آلاتها عند بيت الجبجى وهو بيت الرزاز الذى جهة التبانة بقرب المحجر وتحمل على الجمال الى الوادى وهناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك وغرسوا بها اشجار التوت الكثيرة لتربية دود القز واستخراج الحرير كما يكون بنواحى الشام وجبل الدروز ثم برزت الاوامر الى جميع بلاد الشرقية باشخاص أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم اطيان فلاحة يستوطنون بالوادى المذكور وتبنى لهم كفور يسكنون فيها ويتعاطون خدمة السواقى والمزارع ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير واستجلاب أناسا من نواحى الشام والجبل من اصحاب المعرفة بذلك ويرتب للجميع نفقات الى حين ظهور النتيجة ثم يكونون شركاء فى ربع المتحصل ولما برزت المراسيم بطلب الاشخاص من بلاد الشرق اشيع فى جميع قرى الاقاليم المصرية اشاعات وتقولوا اقاويل منها ان الباشا يطلب من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين وعشرة من البنات يزوجهم بهن ويمهرهن

فدخل اليه فضربه بالسكين اربع عشرة ضربة ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو فتح باب الدار واحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنه امن واطمان ولم يشك فى الملك فاتفق ان بعض الخدم الصغار خرج الى الباب واعلم استاذدار سنجر الخبر فاحضر اعيان الدولة وعرفهم ذلك واغلق الابواب على غازى واستحلف الناس لمحمود بن سنجرشاه وارسل اليه احضره من فرح ومعه اخوه مودود فلما حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدار على غازى ودخلوا عليه ليأخذوه فمانعهم عن نفسه فقتلوه والقوه على باب الدار فاكلت الكلاب بعض لحمه ثم دفن باقيه ووصل محمود الى البلد وملكه ولقب بمعز الدين لقب ابيه فلما استقر اخذ كثيرا من الجوارى اللواتى لابيه فغرقهن فى دجلة ولقد حدثنى صديق لنا انه راى بدجلة فى مقدار غلوة سهم سبع جوار مغرقات منهن ثلاث قد احرقت وجوههن بالنار فلم اعلم سبب ذلك الحريق حتى حدثتنى جارية اشتريتها بالموصل من جواريه ان محمودا كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها فى النار فاذا احترقت القاها فى دجلة وباع من لم يغرقه منهن فتفرق اهل تلك الدار ايدى سبا وكان سنجرشاه قبيح السيرة ظالما غاشما كثير المخاتلة والمواربة والنظر فى دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيته وغيرهم من اخذ الاموال والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طرائق وعرا من قطع الالسنة والانوف والآذان واما اللحى فانه حلق منها ما لا يحصى وكان جل فكره فى ظلم يفعله وبلغ من شدة ظلمه انه كان اذا استدعى انسانا ليحسن اليه لا يصل الا وقد قارب الموت من شدة الخوف واستعلى فى ايامه السفهاء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب البلد وتفرق اهله لاجرم سلط الله عليه اقرب الخلق اليه فقتله ثم قتل ولده غازى وبعد قليل قتل ولده محمود اخاه مودودا وجرى فى داره من التحريق والتغريق ما ذكرنا بعضه ولو رمنا شرح قبيح سيرته لطال والله تعالى بالمرصاد لكل ظالم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثانى المحرم توفى ابو الحسن ورام بن ابى فراس الزاهد بالحلة السيفية وهو منها وكان صالحا وفى صفر توفى الشيخ مصدق بن شبيب النحوى وهو من اهل واسط وفى شعبان توفى القاضى محمد بن احمد بن المندائى الواسطى بها وكان كثير الرواية للحديث وله اسناد عال وهو آخر من حدث بمسند احمد بن حنبل على ابن الحصين وفيه توفى القوام ابو فراس نصر بن ناصر بن مكى المدائنى صاحب المخزن ببغداد وكان اديبا فاضلا كامل المروءة يحب الادب واهله ويحب الشعر ويحسن الجوائز عليه ولما توفى ولى بعده ابو الفتوح المبارك ابن الوزير عضد الدين أبى الفرج بن رئيس الرؤساء واكرم واعلى محله فبقى متوليا الى سابع ذى القعدة وعزل لعجزه وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان اشدها بنيسابور وخرج اهلها الى الصحراء اياما حتى سكنت وعادوا الى مساكنهم

من ماله ويرتب لهم نفقات الى بلوغ صلاح المراد ثم اشاعوا الطلب للصبيان الغير مختونين ليرسلهم الى بلاد الافرنج ليتعلموا الصنائع التى لم تكن بارض مصر وشاع ذلك فى اهل القرى وثبت ذلك عندهم فختن الجميع صبيانهم ومنهم من ارسل ابنه أو بنته وغيبها عند معارفه بالمدينة الى غير ذلك من الاقاويل التى لم يثبت منها الا ماذكر اولا من ان المطلوب جلب الفلاحين البطالين من بلاد الشرقية لاغير وقد تعمر هذا الوادى بالسواقى والاشجار والسكان من جميع الاجناس وانقشا دنيا جديدة مقسعة لم يكن لها وجود قبل ذلك بل كانت برية خرابا وفضاء واسعا (وفيه) سافر جملة من عساكر الاتراك والمغاربة وكبيرهم ابراهيم اغا الذى كان كتخدا ابراهيم باشا ثم تولى كشوفية المنوفية وصحبته خزينة وجبخانه ومطلوبات لمخدومه

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٢)

(فى اوائله) حضر الى مصر ابن يوسف باشا حاكم طرابلس ومعه اخوه اصغر منه يستاذنان الباشا فى حضور والدهما الى مصر فارا من والده وكان ولاه على ناحية درنة وبنى غازى فحصل منه ما غير خاطر والده عليه وعزم على ان يجرد عليه فارسل اولاده الى صاحب مصر بهدية ويستاذن فى الحضور

الى مصر والالتجاء اليه فاذن له فى الحضور وهو ابن اخى الذى بمصر اولا وسافر مع الباشا الى الحجاز ورجع الى مصر واستمر ساكنا بالسبع قاعات (وفيه) وصل الخبر بان ابراهيم اغا الذى سافر مع الجردة لما وصل الى العقبة امر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته وذهب على طريق الشام (وفى ليلة الاربعاء سادس عشره) وصل جراد كثير ليلا ونزل ببستان الباشا بشبرا وتعلق بالاشجار والزهور وصاحت الخولة والبستانجية وارسل الباشا الى الحسينية وغيرها فجمعوا مشاعل كثيرة واوقدوها وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده وامر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيرا (ثم فى ليلة السبت تاسع عشره) قبل الغروب وصل جراد كثير من ناحية المشرق مارا بين السماء والارض مثل السحاب وكان الريح ساكنا فسقط منه الكثير على الجناين والمزارع والمقاثى فلما كان فى نصف الليل هبت رياح جنوبية واستمرت واشتد هبوبها عند انتصاف النهار واثارت غبار الصفرة وعبوقا بالجو ودامت الى بعد العصر يوم السبت فطردت ذلك الجراد واذهبته فسبحان الحكيم المدبر اللطيف (وفى يوم الاحد) طاف مناداعمى يقوده آخر

فبينما

(ثم دخلت سنة ست وستمائة)

(ذكر ملك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتفاق نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين)

فى هذه السنة ملك العادل أبو بكر بن أيوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهى بيد قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود وسبب ذلك ان قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وقد تقدم ذكر ذلك فلما كان سنة خمس وستمائة حصلت مصاهرة بين نور الدين والعادل فان ولد العادل تزوج بابنة لنور الدين وكان لنور الدين وزراء يحبون ان يشتغل عنهم فحسنوا له مراسلة العادل والاتفاق معه على ان يقتسما بالبلاد التى لقطب الدين وبالولاية التى لولد سنجرشاه بن غازى بن مودود وهى جزيرة ابن عمر وأعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل وتكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هوى نور الدين فارسل الى العادل فى المعنى فاجابه الى ذلك مستبشرا وجاءه ما لم يكن يرجوه لانه علم انه متى ملك هذه البلاد أخذ الموصل وغيرها وأطمع نور الدين أيضا فى ان يعطى هذه البلاد اذا ملكها الولده الذى هو زوج ابنة نور الدين ويكون مقامه فى خدمته بالموصل واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفا عليها فبادر العادل الى المسير من دمشق الى الفرات فى عساكره وقصد الخابور فاخذه فلما سمع نور الدين بوصوله كأنه خاف واستشعر فاحضر من يرجع الى رأيهم وقولهم وعرفهم وصول العادل واستشارهم فيما يفعله فاما من أشار عليه فسكتوا وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظم الامر وأشار بالاستعداد للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخائر وما يحتاج اليه فقال نور الدين نحن فعلنا ذلك وخبره الخبر فقال باى رأى تجىء الى عدو لك هو أقوى منك وأكثر جمعا وهو بعيد منك متى تحرك لقصدك تعلم به فلا يصل الا وقد فرغت من جميع ما تريده تسعى حتى يصير قريبا منك ويزداد قوة الى قوته ثم ان الذى استقر بينكما انه له يملكه أولا بغير تعب ولا مشقة وتبقى أنت لا يمكنك أن تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها والعادل ههنا هذا ان وفى لك بما استقرت القاعدة عليه لا يجوز ان تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانه قد صار له ملك خلاط وبعض ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيد اولاده فمتى سرت عن الموصل امكنهم أن يحولوا بينك وبينها فما زدت على أن آذيت نفسك وابن عمك وقويت عدوك وجعلته شعارك وقد فات الامر وليس يجوز الآن تقف معه على ما استقر بينكما لئلا يجعل ذلك حجة ويبتدئ بك هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار فحصرها وكان فى عزم صاحبها قطب الدين ان يسلمها الى العادل بعوض يأخذه عنها فمنعه من ذلك أمير كان معه اسمه أحمد بن برنقش مملوك أبيه زنكى وقام بحفظ المدينة والذب عنها وجهز نور الدين عسكرا مع ولده الملك القاهر ليسيروا الى الملك العادل

فبينما الامر على ذلك اذجاءهم أمر لم يكن لهم فى حساب وهو ان مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل أرسل وزيره الى نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل عن سنجار وان الاتفاق معه على ما يريده فوصل الرسول ليلا فوقف مقابل دار نور الدين وصاح فعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين ليلا وأبلغه الرسالة فاجاب نور الدين الى ما طلب من الموافقة وحلف له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفر الدين واجتمع هو ونور الدين ونزلا بعسا كرهما بظاهر الموصل وكان سبب ما فعله مظفر الدين ان صاحب سنجار أرسل ولده الى مظفر الدين يستشفع به الى العادل ليبقى عليه سنجار وكان مظفر الدين يظن انه لو شفع فى نصف ملك العادل لشفعه لاثره الجميل فى خدمته وقيامه فى الذب عن ملكه غير مرة كما تقدم فشفع اليه فلم يشفعه العادل ظنا منه انه بعد اتفاقه مع نور الدين لا يبالى بمظفر الدين فلما رده العادل فى شفاعته راسل نور الدين فى الموافقة عليه ولما وصل الى الموصل واجتمع بنور الدين ارسلا الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم بالاتفاق معهما فكلاهما أجاب الى ذلك وتداعوا على الحركة وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وارسلا أيضا الى الخليفة الناصر لدين الله ايرسل رسولا الى العادل فى الصلح أيضا فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن الضحاك استاذ الدار والامير آقباش وهو من خواص مماليك الخليفة وكبارهم فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل وهو يحاصر سنجار وكان من معه لا يناصحونه فى القتال لاسيما اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه كان يدخل اليها الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرا ولا يقاتل عليها وكذلك غيره فلما وصل رسول الخليفة الى العادل أجاب اوّلا الى الرحيل ثم امتنع عن ذلك وغالط وأطال الامر لعله يبلغ منها غرضا فلم يبلغ منها ما أمله وأجاب الى الصلح على ان له ما أخذوه ويبقى سنجار لصاحبها واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلهم وعلى ان يكونوا يدا واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حران وعاد مظفر الدين الى اربل وبقى كل واحد من الملوك فى بلده وكان مظفر الدين عند مقامه بالموصل قد زوج ابنتين له بولدين لنور الدين وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول عزل فخر الدين بن امسينا عن نيابة الوزارة للخليفة والزم بيته ثم نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولى بعده نيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن برز القمى كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين ونقل الى دار الوزارة مقابل باب النوبى وفيها فى شوال توفى مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعى مدرس النظامية ببغداد وفيها توفى فخر الدين ابو الفضل محمد بن عمر بن خطيب الرى الفقيه

بالاسواق ويقول فى نداائه من كان مريضا او به رمد او جراحة او ادرة فليذهب الى خان بالموسكى به اربعة من حكماء الافرنج اطباء يداوونه من غير مقابلة شئ فتعجب الناس من هذا وتحاكوه وسعوا اليهم لطلب التداوى (وفيه) حضر ابن باشة طرابلس ودخل الى المدينة وصحبته نحو الماثنى نفر من اتباعه فانزله الباشا فى منزل ام مرزوق بك بحارة عابدين واجرى عليه النفقات والرواتب له ولاتباعه (وفى يوم الخميس حادى عشرينه) وصل خبر الاطباء ومناداتهم الى كتخدا بك فاحضر حكيم باشا وساله فانكر معرفتهم وانه لا علم عنده بذلك فامر باحضارهم وسالهم فخلطوا فى الكلام فامر باخراجهم من البلدة ونفوهم فى الحال وذهبوا الى حيث شاء الله ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين لجوزى بالقتل او الخازوق وكان صورة جلوسهم ان يجلس احدهم خارج المكان والآخر من داخل وبينهما ترجمان ويأتى مريد العلاج الى الاول وهو كانه الرئيس فيجس نبضه او يبضه وكانه عرف علته ويكتب له ورقة فيدخل مع الترجمان بها الآخر بداخل المكان فيعطيه شيئا من الدهن اوالسفوف اوالحب المركب ويطلب منه اما قرشا اوقرشين اوخمسة بحسب الحال وذلك ثمن الدواء لاغير وشاع ذلك وتسامع به الناس واكثرهم معلول ومن

الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والاصولين وغيرهما وكان امام الدنيا
في عصره وبلغني ان مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها في سلخ ذي الحجة توفي
أخي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب مولده في احد
الربيعين سنة أربع وأربعين وكان عالما في عدة علوم منها الفقه والاصولان والنحو
والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب
الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتبا مفلقا يضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق
مستقيم رحمه الله ورضي عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعل من يقف على ما ذكرته
يتهمني في قولي ومن عرفه من اهل عصرنا يعلم اني مقصر وفيها توفي المجد المطرزي
النحوي الخوارزمي وكان اماما في النحو له فيه تصانيف حسنة وفيها توفي المؤيد بن
عبد الرحيم بن الاخوة باصفهان وهو من اهل الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع وستمائة)

(ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه)

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولاه الخليفة خوزستان بعد
طاشتكين امير الحاج كما ذكرناه فلما كان سنة ست وستمائة بدا منه تغير عن الطاعة
فروسل في القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة ويبطن التغلب على
البلاد فبقي الامر كذلك الى ربيع الاول من هذه السنة فتقدم الخليفة الى مؤيد الدين
نائب الوزارة والى عز الدين بن نجاح الشرابي خاص الخليفة بالمسير بالعساكر اليه
بخوزستان واخراجه منها فساروا في عساكر كثيرة فلما تحقق سنجر قصدهم اليه فارق
البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو اتابك عز الدين سعد بن دكلا ملتجئا اليه فاكرمه
وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان في ربيع الآخر بغير ممانعة فلما استقروا
في البلاد راسلوا سنجر يدعونه الى الطاعة فلم يجب الى ذلك فساروا الى ارجان عازمين
على قصد صاحب شيراز فادركهم الشتاء فاقاموا واشهروا والرسل مترددة بينهم وبين
صاحب شيراز فلم يجبهم الى تسليمه فلما دخل شوال رحلوا يريدون شيراز فحينئذ ارسل
صاحبها الى الوزير والشرابي يشفع فيه ويطلب العهد له على ان لا يؤذى فاجيب الى
ذلك وسلمه اليهم هو وماله واهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار
وولى الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوت امير الحاج ووصل الوزير الى بغداد في
المحرم سنة ثمان وستمائة هو والشرابي والعساكر وخرج اهل بغداد الى تلقيهم
فدخلوا وسنجر معهم راكبا على بغل باكاف وفي رجله سلسلتان في يد كل جندي
سلسلة وبقي محبوسا الى ان دخل صفر فجمع الخلق الكثير من الامراء والاعيان الى دار
مؤيد الدين نائب الوزارة فاحضر سنجر وقرر بامور نسبت اليه منكرة فاقر بها فقال
مؤيد الدين للناس قد عرفتم ما تقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا
امير المؤمنين عنه وامر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل

طبيعتهم التقليد والرغبة في الوارد الغريب فيتكاثروا وتزاحموا عليهم فجمعوا في الايام القليلة جملة من الدراهم
واستلطف الناس طرقهم
هذه بخلاف ما يفعله الذين
يدعون التطبيب من الافرنج
واصطلاحهم اذا دعي الواحد
منهم لمعالجة المريض فاول
ما يبدأ به نقل قدمه بدراهم
يأخذها امارياله فرانسه
او اكثر بحسب الحال والمقام
ثم يذهب الى المريض فيجسه
ويزعم انه عرف علته ومرضه
وربما هول على المريض داءه
وعلاجه ثم يقاول على سعيه
في معالجته بمقدار من الفرانسه
اما خمسين او مائة او اكثر بحسب
مقام العليل ويطلب نصف
الجعالة ابتداء ويجعل على كل
مرة من الترددات عليه جعالة
ايضا ثم يزاوله بالعلاجات التي
تجددت عندهم وهي مياه
مستقطرة من الاعشاب او
ادهان كذلك يأتون بها
للمرضى في قوارير الزجاج
اللطيفة في المنظر يسمونها
باسماء بلغاتهم ويعربونها
بدهن البادزهر واكسير
الخاصة ونحو ذلك فان شفى الله
العليل اخذ منه بقية ما قاوله
عليه او امانه طالب الورثة
بباقي الجعالة وثمن الادوية
طبق ما يدعيه واذا قيل له انه
قد مات قال في جوابه انا لم
اضمن اجله وليس على
الطبيب منع الموت ولا تطويل
العمر وفيهم من جعل له في كل يوم عشرة من الفرانسه (وفيه) رأى رأيه حضرة الباشا حفر

ان

ان أتابك سعد نهب مال سنجر وخزانته ودوابه وكل ماله ولاصحابه وسيرهم فلما وصل سنجر الى الوزير والشرابي طلبوا المال فارسل شيئا يسيرا والله أعلم

(ذكر وفاة نور الدين أرسلانشاه وشئ من سيرته)

فى هذه السنة أواخر رجب توفى نور الدين أرسلانشاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة واحد عشر شهرا وكان شهما شجاعا ذا سياسة للرعايا شديدا على أصحابه فكانوا يخافونه خوفا شديدا وكان ذلك مانعا من تعدى بعضهم على بعض وكان له همة عالية أعاد ناموس البيت الاتابكى وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة فى طلب الملك الا انه لم يكن له صبر فلهذا لم يتسع ملكه ولو لم يكن له من الفضيلة الا انه لما رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرناه سنة خمس وتسعين وخمسمائة عف عنها وأبقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوة الامتناع لان من كان بها كانوا قد هلكوا أو ضجروا ولم يبق لهم رمق فابقاها على صاحبها ولما ملك استغاث اليه انسان من التجار فسال عن حاله فقيل انه قد أدخل قماشه الى البلد ليبيعه فلم يتم له البيع ويريد اخراجه وقد منع من ذلك فقال من منعه فقيل ضامن البزيريد منه ماجرت به العادة من المكس وكان القيم بتدبير مملكته مجاهد الدين قايماز وهو الى جانبه فساله عن العادة كيف هى فقال ان اشترط صاحبه اخراج متاعه مكن من اخراجه وان لم يشترط ذلك لم يخرج حتى يؤخذ ماجرت العادة باخذه فقال والله ان هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لاى شئ يؤخذ منه ماله فقال مجاهد الدين لاشك فى فساد هذه العادة فقال اذا قلت أنا وأنت انها عادة فاسدة فما المانع من تركها وتقدم باخراج مال الرجل وان لا يؤخذ الا ممن باع وسمعت أخى مجد الدين أبا السعادات رحمه الله وكان من أكثر الناس اختصاصا به يقول ما قلت له يوما فى فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى فى بعض الايام أخى المذكور فركب الى داره فلما كان بباب الدار لقيته امرأة وبيدها رقعة وهى تشكو وتطلب عرضها على نور الدين فاخذها فلما دخل اليه جاراه فى مهم له فقال قبل كل شئ تقف على هذه الرقعة وتقضى شغل صاحبتها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرفنا ايش فيها فقال والله لا أعلم الا انى رأيت امرأة بباب الدار وهى متظلمة شاكية فقال نعم عرفت حالها ثم انزعج فظهر منه الغيظ والغضب وعنده رجلان هما القيمان بامور دولته فقال لاخى ابصر الى أى شئ قد دفعت مع هذين هذه المرأة كان لها ابن وقد مات فى الموصل وهو غريب وخلف قماشا ومملوكين فاحتاط نواب بيت المال على القماش واحضر المملوكين الينا فبقيا عندنا ننتظر من يستحق التركة ليأخذها فحضرت هذه المرأة ومعها كتاب حكمى بان المال الذى مع ولدها لها فتقدمنا بتسليم مالها اليها وقلت لهذين اشتريا المملوكين منها وانصفاها فى الثمن فعادا وقالا لم يتم بيننا بيع لانها طلبت ثمنا كثيرا فامرتهما باعادة المملوكين اليها من

بحر عميق يجرى الى بركة عميقة تحفر ايضا بالاسكندرية تسير فيها السفن بالغلال وغيرها ومبدؤها من مبدا خليج الاشرفية عند الرحمانية فطلب لذلك خمسين الف فاس ومسحة يصنعها صناع الحديد وامر بجمع الرجال من القرى وهم مائة الف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالاجرة وبرزت الاوامر بذلك فارتبك امر الفلاحين ومشايخ البلاد لان الامر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم فشرعوا فى التشهيل وما يتزودون به فى البرية ولا يدرون مدة الاقامة فمنهم من يقدرها بالسنة ومنهم باقل او اكثر

(واستهل شهر رجب بيوم الاحد سنة ١٢٣٣)

(فى ثانيه يوم الاثنين) الموافق لثانى عشر بشنس القبطى وسابع ايار الرومى قبل الغروب بنحو ساعة تغير الجو بسحاب وقتام وحصل رعد متتابع واعقبه مطر بعد الغروب ثم انجلى ذلك والسبب فى ذكر مثل هذه الجزئية شيا ن الاول وقوعها فى غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد الثانى الاحتياج اليها فى بعض الاحيان فى العلامات السماوية وبالاكثر فى الوقائع العامية فان العامة لا يؤرخون غالبا بالاعوام والشهور بل بحادثة ارضية او سماوية خصوصا اذا حصلت فى غير وقتها او ملحمة او معركة او فصل او مرض عام او موت كبير او امير فاذا سئل الشخص عن وقت مولده

مدة شهرين واكثر والى الآن ما عادت سمعت لها حديثا وظننت انها اخذت مالها ولا شك انهما لم يسلما المملوكين اليها وقد استغاثت اليهما فلم ينصفاها فجاءت اليك وكل من رأى هذه المرأة تشكو وتستغيث يظن انى أنا منعتها من مالها فيذمني وينسبني الى الظلم وليس لى علم وكل هذا فعل هذين أشتهى ان تتسلم انت المملوكين وتسلمهما اليها فاخذت المرأة مالها وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لا نطول بذكره

(ذكر ولاية ابنه الملك القاهر)

لما حضر نور الدين الموت أمران يرتب في الملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود وأحلف له الجند واعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل موته بمدة فجدد العهد له عند وفاته واعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكي قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتها وسيره الى العقر وامر ان يتولى تدبير مملكتهما ويقوم بحفظها والنظر في مصالحها فتاه الامير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السيادة فيه وكان عمر القاهر حينئذ عشر سنين ولما اشتد مرضه وايس من نفسه أمره الاطباء بالانحدار الى الحامة المعروفة بعين القيارة وهي بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضعفا فاخذه بدر الدين واصعده في الشبارة الى الموصل فتوفي في الطريق ليلا ومعه الملاحون والاطباء بينه وبينهم ستر وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان فلما توفي نور الدين قال لهما لا يسمع احد بموته وقال للاطباء والملاحين لا يتكلم احد فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل في الليل فامر الاطباء والملاحين بمفارقة الشبارة لئلا يروه ميتا وابعدوا فحمله هو والمملوكان وأدخله الدار وتركه في الموضع الذي كان فيه ومعه المملوكان ونزل على بابه من يثق اليه لا يمكن أحدا من الدخول والخروج وقعد مع الناس يمضي امورا كان يحتاج الى اتمامها فلما فرغ من جميع ما يريده اظهر موته وقت العصر ودفن ليلا بالمدرسة التي أنشاها مقابل داره وضبط البلد تلك الليلة ضبطا جيدا بحيث ان الناس في البلد لم يزالوا مترددين لم يعدم من احد عقدا والحبة الفرد واستقر الملك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر في مصالحها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر درس القاضي ابو زكريا بن القاسم بن المفرج قاضي تكريت بالمدرسة النظامية ببغداد استدعى من تكريت اليها وفيها نقصت دجلة بالعراق نقصا كثيرا حتى كان يجري الماء ببغداد في نحو خمسة اذرع وامر الخليفة ان يكرى دجلة فجمع الخلق الكثير وكانوا كلما حفروا شيئا عاد الرمل وغطاه وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد وهذا لم يعهد مثله وحج بالناس هذه السنة علاء الدين محمد ولد الامير مجاهد الدين ياقوت امير الحاج وكان قد ولاه الخليفة خوزستان وجعله هو امير الحاج وجعل معه من يدبر الحاج لانه كان صبيا وفيها في العشرين من ربيع

اوولد ابنه اوبنته اوموت ابيه أو سنة بلوغه سن الرشد يقول كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الايام ثم لايدري في أي شهرا وعام وخصوصا اذا طال الزمان بعدها وقد تكرر الاحتياج الى تحرير الوقت في مسائل شرعية في مجالس الشرع في مثل الحضانة والعدة والنفقة وسن الياس ومدة غيبة المفقود بان يتفق قولهم على ان الصبي ولد يوم السيل الذي هدم القبور أو يوم موت الامير فلان أو الواقعة الفلانية ويختلفون في تحقيق وقتها وعند ذلك يحتاجون الى السؤال ممن عساه يكون أرخ وقتها وفي غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشيء من ذلك لاعتيادهم اهمال العلوم التي كان يعتني بتدوينها الاوائل الا بقدر اقامة الناموس الذي يحصلون به الدنيا ولولا تدوين العلوم وخصوصا علم الاخبار ما وصل الينا شيء منها ولا الشرائع الواجبة ولا يشك شاك في فوائد التدوين وخصائصه بنص التنزيل قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (وفي عاشره) وصلت هجانة واخبار عن ابراهيم باشا من الحجاز بانه وصل الى محل يسمى الموتان فوقع بينه وبين الوهابية وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ

الآخر وتوفي ضياء الدين احمد عبد الوهاب بن علي بن عبد الله الامير البغدادي ببغداد وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وثمانون سنة وشهور وكان صوفيا فقيها محدثا سمعنا معه الكثير رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح وفيها توفي شيخنا ابو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادي وكان عالي الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمان وستمائة)

(ذكر استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش)

في هذه السنة في شعبان قدم ايتغمش صاحب همذان واصفهان والري وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربا من منكلي وسبب ذلك ان ايتغمش كان قد تمكن في البلاد وعظم شأنه وانتشر صيته وكثر عسكره حتى انه حصر صاحبه أبا بكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان واران كما ذكرناه فلما كان الآن خرج عليه مملوك اسمه منكلي ونازعه في البلاد وكثر اتباعه وأطاعه المماليك البهلوانية فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين ايتغمش الى بغداد فلما وصل اليها امر الخليفة بالاحتفال به في اللقاء فخرج الناس كافة وكان يوم وصوله مشهودا ثم قدمت زوجته في رمضان في محمل فاكرمت وانزلت عند زوجها وأقام ببغداد الى سنة عشر وستمائة فسار عنها فكان من امره ما نذكره

(ذكر نهب الحاج بمنى)

وفي هذه السنة نهب الحاج بمنى وسبب ذلك ان باطنيا وثب على بعض أهل الامير قتادة صاحب مكة فقتله بمنى ظنا منه انه قتادة فلما سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد وأهل مكة وقصدوا الحاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان أمير الحاج ولد الامير ياقوت المقدم ذكره وهو صبي لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحير وتمكن امير مكة من نهب الحاج فنهبوا منهم من كان في الاطراف واقاموا على حالهم الى الليل فاضطرب الحاج وباتوا بأسوأ حال من شدة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاج لينتقل بالحاج الى منزلة حجاج الشام فامر بالرحيل فرفعوا اثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدو فيهم وتمكن من النهب والتحق من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثم رحلوا الى الزاهر ومنعوا من دخول مكة ثم اذن لهم في ذلك فدخلوها وتمموا حجتهم وعادوا ثم أرسل قتادة ولده وجماعة من اصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحاج

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اظهر الاسماعيلية ومقدمهم جلال الدين بن ولان بن حسن بن الصباح

منهم اسرى وخياما ومدفعين فضربوا الثلاث الاخبار مدافع سرورا بذلك الخبر (وفي يوم الاربعاء ثامن عشره) سافر الباشا الى اسكلة السويس وصحبته السيد محمد المحروقي ايتلقى سفائنه الواصلة بالبضائع الهندية

(واستهل شهر شعبان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٢)

(فيه) رجع الباشا من السويس وأدخلوا البضائع الواصلة ثلاث خانات توضع في حواصلها ثم توزع على الباعة بالثمن الذي يفرضه (وفيه) وصل الخبر ايضا بوصول سفائن الى بندر جدة وفيها ثلاثة من الفيلة (وفيه) قوى اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة الى الاسكندرية كما تقدم وان يكون عرضها عشرة اقصاب والعمق اربعة اقصاب بحسب علو الاراضي وانخفاضها وتعينت كشاف الاقاليم لجمع الرجال وفرضوا اعدادهم بحسب كثرة اهل القرية وقلتها وعلى كل عشرة اشخاص شخص كبير وجمعت الغلقان ولكل غلق فاس وثلاثة رجال للخدمة واعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا رحيلة ولكل شخص ثلاثون نصفا في أجرته كل يوم وقت العمل وحصل الاهتمام لذلك في وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس وزراعة

الذرة التي هي معظم قوتهم وشرعوا في تشهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء فان بتلك

الانتقال عن فعل المحرمات واستحلالها وأمر باقامة الصلوات وشرائع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وأرسل مقدمهم رسلا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وارسل والدته الى الحج فاكرمت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريق مكة وفيها اسلخ جمادى الآخرة توفى ابو حامد محمد بن يونس بن ميمنة الفقيه الشافعي بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا اليه انتهت رياسة الشافعية لم يكن في زمانه مثله وكان حسن الاخلاق كثير التجاوز عن الفقهاء والاحسان اليهم رحمه الله وفيها في شهر ربيع الاول توفى القاضي ابو الفضائل على بن يوسف بن احمد بن الآمدي الواسطى قاضيها وكان نعم الرجل وفيها في شعبان توفى المعين ابو الفتوح عبد الواحد بن ابى احمد بن على الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان موته بجزيرة كاس مضى اليها رسولا من الخليفة وكان من اصدقائنا وبيننا وبينه مودة متأكدة وصحبة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله ورضى عنه وله كتابة حسنة وشعر جيد وكان عالما بالفقه وغيره ولما توفى رتب اخوه زين الدين عبد الرزاق بن ابى احمد وكان ناظرا على المارستان العضدى فترك واقتصر على الرباط وفيها في ذى الحجة توفى محمد بن يوسف بن محمد بن عبيد الله النيسابورى الكاتب الحسن الخط وكان يؤدى طريقة ابن البواب وكان فقيها حاسبا متكلما وفيها توفى عمر بن مسعود ابى العز ابو القاسم البزاز البغدادى بها وكان من الصالحين يجتمع اليه الفقراء كثيرا ويحسن اليهم وتوفى أيضا ابو سعيد الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون الثعلبى العذرى وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالما

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة)

(ذكر قدوم ابن منكلى بغداد)

في هذه السنة في المحرم قدم محمد بن منكلى المستولى على بلاد الجبل الى بغداد وسبب ذلك ان اباه منكلى لما استولى على بلاد الجبل وهرب ايتغمش صاحبها منها الى بغداد خاف أن يساعده الخليفة ويرسل معه العساكر فيعظم الامر عليه لانه لم يكن قد تمكن في البلاد فارسل ولده محمدا ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وانزل وأكرم وبقى ببغداد الى ان قتل ايتغمش فخلع عليه وعلى من معه وأكرموا وسيرهم الى أبيه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض الملك العادل أبو بكر بن ايوب صاحب مصر والشام على أميراسمه اسامة كان له اقطاع كثيرة من جملتها حصن كوكب من اعمال الاردن بالشام وأخذ منه حصن كوكب وخربه وعفى اثره ومن بعده بنى حصنا بالقرب منه على جبل يسمى الطور وهو معروف هناك وشحنه بالرجال والذخائر والسلاح وفيها توفى الفقيه محمد بن اسمعيل بن ابى الصيف اليمنى فقيه الحرم الشريف بمكة

(ثم دخلت سنة عشر وستمائة)

(ذكر

البرية لايوجد الماء الابيض الحفائر التي يحفرها طالب الماء وقد تخرج مالحة لانها أراض مسبخة وتعين جماعة من مهندسخانه ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها فقاسوا من فم ترعة الاشرفية حيث الرحمانية الى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالاسكندرية فبلغ ذلك ستة وعشرين الف قصبة ثم قاسوا من اول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة فكان اقل من ذلك ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر فوقع الاختيار على ان يكون ابتداؤها هناك (وفى اثناء ذلك) زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة وذلك في منتصف بؤنه القبطى وغرق المقاثئ من البطيخ والخيار والعبدلاوى واهمل امر الحفر في الترعة المذكورة الى مابعد النيل واستردت الدراهم التى اعطيت للفلاحين لاجل الترحيلة وفرحوا بذلك الاهمال وقد كان اطلق الباشا المصارف لها اربعة آلاف كيس من تحت الحساب ورجع المهندسون الى مصر وقد صوروا صورتها في كواغد ليطلع عليها الباشا عيانا وكان رجوعهم في ثامن عشر شعبان (وفيه) تقلد ابراهيم اغا المعروف باغات الباب امر تنظيم الاصناف والحدثات وعمل معدلاتها البيان مرقات

(ذكر قتل ايتغمش)

في هذه السنة في المحرم قتل ايتغمش الذي كان صاحب همذان وقد ذكرنا سنة ثمان انه قدم الى بغداد وأقام بها فانعم عليه الخليفة وشرفه بالخلع واعطاه الكوسات وما يحتاج اليه وسيره الى همذان فسار في جمادى الآخرة عن بغداد قاصدا الى همذان فوصل الى بلاد ابن ترجم واجتمعا واقام ينتظر وصول عساكر بغداد اليه ليسير معه على قاعدة استقرت بينهم وكان الخليفة قد عزل سليمان بن ترجم عن الامارة على عشيرته من التركمان الايوانية وولى اخاه الاصغر فارسل سليمان الى منكلي يعرفه بحال ايتغمش ومضى هو على وجهه فاخذوه فقتلوه وحملوا رأسه الى منكلي وتفرق من معه من اصحابه في البلاد لا يلوي أخ على اخيه ووصل الخبر بقتله الى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وارسل الى منكلي ينكر عليه ما فعل فاجاب جوابا شديدا وعكس من البلاد وقوي أمره وكثرت جموعه وعساكره وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس في هذه السنة أبو فراس بن جعفر بن فراس الحلي نيابة عن امير الحاج ابن ياقوت ومنع ابن ياقوت عن الحج لما جرى للحاج في ولايته وفيها في المحرم توفي الحكيم المهذب علي بن احمد بن مقبل الطبيب المشهور وكان أعلم أهل زمانه بالطب روى الحديث وكان مقيما بالموصل وبها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن في الطب وفيها توفي اسمعيل بن علي البغدادي الفقيه الحنبلي صاحب ابن المني وفيها توفي ايضا احمد بن مسعود التركستاني الفقيه الحنفي ببغداد وهو مدرس مشهد أبي حنيفة وفيها في جمادى الاولى توفي معز الدين أبو المعالي سعد بن علي المعروف بابن حديدة الذي كان وزير الخليفة الناصر لدين الله وكان قد الزم بيته ولما توفي حمل تابوته الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وكان حسن السيرة في وزارته كثير الخير والنفع للناس

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وستمائة)

(ذكر ملك خوارزمشاه علاء الدين كرمان ومكران والسند)

هذه الحادثة لا أعلم الحقيقة أي سنة كانت انما هي اما هذه السنة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل لان الذي أخبر بها كان من اجناد الموصل وسافر الى تلك البلاد وأقام بها عدة سنين وسار مع الامير أبي بكر الذي فتح كرمان ثم عاد فاخبرني بها على شك من وقتها وقد حضرها فقال خوارزمشاه محمد بن تكش كان من جملة أمراء أبيه أمير اسمه أبو بكر ولقبه تاج الدين وكان في ابتداء أمره جمالا يكري الجمال في الاسفار ثم جاءته السعادة فاتصل بخوارزمشاه وصار سيروان جماله فرأى منه جلدا وامانة فقدمه الى ان صار من أعيان امراء عسكره فولاه مدينة زوزن وكان عاقلا ذا رأي وحزم وشجاعة فتقدم عند خوارزمشاه تقدما كثيرا فوثق به أكثر من جميع امراء دولته فقال أبو بكر لخوارزمشاه

ومخفيات المتقلدين امر كل صنف من الاصناف بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الاشياء (وفيه) وصل نحو المائتي شخص من بلاد الروم ارباب صنائع معمرين ونجارين وحدادين وبنائين وهم ما بين ارمني واجزيجي ونحو ذلك (وفيه) ايضا اهتم الباشا ببناء حائطين بحري رشيد عند الطينة على يمين البغاز وشماله ليحصر فيما بينهما الماء ولا تطمي الرمال وقت ضعف النيل ويقع بسبب ذلك العطب للراكب وتلف أموال المسافرين وقد كمل ذلك في هذا الشهر وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق بمثلها (وفي عشرينه) شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة في المعاملة وعلة واباقه ريال فرانسه مع ان الزيادة سارية في المبيعات والمشتروات من غير انكار (وفيه) أيضا خزم المحتسب آناف أشخاص من الجزارين في نواحي وجهات متفرقة وعلق في آنافهم قطعا من اللحم وذلك بسبب الزيادة في ثمن اللحم وبيعهم له بما أحبوه من الثمن في بعض الاماكن خفية لان الجزارين اذا نزلوا باللحم من المذبح وا كثره هزيل ونعاج ومعز والقليل من المناسب الجيد فيعلقون الرديء بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ويخفون الجيد ويبيعونه في بعض الاماكن بما يحبون (وفي يوم الخميس خامس عشرينه) وصلت الافيال الثلاثة من السويس احدها

ان بلاد كرمان مجاورة لبلادى فلو اضاف السلطان الى عسكر الملكتها فى اسرع وقت فسير معه عسكرا كثيرا فمضى الى كرمان وصاحبها اسمه حرب بن محمد بن ابى الفضل الذى كان صاحب سجستان ايام السلطان سنجر فقاتله فلم يكن له به قوة وضعف فملك ابو بكر بلاده فى اسرع وقت وسار منها الى نواحى مكران فملكها كلها الى السند من حدود كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها واسمه ملنك وخطب بها لخوارزمشاه وحمل عنها مالا وخطب له بقلهات وبعض عمان لان اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع بعد الشقة والبحر يقطع بينهم انهم يتقربون اليه بالطاعة ليامن اصحاب المراكب التى تسير اليهم عنده فان هرمز مرسى عظيم ومجمع للتجار من اقاصى الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز وبين صاحب كيش حروب وغارات وكل منهما يمنع اصحاب المراكب ان ترسى ببلاد خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزمشاه يصيف بنواحى سمرقند لاجل التتر اصحاب كشلى خان لئلا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل مؤيد الملك الشحرى وكان قد وزر لشهاب الدين الغورى ولتاج الدين الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنا الى العلماء واهل الخير يزورهم ويبرهم ويحضر الجمعة ماشيا وحده وكان سبب قتله ان بعض عسكر الدز كرهوه وكان كل سنة يتقدم الى البلاد الحارة بين يدى الدز اول الشتاء فسار هذه السنة كعادته فجاءه نفر اتراكا وقالوا له السلطان يقول لك تحضر جريدة فى عشرة نفر لمهم تجدد فسار معهم جريدة فى عشرة مماليك فلما وصلوا الى نهوند بالقرب من ماء السند قتلوه وهربوا فاتهم انهم ظفر بهم خوارزمشاه محمد فقتلهم وفيها فى رجب توفى الركن ابو منصور عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى البغدادى ببغداد وكان قد ولى عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة حتى انه راى ابوه يوما عليه قميصا بخاريا فقال ماهذا القميص فقال بخارى فقال ابوه هذا عجب مازلنا نسمع مسلم والبخارى واما كافر والبخارى ماسمعنا واخذت كتبه قبل موته بعدة سنين واظهرت فى ملا من الناس ورؤى فيها من تبخير النجوم ومخاطبة زحل بالالهية وغير ذلك من الكفريات ثم احرقت بباب العامة وحبس ثم افرج عنه بشفاعة ابيه واستعمل بعد ذلك وفيها ايضا توفى ابو العباس احمد بن هبة الله بن العلاء المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالما بالنحو واللغة وفى شعبان منها توفى ابو المظفر محمد بن على بن البل اللورى الواعظ ودفن برباط على نهر عيسى ومولده سنة عشر وخمسمائة وفى شوال منها توفى عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وكان من فضلاء المحدثين وله سبع وثمانون سنة

(ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وستمائة)

كبير عن الاثنين ولكن متوسط فى الكبر فعبروا بها من باب النصر وشقوا من وسط المدينة وخرجوا بها من باب زويلة على الدرب الاحمر وذهبوا بها الى قراميدان وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها وذهبوا خلفها وازدحموا فى الاسواق لرؤيتها وكذلك العسكر والدلاة ركبانا ومشاة وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من خشب

(واستهل شهر رمضان بيوم الثلاثاء سنة ٢ ١٢٣) وعملت الرؤية تلك الليلة وركب المحتسب وكذا مشايخ الحرف كعادتهم واثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة وكان عسر الرؤية جدا (وفى صبح ذلك اليوم) عزل عثمان اغا الوردانى من الحسبة وتقلدها مصطفى كاشف كرد وذلك لما تكرر على سمع الباشا افعال السوقة وانحرافهم وقلة طاعتهم وعدم مبالاتهم بالضرب والايذاء وخزم الانوف والتجريس قال فى مجلس خاصته لقد سرى حكمى فى الاقاليم البعيدة فضلا عن القريبة وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم خلاف سوقة مصر فانهم لا يرتدعون بما يفعله فيهم ولاة الحسبة من الاهانة والايذاء فلا بد لهم من شخص يقهرهم ولا يرحمهم ولا يهملهم فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا فقلده ذلك واطلق له الاذن فعند ذلك ركب فى كبكبة وخلفه عدة من الخيالة وترك شعار ذكر

(ذكر قتل منكلى وولاية أغلمش ما كان بيده من الممالك)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انهزم منكلى صاحب همذان واصفهان والرى وما بينهما من البلاد ومضى هاربا فقتل وسبب ذلك انه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فارسل اليه من الديوان الخليفى رسول ينكر ذلك عليه وكان اوحش الامير اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وهو صاحبه ومخدومه فارسل الخليفة اليه يحرضه على منكلى ويعده النصرة وارسل ايضا الى جلال الدين الاسماعيلى صاحب قلاع الاسماعيلية ببلاد العجم ألموت وغيرها يأمره بمساعدة اوزبك على قتال منكلى واستقرت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها فلما استقرت القواعد على ذلك جهز الخليفة عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم مملوكه مظفر الدين سنقر الملقب بوجه السبع وارسل الى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك وهو اذ ذاك صاحب اربل وشهرزور واعمالها يأمره ان يحضر بعساكره ويكون مقدم العساكر جميعها واليه المرجع فى الحرب فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا الى همذان فاجتمعت العساكر كلها فانزاح منكلى من بين ايديهم وتعلق بالجبال وتبعوه فنزلوا بسفح جبل هو فى اعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاقت الميرة والاقوات على العسكر الخليفى جميعه ومن معهم فلو أقام منكلى بموضعه لم يمكنهم المقام عليه أكثر من عشرة أيام لكنه طمع فنزل ببعض عسكره من الجبل مقابل الامير أوزبك فحملوا عليه فلم يثبت اوزبك ومضى منهزما فعاد اصحاب منكلى وصعدوا الجبل وعاد اوزبك الى خيامه فطمع منكلى حينئذ ونزل من الغد فى جميع عسكره واصطفت العساكر للحرب واقتتلوا أشد قتال يكون فانهزم منكلى وصعد الجبل فلو اقام بمكانه لم يقدر احد على الصعود اليه وكان قصاراهم العود عنه لكنه اتخذ الليل جملا وفارق موضعه ومضى منهزما فاتبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرقوا ايدى سبا واستولى عسكر الخليفة وأوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيلية من البلاد ما كان استقر له وأخذ الباقى أوزبك فسلمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجه الى خوارزمشاه علاء الدين محمد وبقى عنده ثم عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولاه اوزبك البلاد وعاد كل طائفة من العسكر الى بلادهم وأما منكلى فانه مضى منهزما الى مدينة ساوة وبها شحنة هو صديق له فارسل اليه يستأذنه فى الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبل الارض بين يديه وادخله البلد وأنزله فى داره ثم أخذ سلاحه وأراد ان يقيده ويرسله الى اغلمش فسأله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وأرسل رأسه الى اوزبك وارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخولها يوما مشهودا الا انه لم تتم المسرة للخليفة بذلك فانه وصل ومات ولده فى تلك الحال فاعيد ودفن

(ذكر وفاة ابن الخليفة)

المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه وكذلك الذى امامه بالميزان ومن بايديهم الكرابيج لضرب المستحق والمنقص فى الوزن وبات يطوف على الباعة ويضرب بالدبوس هشما بادنى سبب ويعاقب بقطع شحمة الأذن فاغلقوا الحوانيت ومنعوا وجود الاشياء حتى ما جرت به العادة فى رمضان من عمل الكعك والرقاق المعروف بالسحير وغيره فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت وزاد فى العسف ولم يرجع عن سعيه واجتهاده ولازم على السعى والطواف ليلا ونهارا الا ينام الليل بل ينام لحظة وقت ما يدركه النوم فى اى مكان ولو على مصطبة حانوت وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه المخزون فى الحواصل ويخرجه ويدفع ثمنه لاربابه بالسعر المفروض ويوزعه لارباب الحوانيت ليبيعوه على الناس بزيادة نصف او نصفين فى كل رطل وذهب الى بولاق ومصر القديمة فاستخرج منهما شيئا كثيرا ومعظم ذلك فى مخازن للعسكر فان العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم فيما يأخذونه منهم بالسعر المفروض وهو مائتان وأربعون فى العشرة منه ثم يبيعونه على المحتاجين اليه بما احبوا من الزيادة الفاحشة فلم يراع جانبهم واستخرج مخبآتهم قهرا عنهم ومن خالف عليه منهم ضربه وأخذ سلاحه ونكل به وذهب فى بعض الاوقات الى بولاق فاخرج من حاصل

في هذه السنة في العشرين من ذي القعدة توفي ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقب الملك المعظم واسمه أبو الحسن علي وكان أحب ولدي الخليفة اليه وقد رشحه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله كريما كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبا الى الخاص والعام وكان سبب موته انه اصابه اسهال فتوفي وحزن عليه الخليفة حزنا لم يسمع بمثله حتى انه أرسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه ورؤي عليه من الحزن والجزع مالم يسمع بمثله ولما توفي أخرج نهارا ومشى جميع الناس بين يدي تابوته الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي فدفن عندها ولما ادخل التابوت اغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل ان ذلك صوت الخليفة واما العامة ببغداد فانهم وجدوا عليه وجدا شديدا ودامت المناحات عليه في اقطار بغداد ليلا ونهارا ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النوح ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن وما سمع ببغداد مثل ذلك في قديم الزمان وحديثه وكان موته وقت وصول رأس منكلي الى بغداد فان الموكب امر بالخروج الى لقاء الرأس فخرج الناس كافة فلما دخلوا بالرأس الى رأس درب حبيب وقع الصوت بموت ابن الخليفة فاعيد الرأس وهذا دأب الدنيا لا يصفو ابدا فرحها من ترح وقد تخلص مصائبها من شائبة الفرح

(ذكر ملك خوارزمشاه غزنة واعمالها)

في هذه السنة في شعبان ملك خوارزمشاه محمد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب ذلك ان خوارزمشاه لما استولى على عامة خراسان وملك باميان وغيرها أرسل الى تاج الدين صاحب غزنة وقد تقدمت اخباره حتى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب السكة باسمه ويرسل اليه فيلا واحدا ليصالحه ويبقي بيده غزنة ولا يعارضه فيها فاحضر الامراء وأعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من مماليك شهاب الدين الغوري أيضا واليه الحكم في دولة الدز وهو النائب عنه بغزنة فقال الرأي ان تخطب له وتعطيه ما طلب وتستريح من الحرب والقتال وليس لنا بهذا السلطان قوة فقال الجماعة مثل قوله فاجاب الى ما طلب منه وخطب لخوارزمشاه وضرب السكة باسمه وارسل اليه رسولا واعاد رسوله اليه ومضى الى الصيد فارسل قتلغ تكين من غزنة الى خوارزمشاه يطلبه ليسلم اليه غزنة فسار مجدا وسبق خبره فسلم اليه قتلغ تكين غزنة وقلعتها فلما دخل اليها قتل من بها من عسكر الغورية لاسيما الاتراك فوصل الخبر الى الدز بذلك فقال ما فعل قتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجوده فيها فقيل هو الذي احضره وسلم اليه فمضى هاربا هو ومن معه الى لهاوور واقام خوارزمشاه بغزنة فلما تمكن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالما به وانما اراد ان تكون له الحجة عليه فقال كلانا مملوكا شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الا

ببعض الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا لكبير من العسكر فحضر اليه بطائفته فلم يلتفت اليه ووبخه وقال له انتم عساكر لكم الرواتب والعلائف والعلوم والاسمان وخلافها ثم تحتكرون ايضا اقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد واعطاه الثمن المفروض وحمل المواعين على الجمال الى الامكنة التي اعدها لها عند باب الفتوح وعندما رأى ارباب الحوانيت الجد وعدم الاهمال والتشديد عليهم فتح المغلق منهم حانوته واظهروا مخبآتهم امامهم وملؤا السدريات والطسوت من السمن وأنواع الجبن خوفا من بطش المحتسب وعدم رحمته بهم ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون (وفي منتصف شهر رمضان) وصلوا برمة ابراهيم بك الكبير من دنقلة وذلك انه لما وصل خبر موته استاذنت زوجته أم ولده الباشا في ارسالها امرأة تدعى نفيسة لاحضار رمته فاذن بذلك واعطى المتسفرة فيما بلغنا عشرة اكياس وكتب لها مكاتبات لكاشف الوجه القبلي بالمساعدة وسافرت وحضرت به في تابوت وقد جف جلده على عظمه انحافته وذلك بعد موته بخمسة شهور وعملوا له مشهدا وامامه كفارة ودفنوه بالقرافة الصغرى عند ابنه مرزوق بك (وفي ليلة الخميس سابع عشره) طلب المحتسب حجاجا الخضري الشهير بنواحي

اربعة اشهر الصيف وانا الحاكم فيها والمرجع الى في كل الامور فقال له خوارزمشاه اذا كنت لا ترعى لرفيقك ومن احسن اليك صحبته واحسانه فكيف يكون حالي انا معك وما الذي تصنع مع ولدي اذا تركته عندك فقبض عليه واخذ منه ماله والاجة حملها ثلاثون دابة من اصناف الاموال والامتعة واحضر اربعمائة مملوك فلما اخذ ماله قتله وترك ولده جلال الدين بغزنة مع جماعة من عسكره وامرائه وقيل ان ملك خوارزمشاه غزنة كان سنة ثلاث عشرة وستمائة

(ذكر استيلاء الدز على لهاوور وقتله)

لما هرب الدز من غزنة الى لهاوور لقيه صاحبها ناصر الدين قباجة وهو من مماليك شهاب الدين الغوري ايضا وله من البلاد لهاوور وملتان واوجه وديبل وغير ذلك الى ساحل البحر ومعه نحو خمسة عشر الف فارس وكان قد بقي مع الدز نحو الف وخمسمائة فارس فوقع بينهما مصاف واقتتلوا فانهزمت ميمنة الدز وميسرته واخذت الفيلة التي معه ولم يبق له غير فيلين معه في القلب فقال الفيال اذا الخاطر بسعادتك وامر احد الفيلين ان يحمل على العلم الذي لقباجة ياخذه وامر الفيل الآخر الذي له ايضا ان ياخذ الجتر الذي له فاخذه ايضا والفيلة المعلمة تفهم ما يقال لها هذا رأيناه فحمل الفيلان وحمل معهما الدز فمن بقي عنده من العسكر وكشف رأسه وقال بالعجمية ما معناه اما الملك واما الهلاك واختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان ما امرهما الفيال من اخذ العلم والجتر فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثم سار الى بلاد الهند ليملك مدينة دهلة وغيرها مما بيد المسلمين وكان صاحب دهلة اميرا اسمه الترمش ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ايضا كان قد ملك الهند بعد سيده فلما سمع به الترمش سار اليه في عساكره كلها فلقيه عند مدينة سمانا فاقتتلوا فانهزم الدز وعسكره واخذ وقتل وكان الدز محمود السيرة في ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعية لاسيما التجار والغرباء ومن محاسن اعماله انه كان له اولاد ولهم معلم يعلمهم فضرب المعلم احدهم فمات فاحضره الدز وقال له يا مسكين ما حملك على هذا فقال والله ما اردت الا تاديبه فاتفق ان مات فقال صدقت واعطاه نفقة وقال له تغيب فان امه لا تقدر على الصبر فربما اهلكتك ولا اقدر امنع عنك فلما سمعت ام الصبي بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فسلم وكان هذا من احسن ما يحكى عن احد من الناس

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي الوجيه المبارك بن ابي الازهر سعيد بن الدهان الواسطي النحوي الضرير كان نحويا فاضلا قرأ على الكمال بن الانباري وعلى غيره وكان حنبليا فصار حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه ابو البركات بن زيد التكريتي

الا مبلغا عني الوجيه رسالة * وان كان لا تجدي لديه الرسائل

الرميلة فاخذه الى الجمالية وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة وذلك في سادس

ساعة من الليل وقت السحور وتركوه معلقا مثلها من الليلة القابلة ثم اذن برفعه فاخذه اهله ودفنوه وحجاج هو الذي تقدم ذكره غير مرة في واقعة خورشيد باشا وغيرها وكان مشهورا بالاقدام والشجاعة طويل القامة عظيم الهمة وكان شيخا على طوائف الحضرية صاحب صولة وكلمة بتلك النواحي ومكارم اخلاق وهو الذي بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة ايام الفتنة واختفى مرارا بعد تلك الحوادث وانضم الى الالفي ثم حضر الى مصر بامان ولم يزل على حالته في هدو وسكون ولم يؤخذ في هذه بجرم فعله يوجب شنقه بل قتل مظلوما لحقد سابق وزجرا لغيره (وفي يوم الاثنين) ثامن عشرين شهر رمضان الموافق لسادس مسرى القبطي اوفى النيل اذرعه فنودي بالوفاء وكسر السد صبح يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والقاضي وغيره وجرى الماء في الخليج ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة هذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا و يعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس واقعد بعض صناع الكنافة على صوانيهم التي على النار وامر بكنس الاسواق ومواظبة رشها بالماء ووقود القناديل على ابواب الدور وعلى كل ثلاثة من الحوانيت قنديل ويركب آخر الليل ثم يذهب الى بولاق

عذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ اعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا * ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل انت لا شك صائر * الى مالك فافطن لما انا قائل

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك الظاهر)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالا وكان شديد السيرة ضابطا لاموره كلها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من اهل البيوتات من اطراف البلاد والشعراء واهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لان الصغير كانت امه ابنة عمه الملك العادل ابى بكر بن ايوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليبقى عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن اعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولا الى عمه العادل بمصر يطلب منه أن يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله أى حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادى فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش فى المرعى وخروف عند القصاب وحلف فاتفق فى تلك الايام ان توفى الملك الظاهر والرسول فى الطريق ولما عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل اتابكه ومربيه خادما روميا اسمه طغربل ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفى الظاهر أحسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وأزال كثيرا من السنن الجارية واعاد املاكا كانت قد اخذت من اربابها وقام بتربية الطفل أحسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فمن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لا يقدر أن يتعرض اليه فلما توفى مالكها كيكاوس ملك الروم كما نذكره ان شاء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما اقبح بالملوك وابناء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد أحسن سيرة واعف عن أموال الرعية واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم فى ولاة امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كل حسن وجميل

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم وقع بالبصرة برد كثير وهو مع كثرته عظيم القدر وقيل كان اصغره مثل النارنجة الكبيرة وقيل فى اكبره ما يستحى الانسان ان يذكره فكسر كثيرا من رؤس النخيل وفى المحرم ايضا سير الخليفة الناصر لدين الله ولدى ابنه المعظم

ليتلقى الواردين بالبطيخ الاخضر والاصفر ويعرف عدة الشروات ويامرهم بدفع مكوسها المفروضة ثم يامرهم بالذهاب الى مراكز بيعهم ولا يبيعون شيئا حتى ياتيهم بنفسه او بحضرة من يرسله من طرفه ثم يعود طاقفا عليهم فيحصى ما فى فرش احدهم عددا ويميز الكبير بثمن والصغير بثمن ويترك عند البائع من يباشره او يقف هو بنفسه ويبيع على الناس بما فرضه ويعطى اصحابه الثمن والربح فيراه قدر ربح العشرة قروش واكثر بعد مكسه ومصارفه فيقول له اما يكفى مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع ايضا فى الزيادة عليه وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيرهم ويحلق على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين فيزنه منهم بالسعر المفروض وهو اربعة وعشرون نصفا الرطل ويرد عليهم الفوارغ ويعطيه للبائع بالثمن المقرر وهو ستة وعشرون وهم يبيعونه بزيادة نصفين فى كل رطل وهو ثمانية وعشرون ويناله الناس باسهل وجدان سالما من الخلط والغش ويامرهم باعادة ما عسى يوجد فيه من المرتة والعكار الى مواعينه ليوزن مع فوارغه ورصد أيضا ما يرد للناس ولولا كان للدولة من السمن فيطلق البعض ويأخذ الباقى بالثمن وكذلك ما ياتيهم من البطيخ والدجاج ولو كان لصاحب الدولة حسب اذنه له بذلك كل ذلك

على الى تستر وهما المؤيد والموفق وسار معهما مؤيد الدين النائب عن الوزارة وعز الدين الشرابى فاقاما بها يسيرا ثم عاد الموفق مع الوزير والشرابى الى بغداد واواخر ربيع الآخر وفيها فى صفر هبت ببغداد ريح سوداء شديدة كثيرة الغبار والقتام والقت رملا كثيرا وقلعت كثيرا من الشجر فخاف الناس وتضرعوا ودامت من العشاء الآخرة الى ثلث الليل وانكشفت وفيها توفى التاج زيد بن الحسن بن زيد الكندى ابو اليمن البغدادى المولد والمنشا انتقل بالشام فاقام بدمشق وكان اماما فى النحو واللغة وله الاسناد العالى فى الحديث وكان ذا فنون كثيرة من انواع العلوم رحمه الله

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة)

❁(ذكر ملك خوارزمشاه بلد الجبل)❁

فى هذه السنة سار خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته فى هذا الوقت اشياء احدها انه كان قد استولى على ما وراء النهر وظفر بالخطا وعظم امره وعلا شانه واطاعه القريب والبعيد ومنها انه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان وكان الامر بالضد لانه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولا وكان سبيله اذا ورد الى بغداد ان يقدم غيره عليه ولعل فى عسكره مائة مثل الذى يقدم سبيله عليه فكان اذا سمع ذلك يغضبه ومنها ان اغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها كما ذكرناه فلما قتله الباطنية غضب له وخرج اشلا تخرج البلاد عن طاعته فسار مجدا فى عساكر تطبق الارض فوصل الى الرى فملكها وكان اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لما بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعا فى تملكها لخلوها من حام ومانع فوصل الى اصفهان فاطاعه اهلها وسار منها يريد الرى ولم يعلم بقدوم خوارزمشاه فلقيه مقدمة خوارزمشاه فظنها عساكر تلك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه عن البلاد فقاتلهم وجد فى محاربتهم حتى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك واذ قد ظهر له جتر خوارزمشاه فسال عنه فاخبر به فاستسلم وانهزمت عساكره واخذ اسيرا وحمل الى بين يدى خوارزمشاه فاكرمه ووعده الاحسان والجميل وامنه على نفسه واستحلفه على طاعته واستقرت القاعدة بينهما على ان يسلم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها واطلقه وسير معه جيشا الى بلاد فارس ليسلم اليهم ما استقرت القاعدة عليه فلما قدم على ولده الاكبر رآه قد تغلب على بلاد فارس فامتنع من التسليم الى ابيه ثم انه ملك البلاد كما ذكره وخطب فيها لخوارزمشاه وسار خوارزمشاه الى ساوة فملكها واقطعها لعماد الملك عارض جيشه وهو من اهلها ثم سار الى قزوين وزنجان وابهر فملكها كلها بغير ممانع ولا مدافع ثم سار الى همذان فملكها واقطع البلاد لاصحابه وملك اصفهان وكذلك قم وقاشان واستوعب ملك جميع البلاد واستقرت القاعدة بينه وبين اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بان يخطب له اوزبك فى بلاده ويدخل فى طاعته ثم انه عزم على المسير الى بغداد

للحرص على كثرة وجدان الاشياء وتعدت احكامه الى بضائع التجار والاقمشة الهندية واهل مرجوش والمحلاوية وخلافهم وطالب قوائم مشترواتهم والنظر فى مكاييلهم فضاق خناق اكثر الناس من ذلك لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله وكانه وصله خبر ولاة الحسبة واحكامهم فى الدول المصرية القديمة فان وظيفة أمين الاحتساب وظيفة قضاء وله التحكم والعدالة والتكلم على جميع الاشياء وكان لا يتولاها الا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العدالة حتى على من يتصدر لتقرير العلوم فيحضر مجلسه ويباحثه فان وجد فيه اهلية للالقاء اذن له بالتصدر ومنعه حتى يستكمل وكذلك الاطباء والجراحية حتى البيطارية والبزدرية ومعلموا الاطفال فى المكاتب ومعلموا السباحة فى الماء والنظر فى وسق المراكب فى الاسفار واحمال الدواب فى نقل الاشياء ومقادير روايا الماء مما يطول شرحه وفى ذلك مؤلف للشيخ ابن الرفعة وقد يسهل بعض ذلك مع العدالة وعدم الاحتكار وطمع المتولى وتطلعه لما فى أيدى الناس وأرزاقهم (ومما يحكى) ان الرشيد سال الليث ابن سعد فقال له يا ابا الحرث ماصلاح بلدكم يعنى مصر فقال له أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيل وأما

فقدم بين يديه اميرا كبيرا في خمسة عشر الف فارس واقطعه حلوان فسار حتى وصل اليها ثم اتبعه باميرآ خرفلما سار عن همذان يومين او ثلاثة سقط عليهم من الثلج مالم يسمع بمثله فهلكت دوابهم ومات كثير منهم وطمع فيمن بقي بنو ترجم الاتراك وبنو هكار الاكراد فتخطفوهم فلم يرجع منهم الى خوارزمشاه الا اليسير فتطير خوارزمشاه من ذلك الطريق وعزم على العود الى خراسان خوفا من التتر لانه ظن انه يقضي حاجته ويفرغ من ارادته في المدة اليسيرة فخاب ظنه ورأى البيكار بين يديه طويلا فعزم على العود فولى همذان اميرا من اقاربه من جهة والدته يقال له طائيسي وجعل في البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه متوليا الامر دولته عماد الملك الساوي وكان عظيم القدر عنده وكان يحرص على قصد العراق وعاد خوارزمشاه الى خراسان فوصل الى مرو في المحرم سنة خمس عشرة وستمائة وسار من وجهه الى ماوراء النهر ولما قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وامر الخطيب بترك الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقال انه قد مات وكان ذلك في ذي القعدة سنة اربع عشرة وستمائة ولما قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك ببلخ وبخارا وسرخس وبقي خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها الا عن قصد لتركها لان البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان احبوا خطبوا وان ارادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العباسي لم يقصده احد باذى الا لقيه فعله وخبث نيته لا جرم لم يمهل هذا خوارزمشاه حتى جرى له مانذكره مما لم يسمع بمثله في الدنيا قديما ولا حديثا

﴿ذكر ما جرى لاتابك سعد مع اولاده﴾

لما قتل اغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من البلاد جمع اتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار عن بلاده الى اصفهان فملكها واطاعه أهلها فطمع في تلك البلاد جميعها فسار عن اصفهان الى الري فلما وصل اليها لقي عساكر خوارزمشاه قد وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدمة العسكر فقاتلها حتى كاد يهزمها فظهرت عساكر خوارزمشاه ورأى الجتر فسقط في يديه وألقى نفسه وضعفت قوته وقوة عسكره فولوا الادبار واخذ اتابك سعد اسيرا واحضر بين يدي خوارزمشاه فاكرمه وطيب نفسه ووعده الاحسان واستصحبه معه الى ان وصل الى اصفهان فسيره منها الى بلاده وهي تجاورها وسير معه عسكرا مع امير كبير ليتسلم منه ما كان استقر بينهما فانهما اتفقا على ان يكون لخوارزمشاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون الخطبة لخوارزمشاه في البلاد جميعها وكان اتابك سعد قد استخلف ابنا له على البلاد فلما سمع الابن باسر أبيه خطب لنفسه بالمملكة وقطع خطبة أبيه فلما وصل أبوه ومعه عسكر خوارزمشاه امتنع الابن من تسليم البلاد الى أبيه وجمع العساكر وخرج يقاتله فلما تراءى الجمعان انحازت عساكر فارس الى صاحبهم اتابك

سعد

احكامها فمن رأس العين يأتي الكدر (وفي أواخر رمضان) زاد المحتسب في نغمات الطنبور وهو انه أرسل مناديه في مصر القديمة ينادي على نصارى الارمن والاروام والشوام باخلاء البيوت التي عمروها وزخرفوها وسكنوا بها بالانشاء والملك والمؤاجرة المطلة على النيل وان يعودوا الى زيهم الاول من لبس العمائم الزرق وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوانات الفارهة واستخدامهم المسلمين فتقدم اغاطهم الى الباشا بالشكوى وهو يراعي جانبهم لانهم صاروا أخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحبة (وأيضا) نادى مناديه على المردان ومحلقي اللحى بانهم يتركونها ولا يحلقونها وجميع العسكر وغالب الاتراك ديدنهم حلق اللحى ولو طعن في السن فاشيع فيهم ان يامرهم بترك لحاهم وذلك خرم لقواعدهم بل يرونه من الكبائر وكذلك السيد محمد المحروقي بسبب تعرضه الى بضائع التجار واهل الغورية فان ذلك منوط به (وفي أثناء ذلك) ورد الى عابدين بك مواعين من فارسل الجمال الى حملها من ساحل بولاق فبلغ خبرها المحتسب فاخذها وأدخلها بمخزنه وعادت الجمال فارغة وأخبروا مخدومهم بحجز المحتسب لها فارسل عدة من العسكر فاخرجوها من المخزن وأخذوها ولم يكن المحتسب حاضرا واتفق انه ضرب شخصا

سعد وتركوا ابنه فى خاصته فحمل على أبيه فلما رآه ابوه ظن انه لم يعرفه فقال له أنا
فلان فقال اياك أردت فحينئذ امتنع منه وولى الابن منهزما ووصل أتابك سعد الى
البلاد فدخلها مالكا لها واخذ ابنه أسيرا فسجنه الى الآن الاتى سمعت الآن وهو
سنة عشرين وستمائة انه قد خفف حبسه ووسع عليه ولما عاد خوارزمشاه الى خراسان
غدر سعد بالامير الذى عنده فقتله ورفع عن طاعة خوارزمشاه واشتغل خوارزمشاه
بالحادثة العظمى التى شغلته عن هذا وغيره لكن الله انتقم له بابنه غياث الدين كما
ذكرناه سنة عشرين وستمائة لان سعدا كفر احسان خوارزمشاه وكفر الاحسان
عظيم العقوبة

*(ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم
مدينة دمياط وعودها الى المسلمين)*

كان من أول هذه الحادثة الى آخرها اربع سنين غير شهر وانما ذكرناها هنا لان
ظهورهم كان فيها وسقناها سياقة متتابعة ليتلو بعضها بعضا فنقول فى هذه السنة
وصلت امداد الفرنج فى البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج فى الغرب
والشمال الا ان المتولى لها كان صاحب رومية لانه ينزل عند الفرنج بمنزلة عظيمة
لا يرون مخالفة أمره ولا العدول عن حكمه فيما ضرهم وساءهم فجهز العساكر من عنده
مع جماعة من مقدمى الفرنج وأمر غيره من ملوك الفرنج ان يسير بنفسه أو يرسل جيشا
ففعلوا ما أمرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام وكان الملك العادل ابو بكر بن ايوب
بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لدو برز الفرنج من عكا ليقصدوه
فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى أطراف البلاد مما
يلى عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم الفرنج اليه
فى شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انه فى قلة من العسكر لان العساكر كانت
متفرقة فى البلاد فلما رأى العادل قربهم منه لم يران يلقاهم فى الطائفة التى معه خوفا
من هزيمة تكون عليه وكان حازما كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب
منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصفر فنزل فيه وكان اهل
بيسان وتلك الاعمال لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا
منهم ان الفرنج لا يقدمون عليه فلما اقدموا وسار على غفلة من الناس فلم يقدر على
النجاة الا القليل فاخذ الفرنج كل ما فى بيسان من ذخائر قد جمعت وكانت كثيرة
وغنموا شيئا كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثوا السرايا فى القرى
فوصلت الى خسفين ونوى وأطراف السواد ونازلوا بانياس وأقاموا عليها ثلاثة أيام
ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبى والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى
ما قتلوا واحرقوا واهلكوا فاقاموا اياما استراحوا ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد
الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف
وعادوا الى عكا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذى سلم من تلك البلاد كان

من عسكر الدلاة وارنؤدى بالدبوس حتى كاد يموت فاشتد بعابدين بك الحنق وركب الى كتخدا بك وشنع على المحتسب
وتعددت الشكاوى وصادفت
فى زمن واحد فانهى الامر الى
الباشا فتقدم اليه بكف
المحتسب عن هذه الافعال
فاحضره الكتخدا وزجره وأمره
أن لا يتعدى حكمه الباعة
ومن كان يسرى عليهم أحكام
من كان فى منصبه قبله وان
يكون أمامه الميزان ويؤدب
المستحق بالكرابيج دون
الدبوس

*(واستهل شهر شوال بيوم
الخميس سنة ١٢٣٢)*

فترك السروح فى أيام العيد
واشيع بين السوقة عزله
فاظهروا الفرح ورفعوا ما كان
ظاهرا بين ايديهم من السمن
والجبن واخفوه عن الاعين
ورجعوا الى حالتهم الاولى فى
الغش والخيانة وغلاء السعر
واغلق بعضهم الحانوت
وخرجوا الى المنتزهات وعملوا
ولائم (وفى رابعه) شنقوا
عدة اشخاص فى اماكن
متفرقة قيل انهم سراق وزغلية
وكانوا مسجونين فى ايام
رمضان ولم يركب المحتسب
حسب الامر بل اركب
خازنداره وشق بالميزان
عوضا عنه ثم ركب هو ايضا
وبيده الدبوس لكن دون
الحالة الاولى فى الجبروت ولم
يسر حكمه على النصارى فضلا
عن غيرهم (وفى عاشره يوم
السبت) نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة وشقوا بها من وسط الشارع الى المشهد الحسينى (وفى يوم السبت سابع عشره)

اداروا المحمل وخرج امير الركب ١٤٨ الى خارج باب النصر ووصلت حجاج كثيرة من ناحية المغرب الى بر انبابة وبولاق وطفقوا يشترون الاغنام من الفلاحين ويذبحونها او يبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن ويذهب الكثير من الناس الى الشراء منهم فيقعون فى الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف واكثر وضرورتهم فى الشراء منهم رداءة ما يحمله القصابون من المذبح من اغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى وقد هزلت من السفر والاقامة بالجوع والعطش ويموت الكثير منها فيسلخونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس وفيه المتغير الرائحة وما تعافه النفوس فبسبب ذلك اضطر الناس الى الشراء من هؤلاء الاجناس بالغبن وتحمل سوء اخلاقهم وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور وقتل بينهم قتلى ومجاريح والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن ثم ارتحلوا لانهم كثروا وملؤا الازقة والنواحى وحضر ايضا الركب الفاسى وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما فاحسن الباشا نزلهم وتقيد السيد محمد المحروقى بلاقاتهم ولوازمهم وأنزلوهم فى منزل بجوار المشهد الحسينى واجريت عليهم نفقات تليق بهم واهديا للباشا هدية وفيها اعدة بغال وبرانس حرير وغير ذلك (وفى ثامن عشرينه) ارتحل الحج المصرى من البركة عوض

مخفا حتى قدر على النجاة ولقد بلغنى ان العادل لما سار الى مرج الصفر رأى فى طريقه رجلا يحمل شيئا وهو يمشى تارة وتارة يقعد ليستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له ياشيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرفه الرجل فقال ياسلطان المسلمين أنت لا تعجل فانا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعداء كيف لا نعجل وبالجملة الذى فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر باللقاء على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق فى قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج من البيت المقدس

(ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها)

لما نزل الفرنج بمرج عكا تجهزوا وأخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهى قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا فى جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتفق ان بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة فتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا الطور اقاموا قريبا ثم ساروا فى البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور فخربها الى ان الحقها بالارض لانها بالقرب من عكا ويتعذر حفظها

(ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها)

لما عاد الفرنج من حصار الطور أقاموا بعكا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستمائة فساروا فى البحر الى دمياط فوصلوا فى صفر فارسوا على بر الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل يصب فى البحر المالح عند دمياط وقد بنى فى النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدوها فى النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان تصعد فى النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر احد على منعها عن أقاصى ديار مصر وادانيها فلما نزل الفرنج على بر الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم وشرعوا فى قتال من بدمياط وعملوا آلات ومرمات وابراجا يزحفون بها فى المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويملكوه وكان البرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل ابن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدو من العبور الى ارضها وادام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشئ وكسرت مرماتهم وآلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك أربعة اشهر ولم يقدروا على أخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح فى النيل ويتحكموا فى البر فنصب الملك الكامل

عوض السلاسل جسرا عظيما امتنعوا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه ايضا قتالا
شديدا كثيرا متتابعا حتى قطعوه فلما قطع اخذ الملك الكامل عدة مراكب كبار وملاها
وخرقها واغرقها في النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا
هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه فوق
المراكب التي جعلت في النيل واجروا الماء فيه الى البحر المالح واصعدوا مراكبهم
فيه الى موضع يقال له بورة على ارض الجيزة ايضا مقابل المنزلة التي فيها الملك الكامل
ليقاتلوه من هناك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم
وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء وزحفوا اليه غير مرة فلم يظفروا بطائل
ولم يتغير على اهل دمياط شئ لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين
الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم اذى وابوابها مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق
ولا ضرر فاتفق لما يريد الله عز وجل ان الملك العادل توفي في جمادى الآخرة من سنة
خمس عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله فضعفت نفوس الناس لانه السلطان
حقيقة وا ولاده وان كانوا ملوكا الا انهم بحكمه والامر اليه وهو ملكهم البلاد فاتفق
موته والحال هكذا من مقاتلة العدو وكان من جملة الامراء بمصر امير يقال له عماد الدين
احمد بن علي ويعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكارية وهو اكبر امير بمصر وله
لفيف كثير وجميع الامراء ينقادون اليه ويطيعونه لاسيما الاكراد فاتفق هذا الامير
مع غيره من الامراء وارادوا ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملكوا اخاه الملك
الفائز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الى الكامل ففارق
المنزلة ليلا جريدة وسار الى قرية يقال لها اشمون طناح فنزل عندها واصبح العسكر وقد
فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ
شئ من خيامهم وذخائرهم واموالهم واسلحتهم الا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي
بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل واما الفرنج فانهم
اصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين احدا على شاطئ النيل كجاري عادتهم فبقوا
لا يدرون ما الخبر واذا قد اتاهم من اخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر
دمياط آمنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم في العشرين من ذي القعدة سنة
خمس عشرة وستمائة فغنموا ما في عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العادين وكان
الملك الكامل قد فارق الديار المصرية لانه لم يثق باحد من عسكره وكان الفرنج ملكوا
الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الملك المعظم عيسى
ابن الملك العادل وصل الى اخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين والناس في امر مريج
فقوي به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام
فاتصل بالملك الاشرف وصار من جنده فلما عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب
على اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وافسدوا وبالغوا
في الافساد فكانوا اشد على المسلمين من الفرنج وكان اضر شئ على اهل دمياط انها

وكانت الحجوج في هذه السنة كثيرة من سائر الاجناس اتراك وططر وبشناق وجركس
وفلاحين ومن سائر الاجناس
ورجع الكثير من المسافرين
على بحر القلزم الى الحجاز من
السويس لقلة المراكب
التي تحملهم وغصت المدينة
من كثرة الزحام زيادة على ما
بها من ازدحام العساكر واخلاط
العالم من فلاحي القرى
المشيعين والمسافرين ومن
يرد من الآفاق والبلاد
الشامية ونصارى الروم
والارمن والدلاة والواردين
والذين استدعاهم الباشا
من الدروز والمتاولة والنصيرية
وغيرهم لعمل الصنائع
والمزارع وشغل الحرير
وما استجده بوادي الشرق حتى
ان الانسان يقاسي الشدة
والهول اذا مر بالشارع من
كثرة الازدحام ومرور الخيالة
وحمير الاوسية والجمال التي
تحمل الاتربة والانقاض
والاحجار لعمائر الدولة
سوى ما عداها من حمول
الاحطاب والبضائع والتراسين
حتى الزحمة في داخل العطف
الضيقة وزيادة على ذلك كثرة
الكلاب بحيث يكون في
القطعة من الطريق نحو
الخمسين ثم صياحها ونباحها
المستمر وخصوصا في الليل
على المارين وتشاجرها مع
بعضها مما يزعج النفوس
ويمنع الهجوع وقد احسن
الفرنساوية بقتلهم الكلاب فانهم لما استقروا وتكرر مرورهم ونظروا الى كثرة الكلاب من غير حاجة ولا

منفعة سوى الهيبة والعواء وخصوصا عليهم لغرابة اشكالهم فطاف عليها طائف منهم بالمحم المسموم فما اصبح

النهار الا وجميعها موتى مطروحة بجميع الشوارع فكان الناس والصغار يسحبونها كذا بالحبال الى الخلاء واستراحت الارض ومن فيها منها فالله يكشف عنا مطلق الكرب فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٢)

فى خامسه يوم الاربعاء وليلة الخميس ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة (وفى اواخره) حصل الامر للفقهاء بالازهر بقراءة صحيح البخارى فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين وفرقوا بينهم اجزاء وكراريس من البخارى يقرؤن فيها فى مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق فاستمروا على ذلك خمسة ايام وذلك بقصد حصول النصر لابراهيم باشا على الوهابية وقد طالت مدة انقطاع الاخبار عنه وحصل لابيه قلق زائد ولما انقضت ايام قراءة البخارى نزل للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم وكذلك على اطفال المكاتب

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الاحد سنة ١٢٣٢)

فى رابعه شنقوا اشخاصا قيل انهم خمسة ويقال انهم حرامية (وفيه) ارسلت الافيال الثلاثة الى دار السلطنة صحبة الهدايا المرسلة ثلاثة سروج

واستقامت

لم يكن بها من العسكر احد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدو عنها فاتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها احد من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشطوب لا جرم لم يمهله الله واخذه اخذة رابية على ما نذكره ان شاء الله تعالى واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا وعملوا عليهم خندقا يمنعهم عمن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم وادامو القتال واشتد الامر على اهلها وتعذرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا فصبروا صبرا لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فعجز من بقى من اهلها عن الحفظ لقلتهم وتعذر القوت عندهم فسلموا البلد الى الفرنج فى هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم واقام آخرون لعجزهم عن الحركة فتفرقوا ايدى سبا

(ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج)

لما ملك الفرنج دمياط اقاموا بها وبثوا سراياهم فى كل ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون فجلى اهلها عنها وشرعوا فى عمارتها وتحصينها وبالغوا فى ذلك حتى انها بقيت لا ترام واما الملك الكامل فانه اقام بالقرب منهم فى اطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج فى بلادهم بفتح دمياط على اصحابهم اقبلوا يهرعون من كل فج عميق واصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب دمشق الى الشام فخرب البيت المقدس فى ذى القعدة من السنة وانما فعل ذلك لان الناس كافة خافوا الفرنج واشرف الاسلام وكافة اهله وبلاده على خطة خسف فى شرق الارض وغربها اقبل التتر من المشرق حتى وصلوا الى نواحى العراق واذربيجان واران وغيرها على ما نذكره ان شاء الله تعالى واقبل الفرنج من المغرب فملكوا مثل دمياط فى الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء واشرف سائر البلاد بمصر والشام على ان تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا ومساء واراد اهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص والعدو قد احاط بهم من كل جانب ولو مكنهم الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمينية وغيرهما يستنجدهما ويحثهما على الحضور بانفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب دمشق الى الاشرف بنفسه فرآه مشغولا عن انجاده بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك سنة خمس عشرة وستمائة ان شاء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب الموصل فليطلب من هناك فعذره وعاد عنه وبقى الامر كذلك مع الفرنج فاما الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه

واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستمائة والملك الكامل مقابل الفرنج
فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ولم يزل المانع للاشرف عن انجاده فارسل
يستنجده واخاه صاحب دمشق فصار صاحب دمشق يحثه على المسير ففعل وسار الى
دمشق فيمن معه من العساكر وأمر الباقين باللحاق به الى دمشق وأقام بها ينتظرهم
فاشار عليه بعض أمرائه وخواصه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفا من اختلاف
يحدث فلم يقبل قولهم وقال قد خرجت للجهاد ولابد من اتمام ذلك العزم فسار الى مصر
وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا
مقابله بينهما خليج من النيل يسمى بحر أشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر
المسلمين وقد تيقنوا هم وكل الناس انهم يملكون الديار المصرية وأما الاشرف فانه سار
حتى وصل مصر فلما سمع أخوه الكامل بقربه منهم توجه اليه فلقيه واستبشر هو
وكافة المسلمين باجتماعهما لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا وأما الملك المعظم صاحب
دمشق فانه سار أيضا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنا منه ان أخويه وعسكريهما قد
نازلوها وقيل بل أخبر في الطريق أن الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسابقهم اليها
ليلقاهم من بين أيديهم وأخواه من خلفهم والله أعلم ولما اجتمع الاشرف بالكامل
استقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه فقاتلوا
الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شوانى المسلمين من النيل وقاتلوا شوانى الفرنج فاخذوا
منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك
واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم هذا يجرى والرسل
مترددة بينهم فى تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدس وعسقلان
وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليسلموا
دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب القدس ليعمروه بها
فلم يتم بينهم أمر وقالوا لابد من الكرك فبينما الامر فى هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون
الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم فى نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدة أيام
ظنا منهم ان العساكر الاسلامية لاتقوم لهم وان القرى والسواد جميعه يبقى بايديهم
ياخذون منه ما أرادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طائفة من المسلمين الى
الارض التى عليها الفرنج ففجروا النيل فركب الماء اكثر تلك الارض ولم يبق
للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الكامل حينئذ الجسور
على النيل عند أشمون وعبرت العساكر عليها فملك الطريق الذى يسلكه الفرنج ان
أرادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق فى تلك الحال انه وصل اليهم مركب
كبير للفرنج من اعظم المراكب يسمى مرمة وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوء
من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شوانى المسلمين وقاتلوهم فظفروا
بالمرمة وبما معها من الحراقات واخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط فى أيديهم ورأوا
انهم قد ضلوا الصواب بمفارقة دمياط فى ارض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة

ذهب وفيها سرج مجوهر وخيل وكباش ونقود واقمشة هندية وسكاكر وارز (وفيه) وصل فيل آخر كبير مع روابه
من وسط المدينة وذهبوا به
الى رحبة بيت السيد محمد
المحروقى ووقفوا به فى اواخر النهار
والناس تجتمع للفرجة عليه
الى اواخر النهار ثم طلعوا به الى
القلعة واوقفوه بالطبخانه
وهى محل عمل المدافع وحضر
بصحبته شخص يدعى العلم
والمعرفة بالطب والحكمة
ومعه مجلد كبير فى حجم الوسادة
يحتوى على الكتب الستة
الحديثية وخطه دقيق قال انه
نسخه بيده ونزل ببيت السيد
محمد المحروقى وركب له معجون
الجواهر انفق فيه جملة من
المال وكحلا وركب ايضا
تراكيب لغيره وشرط عليهم
فى الاستعمال بعد مضى ستة
اشهر وشئ منها بعد شهرين
وثلاثة واقام اياما ثم سافر
راجعا الى صنعاء (وفى يوم
الثلاثاء عاشره) كان عيد
النحر ولم يرد فيه مواش كثيرة
كالاعياد السابقة من الاغنام
والجواميس التى تاتى من
الارياف فكانت تزدحم منها
الاسواق لكثرتها والوكائل
والرميلة فلم يرد الا النزر القليل
قبل النحر بيومين ويباع
بالثمن الغالى ولم يذبح الجزارون
فى ايام النحر للبيع كعادتهم
الا القليل منهم مع التحجير
على الجلود وعلى من يشتريها
وتباع لطرف الدولة بالثمن
الرخيص جدا * وانقضت السنة مع استمرار ما تجدد فيها من الحوادث التى منها ما حدث فى آخر السنة من

بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلما اشتد الامر على الفرنج احرقوا خيامهم
ومجانيقهم واثقالهم وارادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرون على العود
الى دمياط فرأوا امامهم بعيدا وحيل بينهم وبين مايشتهون لكثرة الوحل والمياه
حولهم والوجه الذي يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلما تيقنوا انهم قد احيط
بهم من سائر جهاتهم وان ميرتهم قد تعذر عليهم وصولها وان المنايا قد كشرت لهم عن
انيابها ذلت نفوسهم وتنكست صلبانهم وضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل
والاشرف يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذ
اقبل جيش كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة
اتت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل
طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتدت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانا ووهنا
وتمموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان
عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم ومقامصتهم الى الملك الكامل
والاشرف رهائن على تسليم دمياط ملك عكا ونائب بابا صاحب رومية وكندريش
وغيرهم ومدتهم عشرون ملكا وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط في تسليمها فلم
يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب
ان المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا
من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضي الله امرا كان مفعولا ولم يبق بها من
اهلها الا آحاد وتفرقوا ايدي سبا بعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وبعضهم
اخذه الفرنج ولما دخلها المسلمون رأوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما
بحيث بقيت لاترام ولا يوصل اليها واعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى
أربابه واعطى المسلمين ظفرا لم يكن في حسابهم فانهم كانت غاية أمانيهم ان يسلموا
البلاد التي أخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد
بايديهم على حالها فالله المحمود المشكور على ما انعم به على الاسلام والمسلمين من كف
عادية هذا العدو وكفاهم شر التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم كانت ببغداد فتنة بين أهل المأمونية وبين أهل باب الازج
بسبب قتل سبع وزاد الشر بينهم واقتتلوا فجرح بينهم كثير فحضر نائب الباب وكفهم
عن ذلك فلم يقبلوا ذلك واسمعوه مايكره فارسل من الديوان اميرا من مماليك الخليفة
فرد اهل كل محلة الى محلتهم وسكنت الفتنة وفيها كثر الفار ببلد دجيل من اعمال
بغداد فكان الانسان لايقدر ان يجلس الا ومعه عصا يرد الفار عنه وكان يرى الكثير
منه ظاهرا يتبع بعضه بعضا وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد في قديم الزمان
مثلها واشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة الامراء والاعيان وجمعوا الخلق

الجمر وضبط أنوال الحياكة وكل مايصنع بالمكوك ومايُنسج على نول اونحوه من جميع الاصناف من ابريسم
او حرير او كتان الى الخيش
والقل والحصير في سائر الاقاليم
المصرية طولا وعرضا قبلي
وبحري من الاسكندرية
ودمياط الى اقصى بلاد
الصعيد والفيوم وكل ناحية
تحت حكم هذا المتولي وانتظمت
لهذا الباب دواوين ببيت
محمد بك الخازندار وأياما
ببيت السيد محمد المحروقي
وبحضرة من ذكر والمعلم غالي
ومتولي كبر ذلك والمفتتح
لابوابه المعلم يوسف كنعان
الشامي والمعلم منصور ابو
صربون القبطي ورتبوا لضبط
ذلك كتابا ومباشرين يتفرقون
بالنواحي والبلدان والقرى
ومايلزم لهم من المصاريف
والمعاليم والمشاهرات
مايكفيهم في نظير تقيدهم
وخدمتهم فيمضي المتعينون
لذلك فيحصون مايكون
موجودا على الانوال بالناحية
من القماش والبز والاكسية
الصوف المعروفة بالزعابيط
والدفافي ويكتبون عدده
على ذمة الصانع ويكونون
ملزومين به حتى اذا تم نسجه
دفعوا أصاحبه عنه بالفرض
الذي يفرضونه وان ارادها
صاحبها اخذها من الموكلين
بالثمن الذي يقدرونه بعد
الختم عليها من طرفيها بعلامة
الميري فان ظهر عند شخص شي من غير علامة الميري أخذت منه بل وعوقب وغرم

العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك واعدوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل وكان مما قال لهم لو كان يفدى ما أرى بمال او غيره افعلت ولو دفع بحرب افعلت ولكن امر الله لا يرد ونبع الماء من البلاليع والآبار من الجانب الشرقي وغرق كثير منه وغرق مشهد ابي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان واما الجانب الغربي فتهدم اكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الظاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى واكثر محلة قنطرة وفيها توفي احمد بن ابي الفضائل عبد المنعم بن ابي البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله ابن سعيد بن ابي الخير الميهني الصوفي ابو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحا من بيت التصوف والصلاح

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى ان استقرت الامور)

في هذه السنة توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاول وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر وكان مرضه أنه اخذته حمى ثم فارقته الغد وبقي يومين موعوكا ثم عاودته الحمى مع قيء كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثم برد بدنه وعرق وبقي كذلك الى وسط الليل ثم توفي وكان كريما حليما قليل الطمع في اموال الرعية كافا عن اذى يوصله اليهم مقبلا على لذاته كأنما ينهبها او يبادر بها الموت وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت * حكى لي بعض من كان يلازمه قال كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لي قد وجدت ضجرا من القعود فقم بنا نتمشى الى الباب العمادي قال فقمنا فخرج من داره نحو الباب العمادي فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكرا لا يتكلم ثم قال لي والله ما نحن في شيء أليس مصيرنا الى ههنا وندفن تحت الارض واطال الحديث في هذا ونحوه ثم عاد الى الدار فقلت له الا تمشي الى الباب العمادي فقال ما بقي عندي نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفي بعد ايام واصيب اهل بلاده بموته وعظم عليهم فقده وكان محبوبا اليهم قريبا من قلوبهم ففي كل دار لاجله رنة وعويل ولما حضرته الوفاة اوصى بالملك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤا وهو الذي كان يتولى دولة القاهر ودولة أبيه نور الدين قبله وقد تقدم من اخباره ما يعرف به محله وسيرد منها أيضا ما يزيد الناظر بصيرة فيه فلما قضى نحبه قام بدر الدين بامر نور الدين واجلسه في مملكة ابيه وأرسل الى الخليفة يطلب له التقاليد

نادیا على اختلاسه وتحذيرا لغيره هذا شان الموجود الحاصل عند النساجين واستئناف العمل الجديد فان الموكل بالناحية ومباشريها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها فيقيمونه وكيلا ويعطونه مبلغا من الدراهم ويامرونه باحصاء الانوال والشغالين والبطالين منهم في دفتر فيامرون البطالين بالنسج على الانوال التي ليس لها صناع باجرتهم كغيرهم على طرف الميري ويدفع المتوكل لشخصين او ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتي يغزلن الكتان بالنواحي ويحملنه اذرعا فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض وياتون به الى النساجين ثم تجمع اصناف الاقمشة في اماكن للبيع بالثمن الزائد وجعلوا لمبيعها أمكنة مثل خان ابو طقية وخان الجلاد وبه يجلس المعلم كنعان ومن معه وغير ذلك وبلغ ثمن الثوب القطن الذي يقال له البطانة الى ثلثمائة نصف فضة بعدما كان يشترى بمائة نصف واقل واكثر بحسب الرداءة والجودة وادركناه يباع في الزمن السابق بعشرين نصفا وبلغ ثمن المقطع القماش الغليظ الى ستمائة نصف فضة وكان يباع باقل من ثلث ذلك وقس على ذلك باقي الاصناف وهذه البدعة أشنع البدع الحادثة فان ضررها عم الغني والفقير والجليل والحقير والحكم لله

والتشريف وأرسل الى الملوك وأصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التى كانت بينهم وبين أبيه فلم يصبح الا وقد فرغ من كل ما يحتاج اليه وجلس للعزاء وحلف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل والتغير مع صغر السلطان وكثرة الطامعين فى الملك فانه كان معه فى البلاد اعمام ابيه وكان عمه عماد الدين زنكى بن ارسلان شاه بولايته وهى قلعة عقر الحميدية يحدث نفسه بالملك لا يشك فى ان الملك يصير اليه بعد أخيه فرقع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وتابع الاحسان والخلع على كافة الناس وغير ثياب الحداد عنهم فلم يخص بذلك شريفا دون مشروف ولا كبيرا دون صغير وأحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من بعض وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر فى أمر دولته والتشريفات لهما أيضا واتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طلب منهم من العهود واستقرت القواعد لهما

(ذكر ملك عماد الدين زنكى قلاع الهكارية والزوزان)

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستمائة انه اعطى ولده الاصغر زنكى قلعتى العقر وشوش وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته متجنيا لكثرة تلونه وكان بقلعة العمادية مستحفظ من مماليك جده عز الدين مسعود ابن مودود قيل انه جرى له مع زنكى مراسلات فى معنى تسليم العمادية اليه فنمى الخبر بذلك الى بدر الدين فبادره بالعزل مع أمير كبير وجماعة من الجند لم يمكنه الامتناع وسلم القلعة الى نائب بدر الدين كذلك وجعل بدر الدين فى غير العمادية من القلاع نوابا له وكان نور الدين بن القاهر لا يزال مريضا من جروح كانت به وغيرها من الامراض وكان يبقى المدة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس فارسل زنكى الى من بالعمادية من الجند يقول ان ابن أخى توفى ويريد بدر الدين يملك البلاد وانا أحق بملك آبائى واجدادى فلم يزل حتى استدعاه الجند منها وسلموا اليه ثامن عشر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة وقبضوا على النائب البدرى وعلى من معه فوصل الخبر الى بدر الدين ليلا فخذ فى الامر ونادى فى العسكر لوقته بالرحيل فساروا مجدين الى العمادية وبها زنكى ليحصروه فيها فلم يطلع الصبح الا وقد فرغ من تسيير العساكر فساروا الى العمادية وحصروها وكان الزمان شتاء والبرد شديد والثلج هناك كثير فلم يتمكنوا من قتال من بها لكنهم اقاموا يحصرونها وقام مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين صاحب اربل فى نصر عماد الدين وتجرد لمساعدته فراسله بدر الدين يذكره الايمان والعهود التى من جملتها انه لا يتعرض الى شئ من أعمال الموصل ومنها قلاع الهكارية والزوزان باسمائها ومتى تعرض اليها احد من الناس من كان منعه بنفسه وعساكره وأعان نور الدين وبدر الدين على منعه ويطالبه بالوفاء بها ثم نزل عن هذا ورضى منه بالسكوت لا لهم ولا عليهم فلم يفعل واظهر معاضدة عماد الدين زنكى فحينئذ لم تكن مكاثرة زنكى بالرجال والعساكر لقرب

العلى الكبير (ومنها) أن المشار اليه هدم القصر الذي بالآثار وانشاه على الهيئة الرومية التى ابتدعوها فى عمائرهم بمصر وهدموه وعمروه وبيضوه فى ايام قليلة وذلك انه بات هناك ليلتين فاعجبه هواؤه فاختار بناءه على هواه وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف جعل يتردد الى المبيت به بعض الاحيان مع السرارى والغلمان كما يتنقل من قصر الجيزة وشبرا والازبكية والقلعة وغيرها من سرايات اولاده واصهاره والملك لله الواحد القهار (ومنها) ان طائفة من الافرنج الانكليز قصدوا الاطلاع على الاهرام المشهورة الكائنة ببر الجيزة غربى الفسطاط لان طبيعتهم ورغبتهم الاطلاع على الاشياء المستغربات والفحص عن الجزئيات وخصوصا الآثار القديمة وعجائب البلدان والتصاوير والتماثيل التى فى المغارات والبرابى بالناحية القبلية وغيرها ويطوف منهم أشخاص فى مطلق الاقاليم بقصد هذا الغرض ويصرفون لذلك جملا من المال فى نفقاتهم ولوازمهم وموajبهم حتى انهم ذهبوا الى اقصى الصعيد واحضروا قطع احجار عليها نقوش واقلام وتصاوير ونواويس من رخام ابيض كان بداخلها موتى باكفانهم اواجسامها باقية بسبب الاطلية والادهان الحافظة لها من

هذا الخصم من الموصل واعمالها الا ان العسكر البدرى محاصر للعمادية وبها زنكى ثم ان بعض الامراء من عسكر الموصل ممن لا علم له بالحرب وكان شجاعا وهو حديد الامارة أراد ان يظهر شجاعته ليزداد بها تقدما واشار على من هناك من العسكر بالتقدم الى العمادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تأخروا عنها شيئا يسيرا لشدة البرد والثلج فلم يوافقوه وقبحوا رايه فتركهم ورحل متقدما اليهم ايلا فاضطروا الى اتباعه خوفا عليه من اذى يصيبه ومن معه فساروا اليه على غير تعبية لضيق المسالك ولانه اعجلهم عن ذلك وحكم الثلج عليهم أيضا فسمع زنكى ومن معه فنزلوا ولقوا أوائل الناس وأهل مكة أخبر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلتهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطروا الى العود فلما عادوا ارسل زنكى باقى قلاع الهكارية والزوزان واستدعاهم الى طاعته فاجابوه وسلموا اليه فجعل فيها الولاة وتسلمها وحكم فيها

(ذكر اتفاق بدر الدين مع الملك الاشرف)

لما راى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتفاق مظفر الدين وعماد الدين عليه ولم ينفع معهم اللين ولا الشدة وانهما لا يزالان يسعيان فى أخذ بلاده ويتعرضان الى اطرافها بالنهب والاذى أرسل الى الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلها الا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار فى طاعته منخرطا فى سلك موافقته فاجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما اخذ من القلاع التى كانت له وكان الملك الاشرف حينئذ بحلب نازلا بظاهرها لما ذكرناه من تعرض كيكاوس ملك بلاد الروم التى بيد المسلمين قونية وغيرها الى اعمالها وملكوا بعض قلاعها فارسل الى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له ان هذه القاعدة تقررت بين جميعنا بحضور رسلك وانتا نكون على الناكث الى ان يرجع الى الحق ولا بد من اعادة ما اخذ من بلاد الموصل لندوم على اليمين التى استقرت بيننا فان امتنعت واصررت على معاضدة زنكى ونصرته فانا اجىء بنفسى وعساكرى واقصد بلادك وغيرها واسترد ما اخذتموه واعيده الى اصحابه والمصلحة انك توافق وتعود الى الحق لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصرية واجلاء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرهم فلم تحصل الاجابة منه الى شئ من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد امتنع عن موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين واتفقا مع مظفر الدين فلما راى الاشرف ذلك جهز عسكرا وسيره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم

(ذكر انهزام عماد الدين زنكى من العسكر البدرى)

لما عاد العسكر البدرى من حصار العمادية وبها زنكى كما ذكرناه قويت نفسه وفارقها وعاد الى قلعة العقر التى له ليتسلط على اعمال الموصل بالصحراء فان بلد الجبل

البلاد ووجه المقبوز مصور على تمثال صورته التى كان عليها فى حال حياته وتماثيل آدمية من الحجر الصماقى الاسود المنقط الذى لا يعمل فيه الحديد جالسين على كراسى واضعين ايديهم على الركب وبيد كل واحد شبه مفتاح بين اصابعه اليسرى والشخص مع كرسيه قطعة واحدة مفرغ معه اطول من قامة الرجل الطويل وعلو رأسه نصف دائرة منه فى علو الشبر وهم شبه العبيد المشوهين الصورة وهم ستة على مثال واحد كانما افرغوا فى قالب واحد يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة واحضروا ايضا رأس صنم كبير دفعوا فى اجرة السفينة التى أحضروه فيها ستة عشر كيسا عنها ثلثمائة وعشرون الف نصف فضة وارسلوها الى بلادهم لتباع هناك باضعاف ما صرفوه عليها وذلك عندهم من جملة المتاجر فى الاشياء الغريبة ولما سمعت بالصور المذكورة فذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير المعروف بالساعاتى وسيدى ابراهيم المهدى الانكليزى الى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الازبكية وشاهدت ذلك كما ذكرته وتعجبنا من صناعتهم وتشابههم وصقالة ابدانهم الباقية على عمر السنين والقرون التى لا يعلم قدرها الا علام الغيوب واراد والاطلاع

كان قد فرغ منه وامده مظفر الدين بطائفة كثيرة من العسكر فلما اتصل الخبر ببدر الدين سير طائفة من عسكره الى اطراف بلد الموصل يحمونها فاقاموا على اربعة فراسخ من الموصل ثم انهم اتفقوا بينهم على المسير الى زنكي وهو عند العقر في عسكره ومحاربته ففعلوا ذلك ولم يأخذوا امر بدر الدين بل اعلموه بمسيرهم جريدة ليس معهم الا سلاحهم ودواب يقاتلون عليها فساروا ليلتهم وصبحوا زنكي بكرة الاحد لاربع بقين من المحرم من سنة ست عشرة وستمائة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فانزل الله نصره على العسكر البدري فانهزم عماد الدين وعسكره وساروا الى اربل منهزما وعاد العسكر البدري الى منزلته التي كان بها وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك الاشرف في تجديد الصلح فاصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسل

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل وملك اخيه)

ولما تقرر الصلح توفي نور الدين ارسلان شاه ابن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضا بعدة امراض فرتب بدر الدين في الملك بعده اخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولد غيره وحلف له الجند وركبه فطابت نفوس الناس لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلما ركب هذا علموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكي فاستقروا واطمأنوا وسكن كثير من الشغب بسببه

(ذكر انهزام بدر الدين من مظفر الدين)

لما توفي نور الدين وملك اخوه ناصر الدين تجدد لمظفر الدين ولعماد الدين طمع لصغر سن ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض اصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان بدر الدين قد سير ولده الاكبر في جمع صالح من العسكر الى الملك الاشرف بحلب نجدة له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد ان يدخل بلاد الفرنج التي بساحل الشام وينهبها ويخربها ليعود بعض من بدمياط الى بلادهم فيخف الامر على الملك الكامل صاحب مصر فلما رأى بدر الدين تحرك مظفر الدين وعماد الدين وان بعض عسكره بالشام ارسل الى عسكر الملك الاشرف الذي بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى الموصل رابع رجب سنة ست عشرة فلما رآهم بدر الدين استقلهم لانهم كانوا اقل من العسكر الذي له بالشام او مثلهم فالح ايبك على عبور دجلة وقصد بلاد اربل فمنعه بدر الدين من ذلك وامره بالاستراحة فنزل بظاهر الموصل اياما واصر على عبور دجلة فعبرها بدر الدين موافقة له ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقي دجلة فلما سمع مظفر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكي فعبر الزاب وسبق خبره فسمع به بدر الدين فعبى اصحابه وجعل ايبك في الجاليشية ومعه شجعان اصحابه واكثر معه منهم بحيث انه لم يبق معه الا اليسير وجعل في ميسرته اميرا كبيرا وطلب الانتقال عنها الى الميمنة فنقله فلما كان وقت العشاء الآخرة اعاد ذلك الامير الطلب بالانتقال من الميمنة الى الميسرة

والخصم

صاحب المملكة فذهب والبهلوانية واخية واحضر والفعلة والمساحي والقلقان على امر الاهرام واذن لهم وعبروا الى داخلها واخرجوا منها اتربة كثيرة من زبل الوطواط وغيره ونزلوا الى الزلاقة ونقلوا منها ترابا كثيرا وزبلا فانتهوا الى بيت مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك هذا ما بلغنا عنهم وحفروا حوالى الرأس العظيمة التي بالقرب من الاهرام التي تسميها الناس رأس ابي الهول فظهر انه جسم كامل عظيم من حجر واحد ممتد كأنه راقد على بطنه رافع رأسه وهي التي يراها الناس وباقي جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمال وساعداه من مرفقيه ممتدان امامه وبينهما شبه صندوق مربع الى استطالة من سماق احمر عليه نقوش شبه قلم الطير في داخله صورة سبع بجسم من حجر مدهون بدهان احمر رابض باسط ذراعيه في مقدار الكلب رفعوه ايضا الى بيت القنصل ورأيته يوم ذاك وقيس المرتفع من جسم ابي الهول من عند صدره الى اعلى رأسه فكان اثنين وثلاثين ذراعا وهي نحو الربع من باقي جسمه واقاموا في هذا العمل نحوا من اربعة اشهر (واما من مات في هذه السنة من المشاهير) فمات العالم العلامة الفاضل الفهامة صاحب التحقيقات الرائقة والتأليفات الفائقة شيخ شيوخ اهل العلم وصدر

والخصم بالقرب منهم فمنعه بدر الدين وقال متى انتقلت انت ومن معك فى هذا الليل ربما ظنه الناس هزيمة فلا يقف احد فاقام بمكانه وهو فى جمع كبير من العسكر فلما انتصف الليل سار أيبك فامره بدر الدين بالمقام الى الصبح لقرب العدو منهم فلم يقبل جهله بالحرب فاضطر الناس لاتباعه فتقطعوا فى الليل والظلمة والتقوا هم والخصم فى العشرين من رجب على ثلاثة فراسخ من الموصل فاما عز الدين فانه تيامن والتحق بالميمنة وحمل فى اطلابه هو والميمنة على ميسرة مظفر الدين فهزمها وبها زنكى وكان الامير الذى انتقل الى الميمنة قد أبعد عنها فلم يقاتل فلما رأى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدم اليه مظفر الدين فيمن معه فى القلب لم يتفرقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة ونزل منها الى البلد فلما رآه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدو بازائه بينهما دجلة فنزل مظفر الدين فيمن سلم معه من عسكره وزايل حصن نينوى فاقام ثلاثة ايام فلما رأى اجتماع العسكر البدرى بالموصل وانهم لم يفقد منهم الا اليسير وبلغه الخبر ان بدر الدين يريد العبور اليه ليلا بالفارس والراجل على الجسور وفى السفن ويكبسه فرحل ليلا من غير أن يضرب كاسا أو بوقا وعادوا نحو اربل فلما عبروا الزاب نزلوا ثم جاءت الرسل وسعوا فى الصلح فاصطلحوا على أن كل من بيده شئ هو له وتقررت العهود والايمان على ذلك

(ذكر ملك عماد الدين قلعة كواشى وملك بدر الدين تل يعفر وملك الملك الاشرف سنجار)

كواشى هذه من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لما رأوا ما فعل اهل العمادية وغيرها من التسليم الى زنكى وانهم قد تحكموا فى القلاع لا يقدر احد على الحكم عليهم احبوا ان يكونوا كذلك فاخرجوا نواب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت رهائنهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فترددت الرسل فى عودهم الى الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكى فى المجىء اليهم وتسلم القلعة واقام عندهم فر وسل مظفر الدين يذكر بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشى فلم تقع الاجابة الى ذلك فارسل حينئذ بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفرات الى حران واختلفت عليه الامور من عدة جهات منعته من سرعة السير وسبب هذا الاختلاف ان مظفر الدين كان يراسل الملوك اصحاب الاطراف ليستميلهم ويحسن لهم الخروج على الاشرف ويخوفهم منه اذا خلا وجهه فاجابه الى ذلك عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب ماردين واتفقوا كلهم على طاعة كيكاوس وخطبوا له فى بلادهم ونحن نذكر ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لما قصد بلاد حلب فهو موغر الصدر عليه فاتفق ان كيكاوس مات فى ذلك الوقت وكفى الاشرف وبدر الدين شره ولا بد الا ما أقعص عنك الرجال وكان مظفر الدين قد واسل جماعة من الامراء

صدور اهل الفهم المتفننين فى العلوم كلها نقليها وعقليها وأدبيها اليه انتهت الرياسة فى العلوم بالديار المصرية وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية استنبط الفروع من الاصول واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول واودع الطروس فوائد وقلدها عوائد فرائد الاستاذ الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنباوى المالكى الازهرى الشهير بالامير وهو لقب جده الادنى احمد وسببه ان احمد وأباه عبد القادر كان لهما امرة بالصعيد وأخبرنى المترجم من لفظه ان أصلهم من المغرب نزلوا بمصر عند سيدى عبد الوهاب ابى التخصيص كما اخبر عن ذلك وثائق لهم ثم التزموا بحصة بناحية سنبو وارتحلوا اليها وقطنوا بها وبها ولد المترجم وكان مولده فى شهر ذى الحجة سنة اربع وخمسين ومائة وألف باخبار والديه وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين وكان قد ختم القرآن فجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة وحبب اليه طلب العلم فاول ما حفظ متن الآجرومية وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدى على بن العربى السقاط وحضر دروس أعيان عصره واجتهد فى التحصيل ولازم دروس الشيخ الصعيدى فى الفقه وغيره من كتب المعقول وحضر على السيد البليدى شرح السعد على

الذين مع الاشرف واستمالهم فاجابوه منهم احمد بن على بن المشطوب الذى ذكرنا انه فعل على دمياط ما فعل وهو اكبر امير معه ووافقه غيره منهم عز الدين محمد بن بدر الحميدى وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة بدر الدين فلما اجتمعوا هناك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقر الصلح بينهما وسلم اليه الاشرف مدينة حانى وجبل جور وضمن له أخذ دارا وتسليمها اليه فلما فارقهم صاحب آمد انحل امرهم فاضطر بعض أولئك الامراء الى العود الى طاعة الاشرف وبقى ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فاقتتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرق من معه من الجمع ومضى منهزما فاجتاز بطرف بلد سنجار فسير اليه صاحبها فروخ شاه بن زنكى بن مودود بن زنكى عسكرا فهزموه وأخذوه أسيرا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقا للاشرف ولبدر الدين فلما صار عنده ابن المشطوب حسن له مخالفة الاشرف فاجابه الى ذلك وأطلقه فاجتمع معه من يريد الفساد فقصدوا البقعاء من اعمال الموصل ونهبوا فيها عدة قرى وعادوا الى سنجار ثم ساروا وهو معهم الى تل يعفر وهى لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا فى تلك الناحية فلما سمع بدر الدين بذلك سير اليه عسكرا فقاتلوهم فمضى منهزما وصعد الى تل يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه فيها فسار بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثاء لتسع بقين من ربيع الاول سنة سبع عشرة وستمائة وجد فى حصره وزحف اليها مرة بعد اخرى فملكها سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة واخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فسجنه بها ثم اخذه منه الاشرف فسجن بحران الى ان توفى فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة ولقاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط واما الملك الاشرف فانه لما اطاعه صاحب الحصن وآمد وتفرق الامراء كما ذكرناه رحل من حران الى دنيسر فنزل عليها واستولى على بلد ماردين وشحن عليه واقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحضر معه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين فى الصلح فاصطلحوا على ان ياخذ الاشرف راس العين وكان هو قد اقطعها لصاحب ماردين ويأخذ منه ايضا ثلاثين الف دينار ويأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد شبختان فلما تم الصلح سار الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فبينما هو فى الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب العوض عنها مدينة الرقة وكان السبب فى ذلك اخذ تل يعفر منه فانخلع قلبه وانضاف الى ذلك ان ثقاته ونصحاءه خانوه وزادوه رعبا وخوفا لانهم تهددوه فتغدوا به قبل ان يتعشى بهم ولانه قطع رحمه وقتل اخاه الذى ملك سنجار بعد ابيه قتله كما نذكره ان شاء الله وملكها فلقاه الله سوء فعله ولم يمتعه بها فلما اتته فى رحيل الاشرف تحير فى امره فارسل فى التسليم اليه فاجابه الاشرف الى العوض وسلم اليه الرقة وتسلم سنجار مستهل جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة وفارقها صاحبها واخوته باهليهم واموالهم وكان هذا آخر ملوك البيت الاتابكى بسنجار

عقائد النسفى والاربعين النووية وسمع الموطأ على هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودى بن سودة بالجامع الازهر سنة وروده بقصد الحج ولازم المرحوم الوالد حسنا الجبرتى سنين وتلقى عنه الفقه الحنفى وغير ذلك من الفنون كالهيئة والهندسة والفلكيات والاوفاق والحكمة عنه وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسمعيل النفراوى المالكى وكتب له اجازة مثبتة فى برنامج شيوخه وحضر الشيخ يوسف الحفنى فى آداب البحث وبانت سعاد وعلى الشيخ محمد الحفنى أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمايل والفهم الغيطى فى المولد وعلى الشيخ احمد الجوهرى فى شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام وسمع منه المسلسل بالاولية وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاى عبد الله الشريف وشملته اجازة الشيخ الملوى وتلقى عنه مسائل فى اواخر أيام انقطاعه بالمنزل ومهر وأنجب وتصدر لالقاء الدروس فى حياة شيوخه ونما أمره واشتهر فضله خصوصا بعد موت اشياخه وشاع ذكره فى الآفاق وخصوصا ببلاد المغرب وتاتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحى فى كل عام ووفد عليه الطالبون للاخذ عنه والتلقى منه وتوجه فى بعض المقتضيات الى دار السلطنة والتى هناك دروسا حضره فيها علماؤهم وشهدوا

فسبحان

وسبحان الحى الدائم الذى ليس لملكه آخر وكان مدة ملكهم لها اربعا وتسعين سنة وهذا داب الدنيا بابنائها فتعساً لها من دار ما اغدرها باهلها

* (ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفر الدين) *

لما ملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليجتازها فقدم بين يديه عساكره فكان يصل كل يوم منهم جمع كثير ثم وصل هو فى آخرهم يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان يوم وصوله مشهوداً واتاه رسل الخليفة ومظفر الدين فى الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية فانها تبقى بيد زنكى وان المصلحة قبول هذا لتزول الفتن ويقع الاشتغال بجهاد الفرنج وطال الحديث فى ذلك نحو شهرين ثم رحل الاشرف يريد مظفر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلامية بالقرب من نهر الزاب وكان مظفر الدين نازلاً عليه من جانب اربل فاعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والناس قد ضجروا وناصر الدين صاحب آمد يميل بهواه الى مظفر الدين فاشار بالاجابة الى ما بذل واعانه عليه غيره فوقعت الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وجعل لتسليمها اجل وحمل زنكى الى الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلمت قلعة العقر وقلعة شوش ايضاً وهما لزنكى الى نواب الاشرف رهناً على تسليم ما استقر من القلاع فاذا سلمت اطلق زنكى واعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلم الاشرف الى زنكى القلعتين وعاد الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة فارسلوا الى القلاع لتسلم الى نواب بدر الدين فلم يسلم اليه غير قلعة جل صورا من اعمال الهكارية واما باقى القلاع فان جندها اظهروا الامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلم الاجل صورا ولزم عماد الدين زنكى لشهاب الدين غازى ابن الملك العادل وخدمه وتقرب اليه فاستعطف الله اخاه الملك الاشرف فمال اليه واطلقه وازال نوابه من قلعة العقر وشوش وسلمهما اليه وبلغ بدر الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تل يعفر وانها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثه وطال الحديث فى ذلك فسلمها اليه بدر الدين

* (ذكر عود قلاع الهكارية والزوزان الى بدر الدين) *

لما ملك زنكى قلاع الهكارية والزوزان لم يفعل مع اهلها ما ظنوه من الاحسان والانعام بل فعل ضده وضيق عليهم وكان يبلغهم افعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وبذله الاموال لهم وكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلما كان الآن اعلنوا بما فعل معهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة فى التسليم اليه وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا شيئاً من اقطاع تكون لهم فاجابهم الى ذلك وارسل الى الملك الاشرف يستأذنه فى ذلك فلم يأذن له وعاد زنكى من عند الاشرف فجمع وعاود حصر قلعة العمادية فلم يبلغ منهم

اشتهرت بايدى الطلبة وهى فى غاية التحرير منها مصنف فى فقه مذهبه سماه المجموع حاذى به مختصر خليل جمع فيه الراجح فى المذهب وشرحه شرحاً نفيساً وقد صار كل منهما مقبولا فى ايام شيخه العدوى حتى كان اذا توقف شيخه فى موضع يقول هاتوا مختصر الامير وهى منقبة شريفة وشرح مختصر خليل وحاشية على المغنى لابن هشام وحاشية على الشيخ عبد الباقى على المختصر وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وحاشية على شرح الشذور لابن هشام وحاشية على الازهرية وحاشية على الشنشورى على الرحبية فى الفرائض وحواش على المعراج وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية ومؤلف سماه مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين واتحاف الانس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ورفع التلبيس عما يسئل به ابن خميس وثمر الثمام فى شرح آداب الفهم والافهام وحاشية على المجموع وتفسير سورة القدر ومن نظمه قوله متغزلا

ايها السيد المدال ضاعت فى الهوى ضيعتى وانسيت نسكى
بالك الله لا تمل لسواى وتحكم ولو بعافيه فتكى
وانظر الحق فى علو غناه * كل شئ يمحوه غير الشرك *
(وله فى التشبيه) * يا حسن لون الشمس عند غروبها *

غرضا وأعاد وامراسله بدر الدين في التسليم اليه فكتب الى الملك الاشرف في المعنى وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين لياذن له في أخذها فاذن له فارسل اليها النواب وتسلموها وأحسن الى اهلها ورحل زنكي عنها ووفى له بدر الدين بما بذله له فلما سمع جند باقي القلاع بما فعلوا وما وصلهم من الاحسان والزيادة رغبوا كلهم في التسليم فسير اليهم النواب واتفقت كلمة أهلها على طاعته والانقياد اليه والعسكر ان العساكر اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها في استعادة هذه القلاع فلم يقدروا على ذلك فلما تفرقوا واحضر اهلها وسالوا ان تؤخذ منهم فعادت صفوا عفوا بغير منة ولقد احسن من قال

لا سهل الا ما جعلت سهلا * وان تشا تجعل بحزن وحلا

فتبارك الله الفعال لما يريد لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وهو على كل شئ قدير

(ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس)

في هذه السنة سار عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصدا للتغلب عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان بحلب رجلان فيهما شر كثير وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر بن صلاح الدين عن رعيته فاوغروا صدره فلقي الناس منهما شدة فلما توفي الظاهر وولي الامر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما ممن يفعل فعلهما وسد هذا الباب على فاعله ولم يطرق اليه احد من اهله فلما رأى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وثار بهما الناس وآذوهما وتهددوهما لما كانا اسلفاه من الشر فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فاطمعاه فيها وقررا في نفسه انه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه ملك ما بعدها فلما عزم على ذلك اشار عليه ذوو الرأي من اصحابه وقالوا له لا يتم لك هذا الا بان يكون معك احد من بيت أيوب ليسهل على أهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الافضل بن صلاح الدين هو في طاعتك والمصلحة انك تستصحبه معك وتقرر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فمتى كان معك أطاعك الناس وسهل عليك ما تريد فاحضر الافضل من سميساط اليه واكرمه وحمل اليه شيئا كثيرا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب واعمالها للافضل وهو في طاعة كيكاوس والخطبة له في ذلك اجمع ثم يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه مما بيد الملك الاشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية تكون لكيكاوس وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا واخذوا قلعة رعبان فتسلمها الافضل فمال الناس حينئذ اليهما ثم سارا الى قلعة تل باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين دلدرم الياروقي فحصروه وضيقوا عليه وملكوها منه فاخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر وخاف انه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الا ان يكون قد قلع بيته لغيره ففترت نيته واعرض عما كان يفعله وكذلك أيضا أهل البلاد فكانوا يظنون ان

في روض انس نزهة الانفس * فكأنه وكأنه في ناظري * ذهب يجول على بساط سندس *(وله ايضا)*

تخيلت أن الشمس والبحر تحتها
وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرآة ينظر وجهه
ففي وجهها من وجهه الضوء دافق

(وله ايضا)

يا مالك القلب من بين الملاح وان
توهم الغير أن القلب مشترك
اني اغار على حظي لديك فغر
أيضا على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم يدنهم واغماتسوله
نفوس سوء بهم طرق الردى سلكوا
توهموا انهم حلوا وقد ملكوا
ويعلم الله ما حلوا وما ملكوا
يا سيد الكل يا قطب الجمال ومن
في دولة الحسن يروى انه الملك
ما كان قلبي يهوى الغير يا املي
فابعث رميمي اذا اهل الهوى هلكوا
وأسقط البين وارفع حجب شانك لي
ليشتفي خاطر بالفكر يعترك
بلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى
على عيوب له بالعهد يمتسك

(وله ايضا)

دع الدنيا فليس بها سرور
يتم ولا من الاحزان تسلم
ونفرض انه قد تم فرضا
فغم زواله امر محتم
فكن فيها غريبا ثم عجل
الى دار البقا ما فيه تغنم
وان لا بد من لهو فلهو
بشئ نافع والله اعلم وله غير ذلك من النظم المليح والذوق الصحيح واللسان الفصيح

الافضل يملكها فيسهل عليهم الامر فلما رأوا ضد ذلك وقفوا واما شهاب الدين اتابك
ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتة وهذه
كانت عادته مذ مات الظاهر خوفا من ثائر يثور به فلما حدث هذا الامر خاف ان
يحصر ويور بما سلم أهل البلد والجند المدينة الى الافضل لميلهم اليه فارسل الى الملك
الاشرف ابن الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون
طاعتهم له ويخطبون له ويجعل السكة باسمه ويأخذ من اعمال حلب ما اختار ولان ولد
الظاهر هو ابن اخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم في عساكره التي عنده وأرسل الى الباقين
يطلبهم اليه وسره ذلك للمصلحة العامة بجميعهم وأحضر اليه العرب من طيئ وغيرهم
ونزل بظاهر حلب ولما أخذ كيكاوس تل باشر كان الافضل يشير بمعاجلة حلب قبل
اجتماع العساكر بها وقبل أن يحتاطوا ويتجهزوا فعاد عن ذلك وصار يقول الرأى
انما نقصد منبج وغيرها لئلا يبقى لهم وراء ظهورنا شئ قصدا للتمادى ومرور الزمان فى
لا شئ فتوجهوا من تل باشر الى جهة منبج وتقدم الاشرف نحوهم وسارت العرب فى
مقدمته وكان طائفة من عسكر كيكاوس نحو ألف فارس قد سبقت مقدمة له فالتقوا
هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفى فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا
اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلما وصل
اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولى على أعقابه يطوى المراحل الى بلاده خائفا يترقب
فلما وصل الى أطرافها اقام وانما فعل هذا لانه صبى وغر لا معرفة له بالحرب والا
فالعساكر ما برحت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فملك رعبان
وحصر تل باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوه حتى غلبوا فاخذت القلعة منهم
واطلقهم الاشرف فلما وصلوا الى كيكاوس جعلهم فى دار واحرقها عليهم فهلكوا
فعظم ذلك على الناس كافة واستقبحوه واستضعفوه لا جرم لم يمهله الله تعالى وعجل
عقوبته لاثم قدرته وشدة عقوبته واعدم الرحمة فى قلبه ومات عقيب هذه الحادثة
وسلم الاشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب الدين اتابك صاحب حلب
وكان عازما على اتباع كيكاوس ويدخل بلاده فاتاه الخبر بوفاة أبيه الملك
العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لان الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان
العظيم اذا توفى ربما جرى خلل فى البلاد لا تعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكفى كل منهما
اذى صاحبه

(ذكر وفاة الملك العادل وملك أولاده بعده)

توفى الملك العادل أبو بكر بن أيوب سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة
وقد ذكرنا ابتداء دولتهم عند ملك عمه أسد الدين شيركوه ديار مصر سنة أربع وستين
وخمسمائة ولما ملك أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر بعد عمه وسار الى
الشام استخلفه بمصر ثقة به واعتمادا عليه وعلما بما هو عليه من توفر العقل وحسن

وكان رحمه الله رقيق القلب لطيف المزاج ينزعج طبعه من غير انزعاج يكاد الوهم يؤلمه وسماع المنافر يوهنه ويسقمه وباخره ضعفت قواه وتراخت اعضاه وزاد شكواه ولم يزل يتعالل ويزداد انينه ويتململ والامراض به تسلسل وداعى المنون عنه لا يتحول الى ان توفى يوم الاثنين عاشر ذى القعدة الحرام وكان له مشهد حافل جدا ودفن بالصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفى بالقرب من عمارة السلطان قايتباى وكثر عليه الاسف والحزن وخلف ولده العلامة النحرير الشيخ محمد الامير وهو الآن احد الصدور كوالده يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ويحضر الدواوين والمجالس العالية بارك الله فيه *(ومات الشيخ الفقيه العلامة الشيخ خليل المدابغى) لكونه يسكن بحارة المدابغ حضر دروس الاشياخ من الطبقة الاولى وحصل الفقه والمعقول واشتهر فضله مع فقره وانجماعه عن الناس متقشفا متواضعا ويكتسب من الكتابة بالاجرة ولم يتجمل بالملابس ولا بزى الفقهاء يظن الجاهل به انه من جملة العوام توفى يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة من السنة *(ومات الشيخ الفقيه الورع الشيخ على المعروف بابى زكرى البولاقى) اسكنه ببولاق وكان ملازما لاقراء الدروس ببولاق

السيرة فلما توفي أخوه صلاح الدين ملك دمشق كما ذكرناه وبقي مالكا للبلاد الى الآن فلما ظهر الفرنج كما ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة قصدهو مرج الصفر فلما سار الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فاقام به ومرض وتوفي وحمل الى دمشق فدفن بالتربة التي له وكان عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة صبورا حليما اذا أتاه يسمع ما يكره ويغض عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لا يقف في شيء واذا لم تكن حاجة فلا وكان عمره خمسا وسبعين سنة وشهور لان مولده كان في المحرم من سنة أربعين وخمسمائة وملك دمشق في شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة من الافضل ابن اخيه وملك مصر في ربيع الآخر من سنة ست وتسعين منه أيضا ومن أعجب ما رأيت من منافاة الطوالع انه لم يملك الافضل مملكة قط الا وأخذها منه عمه العادل فاول ذلك ان صلاح الدين أعطى ابنه الافضل حران والرها وميافارقين سنة ست وثمانين بعد وفاة تقي الدين فسار اليها فلما وصل الى حلب أرسل أبوه الملك العادل بعده فرده من حلب وأخذ هذه البلاد منه ثم ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فاخذها منه ثم ملك مصر بعد وفاة اخيه الملك العزيز فاخذها أيضا منه ثم ملك صرخد فاخذها منه وأعجب من هذا انني رأيت بالبيت المقدس سارية من الرخام ملقاة في بيعة صهيون ليس يوجد مثلها فقال القس الذي بالبيعة هذه كان قد اخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثم ان العادل اخذها بعد ذلك من الافضل طالبا اياه فاخذها وهذا غاية وهو من أعجب ما يحكى وكان العادل قد قسم البلاد في حياته بين أولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمدا وبدمشق والقدس وطبرية والاردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط واعمالها لابنه الملك الاشرف موسى واعطى الرها لولده شهاب الدين غازي واعطى قلعة جعبر لولده الحافظ ارسلان شاه فلما توفي ثبت كل منهم في المملكة التي اعطاه اياها ابوه واتفقوا اتفاقا حسنا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجري بين اولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق الى الآخر بحيث يحضر عنده منفردا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد ملكهم وراوا من نفاذ الامر والحكم ما لم يره ابوهم ولعمري انهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذب عن الاسلام وفي نوبة دمياط كفاية واما الملك الاشرف فليس للمال عنده محل بل يمطره مطرا كثيرا كفه عفيفة عن اموال الرعية دائم الاحسان لا يسمع سعاية ساع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ذي القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن ارض دمياط لانه بلغه ان جماعة من الامراء قد اجتمعوا على تمليك اخيه الفائز عوضه فخافهم ففارق منزلته فانتقل الفرنج اليها وحصروا حينئذ دمياط برا وبحرا وتمكنوا من ذلك وقد تقدم مستقصى سنة اربع عشرة وستمائة وفيها في المحرم توفي شرف الدين محمد بن علوان ابن

ويأتي الى الجامع الازهر في كل يوم يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ويرجع الى بولاق بعد الظهر ومات حماره الذي كان يأتي عليه الى الجامع الازهر فلم يتخلف عن عادته ويأتي ماشيا ثم يعود مدة حتى اشفق عليه بعض المشفقين من اهالي بولاق واشترى له حمارا ولم يزل على حالته وانكساره حتى توفي يوم الخميس ثامن شهر ذي القعدة من السنة رحمه الله وايانا وجمعنا في مستقر رحمته آمين *(ومات من أكابر الدولة المسمى ولي افندي)* ويقال له ولي خوجا وهو كاتب خزينة الباشا وانشا الدار العظيمة التي بناحية باب اللوق وأدخل فيها عدة بيوت ودورا جليلة تجاهها وملاصقة لها من الجهتين وبعضها مطل على البركة المعروفة ببركة أبي الشوارب وتقدم في اخبار العام الماضي ان الباشا صاهره وزوج ابنته لبعض اقارب الباشا المختصين به مثل الذي يقال له شريف أغا وآخر وعمل له مهما عظيما احتفل فيه الى الغاية وزفة وشنكا كل ذلك وهو متمرض الى ان مات في ثاني عشر ربيع الثاني وضبطت تركته فوجد له كثير من النقود والجواهر والامتعة وغير ذلك فسبحان الحي الذي لا يموت

(واستهلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف) *(واستهل المحرم بيوم الاثنين)* ووالي مصر وحاكمها الوزير

ابن مهاجر الفقيه الشافعي وكان مدرسا في عدة مدارس بالموصل وكان صالحا كثير الخير والدين سليم القلب رحمه الله وفيها توفي عز الدين نجاح الشرابي خاص الخليفة واقرب الناس اليه وكان الحاكم في دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والعصبية للناس واما عقله وتدبيره فاليه كانت النهاية وبه يضرب المثل وفيها توفي علي بن نصر ابن هرون ابو الحسن الحلي النحوي الملقب بالحجة قرا على ابن الخشاب وغيره

(ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة كيكاوس وملك كيقباذ اخيه)

في هذه السنة توفي الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطية وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكره وحشد وسار الى ملطية على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكة في بلادهم واتفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطية ليمنع الملك الاشرف عن المسير الى الموصل نجدة لصاحبها بدر الدين لعل مظفر الدين يبلغ من الموصل غرضا وكان قد علق به السل فلما اشتد مرضه عاد عنها فتوفي وملك بعده اخوه كيقباذ وكان محبوسا قد حبسه اخوه كيكاوس لما اخذ البلاد واشار عليه بعض اصحابه بقتله فلم يفعل فلما توفي لم يخلف ولدا يصلح للملك اصغرهم فاخرج الجند كيقباذ وملكوه ومن بغى عليه لينصرنه الله وقيل بل ارسل كيكاوس لما اشتد مرضه فاحضره عنده من السجن ووصى له بالملك وحلف الناس له فلما ملك خالفه عمه صاحب ارزن الروم وخاف ايضا من الروم المجاورين لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهدا على المصافاة والتعاضد وتصاهرا وكفى الاشرف شر تلك الجهة وتفرغ باله لاصلاح ما بين يديه ولقد صدق القائل وجدك طعان بغير سنان وهذا ثمرة حسن النية فانه حسن النية لرعيته واصحابه كافا عن اذى يتطرق اليهم منه غير قاصد الى البلاد المجاورة لبلاده باذى وملك مع ضعف اصحابها وقوته لا جرم تاتيه البلاد صفوا عفوا

(ذكر موت صاحب سنجار وملك ابنه ثم قتل ابنه وملك اخيه)

وفي هذه السنة ثامن صفر توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وكان كريما حسن السيرة في رعيته حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم واما اصحابه فكانوا معه في ارغد عيش يعمهم باحسانه ولا يخافون اذاه وكان عاجزا عن حفظ بلده مسلما الامور الى نوابه ولما توفي ملك بعده ابنه عماد الدين شاهانشاه وركب الناس معه وبقي مالكا لسنجار عدة شهور وسار الى تل يعفر وهي له فدخل عليه اخوه عمر بن محمد بن زنكي ومعه جماعة فقتلوه وملك اخوه عمر بعده فبقي كذلك الى ان سلم سنجار الى الملك الاشرف على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولم يتمتع بملكه الذي قطع

محمد علي باشا وهو المتصرف فيها قبليها او بحريها سابل والاقطار الحجازية وضواحيها وبيده ازمة الثغور الاسلامية ووزيره محمد بك لاظ المعروف بكتخدا بك وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره والمتصدر في ديوان الاحكام الكلية والجزئية وفصل الخصومات ومباشرة الاحوال نافذ الكلمة وافر الحرمة واغات الباب ابراهيم اغا ومتولي ايضا امر تعديل الاصناف ليوفر على الخزينة ما يا كله المتولي على كل صنف ويخفي امره فيشدد الفحص في المكيل والموزون والمذروع حتى يستخرج الخبايا ولو قليلا فيجتمع من القليل الكثير من الاموال فيحاسب المتولي مدة ولايته فيجتمع له مالا قدرة له على وفاء بعضه لان ذلك شئ قد استهلك في عدة ايدي اشخاص واتباع ويلزم الكبير باداته ويقاسي ما يقاسيه من الحبس والضرب وسلب النعمة ومكابدة الاهوال وسلحدار الباشا سليمان اغا عوضا عن صالح بك السلحدار لاستعفائه عنها في العام السابق وهو المسلط على اخذ الاماكن وهدمها وبنائها خانات ورباعا وحوانيت فيأتي الى الجهة التي يختار البناء فيها ويشرع في هدمها ويأتيه اربابها فيعطيهم اثمانها كما هي في حججهم القديمة وهو شئ نادر بالنسبة لغلو اثمان العقارات في هذا الوقت لعموم التخرب وكثرة العالم وغلاء المؤن وضيق المساكن باهلها حتى ان المكان الذي كان يؤجر بالقليل صار

رحمه وأراق الدم الحرام لاجله ولما سلم سنجار أخذ عوضها الرقة ثم أخذت منه عن قريب وتوفى بعد أخذها منه بقليل وعدم روحه وشبابه وهذه عاقبة قطيعة الرحم فان صلتها تزيد فى العمر وقطيعتها تهدم العمر

(ذكر اجلاء بنى معروف عن البطائح وقتلهم)

فى هذه السنة فى ذى القعدة امر الخليفة الناصر لدين الله الشريف معدا متولى بلاد واسط ان يسير الى قتال بنى معروف فتجهز وجمع معه من الرجالة من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقا كثيرا وسار اليهم ومقدمهم حينئذ معلى بن معروف وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربى الفرات تحت سوراء وما يتصل بذلك من البطائح وكثر فسادهم وأذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا الطريق وافسدوا فى النواحى المقاربة لبطيحة الغراف فشكا أهل تلك البلاد الى الديوان منهم فامر معدا ان يسير اليهم فى الجموع فسار اليهم فاستعد بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقبر وهو تل كبير بالبطيحة بقرب الغراف وكثر القتل بينهم ثم انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأخذت اموالهم وحملت رؤس كثيرة من القتلى الى بغداد فى ذى الحجة من السنة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم انهزم عماد الدين زنكى من عسكر بدر الدين وفيها فى العشرين من رجب انهزم بدر الدين من مظفر الدين صاحب اربل وعاد مظفر الدين الى بلده وقد تقدم ذلك مستوفى فى سنة خمس عشرة وستمائة وفيها فى السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج مدينة دمياط وقد ذكر سنة اربع عشرة مشروحا وفيها توفى افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل الهاشمى العباسى الفقيه الحنفى رئيس الحنفية بحلب روى الحديث عن عمر البسطامى نزيل بلخ وعن أبى سعد السمعانى وغيرهما وفيها توفى ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى الضرير النحوى وفيها توفى ابو الحسن على بن أبى محمد القاسم بن على بن الحسن بن عبد الله الدمشقى الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فاكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حرامية فجرح وبقى ببغداد وتوفى فى جمادى الاولى رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام)

لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها فانا أقدم اليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك فياليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا الا انى حثنى جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وانا متوقف ثم رأيت ان ترك ذلك لايجدى نفعا فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى

يؤجر بعشرة أمثال الاجرة القديمة ونحو ذلك ومحمود بك الخازندار وخدمته قبض أموال البلاد والاطيان والرزق وما يتعلق بذلك من الدعاوى والشكاوى ودواوينه بخط سويقة اللالا والمعلم غالى كاتب سر الباشا ورئيس الاقباط وكذلك الدفتردار محمد بك صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية والروزنامجى مصطفى افندى واغا مستحفظان حسن اغا البهلوان والزعيم على اغا الشعراوى ومصطفى اغا كرد المحتسب وقد بردت همته عما كان عليه ورجع الحال فى قلة الادهان كالاول وازدحم الناس على معمل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيئا الابشق الانفس وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شئ منه من الفلاحين الداخلين الى المدينة من القرى فياخذونه منهم بدون القيمة حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين وأما المعاملة فلم يزل أمرها فى اضطراب بالزيادة والنقص وتكرار المناداة كل قليل وصرف الريال الفرانسه الى اربعمائة نصف فضة والمحبوب الى اربعمائة وثمانين والبندقى الى تسعمائة نصف والمجر الى ثمانمائة نصف واما هذه الانصاف العددية التى تذكر فهى اسماء لاوجود لمسمياتها فى الايدى (وفى ثانى عشره)

التى

سافر الباشا الى جهة الاسكندرية لمحاسبة الشركاء والنظر فى بيع الغلال والمتاجر والمراسلات (وفى تاسع عشره) ارتحلت عساكر اتراك ومغاربة مجردة الى الحجاز

(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٣)

فى ثالث عشره وصل الكثير من حجاج المغاربة (وفى يوم الجمعة) سابع عشره وصل جاويش الحاج وفى ذلك اليوم وقت العصر ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من ابراهيم باشا بانه حصلت له نصرة وملك بلدة من بلاد الوهابية وقبض على أميرها ويسمى عتيبة وهو طاعن فى السن (وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه) وصل ركب الحاج المصرى والمحمل وأمير الحاج من الدلاة

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣)

فيه وصل قابجى من دار السلطنة فعملوا له موكبا وطلع الى القلعة وضربوا له شنكا سبعة أيام وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الاوقات الخمسة (وفى هذا الشهر) انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة انصاف بستين نصفا اذا وجد

(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٣)

ووافقه أيضا اول امشير القبطى (وفى منتصفه) سافر اولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج المغاربة وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم

التى عقمت الايام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ومن اعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببنى اسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التى كل مدينة منها اضعاف البيت المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بنى اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا ياجوج وماجوج واما الدجال فانه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على احد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها الى بلاد ماوراء النهر مثل سمرقند وبخارا وغيرهما فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا ثم يتجاوزونها الى الرى وهمذان وبلاد الجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارانية ويخربونها ويقتلون اكثر اهلها ولم ينج الا الشريد النادر فى أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارانية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التى بها ملكهم وعبروا عندها الى بلاد اللان واللكز ومن فى ذلك الصقع من الامم المختلفة فاوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعلوا هذا فى اسرع زمان لم يلبثوا الا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى طائفة اخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء واشد هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذى اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة انما ملكها فى نحو عشر سنين ولم يقتل احدا انما رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارة وأهلا واعدل أهل الارض اخلاقا وسيرة فى نحو سنة ولم يبت احد من البلاد التى لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد ياتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب ياكلون لحومها لا غير واما دوابهم التى يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتاكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شئ من خارج وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا فانهم ياكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحا بل المراة ياتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف

اسواق المدينة وبولاق ومابينهما من جميع الطرق فيكونوا يشترون الاغنام من الفلاحين ويذبحونها و يبيعونها على الناس جزافا من غير وزن بعدان يتركوا لانفسهم مقدار حاجتهم فذهب الكثير لاشرائهم بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزارين ولووقف عليهم بالثمن الزائد (وفى اواخره) حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لابراهيم باشاوانه استولى على بلدة تسمى الشقراء وان عبد الله بن مسعود كان بها فخرج منها هاربا الى الدرعية ليلا وان بين عسكر الاتراك والدرعيين مسافة يومين فلما وصل هذا المبشر ضربوا المدافع من ابراج القلعة وذلك وقت الغروب من يوم الاربعاء سادس عشرينه

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٣٣)

فيه نودى على طائفة المخالفين للملة من الاقباط والاروام بان يلزموا زيهم من الازرق والاسود ولايلبسوا العمائم البيض لانهم خرجوا عن الحد فى كل شئ و يتعممون بالشيلان الكشميرى الملونة والغالية فى الثمن ويركبون الرهوانات والبغال والخيول وامامهم وخلفهم الخدم بايديهم العصى يطردون الناس عن طريقهم ولايظن الرائى لهم الا انهم من اعيان الدولة ويلبسون الاسلحة وتخرج الطائفة منهم الى الخلاء

اباه ولقد بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها احد من الامم منها هؤلاء التتر قبحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التى يستعظمها كل من سمع بها وستراها مشروحة متصلة ان شاء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها واشرفت ديار مصر والشام وغيرها على ان يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة اربع عشرة وستمائة ومنها ان الذى سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق وقد ذكرناه ايضا فانا لله وانا اليه راجعون نسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين والذاب عن الاسلام معدوم واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال فان هؤلاء التتر انما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع وسبب عدمه ان خوارزمشاه محمدا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافناهم و بقى هو وحده سلطان البلاد جميعها فلما انهزم منهم لم يبق فى البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضى الله امرا كان مفعولا وهذا حين نذكر ابتداء خروجهم الى البلاد

(ذكر خروج التتر الى تركستان وماوراء النهر وما فعلوه)

فى هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الاسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها و بين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة اشهر وكان السبب فى ظهورهم ان ملكهم و يسمى بجنكزخان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده وسار الى نواحى تركستان وسير جماعة من التجار والاتراك ومعهم شئ كثير من النقرة والقندر وغيرهما الى بلاد ماوراء النهر سمرقند و بخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهى آخر ولاية خوارزمشاه وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر ارسل الى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم و يذكر له ما معهم من الاموال فبعث اليه خوارزمشاه يامره بقتلهم واخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئا كثيرا فلما وصل الى خوارزمشاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند واخذ ثمنه منهم وكان بعد ان ملك ماوراء النهر من الخطا قد سد الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد وان طائفة من التتر ايضا كانوا قد خرجوا قديما والبلاد للخطا فلما ملك خوارزمشاه البلاد بما وراء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هؤلاء التتر على تركستان كاشغار وبلاساغون وغيرها صاروا يحاربون عساكر خوارزمشاه فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل فى سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك مما لا يذكر فى بطون الدفاتر

فكان ما كان مما لست اذكره ☆ فظن خيرا ولاتسأل عن الخبر

فلما قتل نائب خوارزمشاه اصحاب جنكزخان ارسل جواسيس الى جنكزخان لينظر ماهو وكم مقدار ما معه من الترك وما يريد ان يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التى على طريقهم حتى وصلوا اليه فعادوا بعد مدة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن الاحصاء وانهم من اصبر خلق الله على القتال

لا يعرفون هزيمة وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم فندم خوارزمشاه
على قتل اصحابهم واخذ اموالهم وحصل عنده فكر زائد فاحضر الشهاب الخيوقي وهو
فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث امر عظيم
لابد من الفكر فيه فاخذ رأيك في الذي نفعله وذلك انه قد تحرك الينا خصم من ناحية
الترك في كثرة لا تحصى فقال له في عساكرك كثرة ونكاتب الاطراف ونجمع
العساكر ويكون النفير عاما فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس ثم
نذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد
الاسلام فنكون هناك فاذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون
وهو وعساكره قد مسهم النصب والتعب فجمع خوارزمشاه امراءه ومن عنده من
ارباب المشورة فاستشارهم فلم يوافقوه على رأيه بل قالوا الرأي ان نتركهم يعبرون سيحون الينا
ويسلكون هذه الجبال والمضايق فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى
حينئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجو منهم احد فبينما الاتراك كذلك اذ ورد رسول من هذا
اللعين جنكزخان معه جماعة يتهدد خوارزمشاه ويقول تقتلون اصحابي وتاخذون
اموالهم استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قبل لكم به وكان جنكزخان قد سار
الى تركستان فملك كاشغر وبلاساغون وجميع البلاد وازال عنها التتر الاولى فلم يظهر
لهم خبر ولا بقي لهم اثر بل بادوا كما اصاب الخطا وارسل الرسالة المذكورة الى خوارزمشاه
فلما سمعها خوارزمشاه امر بقتل رسوله فقتل وامر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا
معه واعادهم الى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له ان
خوارزمشاه يقول لك انا سائر اليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم وافعل بك كما
فعلت باصحابك وتجهز خوارزمشاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبسهم
فادمن السير فمضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الا النساء
والصبيان والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبة
الكفار عن بيوتهم انهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان
فقاتلوه وهزموه وغنموا امواله وعادوا فلقيهم في الطريق الخبر بما فعل خوارزمشاه
بمخلفيهم فجدوا السير فادركوه قبل ان يخرج عن بيوتهم وتصافوا للحرب واقتتلوا
قتالا لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة ايام بلياليها فقتل من الطائفتين ما لا يعد ولم
ينهزم احد منهم اما المسلمون فانهم صبروا حمية للدين وعلموا انهم ان انهزموا لم يبق
للمسلمين باقية وانهم يؤخذون لبعدهم عن بلادهم واما الكفار فصبروا لاستنقاذ
اهليهم واموالهم واشتد بهم الامر حتى ان احدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه
راجلا ويتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتى صارت الخيل تزلق من
كثرته واستنفذ الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان
ولم يحضر ابوه الوقعة ولم يشعر بها فاحصي من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين
الفا واما من الكفار فلا يحصى من قتل منهم فلما كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم

ويعملون لهم نشابا يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغير ذلك فما احسن هذا
النهي لو دام (وفي يوم السبت
حادي عشرينه) حضر الباشا
من غيبته بالاسكندرية
اواخر النهار فضربوا لقدومه
مدافع فبات بقصر شبرا وطلع
في صبحها الى القلعة فضربوا
بها مدافع ايضا فكان مدة
غيبته بالاسكندرية اربعة
اشهر وتسعة ايام (وفي اواخره)
وصل هجان من شرق الحجاز
ببشارة بان ابراهيم باشا استولى
على بلد كبير من بلاد الوهابية
ولم يبق بينه وبين الدرعية
الا ثمان عشرة ساعة فضربوا
شنكا ومدافع (وفيه) وصل
هجان من حسن باشا الذي
بجدة بمراسلة يخبر فيها بعصيان
الشريف حمود بناحية يمن
الحجاز وانه حاصر من بتلك
النواحي من العساكر وقتلهم
ولم ينج منهم الا القليل وهو
من فرع على جواند الخيل
(ووقع فيه ايضا) الاهتمام
في تجريد عساكر للسفر
وارسل الباشا بطلب خليل
باشا للحضور من ناحية بحري
هو وخلافه وحصل الامر
بقراءة صحيح البخاري بالازهر
فقرئ يومين وفرق على
مجاوري الازهر عشرة اكياس
وكذلك فرقت دراهم على
اولاد المكاتب
* (واستهل شهر جمادى الثانية
سنة ١٢٣٣) *
في منتصفه ليلة الثلاثاء حصل
خسوف للقمر في سادس ساعة من الليل وكان المنخسف منه مقدار الثلث وحصل الامر ايضا بقراءة صحيح البخاري

بالازهر (وفيه) ورد الخبر بموت الشريف حمود وانه أصيب بجراحة مات بها (وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه)

حصل كسوف للشمس في ثالث ساعة من النهار وكان المنكسف منها مقدار الثلث (وفي ذلك اليوم) ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم باشا بانه ملك جانبا من الدرعية وان الوهابية محصورون وهو ومن معه من العربان محيطون بهم

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٣)

فيه حضر خليل باشا وحسين بك دالي باشا من الجهة البحرية ونزلوا بدورهم

(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٣٣)

في منتصفه وصل نجاب واخبر بان ابراهيم باشا ركب الى جهة من نواحي الدرعية لامر يقتضيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة واحرقوا الجبخانه فعند ذلك قوي الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث براو بحرا يتلو بعضهم بعضا في شعبان ورمضان وبرز عرضي خليل باشا الى خارج باب النصر وترددوا في الخروج والدخول واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر فيجلس الكثير منهم بالاسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبايديهم اقصاب الدخان والتتن من غير احتشام

مقابل بعض فلما اظلم الليل اوقد الكفار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا وكذلك فعل المسلمون ايضا كل منهم سئم القتال فاما الكفار فعادوا الى ملكهم جنكزخان واما المسلمون فرجعوا الى بخارا فاستعد للحصار لعلمه بعجزه لان طائفة من عسكره لم يقدر خوارزمشاه على ان يظفر بهم فكيف اذا جاؤا جميعهم مع ملكهم فامر اهل بخارا وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع وجعل في بخارا عشرين الف فارس من العسكر يحمونها وفي سمرقند خمسين الفا وقال لهم احفظوا البلد حتى اعود الى خوارزم وخراسان واجمع العساكر واستنجد بالمسلمين واعود اليكم فلما فرغ من ذلك رحل عائدا الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك واما الكفار فانهم رحلوا بعد ان استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا الى بخارا بعد خمسة اشهر من وصول خوارزمشاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة ايام قتالا شديدا متتابعا فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة ففارقوا البلد عائدين الى خراسان فلما اصبح اهل البلد وليس عندهم من العسكر احد ضعفت نفوسهم فارسلوا القاضي وهو بدر الدين قاضيخان ليطلب الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع اصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما اجابهم جنكزخان الى الامان فتحت أبواب المدينة يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارا ولم يتعرضوا الى أحد بل قالوا لهم كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه الينا وساعدونا على قتال من بالقلعة وأظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلد بان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم فامرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتى ان الكفار كانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه راجعون وبحق سمى الله نفسه صبورا حليما والا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل هذا ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثني عشر يوما يقاتلون جمع الكفار وأهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين ورد اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدوا في القتال وقد تعب من بالقلعة ونصبوا وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم فلما فرغ من القلعة أمر ان يكتب له رؤس البلد ورؤساؤهم ففعلوا ذلك فلما عرضوا عليه أمر باحضارهم فحضروا فقال أريد منكم النقرة التي باعكم خوارزمشاه فانها لي ومن أصحابي أخذت وهي عندكم فاحضر كل من كان عنده شيء منها بين يديه ثم أمرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من أموالهم ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه وأحاط بالمسلمين فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من

الرجال

ولاحترام لشهر الصوم وفى اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الاسلام وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخاطر ومتقلق ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه

(واستهل شهر شوال بيوم الاثنين سنة ١٢٣٣)

وكان هلاله عسر الرؤية جدا فحضر جماعة من الاتراك الى المحكمة وشهدوا برؤيته (وفى ذلك اليوم) الموافق لثامن عشرى شهر ابيب القبطى اوفى النيل اذرعه فاخروا فتح سد الخليج ثلاثة ايام العيد ونودى بالوفاء يوم الاربعاء وحصل الجمع يوم الخميس رابعه وحضر فتح الخليج كتخدا بك والقاضى ومن له عادة بالحضور فكان جمعا وازدحاما عظيما من أخلاط العالم فى جهة السد والروضة تلك الليلة واشتعلت النار فى الحريقة واحترق فيها اشخاص ومات بعضهم (وفى سادسه يوم السبت) خرج خليل باشا المعين الى السفر فى موكب وشق من وسط المدينة وخرج من باب النصر وعطف على باب الفتوح ورجع الى داره فى قلة من اتباعه فى طريقه التى خرج منها (وفيه) انتدب مصطفى أغا المحتسب ونادى فى المدينة ويامر الناس بقطع أراضى الطرقات والازقة حتى العطف والحارات الغير النافذة فاخذ ارباب الحوانيت والبيوت يعملون بانفسهم فى قطع الارض والحفر ونقل

الرجال والنساء والولدان وتفرقوا ايدى سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضا واصبحت بخارا خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيئا مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل وممن فعل ذلك واختار ان يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانهما لما رأيا ما يفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا وكذلك فعل القاضى صدر الدين خان ومن استسلم اخذ اسيرا والقوا النار فى البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب من طلب المال ثم رحلوا نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم وهم بمكانه بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من اهل بخارا اسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكل من اعيا وعجز عن المشى قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاسارى والاثقال وراءهم حتى تقدموا شيئا فشيئا ليكون ارعب لقلوب المسلمين فلما راى اهل البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثانى وصل الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن اهل البلدان الجميع عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية واما عامة البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان اهله واهل الجلد والقوة رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمى احد لما فى قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتاخرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينا فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال اولا فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم احد قتلوا عن آخرهم شهداء رضى الله عنهم وكانوا سبعين الفا على ما قيل فلما راى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتراكا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا أبواب البلد ولم يقدر العامة على منعهم وخرجوا الى الكفار باهلهم واموالهم فقال لهم الكفار ادفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مامنكم ففعلوا ذلك فلما اخذوا اسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم واخذوا اموالهم ودوابهم ونساءهم فلما كان اليوم الرابع نادوا فى البلدان يخرج اهله جميعهم ومن تاخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع اهل بخارا من النهب والقتل والسبى والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه واحرقوا الجامع وتركوا باقى البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع العذاب فى طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبى وكان ذلك فى المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير عشرين الفا فعادوا ايضا

(ذكر مسير التتر الى خوارزمشاه وانهزامه وموته)

لما ملك التتر سمرقند جهز جنكزخان لعنه الله عشرين ألف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانهم هم الذين اوغلوا في البلاد فلما امرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى فنج اب ومعناه خمس مياه فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم والقوا الخيل في الماء وامسكوا اذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه الا وقد صاروا معه على ارض واحدة وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبا وخوفا وقد اختلفوا فيما بينهم انهم كانوا يتماسكون بسبب ان نهر جيحون بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا أيدي سبا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزمشاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل أولئك التتر اليها وكانوا لا يتعرضون في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهي له أيضا فرحل التتر المغربون في اثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها فوصل الى مرسى من بحر طبرستان تعرف بآب سكون وله هناك قلعة في البحر فلما نزل هو وأصحابه في السفن وصلت التتر فلما راوا خوارزمشاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلما أيسوا من لحاق خوارزمشاه رجعوا فهم الذين قصدوا الري وما بعدها على ما نذكره ان شاء الله هكذا ذكر لي بعض الفقهاء ممن كان ببخارا وأسروه معهم الى سمرقند ثم نجا منهم ووصل الينا وذكر غيره من التجار ان خوارزمشاه سار من مازندران حتى وصل الى الري ثم منها الى همذان والتتر في اثره ففارق همذان في نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب في البحر الى هذه القلعة وكان هذا هو الصحيح فان الفقيه كان حينئذ مأسورا وهؤلاء التجار اخبروا انهم كانوا بهمذان ووصل خوارزمشاه ثم وصل بعده من اخبره بوصول التتر ففارق همذان وكذلك أيضا هؤلاء التجار فارقوها ووصل التتر اليها بعدهم ببعض نهار فهم يخبرون عن مشاهدة ولما وصل خوارزمشاه الى هذه القلعة المذكورة توفي فيها

(ذكر صفة خوارزمشاه وشيء من سيرته)

هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا تقريبا واتسع ملكه وعظم محله واطاعه العالم باسره ولم يملك بعد السلجوقية

أحد

أهل الدولة فلو كان هذا الاهتمام في قطع أرض الخليج الذي يجري به الماء فانه لم تقطع أرضه وينقطع جريانه في أيام قليلة لعلو أرضه من الطمي وبما يتهدم عليه من الدور القديمة وما يلقيه السكان فيه من الاتربة وزاد على ذلك بهذه الفعلة القاء ما يحفرونه وينقلونه من اتربة الازقة والبيوت القديمة القريبة منه فيه ليلا ونهارا (وفي ثامنه) ارتحل خليل باشا مسافرا الى الحجاز من القلزم وعساكره الخيالة على طريق البر (وفي يوم السبت ثالث عشره) نزلوا بكسوة الكعبة الى المشهد الحسيني على العادة (وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه) عمل الموكب لامير الحاج وهو حسين بك دالي باشا وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمائل ثم انتقل في يوم الاربعاء الى البركة وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشرينه وسافر الكثير من الحجاج وأكثر فلاحي القرى والصعايدة ومن باقي الاجناس مثل المغاربة والقرمان والاتراك انفار قليلة (وفي ذلك اليوم) وصل قابجي وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة وطلع الى القلعة في موكب وقرئ التقرير بحضرة الجمع وضربت مدافع كثيرة وكذلك

أحد مثل ملكه فانه ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وفعل بالخطا الافاعيل العظيمة وملك بلادهم وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه وكان صبورا على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لاهل الدين مقبلا عليهم متبركا بهم (حكى) لى بعض خدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وقد عاد من خراسان قال وصلت الى خوارزم فنزلت ودخلت الحمام ثم قصدت باب السلطان علاء الدين فحين حضرت لقينى انسان فقال ما حاجتك فقلت له انا من خدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فامرنى بالجلوس وانصرف عنى ثم عاد الى وأخذنى وادخلنى الى دار السلطان فتسلمنى منه حاجب من حجاب السلطان وقال لى قد اعلمت السلطان خبرك فامر باحضارك عنده فدخلت اليه وهو جالس فى صدر ايوان كبير فحين توسطت صحن الدار قام قائما ومشى الى بين يدى فاسرعت السير فلقيته فى وسط الايوان فاردت ان أقبل يده فمنعنى واعتنقنى وجلس وأجلسنى الى جانبه وقال لى أنت تخدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فقلت نعم فاخذ يدى وأمرها على وجهه وسالنى عن حالنا وعيشنا وصفة المدينة ومقدارها وأطال الحديث معى فلما خرجت من عنده قال لولا اننا على عزم السفر هذه الساعة لما ودعتك انما نريد ان نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث رأينا من خدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم ثم ودعنى وأرسل الى جملة كثيرة من النفقة ومضى وكان منه ومن الخطا ما ذكرناه وبالجملة فاجتمع فيه ما تفرق فى غيره من ملوك العالم رحمه الله ولو أردنا ذكر مناقبه لطال

(ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران)

لما ايس التتر المغربة من ادراك خوارزمشاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها فى أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل ممتنعة قديم الزمان وحديثه حتى ان المسلمين لما ملكوا بلاد الاكاسرة جميعها من العراق الى أقاصى خراسان بقيت أعمال مازندران يؤخذ منهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان ملكت أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهؤلاء الملاعين ملكوها صفوا عفوا الامر يريده الله تعالى ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الرى فرأوا فى الطريق والدة خوارزمشاه ونساءه وأموالهم وذخائرهم التى لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك ان والدة خوارزمشاه لما سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الرى لتصل الى اصفهان وهمذان وبلد الجبل تمتنع فيها فصادفوها فى الطريق فاخذوها وما معها قبل وصولها الى الرى فكان فيه ما ملأ

وصل قبله قابجى صحبته فرمان بشارة بولود ولد لحضرة السلطان فعمل له شنك ومدافع ثلاثة أيام فى الاوقات الخمسة وذلك فى منتصفه

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٣)

وانقضى والباشا منفعل الخاطر لتأخر الاخبار وطول الانتظار وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخارى بالازهر ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم واضيق صدره واشتغال فكره لا يستقر بمكان فيقيم بالقلعة قليلا ثم ينتقل الى قصر شبرا ثم الى قصر الآثار ثم الازبكية ثم الجيزة وهكذا

(واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣)

(فى سابعه) وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان اغا الوردانى أمير الينبع بان ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية فانسر الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والازبكية وانتشر المبشرون على بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش (وفى ثانى عشره) وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع وذلك قبل العصر فاكثروا من ضرب المدافع من كل جهة واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة الف مدفع وصادف ذلك تشريف أيام العيد وعند ذلك امر بعمل مهرجان

وزينة داخل المدينة ونجار بها وبولاق ومصر القديمة والجيزة وشنك على بحر النيل تجاه الترسخانه ببولاق من النجارين والخراطين والحدادين وتقيد لذلك امين افندي المعمار وشرعوا في العمل وحضر كشاف النواحي والاقاليم بعساكرهم واخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر وباب الفتوح وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه ونودي بالزينة واولها الاربعاء فشرع الناس في زينة الحوانيت والخانات وابواب الدور ووقود القناديل والسهر واظهر الفرح والملاعيب كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والكد في تحصيل اسباب المعاش وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار وكذا السمن فانه شح وجوده ولا يوجد منه الا القليل عند بعض الزياتين ولا يبيع الزيات زيادة عن الاوقية وكذلك اللحم لا يوجد منه الا ما كان في غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل وامتنع ايضا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة حتى الخبز امتنع وجوده بالاسواق ولما انهى الامر الى من لهم ولاية الامر فاخرجوا من شون الباشا مقدارا ليباع في الرقع وقد اكلها السوس ولا يباع منها ازيد من الكيلة اكثرها مسوس وكذلك لما شكا الناس من عدم ما يسرج به في القناديل اطلقوا

اسمه

عيونهم وقلوبهم ومالم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع ونفيس من الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكزخان بسمرقند

(ذكر وصول التتر الى الري وهمذان)

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الري في طلب خوارزمشاه محمد لانهم بلغهم انه مضى منهزما منهم نحو الري فجدوا السير في اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك ايضا من المفسدين ممن يريد النهب والشر فوصلوا الى الري على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا الاطفال وفعلوا الافعال التي لم يسمع بمثلها ولم يقيموا ومضوا مسرعين في طلب خوارزمشاه فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا في الجميع اضعاف ما فعلوا في الري واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والاطفال فلم يبقوا على شيء وعوا على حالهم الى همذان وكان خوارزمشاه قد وصل اليها في نفر من اصحابه ففارقها وكان آخر العهد به فلا يدري ما كان منه فيما حكاه بعضهم عنه وقيل غير ذلك وقد ذكرناه فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك يطلب الامان لاهل البلد فامنوهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ذلك ثم وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا في قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد في باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوا قزوين فعد القتلى من اهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل

(ذكر وصول التتر الى اذربيجان)

لما هجم الشتاء على التتر في همذان وبلد الجبل رأوا بردا شديدا وثلجا متراكما فساروا الى اذربيجان ففعلوا في طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلا ونهارا لا يفيق وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعي به كثيرة لاجل دوابهم فوصلوا الى موقان وتطرقوا في طريقهم الى بلاد الكرج فجاء اليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم وارسل الكرج الى اوزبك صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح والاتفاق معهم على دفع التتر فاصطلحوا واجتمعوا اذا انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جميعهم ان التتر يصبرون في الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركي من مماليك اوزبك

اسمه اقوش و جمع اهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وراسل التتر في الانضمام اليهم فاجابوه الى ذلك ومالوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا في مقدمة التتر الى الكرج فملكوا حصنا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وخربوها وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها اليهم فلقيهم اقوش اولا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كلهم فقتل من اصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم ايضا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم ما لا يحصى كثرة وكانت الوقعة في ذي القعدة من هذه السنة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا اشك ان من يجيء بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر انا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في ازماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدة مذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل ما دفعوا اليه الآن هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الري وبلاد الجبل واذربيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهر من بلادهم في اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط واقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن اعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزمشاه محمدا قد عدم لا يعرف حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان واخفي موته وتارة دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك واخفي موته لئلا يقصدها التتر في اثره وتارة يقال عاد الى طبرستان وركب البحر فتوفي في جزيرة هناك وبالجملة فقد عدم ثم صح موته ببحر طبرستان وهذا عظيم مثل خراسان وعراق العجم اصبح سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد على انهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها كل ما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا ويلقون فيه النار وكذلك غيره من الامتعة

﴿ذكر ملك التتر مراغة﴾

لان يأتين مقدارا من الشمع في كل يوم يباع في الناس لوقود الزينة وفي كل يوم يطوف المنادي ويكرر المناداة بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينة وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا وانقضى العام بحوادثه ومعظمه استمر (فيها) وهو اعظمها شدة الاذية والضيق وخصوصا بذوي البيوت والمساتير من الناس بسبب قطع ايرادهم وارزاقهم من الفائظ والجامكية السائرة والرزق الاحباسية وضبط الانوال التي تقدم ذكرها وكان يتعيش منها الوف من العالم ولما اشتد الضنك بالملتزمين وتكرر عرضحالهم قام لهم بصرف الثلث وتحول المصرفجي على بعض الجهات فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطالب بحوالة من لوازم عساكر السفر المجردين وانقضى العام واكثر الناس لم يحصل على شيء وذلك لكثرة المصاريف والارساليات من الذخائر والغلال والمؤن وخزائن المال من اصناف خصوص الريال الفرانسه والذهب البندقي والمحبوب الاسلامي بالاحمال وهي الاصناف الرائجة بتلك النواحي واما القروش فلا رواج لها الا بمصر وضواحيها فقط اخبرني احد اعيان كتاب الخزينة عن اجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة في مرة من المرات خمسة واربعين الف فرانسه وذلك من الينبع الى المدينة حسابا عن اجرة كل بعير ستة فرانسه يدفع نصفها امير الينبع والنصف

الاخير بدفعه امير المدينـة عند وصول ذلك ثم من المدينة الى الدرعية ما يبلغ المائة والاربعين الف فرانسـة

وهو شئ مستمر التـكرار
والبعوث ويحتاج الى كنوز
قارون وهامان واكسير جابر بن
حيان (ومنها) العمارة التى
امر بانشائها الباشا المشار اليه
بين السورين وحارة النصارى
المعـروفة بخميس العدس
المتوصـل منها الى جهـة
الخـرنفش وذلك باشارة
اكابر نصارى الافرنج ليجتمع
بها ارباب الصنائع الواصلون
من بلاد الافرنج وغيرهم وهى
عمارة عظيمة ابتدؤا فيها من
العام الماضى واستمروا مدة
فى صناعة الآلات الاصولية
التى يصطنع بها اللوازم مثل
السندالات والمخارط للحديد
والقواديم والمناشير والبرجات
ونحو ذلك وافردوا لكل حرفة
وصناعة مكانا وصناعا يحتوى
المكان على الانوال والدواليب
والآلات الغريبة الوضع
والتركيب لصـناعة
القطـن وانواع الحـرير
والاقمشة والمقصبات (وفى
اواخر هذا العام) جمعوا مشايخ
الحارات والزموهم بجمـع
اربعة آلاف غلام من اولاد
البلد ليشتغلوا تحت ايدى
الصناع ويتعلموا ويأخذوا اجرة
يومية ويرجعوا الاهاليهم
اواخر النهار وفيهم من يكون له
القرش والقرشان والثلاثة
بحسب الصناعة وما يناسبها،
وربما احتيج الى نحو العشرة آلاف غـلام بعـد اتمامها والمحتاج اليه فى هـذا الوقت

فى صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ملك التتر مدينة مراغـة من اذربيجان وسبب ذلك
انقذ كرنا سـنة سبـع عشرة وسـتمائة ما فعله التتر بالكرج وانقضت تلك السنة وهم
فى بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم
راوا ان بين أيديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصـداع فعدلوا عنهم وهذه
كانت عادتهـم اذا قصدوا مدينة ورأوا عنـدها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز
وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس
بها صاحب يمنعها الان صاحبها كانت امرأة وهى مقيمة بقلعة رويندز وقد قال النبى صلى
الله عليه وسـلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلما حصروها قاتلهم أهلها فنصبوا عليها
المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من اسارى
المسلمـين بين أيديهـم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوا فـكانوا يقاتلون كرها وهم
المساكين كما قيـل كالاشقر ان تقدم ينحر وان تاخر يعقر وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين
فيكون القتل فى المسلمين الاسارى وهـم بنجوة منـه فاقاموا عليها عدة أيام ثم ملـكوا
المدينة عنوة وقهرا رابـع صـفر ووضعوا السـيف فى أهلها فقتل منهـم ما يخرج عن
الحد والاحصاء ونهبوا كل ما صلح لهـم وما لا يصلح لهـم احرقوه واختفى بعض الناس منهم
فـكانوا يأخـذون الاسارى ويقولون لهـم نادوا فى الدروب ان التتر قد رحلوا فاذا نادى
أولئك خرج من اختفى فيؤخـذو يقتل (وبلغنى) ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت
جماعـة من أهلها وهم يظنونها رجـلا فوضعت السـلاح واذا هى امرأة فقتلها رجل
أخذته أسـيرا (وسمعت) من بعض اهلها ان رجلا من التتر دخل دربا فيـه مائة رجل
فـما زال يقتلهم واحدا واحدا حتى أفناهم ولم يمد أحد يده اليه بسـوء ووضعت الذلة على
الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليـلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخـذلان ثم رحلوا عنها
نحو مدينة اربل ووصـل الخـبر الينا بذلك بالموصـل ففخفنا حتى ان بعض الناس هم
بالجـلاء خوفا من السـيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين
صاحب الموصـل يطلب منـه نجدة من العساكر فسير جماعة صالحة من عسكره واراد ان
يمضى الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يجوزها أحد فانها جميعا جبال
وعرة ومضايق لا يقدر أن يجوزها الا الفارس بعـد الفارس ويمنعهـم من الجواز اليه
ووصلت كتب الخليفة ورسـله الى الموصل والى مظفر الدين يامر الجميع بالاجتماع
مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهـم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها
الى هذه الناحيـة ويطرقون العراق فسار مظفر الدين من اربل فى صـفر وسار اليهم
جمع من عسـكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وارسل الخليفة أيضا الى الملك
الاشرف يامره بالحضور بنفسه فى عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق
ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصـل من دمشق الى أخيـه الاشرف وهو بحران
يستنجده عـلى الفرنج الذين بمصر وطلب منـه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهـم الى مصر
ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة باخيه وقوة الفرنج وان لم يتداركها

خرجت

خرجت هي وغيرها وشرع يتجهز للمسير الى الشام ليدخل مصر وكان ماذكرناه من استنقاذ دمياط فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو أكبر امير بالعراق ومعه غيره من الامراء في نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هناك ليتصل بهم باقي عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما راى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر (وحكى مظفر الدين) قال لما أرسل الى الخليفة في معنى قصد التتر قلت له ان العدو قوي وليس لي من العسكر ما القاه به فان اجتمع معي عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد فامرني بالمسير وواعدني بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشي فاقمت وما رأيت المخاطرة بنفسي و بالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا أحدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامي عند دقوقا فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد ياتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

(ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها)

لما تفرق العسكر الاسلامي عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة يحكم فيها فارسلوا اليه يامرونه ان يطلب من أهلها مالا وثيابا وكانوا قد استنفدوا أموالها في طول المدة وكان رئيس همذان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذي يسعى في أمور أهل البلد مع التتر و يوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم يجد اهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام في اجتماع الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد افنوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمذان شحنة لهم يحكم في اهلها بما يختار فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الا مصانعتهم بالاموال فقالوا له انت اشد علينا من الكفار واغلظوا له في القول فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فاشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا في البلد فتقدم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذرة في تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل اهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر احد على الطعام الا قليلا واما التتر فلا يبالون لعدم الاقوات لانهم لا ياكلون الا اللحم ولا تاكل دوابهم الا نبات الارض حتى انها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتاكلها فلما حصروا همذان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه في اوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا اشد من القتال الاول وقتل ايضا من التتر اكثر من اليوم الاول وجرح الفقيه ايضا عدة جراحات وهو صابر وارادوا ايضا الخروج في اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس

القدر المذكور وهي كرخانه عظيمة صرف عليها مقادير عظيمة من الاموال (ومنها) انه ظهر باراضي الارز بالبحر الشرقي ناحية دمياط حيوان يخرج من البحر الشرقي في قدر الجاموس العظيم ولونه فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقاياه كثره وكان ظهوره من العام الماضي فيجتمع عليه الكثير من اهل الناحية ويرجمونه بالحجارة ويضربون عليه ببنادق الرصاص فلا تؤثر في جلده ويهرب الى البحر واتفق انه ابتلع رجلا الى ان اصيب في عينه وسقط وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا جلده وحشوه تبنا واتوا به الى بولاق وتفرج عليه الباشا والناس واخبرني غير واحد ممن رآه انه اعظم من الجاموس الكبير طوله ثلاثة عشر قدما ولونه لونه وجلده املس وراسه عظيم يشبه راس ابن عرس وعيناه في اعلى دماغه واسع الفم وذنبه مثل ذنب السمك وارجله غلاظ مثل ارجل الفيل في اواخرها اربع ظلوف طوال واسفلها كخف الجمل وادخلوه الى بيت الافرنج وانعم به الباشا على بغوص الترجمان الارمني وهو يبيعه على الافرنج بثمن كبير (ومنها) ان امراة يقال لها الشيخة رقية تتزر بئزر ابيض وبيدها خيزرانة وسبحة تطوف على بيوت الاعيان وتقرا وتصلي وتذكر على السبحة ونساء الاكابر يعتقدن فيها الصلاح ويسالن منها الدعاء وكذلك

العلوي فلم يجدوه وكان قد هرب في سرب صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة هناك على جبل عال فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون الا انهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فاقاموا في البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا احدا خرج اليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف اهله فقصدوهم وقاتلوهم في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب فبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصيه الا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فافنوهم قتلا ولم يسلم الا من كان عمل له نفقا يختفي فيه وبقي القتل في المسلمين عدة ايام ثم القوا النار في البلد فاحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل وقيل كان السبب في ملكها ان اهل البلد لما شكوا الى الرئيس الشريف ما يفعل بهم الكفار اشار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرا مع امير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهي اليه ما هم عليه من الخوف والذل وما يركبهم به العدو من الصغار والخزي ويطلب نجدة ولو الف فارس مع امير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلما سار القصاد بالكتب ارسل بعض من علم بالحال الى التتر يعلمهم ذلك فارسلوا الى الطريق فاخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوا الى الرئيس ينكرون عليه الحال فجحد فارسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط في ايديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى في القتال كما ذكرنا

(ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردويل وغيرها)

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها واكثروا وخربوا اكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بامرها شمس الدين الطغرائي وجمع كلمة اهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرا متخلفا لا يزال منهمكا في الخمر ليلا ونهارا يبقى الشهر والشهرين لا يظهر واذا سمع هيعة طار مجفلا لها وله جميع اذربيجان واران وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريدها او يقصدها فلما سمع بمسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسير اهله ونساءه الى خوى ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائي بامر البلد وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قارب التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة واصلحوا أسوارها وخندقها ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فاخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل ما مروا به من البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من أهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فارسلوا اليهم رسولا من اكابرهم ومقدميهم فقتله اهل

البلد

الرجال حتى بعض الفقهاء وتجمع على الشيخ العالم المعتقد الشيخ ثعيلب الضرير ويكثر من مدحها للناس فيزدادون فيها اعتقادا ولها بمنزل خليل بك طوقان النابلسي مكان مفرد تأوي اليه على حدتها واذا دخلت بيتا من البيوت قام اليها الخدم واستقبلوها بقولهم نهارنا سعيد ومبارك ونحو ذلك واذا دخلت على الستات قمن اليها وفرحن بقدومها وقبلن يدها وتبيت معهن ومع الجواري فذهبت يوما الى دار الشيخ عبد العليم الفيومي وذلك في شهر شوال فمرضت اياما وماتت فجهزوا وتاسفوا عليها وارادوا تغيير ما عليها من الثياب فرأوا شيئا بجر ما بين افخاذها فظنوه صرة دراهم واذا هو آلة الرجال الخصيتان والذي فوقهما فبهت النساء وتعجبن وأخبروا الشيخ ثعيلب بذلك فقال استروا هذا الامر وغسلوه وكفنوه وواروه في التراب ووجدوا في جيبه مرآة وموسى وملقاطا وشاع امره واشتهر وتناقله الناس بالتحدث والتعجب (ومنها) زيادة النيل في هذا العام الزيادة المفرطة التي لم تسمع ولم ير مثلها حتى غرق الزروع الصيفية مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب والارز وأكثر الجناين بحيث صار البحر وساحله والملق لجة ماء وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق الكثير من الناس والحيوان حتى كان الماء يباع بين الناس

البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امراة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالمراة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد احد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها استقصوا ما حولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي ام بلاد اران فعلموا بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فارسلوا الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

❁(ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج)❁

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضه بالملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد الكرج من هذه الاعمال ايضا وكان الكرج قد أعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشا كثيرا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فاخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد ولقد بلغني انهم قتل منهم نحو ثلاثين ألفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جموعا اخرى وسيرهم الى التتر ايضا ليمنعوهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فاخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما ارادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها وداخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولا انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا أو أسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصدقوا فان القوم لا يفرون أبدا ولقد أخذنا اسيرا منهم فالقى نفسه من الدابة وضرب راسه بالحجر الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

❁(ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه)❁

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وقاتلوا اهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم ومن قتل من غيرهم والقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فاشرفوا على المدينة وقاتلوا أهلها فصبروا واشتد القتال ثلاثة أيام فاشرفوا على ان يؤخذوا فقالوا السيف لا بد منه فالصبر أولى بنا نموت كراما فصبروا تلك الليلة فانتنت تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه أرادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولا

من وسط الدور واختلط بحر الجيزة ببحر مصر العتيقة حتى كانت المراكب عشي فوق جزيرة الروضة وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع وخصوصا الذرة الذى هو معظم قوتهم وكثير من اهل البلاد ندبوا بالدفوف (ومنها) ان الباشا زاد فى هذه السنة الخراج وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية وذكر انها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج فدهى الفلاحون بها تين الداهيتين وهى زيادة النيل وزيادة الخراج فى غير وقت واوان فان من عادة الفلاحين واهل القرى اذا انقضت ايام الحصاد والدراوى وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم ويكون ذلك فى مبادى زيادة النيل وارتفع عنهم الطلب وارتحلت كشاف النواحى وقائمقام الملتزمين والصيارف والمعينون وخلت النواحى منهم فعند ذلك ترتاح نفوسهم وتجتمع حواسهم ويعملون اعراسهم ويجددون ملبوسهم ويزوجون بناتهم ويختنون صبيانهم ويشيدون بنيانهم ويصلحون جسورهم وحبوسهم فاذا اخذ النيل فى الزيادة شرعوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسبهم حتى اذا انحسر الماء وانكشفت الاراضى وآن اوان التخضير وزراعة الشتوى من البرسيم والغلة وجدوا ما يسدون به مال التجهية وما يرقعون به احوالهم

الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا يسعى بينهم فى الصلح فارسل عشرة رجال من اعيان أصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه ثم قالوا للباقين ان أنتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامان وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو اسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوه وراء ظهورهم

(ذكر مافعلوه باللان وقفجاق)

لما عبرا التتر دربند شروان ساروا فى تلك الاعمال وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم أمم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فارسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وأنتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم اننا لا نعترض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ماشئتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فاوقع التتر باللان فقتلوا منهم وأكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فاوقعوا بهم الاول فالاول وأخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير قتال وأبعدوا بعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد الروس وأقام التتر فى بلاد قفجاق وهى أرض كثيرة المراعى فى الشتاء والصيف وفيها اماكن باردة فى الصيف كثيرة المرعى وأماكن حارة فى الشتاء كثيرة المرعى وهى غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهى مدينة قفجاق التى منها مادتهم فانها على بحر خزرية والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجوارى والمماليك والبرطاسى والقندر والسنجاب وغير ذلك مما هو فى بلادهم وبحر خزرية هذا بحر متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر الى سوداق ملكوها وتفرق أهلها منها فبعضهم صعد الجبال باهله وماله وبعضهم ركب البحر وسار الى بلاد الروم التى بيد المسلمين من اولاد قلج أرسلان

(ذكر مافعله التتر بقفجاق والروس)

لما استولى التتر على أرض قفجاق وتفرق اهل قفجاق كما ذكرنا سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهى بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم واهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتران قصدوهم واقام التتر بارض قفجاق مدة ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا

الى

من بهائم الحرث ومحاريث ١٧٨ وتقاوى واجر عمال ونحو ذلك فذهبوا هذه السنة ببهاتين الا ٢ فتين الارضية والسماوية ورحل الكثير عن اهله ووطنه وكان ابتداء طلب هذه الزيادة قبل زيادة النيل ومجىء خبر النصرة فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك (ومنها) الاضطراب فى المعاملة بالزيادة والنقص والمناداة عليها كل قليل والتنكيل والترك وبلغ صرف البندقى ثمانمائة وثمانين نصفا فضة والفرانسه اربعمائة نصف وعشرة والمحبوب اربعمائة واربعين وهو المصرى وأما الاسلامبولى فيزيد اربعين والمجر ثمانمائة نصف واما هذه الانصاف وهى الفضة العددية فهى اسماء من غير مسميات لمنعها واحتكارها فلا يوجد منها فى المعاملة بايدى الناس الا النادر جدا ولا يوجد بالايدى فى محقرات الاشياء وغيرها الا المجزأ بالخمسة والعشرة والعشرين وتصرف من اليهود والصيارف بالفرط والنقص ومن حصل بيده شىء من الانصاف عض عليه بالنواجذ ولا يسمح باخراج شىء منها الا عند شدة الاضطرار اللازم (ومنها) ان السيد محمد المحروقى انشا بركة الرطلى دارا وبستانا فى محل الاماكن التى تخربت فى الحوادث وذلك انه لما طرقت الفرنساوية الديار المصرية واختل النظام وجلا كثير الناس عن اوطانهم وخصوصا سكان

الى بلادهم ليمنعوهم عنها فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على اعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا انهم عادوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا فى اتباعهم ولم يزل التتر راجعين واولئك يقفون اثرهم اثنى عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم لانهم كانوا قد امنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع بمثله ودام القتال بينهم عدة ايام ثم ان التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ان اثخن فيهم التتر وكثر القتل فى المنهزمين فلم يسلم منهم الا القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على اقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا اكثرها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد الاسلام فى عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذى يريدونه انكسر مركب من مراكبهم فغرق الا ان الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذى ينكسر فاخذ من ذلك شيئا كثيرا وسلم باقى المراكب واخبر من بها بهذه الحال

(ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق الى ملكهم)

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار اواخر سنة عشرين وستمائة فلما سمع أهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم فى عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجروهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم فبقوا فى الوسط وأخذهم السيف من كل ناحية فقتل اكثرهم ولم ينج منهم الا القليل قيل كانوا نحو اربعة آلاف رجل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم منهم الى بلادهم وكان الطريق منقطعا مذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئ من البرطاسى والسنجاب والقندز وغيرها مما يحمل من تلك البلاد فلما فارقوها عادوا الى بلادهم واتصلت الطريق وحملت الامتعة

كما كانت هذا اخبار التتر المغربة قد ذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

(ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارا وسمرقند)

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التى سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزمشاه واما جنكزخان فانه بعد ان سير هذه الطائفة الى خوارزمشاه وبعد انهزام خوارزمشاه من خراسان قسم اصحابه عدة اقسام فسير قسما منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسير قسما آخر منها الى ترمذ وسير قسما منها الى كلانة وهى قلعة حصينة على جانب جيحون من احصن القلاع وامنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التى أمرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبى والنهب والتخريب وأنواع الفساد مثل ما فعل اصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهز جيشا عظيما مع احد أولاده وسيره الى خوارزم وسير جيشا آخر

الاطراف فبقيت دور البركة خالية من السكان وكان بها عدة من الديار الجليلة منها دار حسن كتخدا الشعراوى وتابعه عمر جاويش وداره على عمته ايضا ودار على كتخدا الخربطلى ودار قاضى البهار ودار سليمان اغا ودار الحموى وخلاف ذلك دور كانت جارية فى وقف عثمان كتخدا القازدغلى وغيره وهذه الدور هى التى ادركناها بل وسكناها عدة سنين وكانت فى الزمن الاول عدة دور مختصرة يسكنها اهل الرفاهية من اهالى البلد وكان بها بيت البكرية القديم بالناحية الجنوبية تجاه زاوية جدهم الشيخ جلال الدين البكرى وكان الناس يرغبون فى سكناها لطيب هوائها وانكشاف الريح البحرى بها وليس فى تجاهها من البر الآخر سوى الاشجار والمزارع ويعبرها المراكب والسفائن والقنج فى ايام النيل بالمتفرجين والمتنزهين واهل الخلاعة بمزامرهم ومغانيهم واصدى اصواتهم المطربة طرب آخر فلما انقشع عنها السكان تداعت الدور الى الخراب وبقيت مسكنا للبوم والغراب مدة اقامة الفرنساوية فلما حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الاولى وذلك سنة اربع عشرة ومائتين والف وانتقض الصلح بينه وبين الفرنساوية وحصلت المفاقمة ووقعت الحروب داخل البلدة واحتاطت الفرنساوية بجهات البلد وجرى ما تقدم ذكره فى الحوادث السابقة وكان طائفة من

فعبروا جيحون الى خراسان

(ذكر ملك التتر خراسان)

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب اهلها الامان فامنوهم فسلم البلد سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى اهلها بسوء ولا أذى سوى انهم كانوا ياخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهى ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصور كوه لاترام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلا ونهارا ولا يظفرون منها بشئ فارسلوا الى جنكزخان يعرفونه بعجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فامرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه وأقام عليها أربعة اشهر اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك أمر ان يجمع له من الحطب والاخشاب ما أمكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب فلم يزالوا كذلك حتى صار تلا عاليا يوازى القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب واما الرجالة فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان جمع أهل البلاد التى أعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض أولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين مايزيد على مائتى ألف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلاء عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون وأما التتر فلا يعرفون الهزيمة حتى ان بعضهم أسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون فصدقوا وان قيل انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل التتر منهم واسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت اموالهم وسلاحهم ودوابهم وأرسل التتر الى ماحولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلما اجتمع لهم ما أرادوا تقدموا الى مرو وحصروها وجدوا فى حصرها ولازموا القتال وكان اهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم ارسل التتر الى الامير الذى بها متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك واهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك امير هذه البلدة ونرحل عنك فارسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فامنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على اصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه واعطيناه أقطاعا ويكون معنا فلما

حضروا

هذه البركة وما حولها التل المعروف بتل ابو الريش واخذوا يرمون بالمدافع الفرنساويه تو الى ناحية والقناطر على اهل باب الشعرية وتلك النواحى فما انجلت الحروب حتى خربت بيوت البركة وما كان بتلك النواحى من الدور التى بظاهرها وبقيت كيمانا فحسن ببال السيد المذكور ان يجعل له سكنا هناك فاحتكر اراضى تلك الاماكن من اربابها من مدة سابقة ثم تكاسل عن ذلك واشتغل بتوسعة داره سكنه التى بخطة الفحامين محل دكة الحسبة القديمة حتى اتمها على الوضع الذى قصده ثم شرع فى السنة الماضية فى انشاء سكن لخصوص نزاهته فشرع فى تنظيف الاتربة واصلاح الارض وانشا دارا متسعة وقيعانا وفسحات وهى مفروشة بالرخام وحولها بستان وغرس به انواع الاشجار ودوالى الكروم وهى بمكان حسن كمتنزه وما كان على عمته من الدور نحو الثلاثين وانشا كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمة لخصوصه اخذ فيها باقى اراضى الاماكن وزخرفها وانتقل اليها باهله وعياله وجعلها دار سكناه صيفا وشتاء وبنيا خارج ظاهرها حائطا يكون لدورهما سورا وعملا بها بوابة تفتح وتقفل وكان بجوار ذلك جامع متخرب يسمى جامع الحريشى فعمره ايضا السيد محمد المحروقى

وأقام حوائطه واعمدته وسقفه وبيضه واقام الخطبة آخر جمعة في شهر المحرم

حضر واعنده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال لهم اكتبوالي تجار البلد ورؤساءه وارباب الاموال في جريدة واكتبوا الي ارباب الصناعات والحرف في نسخة أخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما امرهم فلما وقف على النسخ امران يخرج اهل البلد منه باهليهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه احد فجلس على كرسي من ذهب وامران يحضروا اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فاحضروا وضربت رقابهم صبرا والناس ينظرون اليهم و يبكون واما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضربوهم وعذبوهم بانواع العقوبات في طلب الاموال فربما مات احدهم من شدة الضرب ولم يكن بقي له ما يفتدي به نفسه ثم انهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين وأمر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة الف قتيل فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم ثم ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة أيام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامي فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة وأخرجوا اهلها الى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو واقاموا خمسة عشر يوما يخربون و يفتشون المنازل عن الاموال وكانوا لما قتلوا اهل مرو قيل لهم ان قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا الى بلاد الاسلام فامروا باهل نيسابور ان تقطع رؤسهم لئلا يسلم من القتل احد فلما فرغوا من ذلك سيروا طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضا وخربوها وخربوا المشهد الذي فيه علي بن موسى الرضى والرشيد حتى جعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة وهي من أحصن البلاد فحصروها عشرة أيام فملكوها وأمنوا أهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عند من سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين بن خوارزمشاه فقاتلهم وهزمهم على ما نذكره ان شاء الله فوثب أهل هراة على الشحنة فقتلوه فلما عاد المنهزمون اليهم دخلوا البلد قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيه ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى جميع بلاد خراسان ففعلوا بها كذلك ولم يسلم من شرهم وفسادهم شيء من البلاد وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة

(ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها)

واما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت اكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير واهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم أشد قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة اشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا أكثر لان المسلمين

(واما من مات في هذه السنة) ممن له ذكر (فمات) شيخ الاسلام وعمدة الانام الفقيه العلامة والنحرير الفهامة الشيخ محمد الشنواني نسبة الى شنوان الغرف الشافعي الازهري شيخ الجامع الازهر من اهل الطبقة الثانية الفقيه النحوي المعقولي حضر الاشياخ اجلهم الشيخ فارس وكالصعيدي والدردير والفرماوي وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج واقرأ الدروس وافاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهاني بالقرب من دار سكناه بخشقدم مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل احد من الناس ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه و يكنس الجامع ويسرج القناديل ولما توفي الشيخ عبد الله الشرقاوي اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب الى مصر العتيقة بعد ما جرى ما تقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد المهدي فاحضروه قهرا عنه وتلبس بالمشيخة مع ملازمته لجامع الفاكهاني كعادته وأقبلت عليه الدنيا فلم يتهنا بها واعترته الامراض وتعلل بالزحير اشهرا ثم عوفي ثم باخرة بالبرودة وانقطع بالدار كذلك اشهرا ولم يزل منقطعا حتى توفي يوم الاربعاء رابع عشري المحرم وصلى عليه الازهر في مشهد عظيم ودفن بتربة المجاورين وله تآليف منها حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام

كان يحميهم السور فاوصل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فامدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع اهل البلد وقاتلوهم فى طرف الموضع الذى ملكوه فلم يقدروا على اخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون فى المحلة التى تليها فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ونهبوا كل ما فيه ثم انهم فتحوا السكر الذى يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقى موضعه ماء ولم يسلم من اهله احد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض اهله منهم من يختفى ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقى نفسه بين القتلى فينجو واما اهل خوارزم فمن اختفى من التتر غرقه الماء او قتله الهدم فاصبحت خرابا يبابا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وهذا لم يسمع بمثله فى قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام واهله فكم من قتيل من اهل خراسان وغيرها الا القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرا مضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

(ذكر ملك التتر غزنة وبلاد الغور)

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزمشاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من سلم من عسكر ابيه قيل كانوا ستين ألفا فلما وصلوا الى أعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع ابن خوارزمشاه الى موضع يقال له بلق فالتقوا هناك واقتتلوا قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة ايام ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا بالوالى الذى عندهم للتتر فقتلوه فسير اليهم جنكزخان عسكرا فملكوا البلد وخربوه كما ذكرناه فلما انهزم التتر أرسل جلال الدين رسولا الى جنكزخان يقول له فى اى موضع تريد يكون الحرب حتى نأتى اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا اكثر من الاول مع بعض أولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامى اليهم وتصافوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم الكفار ثانيا فقتل كثير منهم وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من أسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة لاجل الغنيمة وسبب ذلك ان أميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق أصله من الاتراك الخلج كان شجاعا مقداما ذا رأى فى الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا فقد تقدمتم منهم رعبا وهو الذى كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين ايضا امير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزمشاه

الطلبة وكان يجيد حفظ القرآن ويقرأ مع فقهاء الجوقة فى الليالى (وتقلد) على الجوهرة مشهورة بايدى المشيخة بعده الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ احمد العروسى من غير منازع وباجماع اهل الوقت ولبس الخلع من بيوت الاعيان مثل البكرى والسادات وباقى اصحاب المظاهر ومن يحب المظاهر (ومات) العمدة الشيخ محمد بن احمد بن محمد المعروف هو بالدواخلى الشافعى ويقال له السيد محمد لان اباه تزوج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البردينى فولدله المترجم منها ومنها جاءه الشرف وهم من محلة الداخل بالغربية وولد المترجم بمصر وتربى فى حجر ابيه وحفظ القرآن واجتهد فى طلب العلم وحضر الاشياخ من اهل وقته كالشيخ محمد عرفة الدسوقى والشيخ مصطفى الصاوى وخلافهم من اشياخ هذا العصر ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى فى فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية وانتسب له وصار من اخص تلامذته ولما مات السيد مصطفى الدمنهورى الذى كان بمنزلة كتخداه اقام مقامه واشتهر به واقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وحف به الطلبة وتداخل فى قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس واشتهر ذكره وخصوصا ايام الفرنساوية حين تقلد مشيخة رئاسة ديوانهم

نسب

نسب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران في الغنيمة فاقتتلوا فقتل بينهم اخ ابغراق فقال بغراق انا اهزم الكفار و يقتل اخي لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون الفا كلهم يريدونه فاستعطفه جلال الدين بكل طريق وسار بنفسه اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى و بكى بين يديه فلم ير جع وسار مفارقا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر ان جنكزخان قد وصل في جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل من فارقهم من العسكر ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقص أثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى أدركه جنكزخان في التتر فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا في ذلك كالاشقر ان تأخر ينحر وان تقدم يعقر فتصافوا واقتتلوا أشد قتال اعترفوا كلهم ان كل ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فقتل الامير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل في الكفار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفار عنهم فابعدوا ونزلوا فلما رأى المسلمون انهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا بمن قتل منهم وجرح ولم يعلموا بما اصاب الكفار من ذلك فارسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون ليقضي الله امرا كان مفعولا فلما كان الغد عاد الكفار الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الماء الى جهة الهند و بعدهم فلما وصلوا اليها ملكوها لوقتها لخلوها من العساكر والحامي فقتلوا أهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبق احد وخربوها واحرقوها وفعلوا بسوادها كذلك ونهبوا وقتلوا واحرقوا فاصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس

(ذكر تسليم الاشرف خلاط الى اخيه شهاب الدين غازي)

أواخر هذه السنة اقطع الملك الاشرف موسى بن العادل مدينة خلاط وجميع الاعمال ارمينية ومدينة ميافارقين من ديار بكر ومدينة حاني اخاه شهاب الدين غازي بن العادل واخذ منه مدينة الرها ومدينة سروج من بلاد الجزيرة وسيره الى خلاط اول سنة ثمان عشرة وستمائة وسبب ذلك ان الكرج لما قصد التتر بلادهم وهزموهم ونهبوها وقتلوا كثيرا من اهلها ارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان واران يطلبون منه المهادنة والموافقة على دفع التتر وارسلوا الى الملك الاشرف في هذا المعنى وقالوا للجميع ان لم توافقونا على قتال هؤلاء القوم ودفعهم عن بلادنا وتحضروا بنفوسكم وعساكركم لهذا المهم والا صالحناهم عليكم فوصلت رسلهم الى الاشرف وهو يتجهز الى الديار المصرية لاجل الفرنج وكانوا عندهم اهم الوجوه لاسباب أولها ان الفرنج كانوا قد ملكوا دمياط وقد اشرفت الديار المصرية على ان تملك فلو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيره معهم ملك لاحد وثانيها ان الفرنج اشد شكيمة وطالبو ملك فاذا ملكوا قرية لا يفارقونها الا بعد أن يعجزوا عن حفظها يوما واحدا وثالثها ان الفرنج

وانتفع في أيامهم انتفاعا عظيما من تصديه لقضايا نساء الامراء المصرية وغيرهم ومات والده فاحرز ميراثه وكذلك لما قتل عبد الله الحاج مصطفى البشتيلي في المحاربة ببولاق لا عن وارث فاستولى على تعلقاته واطيانه وبستانه التي ببشتيل واتسع حاله واشترى العبيد والجواري والخدم ولما ارتحل الفرنساوية ودخلها العثمانيون انضوى الى السيد احمد المحروقي لانه كان يراسله سرا بالاخبار حين خرج مع العثمانيين في الكسرة الى الشام فلما رجع فراعاه وراشاه ونوه بذكره عند اهل الدولة وفي ايام الامراء المصريين حين رجعوا الى مصر بعد قتل طاهر باشا في سنة ثمان عشرة واحتوى على رزق واطيان وحصص التزام ولبس الفراوي بالاقبية وركب البغال واحدق به الاشياخ والاتباع وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ولا يقنع بالكثير ولما وقع ما وقع في ولاية محمد علي باشا وانفرد السيد عمر افندي في الرياسة وصار بيده مقاليد الامور ازداد به الحسد فكان هو من اكبر الساعين عليه مع المهدي وباقي الاشياخ حتى اوقعوا به واخرجه الباشا من مصر كما تقدم فعند ذلك صفا لهم الوقت وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا وركب الخيول ولبس التاج الكبير ومشت امامه الجاويشية والمقدمون وارباب الخدم وازدحم بيته

قد طمعوا فى كرسى مملكة البيت العادلى وهى مصر والشام لم يصلوا اليها ولم يجاوزوا شيئا من بلادهم ويئسوا ايضا من يريد المنازعة فى الملك وما غرضهم الا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من بلد الى آخر فلما اتاه رسل الكرج بما ذكرناه اجابهم يعتذر بالمسير الى مصر لدفع الفرنج ويقول لهم اننى قد اقطعت ولاية خلاط لاخى وسيرته اليها ليكون بالقرب منكم وتركت عنده العساكر فمتى احتجتم الى نصرته حضر لدفع التتر وسار هو الى مصر كما ذكرناه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك بدر الدين قلعة تل اعفر وفيها فى جمادى الاولى ملك الاشرف مدينة سنجار وفيها ايضا وصل الموصل واقام بظاهرها ثم سار يريد اربل لقصد صاحبها فترددت الرسل بينهم فى الصلح فاصطلحوا فى شعبان وقد تقدم هذا جميعه مفصلا سنة خمس عشرة وستمائة وفيها وصل التتر الى الرى فملكوها وقتلوا كل من فيها ونهبوها وساروا عنها فوصلوا الى همذان فلقيهم رئيسها بالطاعة والحمل فابقوا على اهلها وساروا الى اذربيجان فخربوا وحرقوا البلاد وقتلوا وسبوا وعملوا ما لم يسمع بمثله وقد تقدم ايضا مفصلا وفيها توفى نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الذى كان وزير الخليفة وصلى عليه بجامع القصر وحضر دار باب الدولة ودفن بالمشهد وفيها توفى صدر الدين ابو الحسن محمد بن عمر بن حمويه الجوينى شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان موته بالموصل وردها رسولا وكان فقيها فاضلا وصوفيا صالحا من بيت كبير من خراسان رحمه الله كان نعم الرجل وفيها عاد جمع بنى معروف الى مواضعهم من البطيحة وكانوا قد ساروا الى الاحسا والقطيف فلم يمكنهم المقام لكثرة اعدائهم فقصدوا شحنة البصرة وطلبوا منه ان يكاتب الديوان ببغداد بالرضا عنهم فكتب معهم بذلك وسيرهم مع اصحابه الى بغداد فلما قاربوا واسط لقيهم قاصد من الديوان بقتلهم فقتلوا

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة قتادة امير مكة وملك ابنه الحسن وقتل امير الحاج)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى قتادة بن ادريس العلوى ثم الحسينى امير مكة حرسها الله وكان عمره نحو سبعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وله قلعة ينبع بنواحى المدينة وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافه العرب فى تلك البلاد خوفا عظيما وكان فى اول ملكه لما ملك مكة حرسها الله حسن السيرة ازال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد واحسن الى الحجاج واكرمهم وبقى كذلك مدة ثم انه بعد ذلك اساء السيرة وجدد المكوس بمكة وفعل افعالا شنيعة ونهب الحاج فى بعض السنين كما ذكرناه ولما مات ملك بعده ابنه الحسن وكان له ابن آخر اسمه راجح مقيم فى العرب بظاهر مكة يفسد وينازع اخاه فى ملكه فلما سار حاج العراق كان الامير عليهم مملوكا من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه اقباش

وكان

باب الدعاوى والشكاوى وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين وادخل فيها دورا وانشأ تجاهها مسجدا لطيفا وجعل فيه منبرا وخطبة وعمر دارا ببركة جناق واسكنها احدى زوجاته وداخله الغرور وظن ان الوقت قد صفا له فاول ما ابتدأه به الدهر من نكباته أن مات ولده احمد وكان قد ناهز البلوغ ولم يكن له من الاولاد الذكور غيره فوجد عليه وجدا شديدا حتى كان يتكلم بكلام تنقمه الناس عليه وعمل له مأتما ودفنه بمسجده تجاه بيته وعمل عليه مقاما ومقصورة مثل المقامات التى تقصد للزيارة وكان موته فى منتصف سنة تسع وعشرين ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا فى اواخر شهر شعبان من السنة المذكورة والمترجم اذ ذاك من اعيان الرؤساء يطلع وينزل فى كل ليلة الى القلعة ويشار اليه ويحل ويعقد فى قضايا الناس ويسترسل معه الباشا كما تقدم ذكر ذلك وداخله الغرور الزائد ولقد تطاول على كبار الكتبة الاقباط وغيرهم ويراجع الباشا فى مطالبه بعد انقضاء الفتنة الى ان ضاق صدر الباشا منه وأمر باخراجه ونفيه الى دسوق وذلك فى سنة احدى وثلاثين فاقام بها اشهرا ثم توجه بشفاعة السيد المحروقى الى المحلة الكبرى فلم يزل بها متقلق

وكان حسن السيرة مع الحاج في الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتادة وبذل له
وللخليفة ما لا يستاعده على ملك مكة فاجابه الى ذلك ووصلوا الى مكة ونزلوا بالزاهر
وتقدم الى مكة مقاتلا لصاحبها حسن وكان حسن قد جمع جموعا كثيرة من العرب
وغيرها فخرج اليه من مكة وقاتله وتقدم امير الحاج من بين يدي عسكره منفردا
وصعد الجبل ادلالا بنفسه وانه لا يقدم احد عليه فاحاط به اصحاب حسن وقتلوه
وعلقوا رأسه فانهزم عسكر امير المؤمنين واحاط اصحاب حسن بالحاج اينهبوهم فارسل
اليهم حسن عمامته امانا للحجاج فعاد اصحابه ولم ينهبوا منهم شيئا وسكن الناس واذن لهم
حسن في دخول مكة وفعل ما يريدونه من الحج والبيع وغير ذلك واقاموا بمكة عشرة
ايام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين وعظم الامر على الخليفة فوصلت رسل حسن
يعتذرون ويطلبون العفو عنه فاجيب الى ذلك وقيل في موت قتادة ان ابنه حسنا
خنقه فمات وسبب ذلك ان قتادة جمع جموعا كثيرة وسار عن مكة يريد المدينة فنزل
بوادي الفرع وهو مريض وسير اخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة فلما ابعدوا
بلغ الحسن ان عمه قال لبعض الجند ان اخي مريض وهو ميت لا محالة وطلب منهم ان
يحلفوا له ليكون هو الامير بعد أخيه قتادة فحضر الحسن عند عمه واجتمع اليه كثير
من الاجناد والمماليك الذين لابيه فقال الحسن لعمه قد فعلت كذا وكذا فقال لم افعل
فامر حسن الحاضرين بقتله فلم يفعلوا وقالوا أنت أمير وهذا امير ولا نمد ايدينا الى احد كما
فقال له غلامان لقتادة نحن عبيدك فمرنا بما شئت فامرهما ان يجعلا عمامة عمه في عنقه
ففعلا ثم قتله فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كل مبلغ وحلف ليقتلن ابنه وكان على
ما ذكرناه من المرض فكتب بعض أصحابه الى الحسن يعرفه الحال ويقول له ابدأ به
قبل ان يقتلك فعاد الحسن الى مكة فلما وصلها قصد دار أبيه في نفر يسير فوجد على
باب الدار جمعا كثيرا فامرهم بالانصراف الى منازلهم ففارقوا الدار وعادوا الى
مساكنهم ودخل الحسن الى أبيه فلما رآه أبوه شتمه وبالغ في ذمه وتهديده فوثب اليه
الحسن فخنقه لوقته وخرج الى الحرم الشريف واحضر الاشراف وقال ان ابي قد اشتد
مرضه وقد امركم ان تحلفوا لي ان اكون انا اميركم فحلفوا له ثم انه اظهر تابوتا ودفنه
ليظن الناس انه مات وكان قد دفنه سرا فلما استقرت الامارة بمكة له ارسل الى أخيه
الذي بقلعة الينبع على لسان ابيه يستدعيه وكتم موت ابيه عنه فلما حضر اخوه قتله
ايضا واستقر امره وثبت قدمه وفعل بامير الحاج ما تقدم ذكره فارتكب عظيما اقتل
اباه وعمه واخاه في ايام يسيرة لا جرم لم يمهله الله سبحانه وتعالى نزع ملكه وجعله طريدا
شريدا خائفا يترقب وقيل ان قتادة كان يقول شعرا فمن ذلك انه طلب ليحضر عند
امير الحاج كما جرت عادة امراء مكة فامتنع فعوتب من بغداد فاجاب بابيات شعر منها

ولي كف ضرغام اذل ببطشها * واشري بها بين الورى وابيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها * وفي وسطها للمجد بين ربيع
أأجعلها تحت الرحا ثم ابتغي * خلاصا لها اني اذا لرقيع

الحواس منحرف المزاج متكدر الطبع وكل قليل يراسل السيد المحروقي في ان يشفع
فيه عند الباشا ليأذن له في
الحج ومرة يحتج بالمرض
ليموت في داره فلم يؤذن له
في شئ من ذلك ولم يزل بالحالة
حتى توفي في منتصف شهر
ربيع الاول من السنة ودفن
هناك وكان رحمه الله يميل الى
الرياسة طبعا وفيه حدة مزاج
وهي التي كانت سببا لموته
باجله رحمه الله تعالى وايانا
(ومات) الصدر المعظم والدستور
المكرم الوزير طاهر باشا
ويقال انه ابن أخت محمد
علي باشا وكان ناظرا على
ديوان الكمرك ببولاق
وعلى الخمامير ومصارفه
من ذلك وشرع في عمارة داره
التي بالازبكية بجوار بيت
الشرايبي تجاه جامع ازبك
على طرف المبرى وهي في
الاصل بيت المدني ومحمود
حسن واحترق منه جانب
ثم هدم اكثرهما وخرج
بالجدار الى الرحبة واخذ منها
جانبا وادخل فيه بيت رضوان
كتخدا الذي يقال له ثلاثة
ولية تسمية له باسم العامودين
الرخام الملتقين على مكسلتي
الباب الخارج وشيد البناء
بخرجات في العلو متعددة
وجعل بابه مثل باب القلعة
ووضع في جهتيه العامودين
المذكورين وصارت الدار
كانها قلعة مشيدة في غاية من
الفخامة فما هو الان قارب
الاتمام وقد اعتراه المرض فسافر الى الاسكندرية بقصد تبديل الهوا فاقام

وما أنا الا المسك في كل بلدة * يضوع واما عندكم فيضيع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة استعاد المسلمون مدينة دمياط بالديار المصرية من الفرنج وقد تقدم ذكرها شرحا مفصلا وفيها في صفر ملك التتر مراغة وخربوها واحرقوها وقتلوا اكثر اهلها ونهبوا اموالهم وسبوا حريمهم وسار التتر منها الى همذان وحصروها فقاتلهم اهلها وظفر بهم التتر وقتلوا منهم ما لا يحصى ونهبوا البلد وساروا الى اذربيجان فاعادوا النهب ونهبوا ما بقي من البلاد ولم ينهبوه اولا ووصلوا الى بيلقان من بلاد اران فحصروها وملكوا وقتلوا اهلها حتى كادوا يفنونهم وقتل منهم كثير ونهبت اموالهم واكثر بلادهم وقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وملكوها وقتلوا كثيرا من اهلها وساروا الى بلد اللان واللكز ومن عندهم من الامم فاوقعوا ورحلوا عن قفجاق واجلوهم عنها واستولوا عليها وساحوا في تلك الارض حتى وصلوا الى بلاد الروس وقد تقدم ذكر جميعه مستقصى وانما اوردناه ههنا جملة ليعلم الذي كان في هذه السنة من حوادثهم وفيها توفي صديقنا امين الدين ياقوت الكاتب الموصلي ولم يكن في زمانه من يكتب ما يقاربه ولا من يؤدي طريقة ابن البواب مثله وكان ذا فضائل جمة من علم الادب وغيره وكان كثير الخير نعم الرجل مشهورا في الدنيا والناس متفقون على الثناء الجميل عليه والمدح له ولهم فيه اقوال كثيرة نظما ونثرا فمن ذلك ما قاله نجيب الدين الحسين بن علي الواسطي من قصيدة يمدحه بها

جامع شارد العلوم ولولا * ه لكانت ام الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف سطوته الاسد * وتعنو له الكتائب ذلا
واذا افتر ثغره عن سواد * في بياض فالبيض والسمر خجلى
أنت بدر والكاتب بن هلال * كأبيه لا فخر فيمن تولى

ومنها

ان يكن أولا فانك بالتفضيل * اولى لقد سبقت وصلى

وهي طويلة والكاتب بن هلال هو ابن البواب الذي هو اشهر من ان يعرف وفيها توفي جلال الدين الحسن وهو من اولاد الحسن بن الصباح الذي تقدم ذكره صاحب ألموت وكردكوه وهو مقدم الاسماعيلية وقد ذكرنا انه كان قد اظهر شريعة الاسلام من الاذان والصلاة وولي بعده ابنه علاء الدين محمد

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة)

(ذكر خروج طائفة من قفجاق الى اذربيجان وما فعلوه بالكرج وما كان منهم)

لما استولى التتر على أرض قفجاق تفرق قفجاق فطائفة قصدت بلاد الروس وطائفة تفرقت في جبالهم واجتمع طائفة كثيرة منهم وساروا الى دربند شروان وارسلوا الى صاحبه واسمه رشيد وقالوا له ان التتر قد ملكوا بلادنا ونهبوا اموالنا وقد قصدناك

لنقيم

هناك اياما وتوفي في شهر جمادى الثانية واحضروا رمته في اواخر الشهر ودفنوه بمدفنه الذي بناه بمحل بيت الزعفراني بجوار السيدة بقناطر السباع وترك ابنا مراهقا فابقاه الباشا على منصب ابيه ونظامه وداره (ومات الامير) ايوب كتخدا الفلاح وهو مملوك الامير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح وكان آخر الاعيان المجليين من جماعة الفلاح المشهورين وله عزوة واتباع وبيته مفتوح للواردين ويحب العلماء والصلحاء ويتأدب معهم وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته وكذلك أكابر الدولة في كل عصر وعلى كل حال كان لا بأس به توفي يوم الاربعاء لعشرين من شهر شعبان وقد جاوز السبعين رحمه الله تعالى

(واستهلت سنة اربع وثلاثين ومائتين والف)

(واستهل المحرم بيوم السبت) وسلطان الاسلام السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بدار سلطنته اسلامبول ووالي مصر وحاكمها محمد علي باشا القولي وكتخداه وباقي ارباب المناصب على حالهم وما هم عليه في العام الماضي (ووردت) الاخبار من شرق الحجاز والبشائر بنصرة حضرة ابراهيم باشا على الوهابية قبل استهلال السنة باربعة ايام فعند ذلك نودي بزينة المدينة سبعة أيام اولها الاربعاء سابع عشري الحجة ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل

انقيم فى بلادك ونحن مماليك لك وفتح البلاد لك وانت سلطاننا فمنهم من ذلك
وخافهم فاعادوا الرسالة اليه اننا نحن نرهن عندك اولادنا ونساءنا على الطاعة
والخدمة لك والانقياد لحكمك فلم يجبهم الى ما طلبوا فسالوه ان يمكنهم ليتزودوا من
بلاده فتدخل عشرة عشرة فاذا اشتروا ما يحتاجون اليه فارقوا بلاده فاجابهم الى ذلك
فصاروا يدخلون متفرقين و يشترون ما يريدون ويخرجون ثم ان بعض كبرائهم
والمقدمين منهم جاء الى رشيد وقال انى كنت فى خدمة السلطان خوارزمشاه وانا
مسلم والدين يحملنى على نصحك اعلم ان قفجاق اعداؤك ويريدون الغدر بك فلا تمكنهم
من المقام ببلادك فاعطنى عسكرا حتى اقاتلهم واخرجهم من البلاد ففعل ذلك وسلم
اليه طائفة من عسكره واعطاهم ما يحتاجون اليه من سلاح وغيره فساروا معه
فاوقعوا بطائفة من قفجاق فقتل منهم جماعة ونهب منهم فلم يتحرك قفجاق لقتال بل
قالوا نحن مماليك ملك شروان شاه رشيد ولولا ذلك لقاتلنا عسكره فلما عاد ذلك المقدم
القفجاقى ومعه عسكر رشيد سالمين فرح بهم ثم ان قفجاق فارقوا موضعهم فساروا
ثلاثة ايام فقال ذلك القفجاقى لرشيد اريد عسكرا اتبعهم فامر له من العسكر بما
اراد فسار يقفوا اثر القفجاق فاوقع باواخرهم وغنم منهم وقصده جمع كثير من قفجاق
من الرجال والنساء يبكون وقد جزوا شعورهم ومعهم تابوت وهم محيطون به يبكون
حوله وقالوا له ان صديقك فلانا قد مات وقد اوصى ان نحمله اليك فتدفنه فى اى
موضع شئت ونكون نحن عندك فحمله معه والذين يبكون عليه ايضا وعاد الى
شروان شاه رشيد واعلمه ان الميت صديق له وقد حمله معه وقد طلب اهله ان يكونوا
عنده فى خدمته فامر ان يدخلوا البلد وانزلهم فيه فكان اولئك الجماعة يسيرون مع ذلك
المقدم ويركبون بركوبه ويصعدون معه الى القلعة التى لرشيد ويقعدون عنده ويشربون
معه هم ونساؤهم فاحب رشيد امرأة ذلك الرجل الذى قيل له انه ميت ولم يكن مات
وانما فعلوا هكذا مكيدة حتى دخلوا البلد والذى اظهروا موته معهم فى المجالس ولا
يعرفه رشيد وهو من اكبر مقدمى قفجاق فبقوا كذلك عدة ايام فكل يوم يجيء جماعة
من قفجاق متفرقين فاجتمع بالقلعة منهم جماعة وارادوا قبض رشيد وملك بلاده
ففطن لذلك فخرج عن القلعة من باب السر وهرب ومضى الى شروان وملك قفجاق
القلعة وقالوا لاهل البلد نحن خير لكم من رشيد واعادوا باقى اصحابهم اليهم واخذوا
السلاح الذى فى البلد جميعه واستولوا على الاموال التى كانت لرشيد فى القلعة ورحلوا
عن القلعة وقصدوا قبلة وهى للكرج فنزلوا عليها وحصروها فلما سمع رشيد بمفارقتهم
القلعة رجع اليها وملكها وقتل من بها من قفجاق ولم يشعر القفجاق الذين عند
قبلة بذلك فارسلوا طائفة منهم الى القلعة فقتلهم رشيد ايضا فبلغ الخبر الى القفجاق
فعادوا الى دربند فلم يكن لهم فى القلعة طمع وكان صاحب قبلة لما كانوا يحصرونه قد
ارسل اليهم وقال لهم انا ارسل الى ملك الكرج حتى يرسل اليكم الخلع والاموال
ونجتمع نحن وانتم ونملك البلاد فكفوا عن نهب ولايته اياما ثم انهم مدوا ايديهم

وكذلك صيوان الباشا وباقى الامراء والاعيان خرجوا باسرهم لعمل الشنك
والحرائق واخرجوا من
المدافع مائة مدفع وعشرة
وثمانيل وقلاعا وسواقى
وسواريخ وصورا من بارود
وبدؤا فى عمل الشنك من يوم
الاربعاء فيضربون بالمدافع
مع رماحة الخيالة من اول
النهار مقدار ساعة زمانية
وربع قريبا من عشرين
درجة ضربا متتابعا لا يتخلله
سكون على طريقة الافرنج
فى الحروب بحيث انهم
يضربون المدفع الواحد
اثنتى عشرة مرة وقيل اربع
عشرة مرة فى دقيقة واحدة فعلى
هذا الحساب يزيد ضرب المدافع
فى تلك المدة على ثمانين الف
مدفع بحيث يتخيل الانسان
اصواتها مع اصوات بنادق
الخيالة المترامحين رعودا هائلة
ورتبوا المدافع اربعة
صفوف ورسم الباشا ان
الخيالة ينقسمون كذلك
طوابير ويكمنون فى الاعالى
ثم ينزلون مترامحين وهم
يضربون بالبنادق ويهجمون
على المدافع فى حال اندفاعها
بالرمى فمن خطف شيئا من
ادوات الطبجية الرماة ياتى به
الى الباشا ويعطيه البقشيش
والانعام فمات بسبب ذلك
اشخاص وسواس ويكون
مبادى نهاية وقوف الخيالة
نهاية محط جلة المدفع فانهم
عند طلوع الفجر يضربون
مدافع معمورة بالجلل بعدد الطوابير تقسمت الخيالة و يقف كل طابور عند مرمى جلته وياخذون اهبتهم من

بالنهب والفساد ونهبوا بلاد قبلة جميعها وساروا الى قريب كنجة من بلاد اران وهى للمسلمين فنزلوا هناك فارسل اليهم الامير بكنجة وهو مملوك لاوزبك صاحب اذربيجان اسمه كوشخرة عسكرا فمنعهم من الوصول الى بلاده وسير رسولا اليهم يقول لهم غدرتم بصاحب شروان واخذتم قلعته وغدرتم بصاحب قبلة ونهبتم بلاده فما يثق بكم احد فاجابوا اننا ما جئنا الا قصدا الخدمة سلطانكم فمنعنا شروان شاه عنكم فلهذا قصدنا بلاده واخذنا قلعته ثم تركناها من غير خوف واما صاحب قبلة فهو عدو لكم ولو اردنا ان نكون عند الكرج لما كنا جعلنا طريقنا على دربند شروان فانه اصعب واشق وابعد وكنا جئنا الى بلادهم على عادتنا ونحن نوجه الرهائن اليكم فلما سمع هذا سار اليهم فسمع به قفجاق فركب اميران منهم معهما مقدماهم فى نفر يسير وجاؤا اليه ولقوه وخدموه وقالوا له قد اتيناك جريدة فى قلة من العدد تعلم اننا ما قصدنا الا الوفاء والخدمة لسلطانكم فامرهم كوشخرة بالرحيل والنزول عند كنجة وتزوج ابنة احدهم وارسل الى صاحبه اوزبك يعرفه حالهم فامرهم بالخلع والنزول بجبل كيلكون ففعلوا ذلك وخافهم الكرج فجمعوا لهم ليكبسوهم فوصل الخبر بذلك الى كوشخرة امير كنجة فاخبر قفجاق وامرهم بالعود والنزول عند كنجة فعادوا ونزلوا عندها وسار امير من امراء قفجاق فى جمع منهم الى الكرج فكبسهم وقتل كثيرا منهم وهزمهم وغنم ما معهم واكثر القتل فيهم والاسر منهم وتمت الهزيمة عليهم ورجع قفجاق الى جبل كيلكون فنزلوا فيه كما كانوا فلما نزلوا اراد الامير الآخر من امراء قفجاق ان يؤثر فى الكرج مثل ما فعل صاحبه فسمع كوشخرة فارسل اليه ينهاه عن الحركة الى ان يكشف له خبر الكرج فلم يقف فسار الى بلادهم فى طائفته ونهب وخرب واخذ الغنائم فسار الكرج من طريق يعرفونها وسبقوه فلما وصل اليهم قاتلوه وحملوا عليه وعلى من معه على غرة وغفلة فوضعوا السيف فيهم واكثروا القتل فيهم واستنقذوا الغنائم منه فعاد هو ومن معه على اقبح حالة وقصدوا برذعة وارسلوا الى كوشخرة يطلبون ان يحضر عندهم هو بنفسه وعسكره ليقصدوا الكرج فياخذوا بثارهم منهم فلم يفعل واخافهم وقال انتم خالفتمونى وعملتم برايكم فلا انجدكم بفارس واحد فارسلوا يطلبون الرهائن الذين لهم فلم يعطهم فاجتمعوا واخذوا كثيرا من المسلمين عوضا من الرهائن فثار بهم المسلمون من اهل البلاد وقاتلوهم فقتلوا منهم جماعة كثيرة فخافوا وساروا نحو شروان وجازوا الى بلاد اللكز فطمع الناس فيهم المسلمون والكرج واللكز وغيرهم فافنوهم قتلا ونهبا واسرا وسبيا بحيث ان المملوك منهم كان يباع فى دربند شروان بالثمن البخس

(ذكر نهب الكرج بيلقان)

فى هذه السنة فى شهر رمضان سار الكرج من بلادهم الى بلاد اران وقصدوا مدينة بيلقان وكان التتر قد خربوها ونهبوها كما ذكرناه قبل فلما سار التتر الى بلاد قفجاق عاد من سلم من اهلها اليها وعمروا ما امكنهم عمارته من سورها فبينما هم كذلك اذ اتاهم الكرج

ذلك الوقت الى بعد شروق الشمس و يبتدئون فى الرمى والرماحة الحصة المذكورة وبعد العشاء خيرة لا يعمل كذلك الشنك برمى المدافع المتتالية المختلطة اصواتها بدون الرماحة ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواريخ التى تصعد فى الهواء وفيها من خشب الزان بدل القصب وكرنجة بارودها اعظم من تلك بحيث انها تصعد من الاسفل الى العلو مثل عامود النار واشياء أخر لم يسبق نظائرها تفنن فى عملها الافرنج وغيرهم وحول محل الحراقة حلقة دائرة متسعة قدرها ألوف من المشاعل الموقدة وطلبوا لعمل اكياس بارود المدافع مائتى ألف ذراع من القماش البز وكان راتب الارز الذى يطبخ فى القزانات و يفرق فى عراضى العساكر فى كل يوم اربعمائة اردب وما يتبعها من السمن وهذا خلاف مطابخ الاعيان وما يأتيهم من بيوتهم من تعاطى الاطعمة وغيرها واستمر هذا الضرب والشنك الى يوم الثلاثاء وابع المحرم وأهل البلد ملازمون للسهر والزينة على الحوانيت والدور ليلا ونهارا وتكرار المناداة عليهم فى كل يوم وركب حضرة الباشا وتوجه الى داره بالازبكية وهدمت الصواوين والخيام وبطل الرمى ودخلت العساكر والبنبات بمتاعهم وعازتهم أفواجا الى المدينة وذهبوا الى دورهم ورفع الناس الزينة ودخلوا

ودخلوا البلد وملكوه وكان المسلمون فى تلك البلاد الفوا من الكرج انهم اذا ظفروا ببلد صانعوهم بشئ من المال فيعودون عنهم فكانوا أحسن الاعداء مقدرة فلما كان هذه الدفعة ظن المسلمون انهم يفعلون مثل ماتقدم فلم يبالغوا فى الامتناع منهم ولا هربوا من بين أيديهم فلما ملك الكرج المدينة وضعوا السيف فى اهلها وفعلوا من القتل والنهب مافعل بهم التتر هذا جميعه يجرى وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن البهلوان بمدينة تبريز ولا يتحرك فى صلاح ولا يتجه لخير بل قد قنع بالاكل والادمان الشرب والفساد فقبحه الله ويسر للاسلامين من يقوم بنصرهم وحفظ بلادهم بمحمد وآله

(ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش)

فى هذه السنة ملك بدر الدين صاحب الموصل قلعة شوش من أعمال الحميدية وبينها وبين الموصل اثناعشر فرسخا وسبب ذلك انها كانت هى وقلعة العكر متجاورتين لعماد الدين زنكى بن ارسلانشاه وكان بينهما من الخلف ماتقدم ذكره فلما كان هذه السنة سار زنكى الى اذربيجان ليخدم صاحبها اوزبك بن البهلوان فاتصل به وصار معه وأقطعه اقطاعات واقام عنده فسار بدر الدين الى قلعة شوش فحاصرها وضيق عليها وهى على رأس جبل عال فطال مقامه عليها الحصار فانتها فعاد الى الموصل وترك عسكره محاصرا لها فلما طال الامر على من بها ولم يروا من يرحله عنهم ولا من ينجدهم سلموها على قاعدة استقرت بينهم من اقطاع وخلع وغير ذلك فتسلمها نوابه فى التار يخ ورتبوا أمورها وعادوا الى الموصل

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى العشرين من شعبان ظهر كوكب فى السماء فى الشرق كبير له ذؤابة طويلة غليظة وكان طلوعه وقت السحر فبقى كذلك عشرة أيام ثم انه ظهر أول الليل فى الغرب مما يلى الشمال فكان كل ليلة يتقدم الى جهة الجنوب نحو عشرة اذرع فى رأى العين فلم يزل يقرب من الجنوب حتى صار غربا محضا ثم صار غربا مائلا الى الجنوب بعد ان كان غربا مما يلى الشمال فبقى كذلك الى آخر شهر رمضان من السنة ثم غاب وفيها توفى ناصر الدين محمود بن محمد قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وآمد وكان ظالما قبيح السيرة فى رعيته قيل انه كان يتظاهر بمذهب الفلاسفة فى ان الاجساد لاتحشر كذبوا لعنهم الله ولما مات ملك ابنه الملك المسعود

(ثم دخلت سنة عشرين وستمائة)

(ذكر ملك صاحب اليمن مكة حرسها الله تعالى)

فى هذه السنة سار الملك المسعود اتسز ابن الملك الكامل محمد صاحب مصر الى مكة وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة بن ادريس العلوى الحسينى قد ملكها بعد ابيه كما ذكرناه وكان حسن قد اساء الى الاشراف والمماليك الذين كانوا لابيه وقد تفرقوا عنه

وكان معظمها حيث مساكن الافرنج والارمن فانهم تفننوا فى عمل التصاوير والتماثيل واشكال السرج والفنيارات الزجاج والبلور واشكال التحف ومعظمها فى جهات المسلمين بخان الخليلى والغورية والجمالية وبعض الاماكن والخانات ملاهى واغانى وسماعات وقيان وجنك رقاصات هذا والتهيؤ والاشغال والاستعداد لعمل الدونانمه على بحر النيل ببولاق فصنعوا صورة قلعة بابراج وقباب وزوايا وانصاف دوائر وخور نقات وطيقان للمدافع وطلوها وبيضوها ونقشوها بالالوان والاصباغ وصورة باب مالطه وكذلك صورة بستان على سفائن وفيه الطين ومغروس به الاشجار ومحيط به داربزين مصبوغ وبه دوالى العنب واشجار الموز والفاكهة والنخيل والرياحين فى قصارى لطيفة على حافاته وصورة عربة يجرها أفراس وبها تماثيل وصور جالسين وقائمين وتمثال مجالس وبه جنك رقاصات من تماثيل مصورة تتحرك بآلات ابتكار بعض المبتكرين لان كل من تخيل بفكره شيئا عمله وباو تصوبرا ذهب الى الترسخانه حيث الاخشاب والصناع فيعمله على طرف الميرى حتى يبرزه فى الخارج وياخذ على ابتكاره البقشيش واكثرها لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسواريخ وغير ذلك وبعد انقضاء السبعة ايام المذكورة حصل

ولم يبق عنده غير اخواله من غيره فوصل صاحب اليمن الى مكة ونهبها عسكره الى العصر فحدثنى بعض المجاورين المتأهلين انهم نهبوها حتى اخذوا الثياب عن الناس وافقروهم وامر صاحب اليمن ان ينبش قبر قتادة ويحرق فنبشوه فظهر التابوت الذى دفنه ابنه الحسن والناس ينظرون اليه فلم يروا فيه شيئا فعلموا حينئذ ان الحسن دفن اباه سرا وانه لم يجعل فى التابوت شيئا وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله مقابلته وأزال عنه ما قتل اباه واخاه وعمه لاجله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

(ذكر حرب بين المسلمين والكرج بارمينية)

فى هذه السنة فى شعبان سار صاحب قلعة سرمارى وهى من أعمال ارمينية الى خلاط لانه كان فى طاعة صاحب خلاط وهو حينئذ شهاب الدين غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب فحضر عنده واستخلف ببلاده أميرا من امرائه فجمع هذا الامير جمعا وسار الى بلاد الكرج فنهب منها عدة قرى وعاد فسمعت الكرج بذلك فجمع صاحب دوين واسمه شلوة وهو من أكابر امراء الكرج عسكره وسار الى سرمارى فحصرها اياما ونهب بلدها وسوادها ورجع فسمع صاحب سرمارى الخبر فعاد الى سرمارى فوصل اليها فى اليوم الذى رحل الكرج عنها فاخذ عسكره وتبعهم فاوقع بساقتهم فقتل منهم وغنم واستنقذ ما أخذوا من غنائم بلاده ثم ان صاحب دوين جمع عسكره وسار الى سرمارى ليحصرها فوصل الخبر الى صاحبها بذلك فحصنها وجمع الذخائر وما يحتاج اليه فاتاه من اخبره ان الكرج نزلوا بواد بين دوين وسرمارى وهو واد ضيق فسار بجميع عسكره جريدة وجد السير ليكبس الكرج فوصل الى الوادى الذى هم فيه وقت السحر ففرق عسكره فرقتين فرقة من أعلى الوادى وفرقة من اسفله وحملوا عليهم وهم غافلون ووضعوا السيف فيهم فقتلوا وأسروا فكان فى جملة الاسرى شلوة أمير دوين فى جماعة كثيرة من مقدميهم ومن سلم من الكرج عاد الى بلدهم على حال سيئة ثم ان ملك الكرج أرسل الى الملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وهو الذى أعطى خلاط واعمالها الامير شهاب الدين يقول له كنا نظن انا على صلح والآن فقد عمل صاحب سرمارى هذا العمل فان كنا على الصلح فنريد اطلاق أصحابنا من الاسر وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرفنا حتى ندبر أمرنا فارسل الاشرف الى صاحب سرمارى يأمره باطلاق الاسرى وتجديد الصلح مع الكرج ففعل ذلك واستقرت قاعدة الصلح وأطلق الاسرى

(ذكر الحرب بين غياث الدين و بين خاله)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة انهزم ايغان طائيسى وهو خال غياث الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش وهذا غياث الدين هو صاحب بلاد الجبل والرى واصبهان وغير ذلك وله أيضا بلاد كرمان وكان سبب ذلك ان خاله ايغان طائيسى كان معه وفى خدمته وهو أكبر أمير معه لا يصدر غياث الدين الا عن رأيه والحكم اليه فى جميع

السكون من يوم الثلاثاء المذكور الى يوم الاحد التالى له من الجمعة الاخرى مدة خمسة أيام فى اثنائها اجتهد الناس من الاعيان وكل من له اسم من أكابر الناس وأهل الدائرة والافندية الكتبة حتى الفقهاء أرباب المناصب والمظاهر ومشايخ الافتاء والنواب والمتفرجين فى نصب الخيام بحافتى النيل واستاجروا الاماكن المطلة على البحر ولو من البعد وتنافسوا واشتط أربابها فى الاجرة حتى بلغ اجرة احقر طبقة بمثل وكالة الفسيخ الى خمسمائة قرش وزيادة وكان الباشا أمر بانشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق قبلى قصر ابنه اسمعيل باشا وعمروا بياضه ونظامه فى هذه المدة القليلة فلما كان ليلة الاثنين وهو يوم عاشوراء خرج الباشا فى ليلته وعدى الى القصر المذكور وخرج اهل الدائرة والاعيان الى الاماكن التى استاجروها وكذلك العامة افواجا واصبح يوم الاثنين المذكور فضربت المدافع الكثيرة التى صففوها بالبرين وزين اهالى بولاق اسواقهم وحوانيتهم وابواب دورهم ودقت الطبول والمزامير والنقرزانات فى السفائن وغيرها وطبلخانة الباشا تضرب فى كل وقت والمدافع الكثيرة فى ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشاء كذلك وتوقد المشاعل وتعمل اصناف الحراقات والصواريخ والنفوط والشعل وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه

المملكة

المساء ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين وفيها فوانيس وقناديل وهيئة باب مالطه بوابة مجسمة مقوصرة
لها بدنات ويرى بداخلها سرج
وشعل ويخرج منها حراقات
وسواريخ وغالب هذه الاعمال
من صناعة الافرنج واحضروا
سفائن رومية صغيرة تسمى
الشلنبات يرمى منها مدافع
وشنابر وشيطيات وغلايين
مما يسير في البحر المالح وفى
جميعها وقدات وسرج
وقناديل وكلها مزينة بالبيارق
الحرير والاشكال المختلفة
الالوان ودبوس أوغلى ببولاق
التكرور وعنده ايضا الحراقات
الكثيرة والشعل والمدافع
والسواريخ وبالجيزة عباس بك
ابن طوسون باشا والنصارى
الارمن بمصر القديمة وبولاق
والافرنج وابرز الجميع
زينتهم وعا ثيلهم وحراقتهم
وعند الاعيان حتى المشايخ
فى القنج والسفائن المعدة
للسروح والتفرج والنزاهة
والخروج عن الاوضاع
الشرعية والادبية واستمروا
على ماذكر الى يوم الاثنين
سابع عشره (وفى ذلك اليوم)
وصل عبد الله بن مسعود
الوهابى ودخل من باب النصر
وصحبته عبد الله بكتاش
قبطان السويس وهو راكب
على هجين وبجانبه المذكور
وامامه طائفة من الدلاة
فضربوا عند دخوله مدافع
كثيرة من القلعة و بولاق

المملكة فلما عظم شانه حدث نفسه بالاستيلاء على الملك وحسن له ذلك غيره واطمعه فيه قيل ان الخليفة الناصر لدين الله اقطعه البلاد سرا وامره بذلك فقويت نفسه على الخلاف فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم فلما تم له امره اظهر الخلاف على غياث الدين وخرج عن طاعة اوزبك وصار فى البلاد يفسد ويقطع الطريق وينهب ما امكنه من القرى وغيرها وانضاف اليه جمع كثير من اهل العسف والفساد ومعه مملوك آخر اسمه ايبك الشامى كانا متفقين على العصيان فقوى بهما وساروا جميعهم الى غياث الدين ليقاتلوه ويملكوا بلاده ويخرجوه منها فجمع غياث الدين عسكره والتقوا بنواحى (٣) واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره واسر كثير وعاد المنهزمون الى اذربيجان على اقبح حال واقام غياث الدين فى بلاده وثبت قدمه

(حادثة غريبة لم يوجد مثلها)

كان اهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امراة وقد انتهى الملك اليها فوليته وقامت بالامر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك نيابة عنها ويكون من اهل بيت مملكة فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الامر وكان صاحب ارزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرلشاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان وبيته مشهور من أكابر ملوك الاسلام وهم من الملوك السلجوقية وله ولد كبير فارسل الى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته وقالوا لا نفعل هذا لاننا لا يمكننا ان يملك امرنا مسلم فقال لهم ان ابنى يتنصر ويتزوجها فاجابوه الى ذلك فامر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل اليها واقام عند الكرج حاكما فى بلادهم واستمر على النصرانية نعوذ بالله من الخذلان ونساله ان يجعل خير اعمالنا آخرها وخير اعمالنا خواتيمها وخير ايامنا يوم نلقاه ثم كانت هذه الملكة الكرجية تهوى مملوكا لها فكان زوجها يسمع عنها القبائح ولا يمكنه الكلام لعجزه ثم انه يوما دخل عليها فرآها نائمة مع مملوك لها فى فراش فانكر ذلك وواجهها بالمنع منه فقالت ان رضيت بهذا والا فانت اخبر فقال انى لا ارضى بهذا فنقلته الى بلد آخر ووكلت به من يمنعه من الحركة وحجرت عليه وارسلت الى بلد اللان واحضرت رجلين كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوجت احدهما فبقى معها يسيرا ثم انها فارقته واحضرت انسانا آخر من كنجة وهو مسلم فطلبت منه ان يتنصر ليتزوجها فلم يفعل فارادت ان تتزوجه وهو مسلم فقام عليها جماعة الامراء ومعهم ايوانى وهو مقدم العساكر الكرجية فقالوا لها قد افتضحنا بين الملوك بما تفعلين ثم تريدين ان يتزوجك مسلم وهذا لا يمكن منه أبدا والامر بينهم متردد والرجل الكنجى عندهم لم يجبهم الى الدخول فى النصرانية وهى تهواه

(ذكر عدة حوادث)

(٣ هكذا بياض بالاصل)

وخلافهما وانقضى امر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ورفعوا الزينة وركب الباشا الى قصر شبرا فى تلك السفينة وانفض الجمع وذهبوا الى دورهم وكان ذلك من اغرب الاعمال التى لم يقع نظيرها بارض مصر ولا مايقرب من ذلك ومطبخ الميرى يطبخ به الارز على النسق المتقدم والاطعمة ويوثى لارباب المظاهر منها فى وجبتى الغداء والعشاء خلاف المطابخ الخاصة بهم وما ياتيهم من بيوتهم واما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء فخرجوا افواجا وكثر زحامهم فى جميع الطرق الموصلة الى بولاق ليلا ونهارا باولادهم واطفالهم ركبانا ومشاة وقد ذهب فى هاتين المعبتين من الاموال مالا يدخل تحت الحصر واهل الاستحقاق يتلفون من القشل والتفليس مع ماهم فيه من غلاء الاسعار فى كل شئ وانعدام الادهان وخصوصا السمن والشيرج والشحم فلا يوجد من ذلك الشئ اليسير الا بغاية المشقة ويكون على حانوت الدهان الذى يحصل عنده بعض السمن شدة الزحام والصياح ولا يبيع بازيد من خمسة انصاف وهى اوقية اثناعشر درهما بعد ما فيها من الخلط واعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم فى هذه الولائم

وما

فى هذه السنة كان الجراد فى أكثر البلاد واهلك كثيرا من الغلات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها وفيها فى رمضان توفى عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعى الدمشقى بها وكان غزير العلم عالما بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير رحمه الله وفيها تجمع العرب فى خلق كثير على حجاج الشام وأرادوا قطع الطريق عليهم واخذهم وكان الامير على الحجاج شرف الدين يعقوب بن محمد وهو من اهل الموصل اقام بالشام وتقدم فيه فمنعهم بالرغبة والرهبة ثم صانعهم بمال وثياب وغير ذلك فاعطى الجميع من ماله ولم ياخذ من الحجاج الدرهم الفرد وفعل فعلا جميلا وكان عنده كثير من العلوم ويرجع الى دين متين

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة)

(ذكر ورود طائفة من التتر الى الرى وهمذان وغيرهما)

اول هذه السنة وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهؤلاء غير الطائفة الغربية التى ذكرنا اخبارها قبل وصول هؤلاء الرى وكان من سلم من اهلها قد عادوا اليها وعمروها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا فى اهلها السيف وقتلوهم كيف شاؤا ونهبوا البلد وخربوه وساروا الى ساوه ففعلوا بها كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر اولا فانهم لم يقربوهما ولا اصاب اهلهما أذى فاتاهما هؤلاء وملكوهما وقتلوا اهلهما وخربوهما والحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا فى البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من أهلها فابادوهم قتلا وأسرا ونهبا وخربوا البلد وكانوا لما وصلوا الى الرى رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا باطرافها فلم يشعروا الا والتتر ايضا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وأرسلوا الى صاحبها أوزبك ابن البهلوان يقولون ان كنت موافقنا فسلم الينا من عندك من الخوارزمية والا فعرفنا انك غير موافق لنا ولا فى طاعتنا فعمد الى من عنده من الخوارزمية فقتل بعضهم وأسر بعضهم وحمل الاسرى والرؤس الى التتر وأنفذ معها من الاموال والثياب والدواب شيئا كثيرا فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا وليسوا فى كثرة كانوا نحو ثلاثة آلاف فارس وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس وعسكر أوزبك أكثر من الجميع ومع هذا فلم يحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم نسال الله أن ييسر للاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى أمر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبى الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

(ذكر ملك غياث الدين بلاد فارس)

قد ذكرنا ان غياث الدين بن خوارزمشاه محمد كان بالرى وله معها اصفهان وهمذان

ومابينهما من البلاد وله أيضا بلاد كرمان فلما هلك أبوه كما ذكرناه وصل التتر الى بلاده واستنع باصفهان وحصره التتر فيها فلم يقدروا عليها فلما فارق التتر بلاده وساروا الى بلاد قفجاق عاد وملك البلاد وعمر ما أمكنه منها وأقام بها الى أواخر سنة عشرين وستمائة وجرى له ما ذكرناه ففي آخر سنة عشرين سار الى بلاد فارس فلم يشعر صاحبها وهو اتابك سعد بن دكلا الا وقد وصل غياث الدين الى أطراف بلاده فلم يتمكن من الامتناع فقصد قلعة اصطخر فاحتمى بها وسار غياث الدين الى مدينة شيراز وهي كرسي مملكة فارس واكبرها واعظمها فملكها بغير تعب اول سنة احدى وعشرين وستمائة وبقي غياث الدين بها واستولى على اكثر البلاد ولم يبق بيد سعد الدين الا الحصون المنيعة فلما طال الامر على سعد الدين صالح غياث الدين على ان يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتفقوا عليه ولغياث الدين الباقي واقام غياث الدين بشيراز وازداد اقامة وعزما على ذلك لما سمع ان التتر قد عادوا الى الري والبلاد التي له وخربوها

(ذكر عصيان شهاب الدين غازي على اخيه الملك الاشرف واخذ خلاط منه)

كان الملك الاشرف موسى بن العادل ابي بكر بن ايوب قد اقطع اخاه شهاب الدين غازي مدينة خلاط وجميع اعمال ارمينية وأضاف اليها ميافارقين وحاني وجبل جور ولم يقنع بذلك حتى جعله ولي عهده في البلاد التي له جميعها وحلف له جميع النواب والعساكر في البلاد فلما سلم اليه ارمينية سار اليها كما ذكرناه واقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة فاظهر مغاضبة اخيه الملك الاشرف والتجني عليه والعصيان والخروج عن طاعته فراسله الاشرف يستميله و يعاتبه على ما فعل فلم يرعو ولا ترك ما هو عليه بل اصر على ذلك واتفق هو واخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل على الخلاف للاشرف والاجتماع على محاربته واظهروا ذلك وعلم الاشرف فارسل الى اخيه الكامل بمصر يعرفه ذلك وكانا متفقين وطلب منه نجدة فجهز العساكر وارسل الى اخيه صاحب دمشق يقول له ان تحركت من بلدك سرت اليه واخذته وكان قد سار نحو ديار الجزيرة للميعاد الذي بينهم فلما وصلت اليه رسالة اخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق وأما صاحب اربل فانه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره ان شاء الله واما الاشرف فانه لما اتفق عصيان اخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلما قرب منها خافه اخوه غازي ولم يكن له قوة على ان يلقاه محاربا ففرق عسكره في البلاد ليحصنها وانتظر أن يسير صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار وان يسير اخوه صاحب دمشق الى بلاد الاشرف عند الفرات الرقة وحران وغيرهما فيضطر الاشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الاشرف اليه وقصد خلاط وكان اهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازي فلما حصرها اسلمها اهلها اليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة وبقي غازي في القلعة ممتنعا فلما جنه الليل نزل الى اخيه معتذرا ومتنصلا فعاتبه الاشرف وابقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن اخذ البلاد منه

والجمعيات ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيرة ثم يوزع مايوزعه وهو الشئ القليل على المتسببين وهم يبيعونه على هذه الحالة ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش (وفيه) وصل عبد الله الوهابي فذهبوا به الى بيت اسمعيل باشا ابن الباشا فاقام يومه وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة واجلسه بجانبه وحادثه وقال له ماهذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ماقصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى فقال انا ان شاء الله تعالى اترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم البسه خلعة وانصرف عنه الى بيت اسمعيل باشا ببولاق ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة وسافر الى جهة دمياط وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ماهذا فقال هذا ما اخذه ابي من الحجرة اصحبه معي الى السلطان وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف قرآن مكللة ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي اخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند ابي فانه لم يستاصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل اخذ كذلك كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا

أو ابقى عليه ميافارقين

(ذكر حصار صاحب اربل الموصل)

وقد ذكرنا اتفاق مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل وشهاب الدين غازى صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الاشرف فاما صاحب دمشق فانه سار عنها مراحل يسيرة وعاد اليها لان أخاه صاحب مصر أرسل اليه يتهدده ان سار عن دمشق انه يقصدها ويحصرها فعاد واما غازى فانه استعصى فى خلاط وأخذت منه كما ذكرناه وأما صاحب اربل فانه جمع عسكره وسار الى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة ظنا منه ان الملك الاشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل عن خلاط ويخرج غازى فى طلبه فتختبط أحواله وتقوى نفس صاحب دمشق على المجىء اليهم فلما نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد احكم امورها من استخدام الجند على الاسوار واظهار آلة الحصار واخراج الذخائر وانما قوى طمع صاحب اربل على حصر الموصل لان أكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الاشرف الى خلاط وقد قل العسكر فيها وكان الغلاء شديدا فى البلاد جميعها والسعر فى الموصل كل ثلاث مكاكى بدينار فلهذا السبب أقدم على حصرها فلما نزل عليها أقام عشرة أيام ثم رحل عنها يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان سبب رحيله انه رأى امتناع البلد عليه وكثرة من فيه وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير ووصل اليه خبر الملك الاشرف انه ملك خلاط فانفسخ عليه كل ما كان يؤمله من صاحبها ومن دمشق وبقى وحده متلبسا بالامر فلما وصلت الاخبار اليه بذلك سقط فى يده ورأى انه قد اخطأ الصواب فرحل عائدا الى بلده وأقام على الزاب ومدة مقامه على الموصل لم يقاتلها انما كان فى بعض الاوقات يجىء بعض الترك الذين له يقاتلون البلد فيخرج اليهم بعض الفرسان وبعض الرجالة فيجرى بينهم قتال ليس بالكثير ثم يتفرقون وترجع كل طائفة الى صاحبها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أول آب جاء ببغداد مطر برعد وبرق وجرت المياه بباب البصرة والحربية وكذلك بالمحول بحيث ان الناس كانوا يخوضون فى الماء والوحل بالمحول وفيها سار صاحب المخزن الى بعقوبا فى ذى القعدة فعسف أهلها فنقل اليه عن انسان منها انه يسبه فاحضره وأمر بعاقبته وقال له لم تسبنى فقال له أنتم تسبون أبا بكر وعمر لاجل أخذهما فدك وهى عشر نخلات لفاطمة عليها السلام وأنتم تأخذون منى ألف نخلة ولا أتكلم فعفا عنه وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنية والشيعة على جارى عادتهم وفيها قلت الامطار فى البلاد فلم يجئ منها شئ الى شباط ثم انها كانت تجىء فى الاوقات المتفرقة بحيث اقريبا لا يحصل منه الرى للزرع فجاءت الغلات قليلة ثم خرج عليها الجراد ولم يكن فى الارض من النبات ما يشتغل به عنها فاكلها الا القليل وكان كثيرا

صحيح وجدناه عند الشريف اشياء من ذلك (وفى يوم الاربعاء تاسع عشره) سافر عبد الله بن مسعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من الططر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

(واستهل شهر صفر بيوم الاثنين سنة ١٢٣٤)

(فى ثالثه) وصل طائفة من الحجاج المغاربة يوم الاربعاء وصحبتهم حجاج كثيرة من الصعائدة واهل القرى فدخلوا على حين غفلة وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب اولاد على يسمى الجبالى وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه وسببه امن الطريق وانكماش العربان وقطاع الطريق (وفيه) اخبر المخبرون بان الباشا اقام بدمياط اياما قليلة ثم توجه الى البرلس ونزل فى نقيرة وذهب الى الاسكندرية على ظهر البحر المالح وقد استعد اهلها لقدومه وزينوا البلد والذى تولى الاعتناء بذلك طائفة الفرنج فانهم نصبوا طريقا من باب البلد الى القصر الذى هو سكن الباشا وجعلوا بناحيتيه يمنى ويسرى انواع الزينة والتماثيل والتصاوير والبلور والزجاج والمرايات وغير ذلك من البدع البديعة الغريبة (وفى غايته) وصل الحاج المصرى ودخلوا ارسالا اشتاتا فشتاتا ومنهم من دخل ليلا وخصوصا ليلة الاثنين وفى صبحه دخل حسن باشا ارنؤد الذى كان مقيما بجدة وفى ذلك اليوم دخل

خارجا

بواقي الحجاج الى منازلهم * (واستهل شهر ربيع الاول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤) *

خارجا عن الحد فغلت الاسعار في العراق والموصل وسائر ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلت الاقوات الا ان اكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

(ذكر حصر الكرج مدينة كنجة)

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها الى مدينة كنجة من بلاد اران قصد الحصرها واعتدوا لها بما امكنهم من القوة لان اهل كنجة كثير عددهم قوية شوكتهم وعندهم شجاعة كبيرة من طول ممارستهم للحرب مع الكرج فلما وصلوا اليها وقاربوها قاتلوا اهلها عدة ايام من وراء السور ولم يظهر من اهلها احد ثم في بعض الايام خرج اهل كنجة ومن عندهم من العسكر من البلد وقاتلوا الكرج بظاهر البلد اشد قتال واعظمه فلما راى الكرج ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بالبلد فرحلوا بعد ان اثخن اهل كنجة فيهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

(ذكر وصول جلال الدين بن خوارزم شاه الى خوزستان والعراق)

في اول هذه السنة وصل جلال الدين بن خوارزم شاه محمد بن تكش الى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند لانه كان وصل اليها لما قصد التتر غزنة وقد ذكرنا ذلك جميعه فلما تعذر عليه المقام ببلاد الهند سار عنها على كرمان ووصل الى اصفهان وهي بيد اخيه غياث الدين وقد تقدمت اخباره فملكها وسار عنها الى بلاد فارس وكان اخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه فاعاد ما كان اخوه اخذه منها الى اتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده الى خوزستان فحصر مدينة تستر في المحرم وبها الامير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله حافظا لها واميرا عليها فحصره جلال الدين وضيق عليه فحفظها وجه السبع وبالغ في الحفظ والاحتياط وتفرق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا الى بادرايا وباكسايا وغيرهما وانحدر بعضهم الى ناحية البصرة فنهبوا هنالك فسار اليهم شحنة البصرة وهو الامير ملتكين فاوقع بهم وقتل منهم جماعة فدام الحصار نحو شهرين ثم رحل عنها بغتة وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه فلما رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار الى ان وصل الى بعقوبا وهي قرية مشهورة بطريق خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ فلما وصل الخبر الى بغداد تجهزوا للحصار واصلحوا السلاح من الجروخ والقسي والنشاب والنفط وغير ذلك وعاد عسكر الخليفة الى بغداد واما عسكر جلال الدين فنهب البلاد واهلها وكان قد وصل هو وعسكره الى خوزستان في ضر شديد وجهد جهيد وقلة من الدواب والذي معهم فهو من الضعف الى حد لا ينتفع به فغنموا من البلاد جميعها واستغنوا واكثروا من اخذ الخيل والبغال فانهم كانوا في غاية الحاجة اليها وسار من بعقوبا الى دقوقا فحصرها فصعد اهلها الى السور وقاتلوه وسبوه واكثروا من التكبير فعظم ذلك عنده وشق عليه وجد في قتالهم ففتحها عنوة وقهرا ونهبها

(في صبحه) دخلوا بالمحمل المدينة واكثر الناس لم يشعر بدخوله وهذا لم يتفق فيما نعلم تأخر الحاج الى شهر ربيع الاول (وفي ليلة الثلاثاء ثامنه) احترق سوق الشرم والجملون الكائن اسفل جامع الغورية بما فيه من الحوانيت وبضائع التجار والاقمشة الهندية وخلافها فظهرت به النار من بعد العشاء الاخيرة فحضر الوالي واغات التبديل فوجدوا الباب الذي من جهة الغورية مغلقا من داخل وكذلك الباب الذي من الجهة الاخرى وهما في غاية المتانة فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر الى بعد نصف الليل والنار عمالة من داخل وهرب الخفير واحترق ليوان الجامع البراني والدهليز واخذوا في الهدم وصب المياه بآلات القصارين مع صعوبة العمل بسبب علو الحيطان الشاهقة والاخشاب العظيمة والاحجار الهائلة والعقود فلم يخمد لهب النار الا بعد حصة من النهار وسرحت النار في اخشاب الجامع التي بداخل البناء ولم يزل الدخان صاعدا منها وسقطت الشبابيك النحاس العظام وبقيت معتقة ومكلسة واستمر العلاج في اطفاء الدخان ثلاثة ايام ولولا لطف المولى وتأخير فتح الباب لانه صفحها بالحديد فلم تعمل فيه النار فلو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت

عمسكره وقتلوا كثيرا من اهلها فهرب من سلم منهم من القتل وتفرقوا فى البلاد
ولما كان الخوارزميون على دقوقا سارت سرية منهم الى البت والراذان فهرب اهلها
الى تكريت فتبعهم الخوارزمية فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة
فعادوا الى العسكر ولقد رأيت بعض اعيان اهل دقوقا وهم بنو يعلى وهم أغنياء فنهبوا
وسلم احدهم ومعه ولد اذ له وشئ يسير من المال فسيرما سلم معه الى الشام مع الولدين
ليتجر بما ينتفعون به وينفقونه على نفوسهم فمات احد الولدين بدمشق واحتاط
الحاكم على ما معهم فلقد رأيت اباهم على حالة شديدة لا يعلمها الا الله يقول اخذت
الاملاك وقتل بعض الاهل وفارقنا من سلم منهم والوطن بهذا القدر الحقير اردنا ان نكف
به وجوهنا من السؤال ونصون انفسنا فقد ذهب الولد والمال ثم سار الى دمشق لياخذ
ما سلم مع ابنه الآخر فاخذه وعاد الى الموصل فلم يبق غير شهر حتى توفى

* ان الشقى بكل حبل يخنق * واما جلال الدين فانه لما فعل باهل دقوقا ما فعل
خافه اهل البوازيج وهى لصاحب الموصل فارسلوا اليه يطلبون منه ارسال شحنة
اليهم يحميهم وبذلوا له شيئا من المال فاجابهم الى ذلك وسير اليهم من يحميهم قيل كان
بعض اولاد جنكزخان ملك التتر اسره جلال الدين فى بعض حروبه مع التتر فاكرمه
فحماهم واقام بمكانه الى اواخر ربيع الآخر والرسل مترددة بينه وبين مظفر الدين
صاحب اربل فاصطلحوا فسار جلال الدين الى اذربيجان وفى مدة مقام جلال الدين
بخوزستان والعراق ثارت العرب فى البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى
ويخيفون السبيل فنال الخلق منهم أذى شديد واخذوا فى طريق العراق قفلين
عظيمين كانوا سائرين الى الموصل فلم يسلم منهم شئ البتة

(ذكر وفاة الملك الافضل وغيره من الملوك)

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك الافضل على بن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجاة بقلعة
سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة
عند وفاة والده رحمه الله ملكه مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا
سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر
وذكرنا سنة ست وتسعين اخذها منه وانتقل الى سميساط وأقام بها ولم يزل بها الى الآن
فتوفى بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن فى الملوك مثله كان خيرا عادلا فاضلا
حليما كريما قل أن عاقب على ذنب ولم يمنع طالبا وكان يكتب خطا حسنا وكتابة
جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق فى كثير من الملوك لا جرم
حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضى
عنه ورأيت من كتابته اشياء حسنة فمما بقى على خاطرى منها انه كتب الى اصحابه لما
اخذت دمشق منه كتابا من فصوله واما اصحابنا بدمشق فلا علم لى باحد منهم وسبب ذلك
انى اى صديق سالت عنه فى الذل وتحت الخمول والوطن واى ضد سالت عن حالته

النار الى الحوانيت الملاصقة به وهى كلها أخشاب وبعلوها سقائف أخشاب كذلك ومن فوق الجميع السقيفة
العظيمة الممتدة على السوق
من أوله الى آخره وهى فى
غاية العلو والارتفاع وكلها
أخشاب وجنة وسهوم وبراطيم
من أعلى ومن أسفل تحتها
من الجهتين ومن ناحيتها
الرباع والوكائل والدور
وحيطان الجميع من الجنة
والاخشاب العتيقة التى
تشتعل بادنى حرارة فلو
وصلت النار والعياذ بالله
تعالى الى هذه السقيفة لما
أمكن اطفاؤها بوجه وكان
حريقا دوميا ولكن الله سلم
(وفى يوم السبت ثانى عشره)
حضر السيد عمر افندى نقيب
الاشراف سابقا وذلك انه لما
حصلت النصرة والمسرة للباشا
فكتب اليه مكتوبا بالتهنئة
وأرسله مع حفيده السيد
صالح الى الاسكندرية فتلقاه
بالبشاشة وطفق يسأله عن
جده فيقول له بخير ويدعو
لكم فقال له هل فى نفسه شئ
أو حاجة نقضيها له فقال
لا يطلب غير طول البقاء
لحضرتكم ثم انصرف الى
المكان الذى نزل به فارسل
اليه فى ثانى يوم عثمان
السلانكلى ليسأله ويستفسره
عما عسى ان يستحى من
مشافهة الباشا بذكره فلم يزل
يلاطفه حتى قال لم يكن فى
نفسه الا الحج الى بيت الله ان أذن له افندينا بذلك فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك وأذن

سمعت

سمعت ما لا تحبه أذنى فتركت السؤال عنهم وهذا غاية الجودة فى الاعتذار عن ترك
السؤال عنهم ولما مات اختلف أولاده وعمهم قطب الدين موسى ولم يقو أحد منهم على
الباقين ليستبد بالامر ومات فى هذه السنة صاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغرل
ابن قلج ارسلان وهو الذى سير ولده الى الكرج وتنصر وتزوّج ملكة الكرج ولما مات
ملك بعده ابنه ومات فيها ملك ارزنكان وتوفى فيها عز الدين الخضر بن ابراهيم بن
ابى بكر بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب خرت برت وملك بعده ابنه نور الدين
ارتق شاه وكان المدبر لدولته ودولة والده معين الدين عبد الرحمن

❁(ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكرج)❁

فى هذه السنة ثار على شروان شاه ولده فنزعه من الملك واخرجه من البلاد وملك بعده
وسبب ذلك ان شروان شاه كان سيئ السيرة كثير الفساد والظلم يتعرض الى اموال
الرعايا واملاكهم وقيل ايضا انه كان يتعرض الى النساء والولدان فاشتدت وطاته على
الناس فاتفق بعض العسكر مع ولده واخرجوا أباه من البلاد وملك الابن واحسن
السيرة فاحبه العساكر والرعية وارسل الولد الى ابيه يقول له انى اردت أن اتركك
فى بعض القلاع واجرى لك الجرايات الكثيرة وكل من تحب ان يكون عندك والذى
حملنى على ما فعلت معك سوء سيرتك وظلمك لاهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك فلما
رأى الاب ذلك سار الى الكرج واستنصر بهم وقرر معهم ان يرسلوا معه عسكرا يعيدونه
الى ملكه ويعطيهم نصف البلاد فسيروا معه عسكرا كثيرا فسار حتى قارب مدينة
شروان فجمع ولده العسكر واعلمهم الحال وقال ان الكرج متى حصروا نار بما ظفروا
بنا وحينئذ لا يبقى ابى على احد منا ويأخذ الكرج نصف البلاد وربما اخذوا الجميع
وهذا امر عظيم والرأى اننا نسير اليهم جريدة ونلقاهم فان ظفرنا بهم فالحمد لله وان ظفروا بنا
فالحصر بين ايدينا فاجابوه الى ذلك فخرج فى عسكره وهم قليل نحو ألف فارس ولقوا
الكرج وهم فى ثلاثة آلاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا وصبر اهل شروان فانهزم الكرج
وقتل كثير منهم واسر كثير ومن سلم عاد بأسوأ حال وشروان شاه المخلوع معهم فقال له
مقدموا الكرج انت شؤم ما نرى بسببك خيرا ولا نؤاخذك بما كان منك فلا تقم ببلادنا
ففارقهم وبقى مترددا لا ياوى الى احد واستقر ولده فى الملك واحسن الى الجند والرعية
واعاد الى الناس املاكهم ومصادراتهم فاغتبطوا بولايته

❁(ذكر ظفر المسلمين بالكرج ايضا)❁

وفى هذه السنة ايضا سار جمع من الكرج من تفليس يقصدون اذربيجان والبلاد
التى بيد اوزبك فنزلوا وراء مضيق فى الجبال لا يسلك الا الفارس معه الفرس فنزلوا
آمنين من المسلمين استضعافا لهم واغترارا بحصانة موضعهم وانه لا طريق اليهم وركب
طائفة من العساكر الاسلامية وقصدوا الكرج فوصلوا الى ذلك المضيق فجازوه
مخاطرين فلم يشعر الكرج الا وقد غشيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم

له بالذهب الى مصر وان يقيم بداره الى أوان الحج ان شاء اوان شاء بحرا وقال انا
لا اتركه فى الغربة هذه المدة
الا خوفا من الفتنة والآن
لم يبق شئ من ذلك فانه ابى
و بينى و بينه ما لا انساه من
المحبة والمعروف وكتب له
جوابا بالاجابة وصورته
بحروف مظهر الشمائل
سنيها حميد الشؤن وسميها
سلالة بيت المجد الاكرم
والدنا السيد عمر مكرم دام
شانه اما بعد فقد ورد الكتاب
اللطيف من الجناب الشريف
تهنئة بما انعم الله علينا وفرحا
بمواهب تاييده لدينا
فكان ذلك مزيدا فى السرور
ومستدعيا لحمد الشكور
ومجلبة لثناكم واعلانا بنيل
منا كم بجزيتم حسن الثنا
مع كمال الوقار ونيل المنى
هذا وقد بلغنا نجاكم عن
طالبكم الاذن فى الحج الى البيت
الحرام وزيارة روضته عليه
الصلاة والسلام للرغبة فى
ذلك والترجى لما هنالك
وقد اذنا كم فى هذا المرام
تقربا للذى الجلال والاكرام
ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر
العظام فلا تدعوا الابتهال
ولا الدعاء لنا بالقال والحال
كما هو الظن فى الطاهرين
والمأمول من الاصفياء
المقبولين والواصل لكم
جواب منا خطابا الى كتخدائنا
ولكم الاجلال والاحترام
مع جزيل الثناء والسلام
وارسل اليه المكتوب بصحبة حفيده السيد صالح وارسل الى كتخدا بك كتابا وصل اليه قبل قدومه فارسل

الكتخدا ترجمانه الى منزله ليبشرهم بذلك واشيع خبر مقدمه فكان الناس بين مصدق ومكذب حتى وصل

كيف شاؤا وولى الباقون منهزمين لا يلوى والد على ولده ولا اخ على اخيه واسر منهم جمع
كثير صالح فعظم الامر عليهم وعزموا على الاخذ بثارهم والجد في قصد اذربيجان
واستئصال المسلمين منه واخذوا يتجهزون على قدر عزمهم فبينما هم في ذلك اذ وصل
اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى مراغة على مانذكره ان شاء الله فتركوا
ذلك وارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان يدعونه الى الموافقة على رد جلال الدين
وخوفوه منه ان لم نتفق نحن وانت والا اخذك ثم اخذنا فاعاجلهم جلال الدين قبل
اتفاقهم واجتماعهم فكان مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك جلال الدين اذربيجان)

في هذه السنة استولى جلال الدين على اذربيجان وسبب ذلك انه لما سار من دقوقا كما
ذكرناه قصد مراغة فملكها واقام بها وشرع في عمارة البلد فاستحسنه فلما وصل اليه اتاه
الخبران الامير ايغان طائيسي وهو خال اخيه غياث الدين قد قصد همذان قبل وصول
جلال الدين بيومين وكان ايغان طائيسي هذا قد جمع عسكرا يجاوز خمسين الف
فارس ونهب كثيرا من اذربيجان وسار الى البحر من بلد اران فشتى هنالك لقلة البرد
ولما عاد الى همذان نهب اذربيجان ايضا مرة ثانية وكان سبب مسيره الى همذان ان
الخليفة الناصر لدين الله راسله وامره بقصد همذان واقطعه اياها وغيرها مما يستولى
عليها كما ذكرناه فلما سمع جلال الدين بذلك سار جريدة اليه فوصل الى ايغان طائيسي ليلا
وكان اذا نزل جعل حول عسكره جميع ما غنموه من اذربيجان واران من خيل وبغال
وحمير وبقر وغنم فلما وصل جلال الدين احاط بالجميع فلما اصبح عسكر ايغان
طائيسي ورأى العسكر والجتر الذي يكون على رأس السلطان علموا انه جلال الدين
فسقط في ايديهم لانهم كانوا يظنونه عند دقوقا فارسل ايغان طائيسي زوجته وهي
اخت جلال الدين تطلب له الامان فامنه واحضره عنده وانضاف عسكره الى جلال
الدين وبقي ايغان طائيسي وحده الى ان اضاف اليه جلال الدين عسكرا غير عسكره
وعاد الى مراغة واعجبه المقام بها وكان اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران قد
سار من تبريز الى كنجة خوفا من جلال الدين وارسل جلال الدين الى من في تبريز من وال
وامير ورئيس يطلب منهم ان يتردد عسكره اليهم يمتارون فاجابوه الى ذلك واطاعوه
فتردد العسكر اليها وباعوا واشتروا الاقوات والكسوات وغيرها ومدوا ايديهم الى
اموال الناس فكان احدهم ياخذ الشيء ويعطي الثمن مايريد فشكا بعض اهل تبريز
الى جلال الدين منهم فارسل اليهم شحنة يكون عندهم وامره ان يقيم بتبريز ويكف أيدي
الجند عن اهلها ومن تعدى على احد منهم صلبه فاقام الشحنة ومنع الجند من التعدي
على احد من الناس وكانت زوجة اوزبك وهي ابنة السلطان طغرل بن ارسلان بن
طغرل بن محمد بن ملكشاه مقيمة بتبريز وهي كانت الحاكمة في بلاد زوجها وهو
مشغول بلذاته من اكل وشرب ولعب ثم ان اهل تبريز شكوا من الشحنة وقالوا انه

في اليوم المذكور الى بولاق
فركب من هناك وتوجه
الى زيارة الامام الشافعي وطلع
الى القلعة وقابل الكتخدا
وسلم عليه وهنته الشعراء
بقصائدهم واعطاهم الجوائز
واستمر ازدحام الناس اياما
ثم امتنع عن الجلوس في
المجلس العام نهارا واعتكف
بحجرته الخاصة فلا يجتمع به
الا بعض من يريده من الافراد
فانكف الكثير عن التردد
وذلك من حسن الراى

(واستهل شهر ربيع الثاني
بيوم السبت سنة ١٢٣٤)

(فيه) حصل الاهتمام
بحفر الترعة المعروفة بالاشرفية
الموصلة الى الاسكندرية وقد
تقدم في العام الماضي بل
والذي قبله اهتمام الباشا
ونزل اليها المهندسون ووزنوا
أرضها وقاسوا طولها وعرضها
وعمقها المطلوب ثم اهمل
أمرها لقرب مجيء النيل
وتركوا الشغل في مبدئها
ولم يترك الشغل في منتهاها
عند الاسكندرية بالقرب
من عامود السواري فحفروا
هناك منتهاها وهي بركة
متسعة وحوطوها بالبناء المحكم
المتين وهي مرسى المراكب
التي تعبر منها الى الاسكندرية
بدلا عن البغاز وهو ملتقى
البحرين ومايقع فيه من تلف المراكب فتكون هذه أسلم واقرب واقل كلفة ان

يكلفنا

يكافئنا اكثر من طاقتنا فأمر جلال الدين انه لا يعطى الا ما يقيم به لا غير ففعلوا ذلك وسار
جلال الدين الى تبريز وحصرها خمسة أيام وقاتل اهلها قتالا شديدا وزحف اليها فوصل
العسكر الى السور فاذعن اهلها بالطاعة وارسلوا يطلبون الامان منه لانه كان يذمهم
ويقول قتلوا أصحابنا المسلمين وارسلوا رؤسهم الى التتر الكفار وقد تقدمت الحادثة
سنة احدى وعشرين وستمائة فخافوا منه لذلك فلما طلبوا الامان ذكر لهم فعلهم
باصحاب أبيه وقتلهم فاعتذروا بانهم لم يفعلوا شيئا من ذلك وانما فعله صاحبهم ولم
يكن لهم من القدرة ما يمنعونه فعذرهم وامنهم وطلبوا منه ان يؤمن زوجة اوزبك ولا
يعارضها في الذى لها باذربيجان ومدينة خوى وغيرها من ملك ومال وغيره فاجابهم
الى ذلك وملك البلد سابع عشر رجب من هذه السنة وسير زوجة أوزبك الى خوى
ومعها طائفة من العسكر مع رجل كبير القدر عظيم المنزلة وامرهم بخدمتها فاذا وصلت
الى خوى عادوا عنها ولما رحل جلال الدين الى تبريز أمر ان لا يمنعوا عنه احدا من
اهلها فاتاه الناس مسلمين عليه فلم يحجبوا عنه واحسن اليهم وبث فيهم العدل ووعدهم
الاحسان والزيادة منه وقال لهم قد رأيتم ما فعلت بمراغة من الاحسان والعمارة بعد
أن كانت خرابا وسترون كيف اصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم وأقام الى يوم
الجمعة فحضر الجامع فلما خطب الخطيب ودعا للخليفة قام قائما ولم يزل كذلك حتى
فرغ من الدعاء وجلس ودخل الى كشك كان اوزبك قد عمره واخرج عليه من
الاموال كثيرا فهو في غاية الحسن مشرف على البساتين فلما طاف فيه خرج منه وقال
هذا مسكن الكسالى لا يصلح لنا وأقام أياما استولى فيها على غيرها من البلاد وسير
الجيوش الى بلاد الكرج

(ذكر انهزام الكرج من جلال الدين)

قد ذكرنا فيما تقدم من السنين ما كان الكرج يفعلونه في بلاد الاسلام خلاط وأعمالها
واذربيجان واران وارزن الروم ودربند شروان وهذه ولايات تجاور بلادهم وما كانوا
يسفكون من دماء المسلمين وينهبون من أموالهم ويملكون من بلادهم والمسلمون
معهم في هذه البلاد تحت الذل والخزى كل يوم قد أغاروا وفتكوا فيهم وقاطعوهم على
ماشاؤا من الاموال فكنا كلما سمعنا بشئ من ذلك سألنا الله تعالى نحن والمسلمون في
أن ييسر للاسلام والمسلمين من يحميهم وينصرهم ويأخذ بثارهم فان أوزبك صاحب
اذربيجان منعكف على شهوة بطنه وفرجه لا يفيق من سكره وان أفاق فهو مشغول
بالقمار بالبيض وهذا ما لم يسمع ان أحدا من الملوك فعله لا يهتدى لمصلحة ولا يغضب
لنفسه بحيث ان بلاده مأخوذة وعساكره طامعة ورعيته قد قهرها وقد كان كل
من أراد ان يجمع جمعا ويتغلب على بعض البلاد فعل كما ذكرناه من حال بغدى وايبك
الشامى وايغان طائيسى فنظر الله تعالى الى أهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة
فرحمهم ويسر لهم جلال الدين هذا ففعل بالكرج ما تراه وانتقم للاسلام والمسلمين منهم

صحت بل واقرب مسافة ونزل الامر لكشاف الاقاليم بجمع الفلاحين والرجال على
حساب مزارع الفدادين
فيحصون رجال القرية
المزارعين ويدفعون للشخص
الواحد عشرة ريالات ويخصم
له مثلها من المال واذا كان
له شريك واحب المقام
لاجل الزرع الصيفى اعطاه
حصته وزاده عليها حتى
يرضى خاطره وزوده بما
يحتاج اليه ايضا وعند العمل
يدفع لكل شخص قرش
في كل يوم ويخرج اهل القرية
افواجا ومعهم انفار من مشايخ
البلاد ويجتمعون في المكان
المامورين باجتماعهم فيه ثم
يسيرون مع الكاشف الذى
بالناحية ومعهم طبول وزمور
وبيارق ونجارون وبناؤن
وحدادون وفرضوا على
البلاد التى فيها النخيل
غلقانا ومقاطف وعراجين
وسلبا وعلى البنادر فؤسا
ومساحى شئ كثير بالثمن
وطلبوا ايضا طائفة الغواصين
لانهم كانوا اذا تسفلوا في قطع
الارض في بعض المواضع
منها ينبع الماء قبل الوصول
الى الحد المطلوب (وفي يوم
الخميس عشرينه) ورد مرسوم
من الباشا بعزل كتخدا بك
عن منصب الكتخدائية
وتولية محمود بك فيها عوضا
عنه وحضر محمود بك في ذلك
اليوم قادما من الاسكندرية
وطلع الى القلعة وحضر ايضا حسين باشا وكان قد ذهب الى الاسكندرية ليسلم على الباشا لكونه كان بالديار الحجازية

المدة المديدة وحضر الى مصر والباشا بالاسكندرية فتوجه اليه واقام معه اياما وعاد الى مصر صحبة محمود بك وحضر ايضا ابراهيم افندي من اسلامبول وهو ديوان افندي الباشا فتقلد في نظر الاطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بك

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٤)

(في سابعه يوم الخميس) ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية باستيلاء خليل باشا على يمن الحجاز صلحا (وفيه) وصلت الاخبار ايضا عن عبد الله بن مسعود انه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه ايضا في نواح متفرقة فذهبوا مع الشهداء (وفيه) اشيع وصول قابجي كبير من طرف الدولة يقال له قهوجي باشا الى الاسكندرية وورد الامر بالاستعداد لحضوره مع الباشا فطلعوا بالمطابخ الى ناحية شبرا وطلبت الخيول من الربيع واستمر خروج العساكر ودخولهم وكذلك طبخ الاطعمة وفي كل يوم يشيعون الورود فلم يات احد ثم ذ كروا ان ذلك القابجي حين هرب من الاسكندرية ردّه الريح الى رودس واستمر هذا الريح الى آخر الشهر (وفيه) قوى الاهتمام بامر حفر الترعة المتقدم ذكرها وسيقت الرجال والفلاحون من الاقاليم

واستقام

وفيها في هذه السنة كان المصاف بين جلال الدين وبين الكرج في شهر شعبان فان جلال الدين من حين قصد الى هذه النواحي لا يزال يقول انني اريد اقصد بلاد الكرج واقاتلهم واملك بلادهم فلما ملك اذربيجان ارسل اليهم يؤذنهم فاجابوه بانا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بابيك وهو اعظم منك ملكا واكثر عسكرا واقوى نفسا ما تعلمه واخذوا بلادكم فلم نبال بهم وكان قصاراهم السلامة منا وشرعوا يجمعون العساكر فجمعوا ما يزيد على سبعين الف مقاتل فسار اليهم فملك مدينة دوين وهي للكرج كانوا قد اخذوها من المسلمين كما ذكرناه وسار منها اليهم فلقوه وقاتلوه اشد قتال واعظمه وصبر كل منهم لصاحبه فانهزم الكرج وامران يقتلوا بكل طريق ولا يبقوا على احد منهم فالذي تحققناه انه قتل منهم عشرون الفا وقيل اكثر من ذلك فقيل الكرج جميعهم قتلوا وافترقوا واسر كثير من اعيانهم من جملتهم شلوة فتمت الهزيمة عليهم ومضى ايواني منهزما وهو المقدم على الكرج جميعهم ومرجعهم اليه ومعولهم عليه وليس لهم ملك انما الملك امراة ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة فلما انهزم ايواني ادركه الطلب فصعد قلعة لهم على طريقهم فاحتمى فيها وجعل جلال الدين عليها من يحصرها ويمنعهم من النزول وفرق عساكره في بلاد الكرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخربون البلاد فلولا ما اتاه من تبريز مما اوجب عوده لملك البلاد بغير تعب ولا مشقة لان اهلها كانوا قد هلكوا فهم بين قتيل واسير وطريد

(ذكر عود جلال الدين الى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة اوزبك)

لما فرغ جلال الدين من هزيمة الكرج ودخل البلاد وبث العساكر فيها امرهم بالمقام بها مع اخيه غياث الدين وعاد الى تبريز وسبب عوده انه كان قد خلف وزيره شرف الملك في تبريز ليحفظ البلد وينظر في مصالح الرعية فبلغه عن رئيس تبريز وشمس الدين الطغرائي وهو المقدم على كل من في البلد وعن غيرهما من المقدمين انهم قد اجتمعوا وتحالفوا على الامتناع على جلال الدين واعادة البلد الى اوزبك وقالوا ان جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فلا يقدر على المقام ويجتمع اوزبك والكرج ويقصدونه فيفعل نظام امره وتتم عليه الهزيمة فبنوا امرهم على ان جلال الدين يسير الهويني الى بلاد الكرج ويتريث في الطريق احتياطا منهم فلما اتفقوا على ذلك اتى الخبر الى الوزير فارسل الى جلال الدين يعرفه الحال فاتاه الخبر وقد قارب بلاد الكرج فلم يظهر من ذلك شيئا وسار نحو الكرج مجدا فلقيهم وهزمهم فلما فرغ منهم قال لامراء عسكره انني قد بلغني من الخبر كذا وكذا فتقيمون انتم في البلاد على ما انتم عليه من قتل من ظفرتم به وتخريب ما امكنكم من بلادهم فانني خفت ان اعرفكم قبل هزيمة الكرج لئلا يلحقكم وهن وخوف فاقاموا على حالهم وعاد هو الى تبريز وقبض على الرئيس والطغرائي وغيرهما فاما الرئيس فامر ان يطاف به على اهل البلد وكل من له عليه مظلمة فليأخذها منه وكان ظالما فقطع الناس بذلك ثم قتله واما الباقون فحبسوا فلما فرغ منهم

واستقام له امر البلد وتزوج زوجة اوزبك ابنة السلطان طغرل وانما صح له نكاحها لانه ثبت عن اوزبك انه حلف بطلاقها انه لا يقتل مملوكا له اسمه ٣ ثم قتله فلما وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين واقام بتبريز مدة وسير منها جيشا الى مدينة كنجة فملكوها وفارقها اوزبك الى قلعة كنجة فتحصن فيها فبلغني ان عساكر جلال الدين تعرضوا الى اعمال هذه القلعة بالنهب والاخذ فارسل اوزبك الى جلال الدين يشكو ويقول كنت لا ارضى بهذه الحال لبعض اصحابي فانا اسال ان تكف الايدى المتطرقة الى هذه الاعمال عنها فارسل جلال الدين اليها من يحميها من التعرض لها من اصحابه وغيرهم

(ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله)

فى هذه السنة آخر ليلة من شهر رمضان توفى الخليفة الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضىء بامر الله ابى محمد الحسن بن المستنجد بالله ابى المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى العباس محمد بن المقتدى بامر الله ابى القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بامر الله ابى جعفر عبد الله بن القادر بالله ابى العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابى العباس احمد بن الموفق ابى احمد محمد بن جعفر المتوكل على الله ولم يكن الموفق خليفة وانما كان ولى عهد اخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد بالله ولى عهد المعتمد على الله وكان المتوكل على الله ابن المعتصم بالله ابى اسحق محمد بن هرون الرشيد بن محمد المهدى بن ابى جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

فكان فى آبائه أربعة عشر خليفة وهم كل من له لقب والباقون غير خلفاء وكان فيهم من ولى العهد محمد بن القائم والموفق بن المتوكل وأما باقى الخلفاء من بنى العباس فلم يكونوا من آبائه فكان السفاح ابو العباس عبد الله اخا المنصور ولى قبله وكان موسى أخا الرشيد ولى قبله وكان محمد الامين وعبد الله المامون ابنا الرشيد اخوى المعتصم وليا قبله وكان محمد المنتصر بن المتوكل ولى بعده ثم ولى بعد المنتصر بالله المستعين بالله ابو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم وولى بعد المستعين المعتز بالله محمد وقيل طلحة وهو ابن المتوكل وولى بعد المعتز المهتدى بالله محمد بن الواثق ثم ولى بعده المعتمد على الله احمد ابن المتوكل فالمنتصر والمعتز والمعتمد اخوة الموفق والمهتدى ابن عمه والموفق من اجداد الناصر لدين الله ثم ولى المعتضد بعد المعتمد وولى بعد المعتضد ابنه ابو محمد على المكتفى بالله وهو أخو المقتدر بالله وولى بعد المقتدر اخوه القاهر بالله ابو منصور محمد ابن المعتضد وولى بعد القاهر الراضى بالله ابو العباس محمد بن المقتدر ثم ولى بعده المتقى لله ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر ثم ولى بعده المكتفى بالله ابو القاسم عبد الله بن المكتفى بالله على بن المعتضد ثم ولى بعده المطيع لله ابو بكر عبد الكريم فالقاهر اخو المقتدر والراضى والمتقى والمطيع بنوه والمستكفى ابن أخيه المكتفى ثم ولى الطائع لله بن

البحرية وجدوا فى العمل بعدما حددوا لكل اهل اقليم أقصابا توزع على اهل كل بلد من ذلك الاقاليم فمن اتم عمله المحدود انتقل الى مساعدة الآخرين وظهر فى حفر بعض الاماكن منها صورة اماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده واحواضه ومغاطسه ووجد ظروف مداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة وأخرى لم تفتح لا يعلم ما فيها رفعوها للباشا مع ذلك (وفى يوم الاربعاء سابع عشرينه) حضر الباشا الى شبرا ووصل فى اثره قهوجى باشا وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس وطلعوا الى القلعة ومع الاغا المذكور ما حضره برسم الباشا وولده ابراهيم باشا الذى بالحجاز وهو خلعتان وسمور لكل واحد خلعة وخنجر مجوهر لكل واحد وشلنجان مجوهران وساعة جوهر وغير ذلك وقرئ الفرمان بحضرة الجمع وفيه الثناء الكثير على الباشا والعفو عمن بقى من الوهابية وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة وكذلك عند ورودهم واستمر ضرب المدافع ثلاثة ايام فى جميع الاوقات الخمس ونزل القابجى المذكور ببيت طاهر باشا بالازبكية وحضر ايضا عقبه اطواخ لكل من عباس بك ابن طوسون باشا ابن الباشا ولاحمد بك ابن طاهر باشا وفى ضمن الفرمان الاذن

٢٦ يخ مل ١٢ للباشا بتولية امريات وقبجيات لمن يختار (وفى صبحها يوم الجمعة) خلع الباشا على اربعة

(٣ هكذا بياض بالاصل)

المقتدر ثم ولي بعد الطائع القادر بالله وهو من اجداد الناصر لدين الله ثم ولي بعده المستظهر بالله ثم ولي بعده ابنه المسترشد بالله ابو منصور وولي بعد المسترشد بالله ابنه الراشد أبو جعفر فالمسترشد أخو المقتفي والراشد ابن أخيه فجميع من ولي الخلافة ممن ليس في سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة وكانت أم الناصر أم ولد تركية اسمها زمرد وكانت خلافته ستاوار بعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما وكان عمره نحو سبعين سنة تقريبا فلم يل الخلافة اطول مدة منه الا ما قيل عن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فانه ولي ستين سنة ولا اعتبار به فانه ولي وله سبع سنين فلا تصح ولايته وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية وقد ذهبت احدى عينيه والاخرى يبصر بها ابصارا ضعيفا وفي آخر الامر أصابه دوسنطاريا عشرين يوما ومات ووزر له عدة وزراء وقد تقدم ذكرهم ولم يطلق في طول مرضه شيئا كان احدثه من الرسوم الجائرة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالما فخرب في ايامه العراق وتفرق اهله في البلاد وأخذ املاكهم واموالهم وكان يفعل الشئ وضده فمن ذلك انه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها في رمضان فبقيت مدة ثم قطع ذلك ثم عمل دور الضيافة للحجاج فبقيت مدة ثم ابطلها واطلق بعض المكوس التي جددها ببغداد خاصة ثم اعادها وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة في البلاد جميعها الا من يلبس منه سراويل يدعي اليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك ايضا منع الطيور المناسيب لغيره الا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي بالبندق الا من ينتمي اليه فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت من بغداد فانه هرب من العراق ولحق بالشام فارسل اليه يرغبه في المال الجزيل ليرمي عنه وينسب في الرمي اليه فلم يفعل فبلغني ان بعض اصدقائه أنكر عليه الامتناع من اخذ المال فقال يكفيني فخرا انه ليس في الدنيا احد الا يرمي للخليفة الا انا فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من اعجب الامور وكان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحا من انه هو الذي اطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم

(ذكر خلافة الظاهر بامر الله)

قد ذكرنا سنة خمس وثمانين وخمسمائة الخطبة للامير ابي نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله بولاية العهد في العراق وغيره من البلاد ثم بعد ذلك خلعه الخليفة من ولاية العهد وارسل الى البلاد في قطع الخطبة له وانما فعل ذلك لانه كان يميل الى ولده الصغير علي فاتفق ان الولد الصغير توفي سنة اثنتي عشرة وستمائة ولم يكن للخليفة ولد غير ولي العهد فاضطر الى اعادته الا انه تحت الاحتياط والحجر لا يتصرف في شئ فلما توفي ابوه ولي الخلافة واحضر الناس لاخذ البيعة وتلقب بالظاهر بامر الله وعنى ان اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر عنه فظهر وولي الخلافة بامر الله لا بسعي من احد ولما ولي الخلافة اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين فلو قيل انه لم يل الخلافة

بعد

اوخمسة من امرائه بقجيات باشا وهم علي بك السلانكلي قابجي باشا وحسن اغا ازرجانلي كذلك وخليل افندي حاكم رشيد وشريف بك

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٤)

(فيه) حضر محمد بك الدفتردار من الجهة القبلية فاقام اياما وعاد الى قبلي وفي اواخره رجع الكثير من فلاحي الاقاليم الى بلادهم من الاشرفية وهم الذين اعوا امالزمهم من العمل والحفر ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب (وفي هذا الشهر) حصل بعض موت بالطاعون فداخل الناس وهم بسبب ما حدث في أكابر الدولة والنصارى من التحجب وعمل الكورنتينات وهي التباعد من الملامسة وتبخير الاوراق والمجالس ونحو ذلك

(واستهل شهر رجب بيوم الاثنين سنة ١٢٣٤)

(في خامسه) مات عبود النصراني كاتب الخزينة وكان مشكور السيرة في صناعته وعنده مشاركة ودعوى عريضة ودعوى علم ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ويضمن انشا آته ومراسلاته آيات وأمثالا وسجعات وأخذ دار القيسرلي بدرب الجنينة وما حولها وأنشاها دارا عظيمة وزخرفها وجعل بها بستانا ومجالس مفروشة بالرخام الملون وفساقي وشاذروانات وزجاج بلور وكل ذلك على طرف الميري

بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا فانه اعاد من الاموال المغصوبة في ايام ابيه وقبله شيئا كثيرا واطلق المكوس في البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم في جميع العراق وان يسقط جميع ما جدده ابوه وكان كثيرا لا يحصى فمن ذلك ان قرية بعقوبا كان يحصل منها قديما نحو عشرة آلاف دينار فلما تولى الناصر لدين الله كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون الف دينار فحضر اهلها واستغاثوا وذكروا ان املاكهم اخذت حتى صار يحصل منها هذا المبلغ فامر ان يؤخذ الخراج الاول وهو عشرة آلاف دينار فقيل له ان هذا المبلغ يصل الى المخزن فمن اين يكون العوض فاقام لهم العوض من جهات اخرى فاذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين الف دينار فما الظن بباقي البلاد ومن افعاله الجميلة انه امر باخذ الخراج الاول من باقي البلاد جميعها فحضر كثير من اهل العراق وذكروا ان الاملاك التي كان يؤخذ منها الخراج قديما قد يبس اكثر اشجارها وخربت ومتى طولبوا بالخراج الاول لا يفي دخل الباقي بالخراج فامر ان لا يؤخذ الخراج الا من كل شجرة سليمة واما الذاهب فلا يؤخذ منه شيء وهذا عظيم جدا ومن ذلك ايضا ان المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي للبلد يتعامل بها الناس فسمع بذلك فخرج خطه الى الوزير واوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم قد بلغنا ان الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التي يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى فكتب بعض النواب اليه يقول ان هذا مبلغ كثير وقد حسبناه فكان في السنة الماضية خمسة وثلاثين ألف دينار فاعاد الجواب ينكر على القائل ويقول لو انه ثلثمائة ألف وخمسون ألف دينار يطلق وكذلك ايضا فعل في اطلاق زيادة الصنجة التي للديوان وهي في كل دينار حبة وتقدم الى القاضي ان كل من عرض عليه كتابا صحيحا بملك يعيده اليه من غير اذن واقام رجلا صالحا في ولاية الحشري وبيت المال وكان الرجل حنبليا فقال اني من مذهبي ان اورث ذوي الارحام فان أذن امير المؤمنين ان افعل ذلك وليت والا فلا فقال له اعط كل ذي حق حقه واتق الله ولا تتق سواه ومنها ان العادة كانت ببغداد ان الحارس بكل درب يبكر ويكتب مطالعة الى الخليفة بما تجدد في دربه من اجتماع بعض الاصدقاء ببعض على نزهة او سماع او غير ذلك ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير فكان الناس من هذا في حجر عظيم فلما ولي هذا الخليفة جزاه الله خيرا أتته المطالعات على العادة فامر بقطعها وقال اي غرض لنا في معرفة أحوال الناس في بيوتهم فلا يكتب أحد الينا الا ما يتعلق بصالح دولتنا فقيل له ان العامة تفسد بذلك ويعظم شرها فقال نحن ندعو الله في أن يصلحهم ومنها انه لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان قد سار اليها أيام الناصر لتحصيل الاموال فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة ألف دينار وكتب مطالعة تتضمن ذكر ما معه ويستخرج الامر في حمله فاعاد الجواب بان يعاد الى أربابه فلا حاجة

وله مرتب واسع وكان الباشا يحبه و يثق به و يقول لولا الملامة لقلدته الدفتردارية (وفي سابعه) حضر الى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بك ابو نبوت معزولا عن ولايته فارسل الى الباشا يستأذنه في الحضور الى مصر فاطلق له الاذن فحضر فانزله بقصر العيني وصحبته نحو الخمسمائة مملوك وأجناد واتباع واجتمع بالباشا واجله وسلم عليه واقام معه حصة من الليل ورتب له مرتبا عظيما وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية اتباعه فمن جملة ما رتب له ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بالفين وستمائة نصف فضة في كل شهر وذلك خلاف المعين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والارز والفحم والشمع والصابون فمن الارز خاصة في كل يوم اردبان وللعليق خمسة وعشرون اردبا في كل يوم (وفي يوم السبت ثالث عشره) سافر قهوجي باشا عائدا الى اسلامبول واحتفل به الباشا احتفالا زائدا وقدم له وقدمه وارباب الدولة من الاموال والهدايا والخيول والبن والارز والسكر والشربات وتعابى الاقمشة الهندية وغيرها شيئا كثيرا وكذلك قدم له اكابر الدولة هدايا كثيرة ولانه لما حضر الى مصر قدم لهم هدايا فقابلوه باضعافها وعندما سافر احتجب الباشا وامر كل من كان يلازم ديوانه بالانصراف والتحجب فتحجب منهم من تمكن في داره ومنهم في القصور

لنا اليه فاعيد عليهم ومنها انه أخرج كل من كان في السجون وأمر باعادة ما أخذ منهم وأرسل الى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع وليس له مال ومن حسن نيته للناس ان الاسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية فرخصت الاسعار واطلق حمل الاطعمة اليها وان يبيع كل من أراد البيع للغلة فحمل منها الكثير الذي لا يحصى فقيل له ان السعر قد غلا شيئا والمصلحة منع حمله فقال أولئك مسلمون وهؤلاء مسلمون وكما يجب علينا النظر في أمر هؤلاء كذلك يجب علينا النظر لاولئك وأمر ان يباع من الاهراء التي له طعام ارخص مما يبيع غيره ففعلوا ذلك فرخصت الاسعار عندهم ايضا اكثر مما كانت اولا وكان السعر في الموصل لما ولي كل مكوكين بدينار وثلثي قيراط فصار كل أربعة مكاكيك بدينار في أيام قليلة وكذلك باقي الاشياء من التمر والدبس والارز والسمسم وغيرها فالله تعالى يؤيده وينصره ويبقيه فانه غريب في هذا الزمان الفاسد ولقد سمعت عنه كلمة أعجبتني جدا وهي انه قيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الاموال التي لا تسمح نفس ببعضها فقال لهم انا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني افعل الخير فكم أعيش وتصدق ليلة عيد الفطر من هذه السنة وفرق في العلماء واهل الدين مائة ألف دينار

(ذكر ملك بدر الدين قلعتي العمادية وهرور)

في هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العمادية من اعمال الموصل وقد تقدم ذكر عصيان اهلها عليه سنة خمس عشرة وستمائة وتسليمها الى عماد الدين زنكي ثم عودهم الى طاعة بدر الدين وخلافهم على عماد الدين فلما عادوا الى بدر الدين أحسن اليهم وأعطاهم الاقطاع الكثير وملكهم القرى ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنية فبقوا كذلك مدة يسيرة ثم شرعوا يراسلون عماد الدين زنكي ومظفر الدين صاحب اربل وشهاب الدين غازي بن العادل لما كان بخلاط ويعدون كلا منهم بالانحياز اليه والطاعة له وأظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه فكانوا لا يمكنون ان يقيم عندهم من اصحاب بدر الدين الا من يريدونه ويمنعون من كرهوه فطال الامر وهو يحتمل فعلهم ويداريهم وهم لا يزدادون الا طمعا وخروجا عن الطاعة وكانوا جماعة فاختلفوا فقوي بعضهم وهم اولاد خواجه ابراهيم وأخوه ومن معهم على الباقين فاخرجوهم عن القلعة وغلبوا عليها واصروا على ما كانوا عليه من النفاق فلما كان هذه السنة سار بدر الدين اليهم في عساكره فاتاهم بغتة فحصرهم وضيق عليهم وقطع الميرة عنهم وأقام بنفسه عليهم وجعل قطعة من الجيش على قلعة هرور يحصرونها وهي من امنع الحصون وأحصنها لا يوجد مثلها وكان اهلها أيضا قد سلكوا طريق اهل العمادية من عصيان وطاعة ومخادعة فاتاهم العسكر وحصروهم وهم في قلة من الذخيرة فحصروها اياما ففني ما في القلعة فاضطر اهلها الى التسليم فسلموها ونزلوا منها وعاد العسكر الى العمادية فاقاموا عليها مع بدر الدين فبقي بدر الدين بعد اخذ هرور يسيرا وعاد الى الموصل وترك العسكر بحاله مقيما عليهم مع نائبه امين الدين لؤلؤ فبقي الحصار

وسافر مع قهوجي باشا سليمان اغا السلحدار ودرويش باشا وآخرون لتشييعه الى الاسكندرية (وفي يوم الخميس ثامن عشره) حضر بواقي الوهابية بحريمهم واولادهم وهم نحو الاربعمائة نسمة واسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وابن عبد الله بن مسعود بدار عند جامع مسكة هو وخواصه من غير حرج عليهم وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٤)

(وفيه) وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز وصحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز وذلك انه لما مات أبوه تأمر عوضه وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة فلما توجه خليل باشا الى اليمن أخلى له البلاد واعتزل في حصن له ولم يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه وحضر عند خليل باشا فقبض عليه وأرسله مع الهجانة الى مصر (وفيه) صرفوا الفلاحين عن العمل في الترعة لاجل حصاد الزرع ووجهوا عليهم طلب المال

(واستهل شهر رمضان سنة ١٢٣٤)

والباشا كرتن بشبرا ولم يطلع الى القلعة كعادته في شهر رمضان (وفي ثامن عشرينه) طلع الى القلعة وعيد بها *(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٣٤)*

الى أول ذى القعدة فارسلوا يذعنون بالطاعة ويطلبون العوض عنها ليسلموها فاستقرت القواعد على العوض من قلعة يحتمون فيها واقطاع ومال وغير ذلك فاجابهم بدر الدين الى ما طلبوا وحضر نوابهم ليحلفوا بدر الدين فبينما هو يريد ان يحلف لهم وقد احضر من يشهد اليمين اذ قد وصل طائر من العمادية وعلى جناحه رقعة من امين الدين لؤلؤ يخبر انه قد ملك العمادية قهرا وعنوة واسر بنى خواجه الذين كانوا تغلبوا عليه فامتنع بدر الدين من اليمين واما سبب غلبة امين الدين عليها فانه كان قد ولاه بدر الدين عليها لما عاد اهلها الى طاعته فبقى فيها مدة فاحسن اليهم واحسن السيرة فيهم واستمال جماعة منهم ليتقوى بهم على الحزب الذين عصوا اولا فنمى الخبر اليهم فاساؤا مجاورته واستقالوا منه ولا يتهيأ ليهم ففارقهم الى الموصل وكان اولئك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه فلما حصرهم كانوا ايضا يكاتبونه فى النشاب يخبرونه بكل ما يفعله اولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك وبما عندهم من الذخائر الا انهم لم يكونوا فى الكثرة الى انهم يقهرون اولئك فلما كان الآن واستقرت القواعد من التسليم لم يذكر اولاد خواجه احدا من جندا لقلعة فى نسخة اليمين بل ولا غيره من أمان واقطاع فسخطوا هذه الحال وقالوا لهم قد حلفتم لانفسكم بالحصون والقرى والمال ونحن قد خربت بيوتنا لاجلكم فلم تذكرونا فاهانوهم ولم يلتفتوا اليهم فحضر عند امين الدين رجلان منهم ليلا وطلبوا منه ان يرسل اليهم جمعا يصعدونهم الى القلعة ويثبون باولئك ويأخذونهم فامتنع وقال اخاف ان لا يتم هذا الامر وينفسد علينا كل ما فعلناه فقالوا نحن نقبض عليهم غدا بكرة وتكونون انت والعسكر على ظهر فاذا سمعتم النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون الينا فاجابهم الى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة واما أولئك فانهم اجتمعوا وقبضوا على اولاد خواجه ومن معهم ونادوا بشعار بدر الدين فبينما العسكر قيام اذا الصوت من القلعة باسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وتسلم امين الدين اولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطائر بالحال وملكوا القلعة صفوا عفوا بغير عوض وكان يريد ان يغرم مالا جليلا واقطاعا كثيرة وحصنا منيعا فتوفر الجميع عليه واخذ منهم كل ما احتقبوه وادخروه واذا اراد الله أمرا فلا مرد له

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ليلة الاحد والعشرين من صفر زلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة وفيها اشتد الغلاء بالموصل وديار الجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والكلاب والسنانير فقل الكلاب والسنانير بعد ان كانت كثيرا ولقد دخلت يوما الى دارى فرأيت الجوارى يقطعن اللحم ليطبخوه فرأيت سنانيرا استكثرتها فعددتها فكانت اثنى عشر سنورا ورأيت اللحم فى هذا الغلاء فى الدار وليس عنده من يحفظه من السنانير لعدمها وليس بين المرتين كثير وغلا مع الطعام كل شئ فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط قبل الغلاء وأما قبل ذلك فكان كل

(فى رابع عشره) الموافق لآخر يوم من شهر أبيب نودى بوفاء النيل وكان الباشا سافر الى جهة الاسكندرية بسبب ترعة الاشرفية وأمر حكام الجهات بالارياف بجمع الفلاحين للعمل فاخذوا فى جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الاولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح ولما رجعوا الى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول واخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر فلما تم الا والطلب للعود الى الشغل فى الترعة ونزح المياه التى لا ينقطع نبعها من الارض وهى فى غاية الملوحة والمرة الاولى كانت فى شدة البرد وهذه المرة فى شدة الحر وقلة المياه العذبة فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة وتاخرى الاسكندرية (وفى سابع عشرينه) ارتحل ركب الحجاج من البركة واميرالحاج عابدين بك اخو حسن باشا

(واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٤) والعمل فى الترعة مستمر

(واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٤) فى منتصفه سافر الباشا الى الصعيد وسافر صحبته حسن

باشا طاهر ومحمد اغا لاظ المنفصل عن الكتخدائية وحسن اغا ازرجانلى وغيرهم من اعيان الدولة (وفيه) وصل
الخبر بموت سليمان باشا حاكم
عكا وهو من مماليك احمد
باشا الجزار (وفى اواخره) وصل
ابن ابراهيم باشا وصحبته
حريم ابيه فضربوا لوصولهم
مدافع وعملوا الاصغيرموكبا
ودخل من باب النصر وشق
من وسط المدينة (وانقضت)
السنة وماتجدد بها من الحوادث
التى منها زيادة النيل الزيادة
المفرطة اكثر من العام
الماضى وهذا من النوادر
وهو الغرق فى عامين متتابعين
واستمر ايضا فى هذه السنة
الى منتصف هاتور حتى فات
اوان الزراعة وربما نقص
قليلا ثم يرجع فى ثانى يوم
اكثر مانقص

(ودخلت سنة خمس وثلاثين
ومائتين والف)

فكان اول المحرم بالهلال يوم
الخميس وفيه وماقبله بايام
حصل بالارياف بل وبداخل
المدينة انزعاجات بسبب تواتر
سرقات واشاعة سروح مناسر
وحرامية وعمر الناس ابواب
الدور والدروب وحصل منع
الناس من المسير والمشى بالازقة
من بعد الغروب وصار
كتخدا بك واغات التبديل
والوالى يطوفون ليلا بالمدينة
وكل من صادفوه قبضوا عليه
وحبسوه ولو كان عما الاشبهة
فيه واستمر هذا الحال الى آخر الشهر (وفى سابع عشرينه) حضر الباشا من الصعيد بعدان

ستين رطلا بدينار ومن العجب ان السلق والجزر والسلجم يبيع كل خمسة ارطال بدرهم
و يبيع البنفسج كل ستة ارطال بدرهم و يبيع فى بعض الاوقات كل سبعة ارطال بدرهم
وهذا مالم يسمع بمثله ولقد راينا مالم نر ولا سمعنا بمثله فان الدنيا مازالت قديما وحديثا
اذا غلت الاسعار متى جاء المطر رخصت الا هذه السنة فان الامطار مازالت متتابعة من
اوّل الشتاء الى آخر الربيع وكلما جاء المطر غلت الاسعار وهذا مالم يسمع بمثله فبلغت
الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة وأربعين رطلا دقيقا
بالبغدادى وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك بعشرة دراهم وكان الارز مكوك
باثنى عشر درهما فصار المكوك بخمسين درهما وكان التمر كل أربعة ارطال وخمسة
ارطال بقيراط فصار كل رطلين بقيراط ومن عجيب مايحكى ان السكر النادر الاسمر كان
كل رطل بدرهم وكان السكر الابلوج المصرى النقى كل رطل بدرهمين فصار السكر
الاسمر كل رطل بثلاثة دراهم ونصف والسكر الابلوج كل رطل بثلاثة دراهم وربيع
وسببه ان الامراض لما كثرت واشتد الوباء قال النساء هذه الامراض باردة والسكر
الاسمر حار فينفع منها والابلوج بارد فيضرها وتبعهن الاطباء استمالة لقلوبهن وجهلا من
فغلا الاسمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط ومازالت الاشياء هكذا الى اول
الصيف واشتد الوباء وكثر الموت والمرض فى الناس فكان يحمل على النعش الواحد
عدة من الموتى فممن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسى خطيب
الموصل وكان من صالحى المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور وفيها انخسف
القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر وفيها هرب امير حاج العراق وهو حسام الدين أبو
فراس الحلى الكردى الورامى وهو ابن أخى الشيخ ورام كان عمه من صالحى المسلمين
وخيارهم من أهل الحلة السيفية ففارق الحاج بين مكة والمدينة وسار الى مصر فحكى لى
بعض اصدقائه انه انما حمله على الهرب كثرة الخرج فى الطريق وقلة المعونة من
الخليفة ولما فارق الحاج خافوا وخافوا شديدا من العرب فامن الله خوفهم ولم يرعهم
ذاعر فى جميع الطريق ووصلوا آمنين الا ان كثيرا من الجمال هلك اصابها غدة
عظيمة لم يسلم الا القليل وفيها فى آب جاء مطر شديد ورعد وبرق ودام حتى جرت
الاودية وامتلأت الطرق بالوحل ثم جاء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر
انه كان عندهم مثله ولم يصل الينا احد الا واخبران المطر كان عندهم فى ذلك التاريخ
وفيها كان فى الشتاء ثلج كثير ونزلت بالعراق فسمعت انه نزل فى جميع العراق حتى فى
البصرة أما الى واسط فلا شك فيه واما البصرة فان الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها وفيها
خربت قلعة الزعفران من أعمال الموصل وهى حصن مشهور يعرف قديما بدير
الزعفران وهو على جبل عال قريب من فرشابور وفيها ايضا خربت القلعة الجديدة من
بلد الهكارية من اعمال الموصل أيضا واضيف عملها وقراها الى العمادية وفيها فى
ذى الحجة سار جلال الدين بن خوارزمشاه من تبريز الى بلد الكرج قاصدا الاخذ بلادهم
واستئصالهم وخرجت السنة ولم يبلغنا انه فعل بهم شيئا ونحن نذكر مافعله بهم سنة

ثلاث وعشرين وستمائة ان شاء الله وفيها ثالث شباط سقط ببغداد ثلج وبرد الماء بردا شديدا وقوى البرد حتى مات به جماعة من الفقراء وفيها في ربيع الاول زادت دجلة زيادة عظيمة واشتغل الناس باصلاح سكر القورج وخافوا فبلغت الزيادة قريبا من الزيادة الاولة ثم نقص الماء واستبشر الناس

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة)

(ذكر ملك جلال الدين تفليس)

في هذه السنة ثامن ربيع الاول فتح جلال الدين بن خوارزمشاه مدينة تفليس من الكرج وسبب ذلك انا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة الحرب بينه وبينهم وانهزامهم منه وعوده الى تبريز بسبب الخلف الواقع فيها فلما استقر الامر في اذربيجان عاد الى بلاد الكرج في ذي الحجة من السنة وخرجت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ودخلت هذه السنة فقصد بلادهم وقد عادوا وحشدوا وجمعوا من الامم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم فاجتمعوا في جمع كثير لا يحصى فطمعوا بذلك ومنتهم أنفسهم الاباطيل ووعدهم الشيطان الظفر وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلقيهم وجعل لهم الكمين في عدة مواضع والتقوا واقتتلوا فولى الكرج منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه ولا الوالد على ولده وكل منهم قد اهمته نفسه واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب فلم ينج منهم الا اليسير الشاذ الذي لا يعبأ به وأمر جلال الدين عسكره ان لا يبقوا على احد وان يقتلوا من وجدوا فتبعوا المنهزمين يقتلونهم واشار عليه اصحابه بقصد تفليس دار ملكهم فقال لا حاجة لنا الى ان نقتل رجالنا تحت الاسوار انما اذا افنيت الكرج اخذت البلاد صفوا عفوا ولم تزل العساكر تتبعهم وتستقصي في طلبهم الى أن كادوا يفنونهم فحينئذ قصد تفليس ونزل بالقرب منها وسار في بعض الايام في طائفة من العسكر وقصدها لينظر اليها ويبصر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها فلما قاربها كمن اكثر العسكر الذي معه في عدة مواضع ثم تقدم اليها في نحو ثلاثة آلاف فارس فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه لقلة من معه ولم يعلموا امامعهم فظهروا اليه وقاتلوه فتاخر عنهم فقوى طمعهم فظنوه منهزما فتبعوه فلما توسطوا العساكر خرجوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم وانهزم الباقون الى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون فلما وصلوا اليها نادى المسلمون من اهلها بشعار الاسلام وباسم جلال الدين فالقى الكرج بايديهم واستسلموا لانهم كانوا قد قتل رجالهم في الوقعات المذكورة فقل عددهم وملئت قلوبهم خوفا ورعبا فملك المسلمون البلد عنوة وقهرا بغير امان وقتل كل من فيه من الكرج ولم يبق على كبير ولا صغير الا من اذعن بالاسلام واقر بكلمتي الشهادة فانهم ابقى عليهم وامرهم فختنوا وتركهم ونهب المسلمون الاموال وسبوا النساء واسترقوا الاولاد ووصل الى المسلمين الذين بها بعض الاذى من قتل ونهب وغيره وهذه تفليس من احصن البلاد وامنعها وهي على جانبي نهر الكر وهو نهر

وصل في سرحته الى الشلال وكان الناس تقولوا على ذهابه الى قبلي اقاويل منها انه يريد التجريد على بواقي المصريين المنقطعين بدنقلة فانهم استفحل امرهم واستكثروا من شراء العبيد وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك ومنها انه يريد التجريد ايضا واخذ بلاد دارفور والنوبة ويمهد طريق الوصول اليها ومنها انهم قالوا انه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد وان ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه واما قولهم عن هذه المعادن فالذي تلخص من ذلك انه ظهر بارض احجار خضر تشبه الزمرد وليست اياه وبمكان آخر شئ اسود مخرفش مثل خرء الحديد يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل فقد اخبرني اخونا الشيخ عمر الناوي المعروف بالمخاصي انه اخذ منه قطعة وذهب بها الى الصائغ ودقها ووضعها في بوط كبير وساق عليها بنار السبك وانكسر البوط فنقلها الى بوط آخر ولم يزل يعالجها بطول النهار واحرق عليها زيادة عن القنطار من الفحم (وفيه) حضر ايضا جماعة من الوهابية وانزلوا بدار بجارة عابدين

(واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

في غربته سافر محمد اغا المعروف بابونبوت الشامي الى دار السلطنة باستدعاء من الدولة وذلك انه لما حضر الى مصر

كبير ولقد جل هذا الفتح وعظم موقعه في بلاد الاسلام وعند المسلمين فان الكرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما ارادوا فكانوا يقصدون أي بلاد اذربيجان ارادوا فلا يمنعهم عنها مانع ولا يدفعهم عنها دافع وهكذا ارزن الروم حتى ان صاحبها لبس خلعة ملك الكرج ورفع على راسه علما منه في اعلاه صليب وتنصر ولده رغبة في نكاح ملكة الكرج وخوفا منهم ليدفع اشرعنه وقد تقدمت القصة وهكذا دربند شروان وعظم امرهم الى حد أن ركن الدين بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطية وسائر بلاد الروم التي للمسلمين جمع عساكره وحشد معها غيرها فاستكثر وقصد ارزن الروم وهي لاخيه طغرل شاه بن قلج ارسلان فاتاه الكرج وهزموه وفعلوا به وبعسكره كل عظيم وكان اهل دربند شروان معهم في الضنك والشدة واما ارمينية فان الكرج دخلوا مدينة ارجيش وملكوا قرس وغيرها وحصروا خلاط فلولا ان الله سبحانه من على المسلمين باسر ايواني مقدم عساكر الكرج لملكوها فاضطر أهلها الى ان بذلوا لهم بيعة في القلعة يضرب فيها الناقوس فرحلوا عنهم وقد تقدم تفصيل هذه الجملة ولم يزل هذا الثغر من اعظم الثغور ضررا على المجاورين من الفرس قبل الاسلام وعلى المسلمين بعدهم من اول الاسلام الى الآن ولم يقدم احد عليهم هذا الاقدام ولا فعل بهم هذه الافاعيل فان الكرج ملكوا تفليس سنة خمس عشرة وخمسمائة والسلطان حينئذ محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهو من اعظم السلاطين منزلة واوسعهم مملكة واكثرهم عساكر فلم يقدر على منعهم عنها هذا مع سعة بلاده فانه كان له الري واعمالها وبلد الجبل واصفهان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان واران وارمينية وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وغير ذلك وعمه السلطان سنجر له خراسان وماوراء النهر فكان اكثر بلاد الاسلام بايديهم ومع هذا فانه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمائة وسار اليهم بعد ان ملكوها فلم يقدر عليهم ثم ملك بعده اخوه السلطان مسعود فكذلك وملك الدكز بلد الجبل والري واذربيجان واران واطاعه صاحب خلاط وصاحب فارس وصاحب خوزستان وجمع وحشد لهم وكان قصاراه ان يتخلص منهم ثم ابنه البهلوان بعده وكانت البلاد في ايام اولئك كثيرة الاموال والرجال فلم يحدثوا انفسهم بالظفر بهؤلاء حتى جاء هذا السلطان والبلاد خراب قد اضعفها الكرج اولا ثم استأصلتها التتر لعنهم الله على ما ذكرناه ففعل بهم هذه الافاعيل فسبحان من اذا اراد امرا قال له كن فيكون

(ذكر مسير مظفر الدين صاحب اربل الى الموصل وعوده عنها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة سار مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل الى أعمال الموصل قاصدا اليها وكان السبب في ذلك انه استقرت القاعدة بينه وبين جلال الدين ابن خوارزمشاه وبين الملك المعظم صاحب دمشق وبين صاحب آمد وبين ناصر الدين صاحب ماردين ليقصدوا البلاد التي بيد الاشرف ويتغلبوا عليها او يكون لكل منهم

نصيب

ونزل برحاب الباشا كما تقدم وكاتب الباشا في شانه الى الدولة فحضر الامر بطلبه واوكد بالاكرام فعند ذلك هياله الباشا ما يحتاج اليه من هدية وغيرها وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصا أرسل اليهم الباشا كساوي وفراوي وترك باقي اتباعه بمصر انزلوهم في دار بسويقة اللالا وهم يزيدون عن المائتين ويصرف لهم الرواتب في كل يوم والشهرية (وفيه) وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم اسرى من الوهابية نساء و بنات وغلمانا نزلوا عند الهمايل وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع انهم مسلمون واحرار (وفي منتصفه) مات مصطفى اغا وكيل دار السعادة سابقا ومات أيضا الشيخ عبد الرحمن القرشي الحنفي (وفي سابع عشره) وصل الحاج المصري ومات الكثير من الناس فيه بالحمى وكذلك كثرت الحمى بارض مصر وكأنها تناقلت من ارض الحجاز (وفي حادي عشرينه) وصل ابراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير وكان قبل وروده بايام وصل خبر وصوله الى القصير وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها وركبت المبشرون لاخذ البقاشيش من الاعيان واجتمعت نساء اكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة ونظموا له القصر الذي كان انشاه ولي خوجه وعمه شريف بك

نصيب ذكره واستقرت القواعد بينهم على ذلك فبادر مظفر الدين الى الموصل وأما
جلال الدين فانه سار من تفليس يريد خلاط فاتاه الخبران نائبه ببلاد كرمان واسمه
بلاق حاجب قد عصى عليه على مانذكره فلما أتاه الخبر بذلك ترك خلاط ولم يقصدها
الآن عسكره نهب بعض بلدها وخربوا كثيرا منه وسار مجدا الى كرمان فانفسخ جميع
ما كانوا عزموا عليه الا أن مظفر الدين سار من اربل ونزل على جانب الزاب ولم يمكنه
العبور الى بلد الموصل وكان بدر الدين قد أرسل من الموصل الى الاشرف وهو بالرقة
يستنجده ويطلب منه أن يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفر الدين فسار منها الى حران
ومن حران الى دنيسر فخرب بلد ماردين وأهلكه تخريبا ونهبا وأما المعظم صاحب
دمشق فانه قصد بلد حمص وحماة وأرسل الى أخيه الاشرف يقول ان رحلت عن
ماردين وحلب وأنا عن حمص وحماة وأرسلت الى مظفر الدين ليرجع عن بلد الموصل
فرحل الاشرف عن ماردين وعاد كل منهم الى بلده وخربت أعمال الموصل وأعمال
ماردين بهذه الحركة فانها كانت قد أجحف بها تتابع الغلاء وطول مدته وجلاء أكثر
أهلها فاتتها هذه الحادثة فازدادت خرابا

(ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة وصل الخبر الى جلال الدين ان نائبه بكرمان وهو أمير
كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع في البلاد أن يتملكها ويستبد بها لبعد
جلال الدين عنها واشتغاله بما ذكرناه من الكرج وغيرهم وانه أرسل الى التتر يعرفهم
قوة جلال الدين وملكه كثيرا من البلاد وان أخذ الباقي عظمت مملكته وكثرت
عساكره وسار اليكم وأخذ ما بايديكم من البلاد فلما سمع جلال الدين ذلك وكان قد سار
يريد خلاط فتركها وسار الى كرمان يطوي المراحل أرسل بين يديه رسولا الى صاحب
كرمان ومعه الخلع ليطمئن ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعد للامتناع منه فلما وصل
الرسول علم ان ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته فاخذ ما يعز عليه وصعد الى قلعة
منيعة فتحصن بها وجعل من يثق اليه من أصحابه في الحصون يمتنعون بها وأرسل الى
جلال الدين يقول انني أنا العبد والمملوك ولما سمعت بمسيرك الى هذه البلاد
أخليتها لك لانها بلادك ولو علمت انك تبقى على لحضرت بابك ولكني أخاف هذا
جميعه والرسول يحلف له ان جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت الى قوله فعاد الرسول
فعلم جلال الدين انه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون لانه يحتاج أن يحصرها مدة طويلة
فوقف بالقرب من اصفهان وأرسل اليه الخلع وأقره على ولايته فبينما الرسل تتردد اذ
وصل رسول من وزير جلال الدين اليه من تفليس يعرفه ان عسكر الملك الاشرف
الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحثه على العود الى تفليس فعاد
اليها مسرعا

الذي تولى في منصبه وهو بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة وعند وصول المذكور عملوا جسرا من الروضة الى ساحل مصر
القديمة على مراكب من البر الى البر وردموه بالاتربة من فوق الاخشاب ٢٠٩ (وفي ذلك اليوم) وصل قابجي من دار
السلطنة بالبشارة بمولود ولد
لحضرة السلطان وطلع الى
القلعة في موكب (وفي يوم
الخميس حادي عشرينه)
عند وصول ابراهيم باشا نودي
بزينة المدينة سبعة ايام
بلياليها فشرع الناس في تزيين
الحوانيت والدور والخانات
بما امكنهم وقدروا عليه من
الملونات والمقصبات واما جهات
النصارى وحاراتهم وخاناتهم
فانهم ابدعوا في عمل تصاوير
مجسمات وتماثيل واشكال
غريبة وشكا الناس من
عدم وجود الزيت والشيرج
فرسموا بعمله قناطير شيرج
تعطى للزياتين لتباع على
الناس بقصد ذلك فياخذونها
ويبيعونها باغلى ثمن بعد
الافكار والكتمان (ولما
اصبح) يوم الجمعة وقد عدى
ابراهيم باشا الى بر مصر ركبوا
له موكبا ودخل من باب النصر
وشق المدينة وعلى راسه
الطلخان السليمي من شعار
الوزارة وقد ارخى لحيته بالحجاز
وحضر والده الى جامع الغورية
بقصد الفرجة على موكب
ابنه وطلع بالموكب الى القلعة
ثم رجع سائرا بالهيئة الكاملة
الى جهة مصر القديمة ومر على
الجسر وذهب الى قصره
المذكور بالروضة واستمرت الزينة والوقود والسهر بالليل وعمل الحراقات وضرب المدافع
في كل وقت من القلعة ومغاني وملاعب في مجامع الناس سبعة ايام بلياليها في مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع

الاخطاط ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظما فى نفسه جدا وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم فلما اقبلوا عليه وهو جالس فى ديوانه لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة فلم يجبهم ولا بالاشارة بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسرى الخاطر

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الاحد سنة ١٢٣٠)

فى ثامنه مات ابن ابراهيم باشا وهو الذى تقدمه فى المجىء الى مصر وعملوا له الموكب وعمره نحو ست سنوات وكان موته فى اول الليل من ليلة الاحد فارسلوا التنابيه لاعيان الدولة والمشايخ فخرج البعض منهم فى ثلث الليل الاخير الى مصر القديمة حيث المعادى لانه مات بقصر الجيزة فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة وما حضروا به الا قرب الزوال وانجروا بالمشهد الى مدفنهم بالقرب من الامام الشافعى وعملوا له ماتما وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك ثم حكى المخبرون عن كيفية موته انه كان نائما فى حجر دادته جارية سوداء فشاجرتها جارية بيضاء ورفصتها برجلها فاصابت الغلام فاضطرب ووصل الخبر الى ابيه فدخل اليهم وقبض على الجوارى الحاضرات وحبسهن فى مكان بالقصر وقال ان مات ولدى قتلتكن عن آخركن فمات من ليلته فخنق الجميع وألقاهن فى البحر سافين الدادة قيل انهن خمسة وقيل ستة والله أعلم (وفى أواخره) انقضى أمر الحفر بترعة الاسكندرية ولم ازل

(ذكر الحرب بين عسكر الاشرف وعسكر جلال الدين)

لما سار جلال الدين الى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكرا مع وزيره شرف الملك فقلت عليهم الميرة فساروا الى أعمال ارزن الروم فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النساء وأخذوا من الغنائم شيئا كثيرا لا يحصر وعادوا فكان طريقهم على أطراف ولاية خلاط فسمع النائب عن الاشرف بخلاط وهو الحاجب حسام الدين على الموصلى فجمع العسكر وسار اليهم فاوقع بهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وغنم كثيرا مما معهم وعاد هو وعساكره سالمين فلما فعل ذلك خاف وزير جلال الدين منهم فارسل الى صاحبه بكرمان يعرفه الحال ويحثه على الوصول اليه ويخوفه عاقبة التوانى والاهمال فرجع فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بامر الله)

فى هذه السنة فى الرابع عشر من رجب توفى الامام الظاهر بامر الله أمير المؤمنين أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بامر الله وقد تقدم نسبه عند وفاة أبيه رضى الله عنهما فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربه والعدل والاحسان الى رعيته وقد تقدم عند ذكر ولايته الخلافة من أفعاله ما فيه كفاية ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والاحسان الى الرعية فرضى الله عنه وأرضاه وأحسن منقلبه ومثواه فلقد جدد من العدل ما كان دارسا واذكر من الاحسان ما كان منسيا وكان قبل وفاته أخرج توقيعا الى الوزير بخطه على أرباب الدولة وقال الرسول أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا ان يقال برز مرسوم او نفذ مثال ثم لا يبين له اثر بل انتم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال فقرؤه فاذا فى اوله بعد البسملة اعلموا انه ليس امهالنا اهمالا ولا اغضاؤنا اغفالا ولكن لنبلوكم ايكم احسن عملا وقد عفونا لكم ما سلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلى فى صورة الحق الخفى حيلة ومكيدة وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكا لاغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب اسد مهيب تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى وانتم امناؤه وثقاته فتميلون رايه الى هواكم وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وانتم له عاصون ويوافقكم وانتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم امنا وبفقركم غنى وبباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ولا يؤاخذ الا من اصر ولا ينتقم الا ممن استمر يامركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم فى طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله فى ارضه وامنائه على خلقه والا هلكتم والسلام ولما توفى وجدوا فى بيت فى داره الوف رقاع كلها مختومة لم يفتحها فقيل له ليفتحها فقال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات ولم

يبق من الشغل الا القليل ثم فتحوا الماشر ما خلاف فها المعمول خوفا من غلبة البحر فجرى فيها الماء واختلط بالمياه المالحة
التي نبعت من أرضها وعلا الماء منها على بعض المواطن المسبخة وبها روبة عظيمة وساح على الارض وليس

ازل علم الله سبحانه مدة ولي الخلافة اخاف عليه قصر المدة لخبث الزمان وفساد اهله
واقول لكثير من اصدقائنا وما اخوفني ان تقصر مدة خلافته لان زماننا واهله
لا يستحقون خلافته فكان كذلك

(ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله)

لما توفي الظاهر بامر الله بويع بالخلافة ابنه الاكبر ابو جعفر المنصور ولقب المستنصر
بالله وسلك في الخير والاحسان الى الناس سيرة ابيه رضي الله عنه وامر فنودي ببغداد
باقامة العدل وان من كان له حاجة او مظلمة يطالع بها تقضى حاجته وتكشف
مظلمته فلما كان اول جمعة أتت على خلافته أراد ان يصلي الجمعة في المقصورة التي
كان يصلي فيها الخلفاء فقيل له ان المطبق الذي يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه
فركب فرسا وسار الى الجامع جامع القصر ظاهرا يراه الناس بقميص ابيض وعمامة
بيضاء بسكاكين حرير ولم يترك احدا يمشي معه من اصحابه للصلاة الى الموضع الذي كان
يصلي فيه وسار هو ومعه خادمان وركابدار لا غير فصلى وعاد وكذلك الجمعة الثانية
حتى اصلح له المطبق وكان السعر قد تحرك بعد وفاة الظاهر بامر الله رضي الله عنه
فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطا فامر أن تباع الغلات التي له كل كارة بثلاثة عشر
قيراطا فرخصت الاسعار واستقامت الامور

(ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد)

في هذه السنة في شعبان سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ملك بلاد
الروم الى بلاد الملك المسعود صاحب آمد وملك عدة من حصونه وسبب ذلك ما ذكرناه
من اتفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق
وغيرهما على خلاف الاشرف فلما رأى الاشرف ذلك ارسل الى كيقباذ ملك الروم
وكانا متفقين يطلب منه أن يقصد بلد صاحب آمد ويحاربه وكان الاشرف حينئذ
على ماردين فسار ملك الروم الى ملطية وهي له فنزل عندها وسير العساكر الى ولاية
صاحب آمد ففتحوا حصن منصور وحصن شمكاراد وغيرها فلما رأى صاحب آمد ذلك
راسل الاشرف وعاد الى موافقته فارسل الاشرف الى كيقباذ يعرفه ذلك ويقول له
ليعيد الى صاحب آمد ما أخذ منه فلم يفعل وقال لم أكن نائبا للاشرف يامرني وينهاني
فاتفق ان الاشرف سار الى دمشق ليصلح اخاه الملك المعظم وأمر العساكر التي له بديار
الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان أصر ملك الروم على قصده فسارت عساكر الاشرف
الى صاحب آمد وقد جمع عسكره ومن ببلاده ممن يصلح للحرب وسار الى عسكر ملك الروم
وهم يحاصرون قلعة الكختا فالتقوا هناك في شوال فانهزم صاحب آمد ومن معه من
العساكر هزيمة عظيمة وجرح كثير وأسر كثير وملك عسكر كيقباذ قلعة الكختا بعد

هنالك جسور تمنع وصادف
أيضا وقوع نوة وأهوية
علا فيها البحر المالح على
الجسر الكبير ووصل الى
الترعة فاشيع في الناس ان
الترعة فسد أمرها ولم تصح
وان المياه المالحة التي منها
ومن البحر غرقت الاسكندرية
وخرج أهلها منها الى ان تحقق
الخبر بالواقع وهو دون
ذلك ورجع المهندسون
والفلاحون الى بلادهم بعد
ما هلك معظمهم

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣٠)

في اوله عزل الباشا محمد بك
الدفتردار عن امارة الصعيد
وقلد عوضه احمد باشا بن
طاهر باشا وسافر في خامسه
(وفي سابعه) سافر الباشا الى
الاسكندرية للكشف على
الترعة وسافر صحبته ابنه
ابراهيم باشا ومحمد بك الدفتردار
والكتخدا القديم ودبوس
اوغلي (وفي ثالث عشره)
حضر الباشا ومن معه من
غيبتهم وقد انشرح خاطره
لتمام الترعة وسلوك المراكب
وسفرها فيها وكذلك
سافرت فيها مراكب رشيد
والنقاير بالبضائع واستراحوا
من وعر البغاز والسفر
في المالح الى الاسكندرية والنقل والتحريم وانتظار الريح المناسب لاقتحام البغاز والبحر الكبير ولم يبق في شغل الترعة الا
الامر اليسير واصلاح بعض جسورها * واتفق وقوع حادثة في هذا الشهر وهو ان شخصا من الافرنج الانكليز ورد من

الاسكندرية وطلع الى بلدة تسمى كفرحشاد فمشى بالغيط ليصطاد الطير فضرب طيرا ببندقيته فاصابت بعض الفلاحين فى
رجله وصادف هناك شخصان من الارنؤد بيده هراوة او مسوقة فجاء الى ذلك الافرنجى وقال له اما تخشى

ان ياتى اليك بعض الفلاحين ويضربك على راسك هكذا واشار بما فى يده على راس الافرنجى لكونه لا يفهم لغته فاغتاظ من ذلك الافرنجى وضربه ببندقيته فسقط ميتا فاجتمع عليه الفلاحون وقبضوا على الافرنجى ورفعوا الارنؤدى المقتول وحضروا الى مصر وطلعوا بمجلس كتخدابك واجتمع الكثير من الارنؤد وقالوا لابد من قتل الافرنجى فاستعظم الكتخدا ذلك لانهم يراعون جانب الافرنج الى الغاية فقال حتى نرسل الى القناصل ونحضرهم ايرواحكمهم فى ذلك وارسل باحضارهم وقد تكاثر الارنؤد واخذتهم الحمية وقالوا لاى شئ تؤخر قتله الى مشورة القناصل وان لم يقتل هذا فى الوقت نزلنا الى حارة الافرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الافرنج فلم يسع الكتخدا الا ان امر بقتله فنزلوا به الى الرميلة وقطعوا راسه وطلع ايضا القناصل فى كبكبتهم وقد نفذ الامر وكان ذلك فى غيبة الباشا

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٠)

فيه ورد الباشا حسن بك الشماشرجى حاكم البحيرة على سيوة من الجهة القبلية فتوجه اليها من البحيرة بجنده ومعه طائفة من العرب عليها

(وفيه) قوى عزم الباشا على الاغارة على نواحى السودان فمن قائل انه متوجه الى سنار ومن قائل الى دارفور وسارى العسكر

الهزيمة وهى من أمنع الحصون والمعاقل فلما ملكوه عادوا الى صاحبهم

(ذكر حصر جلال الدين مدينتى آنى وقرس)

فى هذه السنة فى رمضان عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه الى تفليس وسار منها الى مدينة آنى وهى للكرج وبها ايوانى مقدم عساكر الكرج فيمن بقى معه من اعيان الكرج فحصره وسير طائفة من العسكر الى مدينة قرس وهى للكرج أيضا وكلاهما من احصن البلاد وامنعها فنازلهما وحصرهما وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق وجد فى القتال عليهما وحفظتهما الكرج وبالغوا فى الحفظ والاحتياط لخوفهم منه ان يفعل بهم مافعل باشياعهم من قبل بمدينة تفليس وأقام عليهما الى ان مضى بعض شوال ثم ترك العسكر عليهما يحصرونهما وعاد الى تفليس وسار من تفليس مجدا الى بلاد ابخاز وبقايا الكرج فاوقع بمن فيها فنهب وقتل وسبى وخرب البلاد وأحرقها وغنم عساكره مافيها وعاد منها الى تفليس

(ذكر حصر جلال الدين خلاط)

قد ذكرنا ان جلال الدين عاد من مدينة آنى الى تفليس ودخل بلاد ابخاز وكان رحيله مكيدة لانه بلغه ان النائب عن الملك الاشرف وهو الحاجب حسام الدين على بمدينة خلاط قد احتاط واهتم بالامر وحفظ البلد لقربه منه فعاد الى تفليس ليطمئن أهل خلاط وتركوا الاحتياط والاستظهار ثم يقصدهم بغتة فكانت غيبته ببلاد ابخاز عشرة أيام وعاد وسار مجدا على عادته فلولم يكن عنده من يراسل نواب الاشرف بالاخبار لفجاهم على حين غفلة منهم وانما كان عنده بعض ثقاته يعرفهم أخباره وكتب اليهم يحذرهم فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ووصل جلال الدين فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة ثم رحل عنها فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين خامس عشره فلم ينزل حتى زحف اليها وقاتل أهلها قتالا شديدا فوصل عسكره سور البلد وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم زحف اليها مرة ثانية وقاتل أهل البلد قتالا عظيما فعظمت نكاية العسكر فى أهل خلاط ووصلوا الى سور البلد ودخلوا الربض الذى له ومدوا أيديهم فى النهب وسبى الحريم فلما رأى أهل خلاط ذلك تذامروا وحرض بعضهم بعضا فعادوا الى العسكر فقاتلوهم فاخرجوهم من البلد وقتل بينهم خلق كثير وأسر العسكر الخوارزمى من امراء خلاط جماعة وقتل منهم كثير وترجل الحاجب على ووقف فى نحر العدو وابلى بلاء عظيما ثم ان جلال الدين استراح عدة أيام وعاود الزحف مثل اول يوم فقاتلوه حتى ابعدوا عسكره عن البلد وكان أهل خلاط مجدين فى القتال حريصين على المنع عن انفسهم لما رأوا من سوء سيرة الخوارزميين ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ثم أقام

ابنه اسمعيل باشا وخلافه ووجه الكثير من اللوازم الى الجهة القبلية وعمل البقسماط والذخيرة ببلاد قبلي والشرقية
واهتم اهتماما عظيما وارسل أيضا باحضار مشايخ العربان والقبائل (وفيه) خرج الباشا الى ناحية القليوبية
حيث الخيول بالربيع
وخرج محرم بك لضيافته
بقلقشنده وأخرج خياما
وجمالا كثيرة محملة بالفرش
والنحاس وآلات المطبخ
والارز والسمن والعسل
والزيت والحطب والسكر
وغير ذلك واضافه ثلاثة ايام
وكذلك ثامر كاشف الناحية
وغيره وكذلك احضر له ضيافة
ابن شديد شيخ الحويطات
وابن الشواربي كبير قليوب
وابن عمر وكان صحبة الباشا
ولداه ابراهيم باشا واسمعيل
باشا وحسن باشا (وفي اثناء
ذلك) ورد الخبر بموت عابدين
بك اخو حسن باشا بالديار
الحجازية وكذلك الكثير من
اتباعه بالحمى فتكدر خاطرهم
وبطلت الضيافات وحضر
الباشا ومن معه في اواخره
لعمل العزاء والميتم واخبر
الواردون بكثرة الحمى بالديار
الحجازية حتى قالوا انه لم يبق
من طائفة عابدين بك الا القليل
جدا

*(واستهل شهر جمادى
الثانية سنة ١٢٣٠)*

في عشرينه وردت هدية من
والي الشام فيها من الخيول
الخاص عشرة بعضها ملابس
والباقي من غير سروج واشياء
اخر لا نعلمها (وفي اواخره) ورد الخبر بان حسن بك الشماشرجي استولى على سيوة (وفيه) ورد الخبر بانه وقع باسلامبول
حريق كبير (وفيه) ورد الخبر ايضا من حلب بان احمد باشا المعروف بخورشيد الذي كان سابقا والي مصر استولى على حلب

عليها الى ان اشتد البرد ونزل شيء من الثلج فرحل عنها يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي
الحجة من السنة وكان سبب رحيله مع خوف الثلج ما بلغه عن التركمان الايوائية من
الفساد بالبلاد

(ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوائية)

كان التركمان الايوائية قد تغلبوا على مدينة اشنو وارمية من نواحي اذربيجان وأخذوا
الخراج من أهل خوي ليكفوا عنهم واغتروا باشتغال جلال الدين بالكرج وبعدهم
بخلاط وازداد طمعهم وانبسطوا باذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق والاخبار تاتي
الى خوارزمشاه جلال الدين وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بما هو أهم عنده وبلغ من
طمعهم انهم قطعوا الطريق بالقرب من تبريز واخذوا من تجار اهلها شيئا كثيرا ومن
جملة ذلك انهم اشتروا اغناما من ارزن الروم وقصدوا بها تبريز فلقيهم الايوائية قبل
وصولهم الى تبريز فاخذوا جميع ما معهم ومن جملته عشرون ألف رأس غنم فلما اشتد
ذلك على الناس وعظم الشر أرسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل ونوابه
في البلاد اليه يستغيثون ويعرفونه ان البلاد قد خربها الايوائية ولئن لم يلحقها والا
هلكت بالمرة فاتفق هذا الى خوف الثلج فرحل عن خلاط وجد السير الى الايوائية
وهم آمنون مطمئنون لعلمهم ان خوارزمشاه على خلاط وظنوا انه لا يفارقها فلولا
هذا الاعتقاد لصعدوا الى جبال لهم منيعة شاهقة لا يرتقى اليها الا بمشقة وعناء فانهم
كانوا اذا خافوا صعدوا اليها وامتنعوا بها فلم يرعهم الا والعساكر الجلالية قد احاطت
بهم وأخذهم السيف من كل جانب فاكثروا القتل فيهم والنهب والسبي واسترقوا
الحريم والاولاد وأخذوا من عندهم ما لا يدخل تحت الحصر فرأوا كثيرا من الامتعة
التي أخذوها من التجار بحالها في الشذوات لم تحل هذا سوى ما كانوا قد حلوه وفصلوه
فلما فرغ عاد الى تبريز

(ذكر الصلح بين المعظم والاشرف)

قد ذكرنا سبب الاختلاف فنقول لما توفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب اتفق
أولاده الملوك بعده اتفاقا حسنا وهم الملك الكامل محمد صاحب مصر والملك المعظم
عيسى صاحب دمشق والبيت المقدس وما يجاورهما من البلاد والملك الاشرف موسى
وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصرية
ولما رحل الكامل عن دمياط لما كان الفرنج يحصرونها صادفه أخوه المعظم من
الغد وقويت نفسه وثبت قدمه ولولا ذلك لكان الامر عظيما وقد ذكرنا ذلك مفصلا
ثم انه عاد من مصر وسار الى أخيه الاشرف ببلاد الجزيرة مرتين يستنجده على الفرنج
ويحثه على مساعدة أخيه الكامل ولم يزل به حتى أخذه وسار الى مصر وأزالوا الفرنج

وقتل من اهلها واعيانها اناسا كثيرة وذلك انه كان متولياء لم انفصل منه ما اوجب قيام اهل البلدة عليه وعزلوه واخرجوه وذلك من مدة سابقة فلما اخرجوه اقام خارجها وكاتب الدولة فى شانهم وقال ماقال فى حقهم فبعثوا اوامر ومراسيم لولاة تلك النواحى بان يتوجهوا بالمعونة على اهل حلب فاحتاطوا بالبلدة وحاربوها اشهرا حتى ملكوها وفتكوا فى اهلها وضربوا عليهم ضرائب عظيمة وتم على ذلك (وفى اواخره) ايضا تقلد اغاوية مستحفظان مصطفى اغا كرد مضافة للحسبة عوضا عن حسن اغا الذى توفى فى الحج فاخذ يعسف كعادته فى مبادى توليته للحسبة وجعل يطوف ليلا ونهارا ويحتج على المارين بالليل بادنى سبب فيضرب من يصادفه راجعا من سهر ونحوه او يقطع من اذنه او انفه

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

فى ثالثه تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين اغا المورلى وهو بخشونجى بساتين الباشا (وفيه) رجع حسن بك الشماشرجى من ناحية سيوه بعد ان استولى عليها وقبض من اهاليها مبلغا من المال والتمر وقرر عليها قدرا يقومون به فى كل عام الى الخزينة (وفى عشرينه) سافر محمد اغا لاظ وهو المنفصل عن الكتخدائية الى قبلى يعنى انه فى مقدمة التجردة يتقدمها الى الشلال (وفى اواخره) وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية فخلع الباشا على اخيه احمد بك وهو ثالث اخوته وهو اوسطهم وهما وقلده فى منصب اخيه عوضا عنه واعطى البيرق واللوازم (وفى اواخره) توجه الباشا الى

عن الديار المصرية كما ذكرناه قبل فكان اتفاقهم سببا لحفظ بلاد الاسلام وسر الناس اجمعون بذلك فلما فارق الفرنج مصر وعاد كل من الملوك اولاد العادل الى بلده بقوا كذلك يسيرا ثم سار الاشرف الى اخيه الكامل بمصر فاجتاز باخيه المعظم بدمشق فلم يستصحبه معه واطال المقام بمصر فلاشك ان المعظم سار الى مدينة حماة وحصرها فارسل اليه اخواه من مصر ورحلاه عنها كارها فازداد نفورا وقيل انه نقل اليه عنهما انهما اتفقا عليه والله اعلم بذلك ثم انضاف الى ذلك ان الخليفة الناصر لدين الله رضى الله عنه كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن بمكة من الاستهانة بامير الحاج العراقى فاعرض عنه وعن اخيه الاشرف لاتفاقهما وقاطعهما وراسل مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل لعلمه بانحرافه عن الاشرف واستماله واتفقا على مراسلة المعظم وتعظيم الامر عليه فمال اليهما وانحرف عن اخويه ثم اتفق ظهور جلال الدين وكثرة ملكه فاشتد الامر على الاشرف بمجاورة جلال الدين خوارزمشاه ولاية خلاط ولان المعظم بدمشق يمنع عنه عساكر مصر ان تصل اليه وكذلك عساكر حلب وغيرها من الشام فراى الاشرف ان يسير الى اخيه المعظم بدمشق فسار اليه فى شوال واستماله واصلحه فلما سمع الكامل بذلك عظم عليه وظن ان اتفاقهما عليه ثم انهما راسلاه واعلماه بنزول جلال الدين على خلاط وعظما الامر عليه واعلماه ان هذه الحال تقتضى الاتفاق لعمارة البيت العادلى وانقضت السنة والاشرف بدمشق والناس على مواضعهم ينتظرون خروج الشتاء ومايكون من الخوارزميين وسنذكر مايكون سنة اربع وعشرين وستمائة ان شاء الله تعالى

(ذكر الفتنة بين الفرنج والارمن)

فى هذه السنة جمع البرنس الفرنجى صاحب انطاكية جموعا كثيرة وقصد الارمن الذين فى الدروب من بلاد ابن ليون فكان بينهم حرب شديدة وسبب ذلك ان ابن ليون الارمنى صاحب الدروب توفى قبل ولم يخلف ولدا ذكرا انما خلف بنتا فملكها الارمن عليهم ثم علموا ان الملك لا يقوم بامراة فزوجوها من ولد البرنس فتزوجها وانتقل الى بلدهم واستقر فى الملك نحو سنة ثم ندموا على ذلك وخافوا ان يستولى الفرنج على بلادهم فثاروا بابن البرنس فقبضوا عليه وسجنوه فارسل ابوه يطلب ان يطلق ويعاد فى الملك فلم يفعلوا فارسل الى باباه ملك الفرنج برومية الكبرى يستاذنه فى قصد بلادهم وهذا ملك رومية امره عند الفرنج لا يخالف فمنعه عنهم وقال انهم اهل ملتنا ولا يجوز قصد بلادهم فخالفه وارسل الى علاء الدين كيقباذ ملك قونية وملطية ومابينهما من بلاد المسلمين وصالحه ووافقه على قصد بلاد ابن ليون والاتفاق على قصدها فاتفقا على ذلك وجمع البرنس عساكره ليسير الى بلاد الارمن فخالف عليه الداوية والاسبتار

ناحية الوادى لينظر ما تجدد به من العمائر والمزارع والسواقى وقد صار هذا الوادى اقليما على حدته وعمر به قرى ومساكن ومزارع (واستهل شهر شعبان بيوم الاحد سنة ١٢٣٠)* فيه سافر ابراهيم باشا الى القليوبية ثم الى المنوفية والغربية لقبض الخراج عن سنة تاريخه والطلب بالبواقى التى انكسرت على الفقراء وكان الباشا سامح فى ذلك وتلك بواقى سبع سنين فكان يطلب مجموع ما على القرية من المال والبواقى فى ظرف ثلاثة أيام ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد وتركوا غلالهم فى الاجران وطفشوا فى النواحى بنسائهم وأولادهم وكان يحبس من يجده من النساء ويضربهن فكان مجموع المال المطلوب تحصيله على ما اخبرنى به بعض الكتاب مائة الف كيس (وفى منتصفه) حضر الباشا من ناحية الوادى (وفى اواخره) وقع حريق ببولاق فى مغالق الخشب التى خلف جامع مرزه واقام الحريق نحو يومين حتى طفئ واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر المعروف بالكرسنة والزفت وحطب الاشراق وغيره

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠)

والاهتمام حاصل وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين الى بلاد السودان ومن جملة الطلب ثلاثة انفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة التجريدة فوقع الاختيار على محمد افندى الاسيوطى قاضى اسيوط والسيد احمد البقلى الشافعيين والشيخ احمد السلاوى المغربى المالكى واقبضوا محمد افندى المذكور عشرين كيسا وكسوة ولكل واحد من الاثنين خمسة

وهما جرة الفرنج فقالوا ان ملك رومية نهانا عن ذلك الا انه اطاعه غيرهم فدخل اطراف بلاد الارمن وهى مضايق وجبال وعرة فلم يتمكن من فعل ما يريدوا اما كيقباذ فانه قصد بلاد الارمن من جهته وهى اسهل مدخلا من جهة الشام فدخلها سنة اثنتين وعشرين وستمائة فنهبها واحرقها وحصر عدة حصون ففتح اربعة حصون وادركه الشتاء فعاد عنها فلما سمع بابا ملك الفرنج برومية ارسل الى الفرنج بالشام يعلمهم انه قد حرم البرنس فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرنج لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان اهل بلاده وهى انطاكية وطرابلس اذا جاءهم عيد يخرج من عندهم فاذا فرغوا من عيدهم دخل البلد ثم انه ارسل الى ملك رومية يشكو من الارمن وانهم لم يطلقوا ولده فارسل الى الارمن يامرهم باطلاق ابنه واعادته الى الملك فان فعلوا والا فقد اذن له فى قصد بلادهم فلما بلغتهم الرسالة لم يطلقوا ولده فجمع البرنس وقصد بلاد الارمن فارسل الارمن الى الاتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لانها تجاور اعمال حلب فامدهم بجند وسلاح فلما سمع البرنس ذلك صمم العزم على قصد بلادهم فسار اليهم وحاربهم فلم يحصل على غرض فعاد عنهم حدثنى بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها وسالت غيره فعرف البعض وانكر البعض

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة انخسف القمر مرتين اولاهما ليلة رابع عشر صفر وفيها كانت اعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة شديدة الحرارة تسميها الناس عين ميمون ويخرج مع الماء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دائما فى الربيع والخريف لانها تنفع من الامراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء ففى هذه السنة برد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات فقتل كثير فلقد بلغنى ان ذئبا دخل الموصل فقتل فيها (وحدثنى) صديق لنا له بستان بظاهر الموصل انه قتل فيه فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة جميع الصيف حيتين وقتل هذه السنة الى أول حزيران سبع حيات لكثرتها وفيها انقطع المطر بالموصل واكثر البلاد الجزرية من خامس شباط الى ثانى عشر نيسان ولم يجر شئ يعتد به لكنه سقط اليسير منه فى بعض القرى فجاءت الغلات قليلة ثم خرج الجراد الكثير فازدادت الناس اذى وكانت الاسعار قد صلحت شيئا فعادت لكثرة الجراد غلت ونزل ايضا فى كثير من القرى برد كبير اهلك زروع اهلها وافسدها واختلفت اقاويل الناس فى اكبره كان وزن بردة مائتى درهم وقيل رطل وقيل غير ذلك الا انه اهلك كثيرا من الحيوان وانقضت هذه السنة

عشر كيسا وكسوة ورتبوا لهم ذلك فى كل سنة (وفى سابعه) وقع حريق فى سراية القلعة فطلع الاغا والوالى واغات التبديل واهتموا بطفء النار وطلبوا السقائين من كل ٢١٦ ناحية حتى شح الماء ولا يكاد يوجد وكان ذلك فى شدة الحر وتوافق شهر بؤنه ورمضان واقاموا فى طفء النار يومين واحترق ناحية ديوان كتخدا بك ومجلس شريف بك وتلفت اشياء وامتعة ودفاتر حرقا ونهبا وذلك ان ابنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالاحجار والصخور والعقود وليس بها الا القليل من الاخشاب فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الابنية الرقيقة واكثرها من الخشب والاخشاب على طريق بناء اسلامبول والافرنج وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقيق والادهان والنقوش وكله سريع الاشتعال حتى ان الباشا لما بلغه هذا الحريق وكان مقيما بشبرا تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ويلوم على تغيير الوضع السابق ويقول انا كنت غائبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء وقد تلف فى هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين الف كيس حرقا ونهبا ولما حصل هذا الحريق انتقلت الدواوين الى بيت طاهر باشا بالازبكية وانقضى شهر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

وقع فى تلك الليلة اضطراب فى ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية جدا وشهد اثنان برؤيته ورد الواحد ثم حضر فى آخر ولم يزالوا كذلك الى آخر الليل ثم حكم به عند الفجر بعد ان صليت التراويح واوقدت المنارات وطاف المسحرون

والغلاء باق واشتد بالموصل وفيها اصطاد صديق لنا ارنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج انثى فلما شقوا بطنها رأوا فيها خرنقين سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا انا لنا نسمع ان الارنب يكون سنة ذكرا وسنة انثى ولا نصدق بذلك فلما رأينا هذا علمنا انه قد حمل وهو انثى وانقضت السنة فصار ذكرا فان كان كذلك فيكون فى الارانب كالخنثى من بنى آدم يكون لاحدهم فرج الرجل وفرج الانثى فانى كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة واذ قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيتها فكان لها فرج امرأة وذكر رجل وفيها ذبح انسان عندنا رأس غنم فوجد لحمه مرا شديد المرارة حتى رأسه واكارعه ومعلاقه وجميع اجزائه وهذا ما لم يسمع بمثله وفيها يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذى القعدة ضحوة النهار زلزلت الارض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية وكان اكثرها بشهرزور فانها خرب اكثرها لا سيما القلعة فانها اجحفت بها وخرب من تلك الناحية ست قلاع وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفا وثلاثين يوما ثم كشفها الله عنهم واما القرى بتلك الناحية فخرب اكثرها وفيها فى رجب توفى القاضى حجة الدين ابو منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن بن على بن القاسم الشهرزورى قاضى الموصل بها وكان قد اضر قبل وفاته بنحو سنتين وكان عالما بالقضاء عفيفا نزها ذا رياسة كبيرة وله صلات دارة للمقيم والوارد رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ولم يخلف غير بنت توفيت بعده بثلاثة اشهر

(ثم دخلت سنة اربع وعشرين وستمائة)

(ذكر دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها)

فى هذه السنة فى ربيع الاول وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن بها من العسكر الاسلامى من يقوم بحمايتها وسبب ذلك ان جلال الدين لما عاد من خلاط كما ذكرنا قبل واوقع بالايوانية فرق عساكره الى المواضع الحارة الكثيرة المرعى ليشتوا بها وكان عسكره قد اساؤا السيرة فى رعية تفليس وهم مسلمون وعسفوهم فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد فاغتنم الكرج ذلك لميل اهل البلد اليهم وخلوه من العسكر فاجتمعوا وكانوا بمدينتى قرس وآنى وغيرهما من الحصون وساروا الى تفليس وكانت خالية كما ذكرناه ولان جلال الدين استضعف الكرج لكثرة من قتل منهم ولم يظن فيهم حركة فملكوا البلد ووضعوا السيف فيمن بقى من اهله وعلموا انهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين فاحرقوها جميعها واما جلال الدين فانه لما بلغه الخبر سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم فلم ير منهم احدا كانوا قد فارقوا تفليس لما احرقوها

(ذكر نهب جلال الدين بلد الاسماعيلية)

في هذه السنة قتل الاسماعيلية أميرا كبيرا من امراء جلال الدين وكان قد اقطعه جلال الدين مدينة كنجة واعمالها وكان نعم الامير كثير الخير حسن السيرة ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشر فلما قتل ذلك الامير عظم قتله على جلال الدين واشتد عليه فسار في عساكره الى بلاد الاسماعيلية من حدود الموت الى كرد كوه بخراسان فخرب الجميع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبي الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم وطمعوا مذ خرج التتر الى بلاد الاسلام الى الآن فكف عاديتهم وقمعهم ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين

(ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

لما فرغ جلال الدين من الاسماعيلية بلغه الخبر ان طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينهم فانهزموا منه فاوسعهم قتلا وتبع المنهزمين عدة ايام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد اقام بنواحي الري خوفا من جمع آخر للتتر اذ اتاه الخبر بان كثيرا منهم واصلون اليه فاقام ينتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستمائة

(ذكر دخول العساكر الاشرفية الى اذربيجان وملك بعضها)

في هذه السنة في شعبان سار الحاجب علي حسام الدين وهو النائب عن الملك الاشرف بخلاط والمقدم على عساكرها الى بلاد اذربيجان فيمن عنده من العساكر وسبب ذلك ان سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة في الرعايا وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقي وهي التي كانت زوجة اوزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان فتزوجها جلال الدين كما ذكرناه قبل وكانت مع اوزبك تحكم في البلاد جميعها ليس له ولا لغيره معها حكم فلما تزوجها جلال الدين اهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما حرمته من الحكم والامر والنهي فاوسلت هي واهل خوى الى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلموا البلاد له فسار ودخل البلاد بلاد اذربيجان فملك مدينة خوى وما يجاورها من الحصون التي بيد امرأة جلال الدين وملك مرند وكاتبه اهل مدينة نقجوان فمضى اليهم فسلموها اليه وقويت شوكتهم بتلك البلاد ولو داموا لملكوها جميعها انما عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل الى خلاط وسنذكر باقي خبرهم سنة خمس وعشرين ان شاء الله تعالى

بطبلاتهم وتنفجرت الناس واصبح العيد باردا (وفي خامسه) سافر الباشا الى ثغر اسكندرية كعادته واقام ولده ابراهيم باشا للنظر في الاحكام والشكاوي والدعاوي وكانت اقامته بقصره الذي انشاه بشاطئ النيل تجاه مصر ب الشباب وتعاظم في نفسه جدا ولما رجع ابراهيم باشا من سرحته شرعوا في عمل ٢١٧ مهم لختان عباس باشا ابن اخيه طوسون باشا وهو غلام في السادسة فشرعوا في ذلك في تاسع عشره ونصبوا خياما كثيرة تحت القصر وحضرت ارباب الملاعيب والحواة والمغزلكون والبهلوانيون وطبخت الاطعمة والحلواء والاسمطة واوقدت الوقدات بالليل من المشاعل والقناديل والشموع بداخل القصر وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك ورسموا باحضار غلمان اولاد الفقراء فحضر الكثير منهم واحضروا المزينين فختنوا في اثناء ايام الفرح نحو الاربعمائة غلام ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافا يرقد عليها حتى يبرأ جرحه ثم يعطى لكل غلام كسوة والف نصف فضة وفي كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ودعوا في اثناء ذلك كبار الاشياخ والقاضي والشيخ السادات والبكري وهو نقيب الاشراف أيضا والمفتي وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ولم يقم لواحد منهم ولم يرد على من يسلم ولا بالاشارة السلام ولم ٢٨ يح مل ١٢ يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها وحضرت المائدة فتعاطوا الذي تعاطوه حتى انقضى المجلس وقاموا وانصرفوا من سكوت (وفي يوم الاربعاء) ثالث عشرينه خرجوا بالمحمل الى الحصوة وأمير الحاج شخص من الدلاة لم نعرف اسمه (وفي يوم الخميس) عملوا الزفة لعباس باشا ونزلوا به من القلعة على الدرب الاحمر على باب الخرق

الى القصر وختنوه فى ذلك اليوم وامتلأ طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الاكابر والاعيان وخلعوا عليه فروة وشال كشميرى وأنعموا على باقى المزينين بثلاثين كيسا وانقضى ذلك (وفى يوم الثلاثاء) تاسع عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطى اوفى النيل اذرعه ٢١٨ وكسر السد فى صبحها يوم الاربعاء وجرى الماء فى الخليج وذلك بحضرة كتخدا بك والقاضى (وفى هذا الشهر) حضر طائفة من بواقى الامراء المصرية من دنقلة الى بر الجيزة وهم نحو الخمسة وعشرين شخصا وملابسهم قمصان بيض لا غير فاقاموا فى خيمة ينتظرون الاذن وقد تقدم منهم الارسال وطلب الامان عندما بلغهم خروج التجاريد وحضر ابن على بك ايوب وطلب امانا لابيه فاجيبوا الى ذلك وارسل لهم امانا لاجمعهم ماعدا عبد الرحمن بك والذى يقال له المنفوخ فليس يعطيهما امانا ولما حضرت مراسلة الامان لعلى بك ايوب وتاهب للرحيل حقدوا عليه وقتلوه ووصل خبر موته فعملوا نعيه فى بيته سكن زوجته الكائن بشمس الدولة واكثروا من الندب والصراخ عدة ايام (وفى هذا الشهر ايضا) حضر أشخاص من بلاد العجم وصحبتهم هدية الى الباشا وفيها خيول فانزلوهم ببيت حسين بك الشماشرجى بناحية سويقة العزى

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الخميس سنة ١٢٣٥)

فى رابعه يوم الاحد وصل قابجى وعلى يده مرسوم تقرير للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة وتقرير آخر لولده ابراهيم باشا بولاية جدة وركب القابجى المذكور فى موكب من بولاق الى القلعة وقرئت المراسيم بحضرة كتخدا بك وابراهيم باشا واعيانهم وضربوا المدافع (وفيه) سافر اسمعيل باشا الى جهة قبلى وهو امير العسكر المعينة لبلاد

(ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده)

فى هذه السنة توفى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق يوم الجمعة سلخ ذى القعدة وكان مرضه دوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان عالما بعدة علوم فاضلا فيها منها الفقه على مذهب أبى حنيفة فانه كان قد اشتغل به كثيرا وصار من المتميزين فيه ومنها علم النحو فانه اشتغل به أيضا اشتغالا زائدا وصار فيه فاضلا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد امر ان يجمع له كتاب فى اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهرى ويضاف اليه مافات الصحاح من التهذيب للازهرى والجمهرة لابن دريد وغيرهما وكذلك أيضا أمر بان يرتب مسند أحمد بن حنبل على الابواب ويرد كل حديث الى الباب الذى يقتضيه معناه مثاله ان يجمع أحاديث الطهارة وكذلك يفعل فى الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات فيكون كتابا جامعا وكان قد سمع المسند من بعض أصحاب ابن الحصين ونفق العلم فى سوقه وقصده العلماء من الآفاق فاكرمهم واجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم وكان يرجع الى علم وصبر على سماع مايكره لم يسمع أحد من يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن الاعتقاد يقول كثيرا ان اعتقادى فى الاصول ماسطره أبو جعفر الطحاوى ووصى عند موته بان يكفن فى البياض ولا يجعل فى اكفانه ثوب فيه ذهب وان يدفن فى لحد ولا يبنى عليه بناء بل يكون قبره فى الصحراء تحت السماء ويقول فى مرضه لى عند الله تعالى فى أمر دمياط ماأرجو ان يرحمنى به ولما توفى ولى بعده ابنه داود ويلقب الملك الناصر وكان عمره قد قارب عشرين سنة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة دام الغلاء فى ديار الجزيرة ودامت الاسعار تزيد قليلا وتنقص قليلا وانقطع المطر جميع شباط وعشرة أيام من اذار فازداد الغلاء فبلغت الحنطة كل مكوكين بالموصلى بدينار وقيراطين بالموصلى والشعير كل ثلاثة مكاكيك بالموصلى بدينار وقيراطين أيضا وكل شئ بهذه النسبة فى الغلاء وفيها فى الربيع قل لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتى بيع كل رطل لحم بالبغدادى بحبتين بالصنجة وربما زاد فى بعض الايام على هذا الثمن وحكى لى من يتولى بيع الغنم بالموصل انهم باعوا خروفا واحدا لا غير وفى بعضها خمسة اروس وفى بعضها ستة واقل واكثر وهذا مالم يسمع بمثله ولا رايناه فى جميع أعمارنا ولا حكى لنا مثله لان الربيع مظنة رخص اللحم لان التركمان والاكراد والسكيلكان ينتقلون من الامكنة التى شتوا بها الى الزوزان فيبيعون الغنم رخيصا

النوبة كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالاسكندرية *(واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٠)* فيه توجه ابراهيم باشا
الى ابيه بالاسكندرية فاقام هناك اياما وعاد فى آخر الشهر فاقام بمصر اياما قليلة وسافر الى ناحية قبلى ليجمع ما يجده عند
الناس من القمح والفول والعدس الثلاثة اصناف واخذوا كل سفينة غصبا وساقوا الجميع الى قبلى

تحمل الغلال وجمعها فى الشون
البحرية لتباع على الافرنج
والروم بالاثمان الغالية
وانقضت السنة (ومن
حوادثها) زيادة النيل الزيادة
المفرطة وخصوصا بعد
الصليب وقد كان حصل
الاعتناء الزائد بامر الجسور
بسبب ماحصل فى العامين
السابقين من التلف فلما
حصلت هذه الزيادة بعد
الصليب وطف الماء على
اعلى الجسور وغرق مزارع
الذرة والنيلة والقصب والارز
والقطن واشجار البساتين
وغالب اشجار الليمون
والبرتقان بما عليهما من
الثمار وصار الماء ينبع من
الارض المرتفعة نبعا ولا
عاصم من امر الله وطال مكث
الماء على الارض حتى فات
أوان الزراعة ولم نسمع ولم نر
فى خوالى السنين تتابع
الغرقات بل كان الغرق نادر
الحصول وعلا ماء الخليج
حتى سد غالب فرجات
القناطر ونبع الماء من
الاراضى الواطية القريبة
من الخليج مثل غيط العدة
وجامع الامير حسين ونحو
ذلك (ومنها) ان ترعة الاسكندرية المحدثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود وفتح والقاشر مادون
فمها المعد لذلك وامتلأت بالماء فلما بدأت الزيادة فزادت وطف الماء فى المواضع الواطية وغرقت الاراضى فسدوا
ذلك الفم وأبقوا من داخله فيها عادة مراكب للمسافرين فكانوا ينقلون منها الى مراكب البحر ومن البحر الى مراكبها

رخيصا وكان اللحم كل سنة فى هذا الفصل يكون سعره كل ستة ارطال وسبعة بقيراط
صار هذه السنة الرطل بحبتين وفيها عاشر اذار وهو العشرون من ربيع الاول سقط
الثلج مرتين وهذا غريب جدا لم يسمع بمثله فهلكت الازهار التى خرجت كزهر اللوز
والمشمش والاجاص والسفرجل وغيرها ووصلت الاخبار من العراق بجميعه مثل ذلك
فهلكت به ازهار الثمار ايضا وهذا اعجب من حال ديار الجزيرة والشام فانه اشد حرا من
جميعها وفيها ظفر جمع من التركمان كانوا باطراف اعمال حلب بفارس مشهور من
الفرنج الداوية بانطاكية فقتلوه فعلم الداوية بذلك فساروا وكبسوا التركمان فقتلوا
منهم واسروا وغنموا من اموالهم فبلغ الى اتابك شهاب الدين المتولى لامور حلب فراسل
الفرنج وتهددهم بقصد بلادهم واتفق ان عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من
الداوية ايضا فاذعنوا بالصلح وردوا الى التركمان كثيرا من اموالهم وحريمهم واسراهم
وفيها فى رجب اجتمع طائفة كثيرة من ديار بكر وأرادوا الاغارة على جزيرة ابن عمر
وكان صاحب الجزيرة قد قتل فلما قصدوا بلد الجزيرة اجتمع اهل قرية كبيرة من
بلد الجزيرة اسمها سلكون ولقوهم من ضحوة النهار الى العصر وطال القتال بينهم ثم
حمل اهل القرية على الاكراد فهزموهم وقتلوا فيهم ونهبوا ما معهم وعادوا سالمين

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة)

(ذكر الخلف بين جلال الدين وأخيه)

فى هذه السنة خاف غياث الدين بن خوارزمشاه وهو اخو جلال الدين من أبيه اخاه
وخافه معه جماعة من الامراء واستشعروا منه وأرادوا الخلاص منه فلم يتمكنوا من
ذلك الى ان خرجت التتر واشتغل بهم جلال الدين فهرب غياث الدين ومن معه وقصدوا
خوزستان وهى من بلاد الخليفة فلم يمكنهم النائب بها من الدخول الى البلد خوفا ان
تكون هذه مكيدة فبقى هناك فلما طال عليه الامر فارق خوزستان وقصد بلاد
الاسماعيلية فوصل اليهم واحتمى بهم واستجار بهم وكان جلال الدين قد فرغ من
امر التتر وعاد الى تبريز فاتاه الخبر وهو بالميدان يلعب بالكرة ان اخاه قد قصد اصفهان
فالقى الجوكان من يده وسار مجدا فسمع ان اخاه قد قصد الاسماعيلية ملتجئا اليهم ولم
يقصد اصفهان فعاد الى بلاد الاسماعيلية لينهب بلادهم ان لم يسلموا اليه اخاه وارسل
يطلبه من مقدم الاسماعيلية فاعاد الجواب يقول ان اخاك قد قصدنا وهو سلطان
ابن سلطان ولا يجوز لنا ان نسلمه لكن نحن نتركه عندنا ولا نمكنه ان يقصد شيئا
من بلادك ونسألك ان تشفع فيه والضمان علينا بما قلناه ومتى كان منه ما تكرهه فى
بلادك فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل فيها ما تختار فاجابهم الى ذلك واستحلفهم على

وبقى ماؤها مالحا متغيرا واستمر أهل الثغر فى جهد من قلة الماء العذب وبلغ ثمن الراوية قرشين (ومنها) انه لما وقع القياس فى اراضى القرى قرر وامسموحا لمشايخ البلاد فى نظير مضايقهم خمسة افدنة من كل مائة فدان وفى هذا العام يدفع مال الممسوح سنتين وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل اوانه وما صدقوا انهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة وبيع المواشى والامتعة ومصاغ النساء وكانوا أيضا طولبوا بالبواقى فى السنين الخوالى التى كانوا عجزوا عنها ولم يزك رمى الغلال فى هذه السنة وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه ولما طولب مشايخ البلاد بمال الممسوح ازداد كربهم فانهم بما يجى على الواحد الف ريال واقل واكثر وقد قاسوا الشدائد فى غلاق الخراج الخارج عن الحد وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيلة والارز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك (وفى اثر ذلك) فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشا وعلى الجمل ستون قرشا وعلى الشاة قرش والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفا وثلث والبقرة خمسة عشر والفرس كذلك (ومنها) احتكار الصابون وحجز جميع الوارد على ذمة الباشا ثم سومح تجاره بشرط ان يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن وهو شئ كثير ويستقر ثمنه على ستين نصفا بعد ان كان بخمسين جدا من غير نقو (ومنها) ما أحدث على البلح بانواعه وما يجلب من الصعيد والابريمى والشروع وأنواع العجوة حتى جريد النخل والليف والخوص يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد على الناس بازيد من ذلك وفى هذه السنة لم تثمر النخيل الا القليل جدا ولم يظهر البلح الاحمر فى أيام وفرته ولم يوجد

الوفاء بذلك وعاد عنهم وقصد خلاط على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

فى هذه السنة عاود التتر الخروج الى الرى وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة اختلف الناس علينا فى عددها كان أكثرها عليه وفى الاخير كان الظفر له وكانت فى أول حرب بينهم عجائب غريبة وكان هؤلاء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان على مقدمهم وأبعده عنه واخرجه من بلاده فقصد خراسان فرآها خرابا فقصد الرى ليتغلب على تلك النواحى والبلاد فلقيه بها جلال الدين فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم جلال الدين وعاود ثم انهزم وقصد اصفهان وأقام بينها وبين الرى وجمع عساكره ومن فى طاعته فكان فيمن أتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن اتابك سعد ملك بعد وفاة أبيه كما ذكرناه وعاد جلال الدين الى التتر فلقيهم فبينما هم مصطفون كل طائفة مقابل الاخرى انفرد غياث الدين أخو جلال الدين فيمن وافقه من الامراء على مفارقة جلال الدين واعتزلوا وقصدوا جهة ساروا اليها فلما رآهم التتر قد فارقوا العسكر ظنوهم يريدون أن يأتوهم من وراء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتين فانهزم التتر لهذا الظن وتبعهم صاحب بلاد فارس وأما جلال الدين فانه لما رأى مفارقة أخيه اياه ومن معه من الامراء ظن ان التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فعاد منهزما ولم يجسر يدخل اصفهان لئلا يحصروه فمضى الى سميرم وأما صاحب فارس فلما أبعد فى أثر التتر ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر فعاد عنهم وأما التتر فلما لم يروا فى آثارهم أحدا يطلبهم وقفوا ثم عادوا الى اصفهان فلم يجدوا فى طريقهم من يمنعهم فوصلوا الى اصفهان فحصروها وأهلها يظنون ان جلال الدين قد عدم فبينما هم كذلك والتتر يحصرونهم اذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرفهم سلامته ويقول انى متعوق أو يجتمع الى من سلم من العسكر واقصدكم ونتفق أنا وأنتم على ازعاج التتر وترحلهم عنكم فارسلوا اليه يستدعونه اليهم ويعدونه النصرة والخروج معه الى عدوه وفيهم شجاعة عظيمة فسار اليهم واجتمع بهم وخرج أهل اصفهان معه فقاتلوا التتر فانهزم التتر أقبح هزيمة وتبعهم جلال الدين الى الرى يقتل ويأسر فلما أبعدوا عن الرى أقام بها وأرسل اليه ابن جنكزخان يقول ان هؤلاء ليسوا من أصحابنا انما نحن ابعدناهم عنا فلما امن جانب جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان

(ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا)

وفى هذه السنة خرج كثير من الفرنج من بلادهم التى هى فى الغرب من صقلية وما وراءها من البلاد الى بلادهم التى بالشام عكا وصور وغيرهما من ساحل الشام فكثر جمعهم وكان قد خرج قبل هؤلاء جمع آخر أيضا الا انهم لم تمكنهم الحركة

بالاسواق الا ايا ما قليلة وهو شئ ردى وبسر ليس بجيد ورطله بخمسة انصاف وهى ثمن العشرة ارطال فى السابق وكذلك
العنب لم يظهر منه الا القليل وهو الفيومى والشرقاوى وقد التزم به من يعصره شرابا باكياس كثيرة مثل غيره من الاصناف
وغير ذلك جزئيات لم يصل الينا علمها ومنها ما وصل الينا علمها واهملنا ذكرها ٢٢١ (ومنها) ان حسن باشا سافر الى
الجهة القبلية وصحبته بعض
الافرنج الذين كان رخص لهم
الباشا السياحة والغوص
باراضى الصعيد والفحص وحفر
الاراضى والكهوف والبرابى
واستخراج الآثار القديمة
والامم السالفة من التماثيل
والتصاوير ونواويس الموتى
وقطع الصخور بالبارود واشاعوا
انه ظهر لهم شئ مخرفش يشبه
خرء الرصاص أو الحديد وبه
بعض بريق ذكروا انه معدن
اذا تصفى خرج منه فضة وذهب
واخبرنى بعض من اثق بخبره
انه اخذ منه قطعة تزيد فى
الوزن على رطلين وذهب بها
عند رجل صائغ فاوقد عليها
نحو قنطار من الفحم بطول
النهار فخرج منها فى آخر الامر
وهو ينقلها من بوط الى آخر
بعد كسره قطعة مثل الرصاص
قدر الاوقية وذكروا أيضا ان
بالجبل احجارا سودا توقد فى
النار مثل الفحم وذلك لانهم
أتوا بمثل ذلك من بلاد الافرنج
واوقدوها بالضربخانه كريهة
الرائحة مثل الكبريت ولا
تصير رمادا بل تبقى على
جرميتها مع تغير اللون ويحتاج
الى نقلها الى الكيمان وقالوا
ان بداخل جبال الصعيد كذلك فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الاشياء وامثالها فاقام نحو ثلاثة أشهر وذلك بامر
الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بجص يسيل منه دهن اسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه
النفط وليس هو وأتوا بشئ منه الى مصر وأوقدوا منه فى السرج فلاؤا منه سبعة مصافى وانقطع واشيع فى الناس قبل

والشروع فى امر الحرب لاجل ان ملكهم الذى هو المقدم عليهم هو ملك الالمان ولقبه
انبرور قيل معناه ملك الامراء ولان المعظم كان حيا وكان شهما شجاعا مقداما فلما توفى
المعظم كما ذكرناه وولى بعده ابنه وملك دمشق طمع الفرنج وظهروا من عكا وصور
وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب فعمروها
واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين واغتنم لهم ذلك بسبب تخريب الحصون
القريبة منها تبنين وهونين وغيرهما وقد تقدم ذكر ذلك قبل مستقصى فعظمت شوكة
الفرنج وقوى طمعهم واستولى فى طريقه على جزيرة قبرس وملكها وسار منها الى
عكا فارتاع المسلمون لذلك والله تعالى يخذله وينصر المسلمين بمحمد وآله ثم ان ملكهم
انبرور وصل الى الشام

(ذكر ملك كيقباذ ارزنكان)

وفى هذه السنة ملك علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان وهو صاحب قونية
واقصرا وملطية وغيرها من بلاد الروم ارزنكان وسبب ملكه اياها ان صاحبها
بهرام شاه وكان قد طال ملكه لها وجاوز ستين سنة توفى ولم يزل فى طاعة قلج ارسلان
وأولاده بعده فلما توفى ملك بعده ولده علاء الدين داودشاه فارسل اليه كيقباذ يطلب
منه عسكرا ليسير معه الى مدينة ارزن الروم ليحصرها ويكون هو مع العسكر ففعل
ذلك وسار فى عسكره اليه فلما وصل قبض عليه واخذ مدينة ارزنكان منه وله حصن
من أمنع الحصون اسمه كماخ وفيه مستحفظ لداودشاه فارسل اليه ملك الروم يحصره
فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوه وارتفاعه وامتناعه فتهدد داودشاه ان لم يسلم كماخ
فارسل الى نائبه فى التسليم فسلم القلعة الى كيقباذ وأراد كيقباذ المسير الى ارزن الروم
لياخذها وبها صاحبها ابن عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان فلما سمع صاحبها بذلك
أرسل الى الامير حسام الدين على النائب عن الملك الاشرف بخلاط يستنجده وأظهر
طاعة الاشرف فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر وكان قد جمعها من الشام
وديار الجزيرة خوفا من ملك الروم خافوا انه اذا ملك ارزن الروم يتعدى أو يقصد خلاط
فسار الحاجب حسام الدين الى ارزن الروم ومنع عنها ولما سمع كيقباذ بوصول العساكر
اليها لم يقدم على قصدها فسار من ارزنكان الى بلاده وكان قد أتاه الخبر ان الروم
الكفار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حصنا يسمى صنوب وهو من أحصن القلاع
مطل على البحر بحر الخزر فلما وصل الى بلاده سير العسكر اليه وحصره برا وبحرا
فاستعاده من الروم وسار الى انطاكية ليشتى بها على عادته

(ذكر خروج الملك الكامل)

فى هذه السنة فى شوال سار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل صاحب مصر الى الشام

تحقق صورته بل وصلت مكاتبات بانه خرج من الجبل عين تشبل بالزيت الطيب ولاينقطع جريانها يكفى مصر واقطاعها
بل والدنيا ايضا واخبرنى بعض اتباعهم أن الذى صرف فى هذه المرة نحو الالفى كيس (ومن حوادث هذه السنة) الخارجة
عن ارض مصران السلطان محمودا تغير خاطره على على باشا المعروف بتيه رنلى حاكم بلاد الارنؤود وجرد عليه العساكر
ووقع لهم معه حروب ووقائع
واستولوا على اكثر البلاد التى
تحت حكمه وتحصن هو فى
قلعة منيعة وعلى باشا هذا فى
مملكة واسعة وجنود كثيرة
وله عدة أولاد متامرين كذلك
و بلادهم بين بلاد الرومنلى
والنمسا ويقال ان بعض أولاده
دخل تحت الطاعة وكذلك
الكثير من عساكره وبقى الامر
على ذلك ودخل الشتاء
وانقضت السنة ولم يتحقق
عنه خبر (ومنها) أمر المعاملة
وما يقع فيها من التخليط والزيادة
حتى بلغ صرف الريال الفرانسه
اثنى عشر قرشا عنها اربعمائة
وثمانون نصفا والبندقى ألف
فضة وكذلك المجروالفندقلى
الاسلامى سبعة عشر قرشا
والقرش الاسلامبولى يعنى
المضروب هناك المنقول الى
مصر يصرف بقرشين وربع
يزيد عن المصرى ستين نصفا
وكذلك الفندقلى الاسلامبولى
يصرف فى بلدته باحد عشر قرشا
وبمصر بسبعة عشر كما تقدم
فتكون زيادته ستة قروش
وكذلك الفرانسا فى بلادها
تصرف باربعة قروش
وباسلامبول بسبعة وبمصر
باثنى عشر واما الانصاف العددية التى تذكر فى المصارفات فلا وجود لها اصلا الا فى النادر
جدا واستغنى الناس عنها لغلو الاثمان فى جميع المبيعات والمشتروات وصار البشلك الذى يقال له الخمساوية اى صرفه
خمسة انصاف هى بدل النصف لانه لما بطل ضرب القروش بضربخانة مصر وعوض عنها انصاف القرش وربعه وثمنه

فوصل الى البيت المقدس حرسه الله تعالى وجعله دار الاسلام أبدا ثم سار عنه وولى
بمدينة نابلس وشحن على تلك البلاد جميعها وكانت من أعمال دمشق وهو الى الملك
المعظم فخاف أن يقصده ويأخذ دمشق منه فارسل الى عمه الملك الاشرف يستنجده
و يطلبه ليحضر عنده بدمشق فسار اليه جريدة فدخل دمشق فلما سمع الكامل بذلك
لم يتقدم اليه لان البلد منيع وقد صار به من يمنعه ويحميه وأرسل اليه الملك الاشرف
يستعطفه و يعرفه انه ما جاء الى دمشق الا طاعة له وموافقة لاغراضه والاتفاق معه
على منع الفرنج عن البلاد فاعاد الكامل الجواب يقول انى ما جئت الى هذه البلاد الا
بسبب الفرنج فانهم لم يكن فى البلاد من يمنعهم عما يريدونه وقد عمروا صيدا و بعض
قيسارية ولم يمنعوا وأنت تعلم ان عمنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس فصار
لنا بذلك الذكر الجميل على تقضى الاعصار وممر الايام فان أخذه الفرنج حصل لنا من
سوء الذكر وقبح الاحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذى ادخره عمنا وأى وجه
يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى ثم انهم ما يقنعون حينئذ بما أخذوه ويتعدون الى
غيره وحيث قد حضرت أنت فانا اعود الى مصر واحفظ انت البلاد ولست بالذى يقال
عنى انى قاتلت أخى أو حصرته حاشى الله تعالى وتأخر عن نابلس نحو الديار المصرية
ونزل تل العجول فخاف الاشرف والناس قاطبة بالشام وعلموا انه ان عاد استولى الفرنج
على البيت المقدس وغيره مما يجاوره لا مانع دونه فترددت الرسل وسار الاشرف بنفسه
الى الكامل أخيه فحضر عنده وكان وصوله ليلة عيد الاضحية ومنعه من العود الى مصر
فاقاما بمكانهما

(ذكر نهب جلال الدين بلاد ارمينية)

فى هذه السنة وصل جلال الدين خوارزمشاه الى بلاد خلاط وتعدى خلاط الى صحراء
موش وجبل جور ونهب الجميع وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وخرب
القرى وعاد الى بلاده ولما وصل الخبر الى البلاد الجزرية حران وسروج وغيرهما انه قد
جاز خلاط الى جور وانه قد قرب منهم خاف اهل البلاد ان يجىء اليهم لان الزمان
كان شتاء وظنوا انه يقصد الجزيرة ليشتى بها لان البرد بها ليس بالشديد وعزموا على
الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل بعض اهل سروج الى منبج من ارض الشام
فاتاهم الخبر انه قد نهب البلاد وعاد فاقاموا وكان سبب عوده ان الثلج سقط ببلاد
خلاط كثير الم يعهد مثله فاسرع العود

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة رخصت الاسعار بديار الجزيرة جميعها وجاءت الغلات لهم من الحنطة
والشعير

والشعير جيدا الان الرخص لم يبلغ الاول الذى كان قبل الغلاء انما صارت الحنطة كل خمس مكاكيك بدينار والشعير كل سبعة عشر مكوكا بالموصلى بدينار

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة)

(ذكر تسليم البيت المقدس الى الفرنج)

فى هذه السنة اول ربيع الآخر تسلم الفرنج لعنهم الله البيت المقدس صلحا اعاده الله الى الاسلام سريعا وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج الانبرور ملك الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر الى ساحل الشام وكانت عساكره قد سبقته ونزلوا بالساحل وافسدوا من يجاورهم من بلاد المسلمين ومضى اليهم وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور واطاعوهم وصاروا معهم وقوى طمع الفرنج بموت الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب صاحب دمشق ولما وصل الانبرور الى الساحل نزل بمدينة عكا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة أخيه المعظم وهو نازل بتل العجول يريد أن يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم وهو صاحبها يومئذ وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له قد أرسل الى عمه الملك الاشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه عنه فسار الى دمشق وترددت الرسل بينه وبين اخيه الملك الكامل فى الصلح فاصطلحا واتفقا وسار الملك الاشرف الى الملك الكامل واجتمع به فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الانبرور ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرت القاعدة على أن يسلموا اليه البيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقى البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين ولا يسلم الى الفرنج الا البيت المقدس والمواضع التى استقرت معه وكان سور البيت المقدس خرابا قد خربه الملك المعظم وقد ذكرنا ذلك وتسلم الفرنج البيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه وعوده الى المسلمين بمنه وكرمه آمين

(ذكر ملك الملك الاشرف مدينة دمشق)

وفى هذه السنة يوم الاثنين ثانى شعبان ملك الملك الاشرف ابن الملك العادل مدينة دمشق من ابن اخيه صلاح الدين داود بن المعظم وسبب ذلك ما ذكرناه ان صاحب دمشق لما خاف من عمه الملك الكامل ارسل الى عمه الاشرف يستنجده ويستعين به على دفع الكامل فسار اليه من البلاد الجزرية ودخل دمشق وفرح به صاحبها واهل

الذى هو البشلك ولم يبق بالقطر الا ما كان موجودا قبل وهو كثير يتناقل بايدى الناس واهل القرى ويعود الى الخزينة ويصرف فى المصارف والمشاهرات وعلائف العساكر وهم كذلك يشترون لوازمهم فتذهب وتعود وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ويصرف القرش عند الاحتياج الى صرفه بسبعة من البشلك بنقص الثمن فباعتبار كونها فى مقام النصف يكون القرش بسبعة انصاف لا غير وباعتبار ذلك يكون الالف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة لان الخمسة وعشرين قرشا التى هى بدل الالف اذا نقصت فى المصارفة الثمن تكون احدى وعشرين واذا ضربنا السبعة فى الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين وفيها من الفضة الخالصة ستة دراهم لا غير واوزان هذه القطع مختلفة لا تجد قطعة وزن نظيرتها وفى ذلك فرط آخر والقليل فى الكثير كثير والذى ادركناه فى الزمن السابق ان هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى البتة واول من احدثها بمصر على بك القازدغلى بعد الثمانين ومائة والف عندما استقل امره واكثر من العساكر والنفقات واظهر العصيان على الدولة ولما استولى محمد بك المعروف بابى الذهب أبطلها رأسا من الاقليم وخسر الناس بسبب ابطالها حصة من أموالهم مع فرحهم بابطالها ولم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب ولم يبق من اصناف المعاملة الا انواع الذهب الاسلامى والافرنجى والفرانسه ونصفه وربعه والفضة الصغيرة التى يقال لها نصف فضة مع رخاء الاسعار وكثرة المكاسب ويصرف هذا النصف بعدد من الافلس النحاس التى يقال لها الجدد اما عشرة او اثنا عشر اذا كانت مضروبة ومختومة او عشرين اذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ويقال

البلد وكانوا قد احتاطوا وهم يتجهزون للحصار فامر بازالة ذلك وترك ما عزموا عليه من الاحتياط وحلف لصاحبها على المساعدة والحفظ له ولبلاده عليه وراسل الملك الكامل واصطلحا وظن صاحب دمشق انه معهما في الصلح وسار الاشرف الى اخيه الكامل واجتمعا في ذي الحجة من سنة خمس وعشرين يوم العيد وسار صاحب دمشق الى بيسان وأقام بها وعاد الملك الاشرف من عند اخيه واجتمع هو وصاحب دمشق ولم يكن الاشرف في كثرة من العسكر فبينما هما جالسان في خيمة لهما واذ قد دخل عز الدين ايبك مملوك المعظم الذى كان صاحب دمشق وهو اكبر أمير مع ولده فقال لصاحبه داود قم اخرج والا قبضت الساعة فاخرجه ولم يمكن الاشرف منعه لان أيبك كان قد اركب العسكر الذى له جميعه وكانوا اكثر من الذين مع الاشرف فخرج داود وسار هو وعسكره الى دمشق وكان سبب ذلك ان ايبك قيل له ان الاشرف يريد القبض على صاحبه وأخذ دمشق منه ففعل ذلك فلما عادوا وصلت العساكر من الكامل الى الاشرف وسار فنازل دمشق وحصرها وأقام محاصرا لها الى أن وصل اليه الملك الكامل فحينئذ اشتد الحصار وعظم الخطب على اهل البلد وبلغت القلوب الحناجر وكان من أشد الامور على صاحبها ان المال عنده قليل لان امواله بالكرك ولوثوقه بعمه الاشرف لم يحضر منها شيئا فاحتاج الى أن باع حلي نسائه وملبوسهم وضاقت الامور عليه فخرج الى عمه الكامل وبذل له تسليم دمشق على ان يبقى عليه الكرك وقلعة الشوبك والغور ونابلس وتلك الاعمال وان يبقى على ايبك قلعة صرخد واعمالها وتسلم الكامل دمشق وجعل نائبه بالقلعة الى ان سلم اليه اخوه الاشرف حران والرها والرقة وسروج ورأس العين من الجزيرة فلما تسلم ذلك سلم قلعة دمشق الى اخيه الاشرف فدخلها واقام بها وسار الكامل الى الديار الجزرية فاقام بها الى ان استدعى اخاه الاشرف بسبب حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط فلما حضر عنده بالرقة عاد الكامل الى ديار مصر واما الاشرف فكان منه ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر القبض على الحاجب علي وقتله)

وفي هذه السنة ارسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين ايبك وهو امير كبير في دولته الى مدينة خلاط وامره بالقبض على الحاجب حسام الدين علي بن حماد وهو المتولي لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الاشرف ولم نعلم شيئا يوجب القبض عليه لانه كان مشفقا عليه ناصحا له حافظا لبلاده حسن السيرة مع الرعية ولقد وقف هذه المدة الطويلة في وجه خوارزمشاه جلال الدين وحفظ خلاط حفظا يعجز غيره عنه وكان مهتما بحفظ بلاده

لها السعادة فكان غالب المعقرات يقضى بهذه الجدد بل وخلاف المعقرات وفي البيع والشراء وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة في الخالي ويبيعونها على أهل الاسواق بوزن الارطال ويربحون فيها فكان الفقير والاجير اذا اكتسب نصفا وصرفه بهذه ١٢٤٥ الجدد كفاه نفقة يومه مع رخاء الاسعار ويشترى منها خبزا وادما واذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة في التقلية أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكرات والليمون الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد الواحد وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية واذا وجدت فلا ينتفع بها أصلا وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضا وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر لانه كان يصرف بعدد كثير من الجدد وهذه بخمسة فقط فاذا أخذ الشخص شيئا من المعقرات بنصف او نصفين أو ثلاثة ما كان يؤخذ بجديد او جديدين لم يجد عند البائع بقية الخمساوية فاما يترك الباقي لوقت احتياج آخر ان كان يعرفه والا فعطلا واذا كان الانسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدا أو يملأ صاحب الحانوت ابريقه بجديد وفي هذه الايام اذا كان الشخص لم يكن معه بشلك يشرب به والا بقي عطشان حتى يشرب من داره ولا يهون عليه ان يدفع ثمن قربة في شربة ماء وذلك لعدم وجود النصف وكذلك الصدقة على الفقراء وامثالهم وقد كان الناس من ذوي أرباب البيوت اذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف يسالون الخادم في اليوم الثاني عنه لكونه نصف المصروف ويحاسبونه عليه وكان صاحب العيال وذوو البيوت المفتوحة على عدة اشخاص من عيال وجوار وخدم اذا ادخر الغلة والسمن والعسل

وذابا عنها وقد تقدم من ذكر قصده بلاد جلال الدين والاستيلاء على بعضها ما يدل على همة عالية وشجاعة تامة وصار لصاحبه به منزلة عظيمة فان الناس يقولون بعض غلمان الملك الاشرف يقاوم خوارزمشاه وكان رحمه الله كثير الخير والاحسان لا يمكن احدا من ظلم وعمل كثيرا من اعمال البر من الخانات فى الطرق والمساجد فى البلاد وبنى بخلاط بيمارستانا وجامعا وعمل كثيرا من الطرق واصلحها كان يشق سلوكها فلما وصل ايبك الى خلاط قبض عليه ثم قتله غيلة لانه كان عدوه ولما قتل ظهر اثر كفايته فان جلال الدين حصر خلاط بعد قبضه وملكها على ما نذكره ان شاء الله ولم يمهل الله ايبك بل انتقم منه سريعا فان جلال الدين أخذ ايبك أسيرا لما ملك خلاط مع غيره من الامراء فلما اصطلح الاشرف وجلال الدين اطلق الجميع وذكر ان ايبك قتل وكان سبب قتله ان مملوكا للحاجب على كان قد هرب الى جلال الدين فلما أسر ايبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب على فسلمه اليه فقتله وبلغنى ان الملك الاشرف رأى فى المنام كان الحاجب عليا قد دخل الى مجلس فيه ايبك فاخذ منديلا وجعله فى رقبة ايبك وأخذه وخرج فاصبح الملك الاشرف وقال قد مات ايبك فانى رأيت فى المنام كذا وكذا

(ذكر ملك الكامل مدينة حماة)

وفى هذه السنة أواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة وسبب ذلك ان الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر وهو صاحب حماة توفى على ما نذكره ولما حضرته الوفاة حلف الجند وأكابر البلد لولده الاكبر ويلقب بالملك المظفر وكان قد سيره أبوه الى الملك الكامل صاحب مصر لانه كان قد تزوج بابنته وكان له ولد آخر اسمه قلج ارسلان ولقبه صلاح الدين وهو بدمشق فحضر الى مدينة حماة فسلمت اليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها فارسل الملك الكامل يامره أن يسلم البلد الى أخيه الاكبر فان اباه اوصى له به فلم يفعل وترددت الرسل فى ذلك الى الملك المعظم صاحب دمشق فلم تقع الاجابة فلما توفى المعظم وخرج الكامل الى الشام وملك دمشق سير جيشا الى حماة فحصرها ثالث شهر رمضان وكان المقدم على هذا الجيش أسد الدين شيركوه صاحب حمص وأمير كبير من عسكره يقال له فخر الدين عثمان ومعهما ولد محمد تقى الدين الذى كان عند الكامل فبقى الحصار على البلد عدة أيام وكان الملك الكامل قد سار عن دمشق ونزل على سلمية يريد العبور الى البلاد الجزرية حران وغيرها فلما نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ونزل اليه من قلعته ولم يكن لذلك سبب الا أمر الله تعالى فان صلاح الدين قال لاصحابه أريد النزول الى الملك الكامل فقالوا له ليس بالشام أحصن

والحطب ونحو ذلك يكفيه فى مصروف يومه العشرة انصاف فى ثمن اللحم والخضار وخلافه واما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد لغلو الاسعار فى كل شئ بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت فى جميع الاصناف ولا يخفى ان أسباب الخراب التى نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت فى هذه السنين وهى زيادة الخراج واختلال المعاملة أيضا والمكوس وزاد على ذلك احتكار جميع الاصناف والاستيلاء على ارزاق الناس فلا تجد مرزوقا الا من كان فى خدمة الدولة متوليا على نوع من أنواع المكوس أو مباشرا او كاتبا او صانعا فى الصنائع المحدثة ولا يخلو من هفوة ينم بها عليه فيحاسب مدة استيلائه فيجتمع عليه جملة من الاكياس فيلزم بدفعها وربما باع داره ومتاعه فلا يفى بما تاخر عليه فاما يهرب ان امكنه الهرب واما يبقى فى الحبس هذا ان كان من ابناء العرب واهالى البلدة وأما ان كان بخلاف ذلك فربما سومح او تصدى له من يخفف عنه او يدخله فى منصب اوشركة فيترفع حاله ويرجع احسن ما كان (ومما حدث) ايضا فى هذه السنة الاستيلاء على صناعة المخيش والقصب والتلى الذى يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس وذلك باغراء بعض صناعهم وتحاسدهم وان مكسبها يزيد على الف كيس فى السنة لان غالب الحوادث باغراء الناس على بعضهم البعض وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التى يباع فيها الرقيق من العبيد والجوارى السود وغيرهم من البضائع التى تجلب من بلاد السودان كسن الفيل والتمر هندى والشمع وروايا الماء وريش النعام وغير ذلك (ومنها) الحجر على ... النحل وشمعه ...

من قلعتك وقد جمعت من الذخائر ما لا حد له فلا شيء تنزل اليه ليس هذا برأي فاصر
على النزول وأصروا على منعه فقال في آخر الامر اتركوني انزل والا ألقيت نفسي من
القلعة فحينئذ سكتوا عنه فنزل في نفر يسير ووصل الى الكامل فاعتقله الى ان سلم
مدينة حماة وقلعتها الى أخيه الاكبر الملك المظفر وبقي بيده قلعة بارين حسب فانها
كانت له وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه

(ذكر حصر جلال الدين خلاط وملكها)

وفي هذه السنة أوائل شوال حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط وهي للملك
الاشرف وبها عسكره فامتنعوا بها وأعانهم أهل البلد خوفا من جلال الدين لسوء سيرته
وأسرفوا في الشتم والسفه فأخذه اللجاج معهم واقام عليهم جميع الشتاء محاصرا وفرق
كثيرا من عساكره في القرى والبلاد القريبة من شدة البرد وكثرة الثلج فان خلاط من
أشد البلاد بردا وأكثرها ثلجا وأبان جلال الدين عن عزم قوي وصبر تحار العقول منه
ونصب عليها عدة منجنيقات ولم يزل يرميها بالحجارة حتى خرب بعض سورها فأعاد أهل
البلد عمارته ولم يزل مصابرهم وملازمهم الى أواخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين
فزحف اليها زحفا متتابعا وملكها عنوة وقهرا يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى
الاولى سلمها اليه بعض الامراء غدرا فلما ملك البلد صعد من فيه من الامراء الى القلعة
التي لها وامتنعوا بها وهو ينازلهم ووضع السيف في اهل البلد وقتل من وجده منهم
وكانوا قد قلوا فان بعضهم فارقوه خوفا وبعضهم خرج منه من شدة الجوع وبعضهم
مات من القلة وعدم القوت فان الناس في خلاط أكلوا الغنم ثم البقر ثم الجواميس ثم
الخيل ثم الحمير ثم البغال والكلاب والسنانير وسمعنا انهم كانوا يصطادون الفار
ويأكلونه وصبروا صبرا لم يلحقهم فيه أحد ولم يملك من بلاد خلاط غيرها وما سواها من
البلاد لم يكونوا ملكوه وخربوا خلاط واكثروا القتل فيها ومن سلم هرب في البلاد
وسبوا الحريم واسترقوا الاولاد وباعوا الجميع فتمزقوا كل ممزق وتفرقوا في البلاد
ونهبوا الاموال وجرى على أهلها ما لم يسمع بمثله لاجرم لم يمهله الله تعالى وجرى عليه من
الهزيمة بين المسلمين والتتر ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في أواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ونهبوا بلاده وأعماله وأسروا
وسبوا ومن جملة من ظفروا به طائفة من التركمان كانوا نازلين في ولاية بارين فأخذوا
الجميع ولم يسلم منهم الا النادر الشاذ والله اعلم

و يباع رطل الشمع بستة قروش ولا يوجد الا ما كان مختلسا او يباع خفية وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش فاذا وردت
مراكب الى الساحل نزل اليها المفتشون على الاشياء ومن جملتها الشمع فيأخذون ما يجدونه ويحسب لهم بالبخس ثمن فان
اخفى شيئا وعثر واطلع عليه أخذوه بلا ثمن ونكلوا بالشخص الذي يجدون معه ذلك وسموه حراميا اي مبتدع
غيره والمتولي على ذلك
نصارى واعوانهم لا دين لهم
وقد هاف النحل في هذه
السنة وامتنع وجود العسل
وكذلك ثمر النخيل بل والغلال
فلم تزل في هذه السنين مع كثرة
الاسيال التي غرقت منها
الاراضي بل وتعطل بسببها
الزرع وزادت اثمانها وخصوصا
الفول واما العدس فلا يوجد
أيضا الا نادرا * وكذلك
الترمس بالملاحة وتوابعها من
زاد في مالها وبلغ ثمن الكيلة
قرشا وكانت قبل ذلك
بثلاثين نصفا وفيما ادركنا
بثلاثة انصاف واما أجر الاجراء
والفعلة والمعمرين فابدل
النصف بالقرش وكذلك ثمن
الجير البلدي والجبس لان
عمائر أهل الدولة مستديمة
لا تنقضي أبدا ونقل الاتربة
الى الكيمان على قطارات
الجمال والحمير من شروق
الشمس الى غروبها حتى
ترتفع علوها الافق من كل ناحية
واذا بنى أحدهم دارا فلا
يكفيه في ساحتها الكثير
ويأخذ ما حولها من دور الناس
بدون القيمة ليوسع بها داره
ويأخذ ما بقي في تلك الخطة
لخاصته وأهل دائرته ثم يبني اخرى كذلك لديوانه وجمعيته واخرى لعسكره وهكذا واما *(ثم
سليمان أغا السلحدار فهو الداهية العظمى والمصيبة الكبرى فانه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التي
بالصحراء ونقل احجارها الى داخل باب البرقية المعروف بالغريب وكذا ما كان جهة باب النصر وجمعوا احجارها

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة)

(ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والاشرف)

فى هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم جلال الدين خوارزمشاه من علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم قونية واقصرا وسيواس وملطية وغيرها ومن الملك الاشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط وسبب ذلك ان جلال الدين كان قد اطاعه صاحب ارزن الروم وهو ابن عم علاء الدين ملك الروم وبينه وبين علاء الدين عداوة مستحكمة وحضر صاحب ارزن الروم عند جلال الدين على خلاط واعانه على حصرها فخافهما علاء الدين فارسل الى الملك الكامل وهو حينئذ بحران يطلب منه ان يحضر أخاه الاشرف من دمشق فانه كان مقيما بها بعد ان ملكها وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين فاحضر الملك الكامل أخاه الاشرف من دمشق فحضر عنده ورسل علاء الدين اليهما متتابعة بحث الاشرف على المجىء اليه والاجتماع به حتى قيل انه فى يوم واحد وصل الى الكامل والاشرف من علاء الدين خمسة رسل ويطلب مع الجميع وصول الاشرف اليه ولو وحده فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علاء الدين فاجتمعا بسيواس وسارا نحو خلاط فسمع جلال الدين بهما فسار اليهما مجدا فى السير فوصل اليهما بمكان يعرف بياسى حمار (٣) وهو من أعمال ارزنجان فالتقوا هنالك وكان مع علاء الدين خلق كثير قيل كانوا عشرين ألف فارس وكان مع الاشرف نحو خمسة آلاف الا انهم من العساكر الجيدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدواب الفارهة من العربيات وكل منهم قد جرب الحرب وكان المقدم عليهم أمير من أمراء عساكر حلب يقال له عز الدين عمر بن على وهو من الاكراد الهكارية ومن الشجاعة فى الدرجة العليا وله الاوصاف الجميلة والاخلاق الكريمة فلما التقوا بهت جلال الدين لما رأى من كثرة العساكر لاسيما لما رأى عسكر الشام فانه شاهد من تجملهم وسلاحهم ودوابهم ما ملأ صدره رعبا فانشب عز الدين بن على القتال ومعه عسكر حلب فلم يقم لهم جلال الدين ولا صبر ومضى منهزما هو وعسكره لا يلوى الاخ على أخيه وتفرقت أصحابه وتمزقوا كل ممزق وعادوا الى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من أصحابهم وعادوا الى اذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى ولم يكونوا قد استولوا على شئ من أعمال خلاط سوى خلاط ووصل الملك الاشرف الى خلاط فرآها خاوية على عروشها خالية من الاهل والسكان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبل

خارج باب النصر وانشأ جهة خان الخليلى وكالة وجعل بها حواصل وطباقا واسكنها نصارى الاروام والارمن باجرة زائدة اضعاف الاجر المعتادة وكذلك غيرهم ممن رغب فى السكنى وفتح لها بابا يخرج منه الى وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخراطين لانها بظاهرها وأجر الحوانيت كذلك باجرة زائدة فاجر الحانوت بثلاثين قرشا فى الشهر وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفا فى الشهر والعجب فى اقدام الناس على ذلك واسراعهم فى تأجرهم قبل فراغ بنائها مع ادعائهم قلة المكاسب ووقف الحال ولكنهم أيضا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه ثم اخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا يسمى حوش عطى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء كان محطا العربان الطور ونحوهم اذا وردوا بعوا فلهم بالفحم والقلى وغيره وكذلك أهالى شرقية بلبيس فانشا فى ذلك المكان ابنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق وسكن غالبها ايضا الارمن وخلافهم بالاجر الزائدة ثم انتقل الى جهة خان الخليلى فاخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والاماكن والحوانيت والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة فهدم ذلك جميعه وانشأه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حانوتا اجرة كل حانوت ثلاثون قرشا فى كل شهر وانشأ فوق السبيل وبعض الحوانيت زاوية لطيفة يصعد اليها بدرج عوضا عن الجامع ثم انتقل الى جهة الخرنفش بخط الامشاطية فاخذ اماكن ودورا وهدمها وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدا من الاجابة فيدفع له ما سمحت به نفسه ان شاء عشر الثمن او اقل او ازيد بقليل

(ذكر ملك علاء الدين ارزن الروم)

قد ذكرنا ان صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ولم يزل معه وشهد معه المصاف المذكور فلما انهزم جلال الدين أخذ صاحب ارزن الروم أسيرا فاحضر عند علاء الدين كيقباذ ابن عمه فاخذه وقصد ارزن الروم فسلمها صاحبها اليه هي وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها فكان كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين وهكذا هذا المسكين جاء الى جلال الدين يطلب الزيادة فوعده بشئ من بلاد علاء الدين فاخذ ماله وما بيده من البلاد وبقي أسيرا فسبحان من لا يزول ملكه

(ذكر الصلح بين الاشرف وعلاء الدين وبين جلال الدين)

لما عاد الاشرف الى خلاط ومضى جلال الدين منهزما الى خوى ترددت الرسل بينهما فاصطلحوا كل منهم على ما بيده واستقرت القواعد على ذلك وتحالفوا فلما استقر الصلح وجرت الايمان عاد الاشرف الى سنجار وسار منها الى دمشق فاقام جلال الدين ببلاده من أذربيجان الى ان خرج عليه التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك شهاب الدين غازى مدينة ارزن)

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبا للملك الاشرف مناصحا له مشاهدا جميع حروبه وحوادثه وينفق أمواله في طاعته ويبذل نفسه وعساكره في مساعدته فهو يعادى أعداءه ويوالي أولياءه ومن جملة موافقته انه كان في خلاط لما حصرها جلال الدين ولقي من الشدة والخوف مالقيه بها وصبر الى أن ملكها جلال الدين فاسره جلال الدين وأراد ان يأخذ منه مدينة ارزن فقيل له ان هذا من بيت قديم عريق في الملك وانه ورث هذا رزن من اسلافه وكان لهم سواها من البلاد فخرج الجميع من أيديهم فعطف عليه ورق له وأبقى عليه مدينته وأخذ عليه العهود والمواثيق انه لا يقاتله فعاد الى بلده وأقام به فلما جاء الملك الاشرف وعلاء الدين محاربين لجلال الدين سار شهاب الدين غازى ابن الملك العادل وهو أخو الاشرف وله مدينة ميافارقين ومدينة حاني وهو بمدينة ارزن فحصره بها ثم ملكها صلحا وعوضه عنها بمدينة حاني من ديار بكر وحسام الدين هذا نعم الرجل حسن السيرة كريم جواد لا يخلو بابه من جماعة يردون اليه يستمحونه وسيرته جميلة في ولايته ورعيته وهو من بيت قديم يقال لهم بيت طغان ارسلان كان لهم مع ارزن بدليس ووسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الاحدب وهذه البلاد معهم من أيام ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقى فاخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس أخذها من عم حسام الدين هذا لانه كان

وذلك لشفاعة او واسطة خير واذا قيل له انه وقف ولا مسوغ لاستبداله لعدم تخربه اخربه تخريبه ليلا ثم يأتي بكشاف القاضي فيراه خرابا فيقضي له وكان يثقل عليه لفظة وقف ويقول ايش يعني وقف واذا كان على المكان حكر لجهة وقف اصله لا يدفعه ولا يلتفت لتلك اللفظة ايضا ويتم عمائره في اسرع وقت لعسفه وقوة مراسه على ارباب الاشغال والمؤنة ولا يطلق للفعلة الرواح بل يحبسهم على الدوام الى باكر النهار ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ويبتدؤن في العمل من وقت صلاة الشافعي الى قبيل الغروب حتى في شدة الحر في رمضان واذا ضجوا من الحر والعطش امرهم مشد العمارة بالشرب واحضر لهم السقاء ليسقيهم وظن اكثر الناس ان هذه العمائر انما هي لمخدومه لانه لا يسمع لشكوى احد فيه واشتد في هذا التار يخ أمر المساكن بالمدينة وضاقت باهلها لشمول الخراب وكثرة الاغراب وخصوصا المخالفين للملة فهم الآن أعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الاكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات واماههم وخلفهم العبيد والخدم وبايديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ويتسرون بالجوارى بيضا وحبوشا ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها باغلى الاثمان ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة على البحر للنزاهة ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفا من الاكياس وكذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان في خطه على موافقا جميع دورها وأخذها من اربابها باى وجه وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لانهم يحتاجون الى كتبة وخدم واعوان والتحكم في اهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ويقف الشريف والعامى بين يدي

الكافر ذليلا فضاقت بالناس المساكن وزادت قيمتها اضعاف الاضعاف وابدل لفظ الريال الذى كان يذكر فى قيم الاشياء بالكيس وكذلك الاجر والامر فى كل شئ فى الازدياد والله لطيف بالعباد ولو اردنا استيفاء بعض الحكايات فضلا عن الجزئيات لطال المقال وامتد الحال وعشنا ومتنا ما نرى غير ما نرى

تشابهت العجما وزاد انبهامها
نسال الله حسن اليقين وسلامة
الدين

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين
ومائتين والف)

(استهل شهر المحرم بيوم
الاثنين) وفى اوائله حضر
الباشا من الاسكندرية
(وفيه) من الحوادث ان الشيخ
ابراهيم الشهير بباشا المالكى
بالاسكندرية قرر فى درس
الفقه ان ذبيحة اهل الكتاب
فى حكم الميتة لا يجوز اكلها
وما ورد من اطلاق الآية فانه
قبل ان يغيروا ويبدلوا فى
كتبهم فلما سمع فقهاء الثغر
ذلك انكروه واستغربوه ثم
تكلموا مع الشيخ ابراهيم
المذكور وعارضوه فقال انا لم
اذكر ذلك بفهمى وعلمى
وانما تلقيت ذلك عن الشيخ
على الميلى المغربى وهو رجل
عالم متورع موثوق بعلمه ثم
انه ارسل الى شيخه المذكور
بمصر يعلمه بالواقع فالف رسالة
فى خصوص ذلك واطنب
فيها فذكر اقوال المشايخ
والخلافات فى المذاهب
واعتمد قول الامام الطرطوشى
فى المنع وعدم الحل وحشا
الرسالة بالحط على علماء
الوقت وحكامه وهى نحو الثلاثة عشر كراسة وارسلها الى الشيخ ابراهيم فقرأها على اهل الثغر فكثر اللغط والانكار خصوصا واهل الوقت اكثرهم مخالفون للملة وانتهى الامر الى الباشا فكتب مرسوما الى كتخدا بك بمصر وتقدم اليه بان يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسئلة وارسل اليه بالرسالة ايضا المصنفة فاحضر كتخدا بك المشايخ وعرض عليهم الامر

موافقا لصلاح الدين يوسف بن أيوب فقصده بكتمر لذلك وبقيت ارزن بيده هذا الى الآن فاخذت منه ولكل اول آخر فسبحان من لا اول له ولا آخر لبقائه

(ذكر ملك صونج قشيالوا قلعة روئين دز)

وفى هذه السنة ظهر أمير من امراء التر كمان اسمه صونج ولقبه شمس الدين واسم قبيلته قشيالوا وقوى أمره وقطع الطريق وكثر جمعه وكان بين اربل وهمذان وهو ومن معه يقطعون الطريق ويفسدون فى الارض ثم انه تعدى الى قلعة منيعة اسمها سار ووهى لمظفر الدين وقتل عندها أميرا كبيرا من أمراء مظفر الدين يعرف بعز الدين الحميدى فجمع مظفر الدين وأراد استعادتها منه فلم يمكنه لحصانتها ولكثرة الجموع مع هذا الرجل فاصطلحا على ترك القلعة بيده وكان عسكر جلال الدين خوارزمشاه يحصرون قلعة روئين دز وهى من قلاع اذربيجان من أحصن القلاع وأمنعها لا يوجد مثلها وقد طال الحصار على من بها فاذعنوا بالتسليم فارسل جلال الدين بعض خواص أصحابه وثقاته ليتسلمها وأرسل معه الخلع والمال لمن بها فلما اصعد ذلك القاصد الى القلعة وتسلمها اعطى بعض من بالقلعة ولم يعط البعض واستذلهم وطمع فيهم حيث استولى على الحصن فلما رأى من لم يأخذ شيئا من الخلع والمال ما فعل بهم ارسلوا الى صونج يطلبونه ليسلموا اليه القلعة فسار اليهم فى أصحابه فسلموها اليه فسبحان من اذا اراد أمرا سهله هذه قلعة روئين دز لم تزل تتقاصر عنها قدرة اكابر الملوك وعظمائهم من قديم الزمان وحديثه وتضرب الامثال بحصانتها لما أراد الله سبحانه وتعالى ان يملكها هذا الرجل الضعيف سهل له الامور فملكها بغير قتال ولا تعب وازال عنها اصحاب مثل جلال الدين الذى كل ملوك الارض تهابه وتخافه وكان اصحاب جلال الدين كما قيل رب ساع لقاعد فلما ملكها صونج طمع فى غيرها لاسيما مع اشتغال جلال الدين بما اصابه من الهزيمة ومجئ التتر فنزل من القلعة الى مراغة وهى قريب منها فحصرها فاتاه سهم غرب فقتله فلما قتل ملك روئين دز اخوه ثم ان هذا الاخ الثانى نزل من القلعة وقصد اعمال تبريز ونهبها وعاد الى القلعة ليجعل فيها من ذلك النهب والغنيمة ذخيرة خوفا من التتر وكانوا قد خرجوا فصادفه طائفة من التتر فقتلوه واخذوا ما معه من النهب ولما قتل ملك القلعة ابن اخت له وكان هذا جميعه فى مدة سنتين فاف لدنيا لا تزال تقبح فرحة بترحة وكل حسنة بسيئة

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم)

فلاطف الشيخ محمد العروسي العبارة وقال الشيخ على الميلى رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم لا ينكر علمه وفضله وهو منعزل عن خلطة الناس الا انه حاد المزاج وبعقله بعض خلل والاولى ان نجتمع به ونتذاكر فى غير مجلسكم وننهى بعد ذلك الامر اليكم فاجتمعوا فى ثانى يوم ٢٣٠ وارسلوا الى الشيخ على يدعونه للمناظرة فابى عن الحضور وارسل الجواب
مع شخصين من مجاورى
المغاربة يقولان انه لا يحضر
مع الغوغا بل يكون فى مجلس
خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد
ابن الامير بحضرة الشيخ حسن
القويسنى والشيخ حسن العطار
فقط لان ابن الامير يناقشه
ويشن عليه الغارة فلما
قالا ذلك القول تغير ابن الامير
وارعد وابرق وتشاتم بعض
من بالمجلس مع الرسل وعند
ذلك امروا بحبسهما فى بيت
الاغا وامروا الاغا بالذهاب الى
بيت الشيخ على واحضاره
بالمجلس ولو قهرا عنه فركب
الاغا وذهب الى بيت المذكور
فوجده قد تغيب فاخرج
زوجته ومن معها من البيت
وسمر البيت فذهبت الى
بيت بعض الجيران ثم كتبوا
عرضا محضرا وذكروا فيه
بان الشيخ عليا على خلاف
الحق وابى عن حضور مجالس
العلماء والمناظرة معهم فى
تحقيق المسئلة وهرب واختفى
لكونه على خلاف الحق
ولو كان على الحق ما اختفى
ولا هرب والراى لحضرة الباشا
فيه اذا ظهر وكذلك فى الشيخ
ابراهيم باشا السكندرى
وعموا العرض وامضوه بالختوم الكثيرة وارسلوه الى الباشا وبعد ايام اطلقوا الشخصين من حبس
ذلك
الاغا ورفعوا الختم عن بيت الشيخ على ورجع اهله اليه وحضر الباشا الى مصر فى اوائل الشهر ورسم بنفى الشيخ ابراهيم باشا الى بنى غازى ولم يظهر الشيخ على من اختفائه ❊ (واستهل شهر صفر بيوم الاحد بعاسنة ١٢٣٦) ❊ (وفى اوائله)

فى اول هذه السنة وصل التتر من بلاد ماوراء النهر الى اذربيجان وقد ذكرنا قبل كيف ملكوا ماوراء النهر وما صنعوه بخراسان وغيرها من البلاد من النهب والتخريب والقتل واستقر ملكهم بما وراء النهر وعادت بلاد ماوراء النهر انعمرت وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة وبقيت مدن خراسان خرابا لا يجسر احد من المسلمين يسكنها واما التتر فكانوا تغير كل قليل طائفة منهم ينهبون ما يرونه بها فالبلاد خاوية على عروشها فلم يزالوا كذلك الى ان ظهر منهم طائفة سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه وبقوا كذلك فلما كان الآن وانهزم جلال الدين من علاء الدين كيقباذ ومن الاشرف كما ذكرناه سنة سبع وعشرين ارسل مقدم الاسماعيلية الملاحدة الى التتر يعرفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه ويحثهم على قصده عقيب الضعف ويضمن لهم الظفر به للوهن الذى صاروا اليه وكان جلال الدين سيئ السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك أحدا من الملوك المجاورين له الا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته فمن ذلك انه أول ما ظهر فى اصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان فحصر مدينة ششتر وهى للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها وقتل فيها فاكثر وهى للخليفة أيضا ثم ملك اذربيجان وهى لاوزبك فملكها وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ثم عادى الملك الاشرف صاحب خلاط ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم وعادى الاسماعيلية ونهب بلادهم وقتل فيهم فاكثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة وكذلك غيرهم فكل من الملوك تخلى عنه ولم ياخذ بيده فلما وصلت كتب مقدم الاسماعيلية الى التتر يستدعيهم الى قصد جلال الدين بادر طائفة منهم فدخلوا بلاده واستولوا على الرى وهمذان وما بينهما من البلاد ثم قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها وجلال الدين لا يقدم على ان يلقاهم ولا يقدر على منعهم عن البلاد قد ملئ رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته فى طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب ان غريبا أظهر من قلة عقل جلال الدين ما لم يسمع بمثله وذلك انه كان له خادم خصى وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتفق ان الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وأمر الجند والامراء ان يمشوا فى جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس رجالة ومشى بعض الطريق راجلا فالزمه امراؤه ووزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز ارسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج عن البلد لتلقى تابوت الخادم ففعلوا فانكر عليهم حيث لم يبعدوا ولم يظهروا من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا واراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية بعد ما طاف الفيوم ايضا واحضر معه جملة اشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان وهم في الجنازير الحديد وشقوا بهم البلد ثم حبسوهم *(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٣٦)* (وفي اوائله) حضر نحو العشرة اشخاص من الامراء المصرية البواقي في حالة رثة وضعف وضيم واحتياج واجتياح وكانوا ارسلوا وطلبوا الامان واجيبوا الى ذلك (وفيه) أشهروا العربان الذين أحضرهم ابراهيم باشا معه وقتلوهم وهم اربعة اثنان بالرميلة واثنان بباب زويلة *(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة ١٢٣٦)* (وفيه) أخرج الباشا عبدالله بك الدرندلي منفيا وكان عبدالله بك هذا يسكن بخطة الخرنفش وهو رجل فيه سكون قليل الاذى وملك بتلك الناحية دورا واماكن وله عزوة وعساكر واتباع وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ويتوسع معه في الكلام والمسامرة وسبب تغير خاطر الباشا عليه انه جرى ذكر علي باشا تبدلان الارنؤدي وحروبه ومخالفة العساكر عليه فقال عبدالله المذكور ان العساكر يرون محاربة السلطان معصية أو كلاما هذا معناه فتغير وجه الباشا من ذلك القول ويقال انه أمر بقتله فتشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل وان يخرج منفيا هكذا أشيع واستفيض وانضم الى ذلك انه قال لشريف بك أمين الخزنة عند تأخر علوفته خدمة نصراني احسن من خدمتكم مع المشاجرة فبلغها شريف بك للباشا ايضا واوغر صدره عليه ودفع له الباشا علوفته وثمن ما حازه من الاماكن والاملاك ووصله ذلك على عدة جمال محملة بالدراهم وسافر في ثامنه على طريق البر وابقى حريمه واثقاله ليأتوه على سفن البحر (وفي سادس

ذلك الخصي وانما كان يستصحبه معه أين سار وهو يلطم ويبكي فامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر احد يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انه يقبل الارض ويقول انني الآن أصلح مما كنت فلحق امراءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز عنه مع وزيره فبقي حيران لا يدري ما يصنع لا سيما لما خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصي وراسل الوزير واستماله وخدعه الى ان حضر عنده فلما وصل اليه بقي أياما وقتله جلال الدين وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها

(ذكر ملك التتر مراغة)

وفي هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان فامتنع أهلها ثم اذعن اهلها بالتسليم على امان طلبوه فبذلوا لهم الامان وتسلموا البلد وقتلوا فيه الا انهم لم يكثروا القتل وجعلوا في البلد شحنة وعظم حينئذ شان التتر واشتد خوف الناس منهم باذربيجان فالله تعالى ينصر الاسلام والمسلمين نصرا من عنده فما نرى في ملوك الاسلام من له رغبة في الجهاد ولا في نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا أخوف عندي من العدو وقال الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

(ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه)

لما رأى جلال الدين ما يفعله التتر في بلاد اذربيجان وانهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويجبون الاموال وهم عازمون على قصده ورأى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق اذربيجان الى بلاد خلاط وأرسل الى النائب بها عن الملك الاشرف يقول له ما جئنا للحرب ولا للاذى انما خوف هذا العدو حملنا على قصد بلادكم وكان عازما على ان يقصد ديار بكر والجزيرة ويقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ويحذرهم عاقبة اهمالهم فوصل الى خلاط فبلغه ان التتر يطلبونه وهم مجدون في أثره فسار الى آمد وجعل اليزك في عدة مواضع خوفا من البيات فجاءت طائفة من التتر يقصدون أثره فوصلوا اليه على غير الطريق الذي فيه اليزك فاوقعوا به ليلا وهو بظاهر مدينة آمد فمضى منهزما على وجهه وتفرق من معه من العسكر في كل وجه فقصد طائفة من عسكره حران فاوقع بهم الامير صواب مقدم الملك الكامل بحران ومعه العسكر فاخذوا ما معهم

عشره) امر الباشا بقراءة صحيح البخارى بالجامع الازهر فاجتمعوا فى يوم الاثنين سابع عشره وقرؤا فى الاجزاء على العادة ضحوة النهار اربعة ايام آخرها الخميس وفرقوا على اولاد المكاتب دراهم وكذلك على مجاورى الازهر فى نظير قراءة البخارى * (واستهل شهر جمادى

الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٣٦) * (فيه) حضر ابراهيم باشا ونزل بقصره الجديد بل قصوره لانه انشاء عدة قصور متصلة وبساتين ومصانع متصلة متسعة مزخرفة منها قصر لديوانه وقصر لحريمه وقصر لخصوص عباس باشا ابن أخيه وغير ذلك * (واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦)

(فيه) عزم ابراهيم باشا على اعادة قياس اراضى قرى مصر واحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصا (وفى يوم السبت خامسه) عدى الى الجيزة تجاه القصور وجمع القياسين والمهندسين وكذلك مهندسى الافرنج وقاس كل قياسته وكيفية عمله فعاند المعلم غالى واحب تاييد اهل حرفته من قياسى القبط وقال كل منهم على الصحيح وعلم ابراهيم باشا ان قياس المهندسين وارباب المساحة اصح ولكن فيه ابطاء فقال اريد الصحيح ولكن مع السرعة بعد ان عمل امتحانا ومثالا فى قطعة من الارض يظهر بها برهان الصحة والتفاوت وامسى الوقت فامرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتى فحضروا كذلك واشتغلوا يومهم بالعمل الى آخر النهار ثم اختار من مهندسى قبل الاقباط طائفة وطرد الآخرين وسافر فى رابع عشره الى ناحية شرق اطفيح واخذ من المهندسخانه كبيرها وصحبته سبعة عشر شخصا وكذلك اشخاصا من الافرنج المهندسين وانتقصوا من القصبة فى هذه المرة مقدار قبضة

من مال وسلاح ودواب وقصد طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار وداربل وغير ذلك من البلاد فتخطفهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كل احد حتى الفلاح والكردى والبدوى وغيرهم وانتقم منهم وجازاهم على سوء صنيعهم وقبيح فعلهم فى خلاط وغيرها وبما سعوا فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين فازداد جلال الدين ضعفا الى ضعفه ووهنا الى وهنه بمن تفرق من عسكره وبما جرى عليهم فلما فعل التتر بهم ذلك ومضى منهزما منهم دخلوا ديار بكر فى طلبه لانهم لم يعلموا اين قصد ولا أى طريق سلك فسبحان من بدل امنهم خوفا وعزهم ذلا وكثرتهم قلة فتبارك الله رب العالمين الفعال لما يشاء

(ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه فى البلاد من الفساد)

لما انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميافارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الامان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى وقليل ما هم (حكى) لى بعض التجار وكان قد وصل آمد انهم حزروا القتلى ما يزيد على خمسة عشر الف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل وكان له ام فمنعته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصغ الى قولها فخشت معه فقتلا جميعا وورثها ابن اخ للام فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امرا عظيما وان مدة الحصار كانت خمسة ايام ثم ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى واد بالقرب من طنزة يقال له وادى القريشية فيه طائفة من الاكراد يقال لهم القريشية وفيه مياه جارية وبساتين كثيرة والطريق اليه ضيق فقاتلهم القريشية فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضا وساروا فى البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين واهل دنيسر بقلعة ماردين وغيرهم ممن جاور القلعة احتمى بها ايضا ثم وصلوا الى نصيبين الجزيرة فاقاموا عليها بعض نهار ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى بلد سنجار ووصلوا الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا وعادوا ومضى طائفة منهم على طريق الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المؤنسة وهى على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل فنهبوها واحتمى اهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كل من فيه (وحكى) لى عن رجل منهم انه قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بى وكنت اراهم من نافذة فى البيت فكانوا اذا أرادوا

(واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٣٦) (فيه) سافر مماليك الباشا الى جهة اسيوط مثل العام الماضى ليكونوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر (وفى سابع عشره) ارتحل محمد بك الدفتردار مسافرا الى دارفور ببلاد السودان بعد ان تقدمه طوائف كثيرة عساكر اتراك ٢٢٣ ومغاربة (وفى خامس عشرينه) امر الباشا بنفى محمد المعروف بالدرويش كتخدا محمود بك الذى هو الآن كتخدا بك والسيد احمد الرشيدى كاتب الرزق وسليمان افندى ناظر المدابغ والجلود ثلاثتهم الى قلعة ابى قير لمقتضيات واهية فى خدم مناصبهم ومحمد كتخدا كان ناظرا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان افندى المذكور (وفى اواخره) حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة صناجق أحدهم أحمد بك الالفى وهو زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير

(واستهل شهر شعبان بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦)

(فى ثامنه) يوم الجمعة عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالاحمر وكان قد تخرب ولم يبق به الا الجدران فتصدى لعمارته سليمان أغا المذكور وسقفه أيضا بافلاق النخيل والجريد والبوص وأقام له عمدا من الحجارة وجدد منبره وبلاطه وميضاته ومراحيضه وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية فى ذلك اليوم واجتمع به عالم كثيرون من الناس وخطب على منبره الشيخ محمد الامير وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسا وأملى فيه حديث من بنى لله مسجدا وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العروسى وعمل لهم شربات سكر (وفى يوم السبت ثالث عشرينه) حضر ابراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح (وفى يوم الثلاث

قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم يقول لا بالله ومضى طائفة منهم الى نصيبين الروم وهى على الفرات وهى من اعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بلد بدليس فتحصن اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرا وأحرقوا المدينة (وحكى) انسان من أهلها قال لو كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر احد لان الطريق ضيق بين الجبال والقليل يقدر على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من اعمال خلاط يقال لها باكرى وهى من احصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا مدينة ارجيش من اعمال خلاط وهى مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا فى ذى الحجة ولقد حكى لى عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذى القاه الله سبحانه وتعالى فى قلوب الناس منهم حتى قيل ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد لا يتجاسر أحد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغنى ان انسانا منهم أخذ رجلا ولم يكن مع التترى ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تبرح فوضع رأسه على الارض ومضى التترى أحضر سيفا فقتله به (وحكى) لى رجل قال كنت أنا ومعى سبعة عشر رجلا فى طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضا فشرع أصحابى يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا فوالله ما جسر احد يفعل ذلك فاخذت سكينا وقتلته وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير

(ذكر وصول طائفة من التتر الى اربل ودقوقا)

فى هذه السنة فى ذى الحجة وصل طائفة من التتر من اذربيجان الى اعمال اربل فقتلوا من على طريقهم من التركمان الايوائية والاكراد الجوزقان وغيرهم الى ان دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به من أهل تلك الاعمال وعملوا الاعمال الشنيعة التى لم يسمع بمثلها من غيرهم وبرز مظفر الدين صاحب اربل فى عساكره واستمد عساكر الموصل فساروا اليه فلما بلغه عود التتر الى اذربيجان أقام فى بلاده ولم يتبعهم فوصلوا الى بلد الكرخينى وبلد دقوقا وغير ذلك وعادوا سالمين لم يذعرهم احد ولا وقف فى وجوههم فارس وهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد هذا العدو عنهم وخرجت هذه السنة ولم نتحقق لجلال الدين خبرا ولا نعلم هل قتل أو اختفى لم يظهر نفسه خوفا

سادس عشرينه) سافر بن معه الى ناحية شرقية بلبيس *(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٣٦)* وعملت الرؤية فى ثلث الليلة كالعادة وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب وانثبتوا رؤية الهلال ثلث الليلة بعد مضى اربع ساعات من الليل ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالى الاثمان وتعاليها بسوء فعل السوقة واظهارردىء الماكولات واخفاء جيدها وقد انقضى بخير

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦)

(فى ثالثه) حضرت هجانة من اراضى نجد وبصحبتهم اشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال وهم عمر بن عبد العزيز واولاده وابناء عمه وذلك انهم لما رجعوا الى الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا وعساكره وكان معهم مشارى بن مسعود وقد كانوا هربوا فى الدرعية بعدما رحل عنها ابراهيم باشا وتركى بن عبد الله ابن اخى عبد العزيز وولد عم مسعود الا مشارى فانه هرب من العسكر الذين كانوا مع اولاد مسعود وجماعتهم حين ارسلهم ابراهيم باشا الى مصر فى الحمراء وهى قرية بين الجديدة وينبع البحر وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فرحين قدمت العساكر واخذوا فى تعميرها ورجع اكثر اهلها وقدموا عليهم مشارى ودعا الناس الى طاعته فاجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ الباشا ذلك جهزله عساكر رئيسها حسين بك فاوثقوا مشارى وارسلوه الى مدمرفات فى الطريق واما عمر واولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض ملك المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية اربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة ايام او اربعة وطلبوا الامان لما علموا انهم لاطاقة لهم به فاعطاهم الامان على انفسهم فخرجوا له الا تركى فانه خرج

من التتر أو فارق البلاد الى غيرها والله اعلم

(ذكر طاعة اهل اذربيجان للتتر)

فى أوّل هذه السنة أطاع أهل بلاد اذربيجان جميعها التتر وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطائى والخويى والعتابى وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم على آمد من التتر وتفرقت عساكره وتمزقوا كل ممزق وتخطفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة واربل وخلاط ما فعلوا ولم يمنعهم أحد ولا وقف فى وجوههم فارس وملوك الاسلام منجحرون فى الاثقاب وانضاف الى هذا انقطاع أخبار جلال الدين فانه لم يظهر له خبر ولا علموا له حالا اسقط فى ايديهم واذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا منهم من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التى هى اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى من بها فان ملك التتر نزل فى عساكره بالقرب منها وارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فارسلوا اليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الابريسم وغيرها وكل شىء حتى الخمر وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم ويطلب منهم ان يحضر مقدموهم عنده فقصده قاضى البلد ورئيسه وجماعة من اعيان اهله وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائى وهو الذى يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شيئا من ذلك فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائى فقالوا انه رجل منقطع ماله بالملوك تعلق ونحن الاصل فسكت ثم طلب ان يحضروا عنده من صناع الثياب الخطائى وغيرها ليستعمل للملك الاعظم فان هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصناع فاستعملهم فى الذى ارادوا وزن أهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاة للملك ايضا فعملوا له خركاة لم يعمل مثلها وعملوا غشاءها من الاطلس الجيد الزركش وعملوا من داخلها السمور والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيئا كثيرا ومن الثياب كذلك وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انهم لا ينصرون خوارزمشاه ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من أهل الرى كان قد انتقل الى الموصل واقام بها هو ورفقاء له ثم سافر الى الرى فى العام الماضى قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الرى وأطاعهم اهلها وساروا الى أذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى أصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله ما نقدر نصفه ولا كثرة جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولا تظنون ان هذه الطائفة التى وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التى وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا هل فى البلاد من يردهم أم لا فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من

ملك وعساكر فقوى طمعهم وهم فى الربيع يقصدونكم ومايبقى عندكم مقام الا ان كان فى بلاد الغرب فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واما جلال الدين فالى آخر سنة ثمان وعشرين لم يظهر له خبر وكذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قلت الامطار بديار الجزيرة والشام لاسيما حلب واعمالها فانها كانت قليلة بالمرة وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب الا انه لم يكن بالشديد مثل ماتقدم فى السنين الماضية فاخرج اتابك شهاب الدين وهو والى الامر بحلب والمرجع الى امره ونهيه وهو المدبر لدولة سلطانها الملك العزيز ابن الملك الظاهر والمربى له من المال والغلات كثيرا وتصدق صدقات دارة وساس البلاد سياسة حسنة بحيث لم يظهر للغلاء اثر فجزاه الله خيرا وفيها بنى اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية وسماها شميمس وكان الملك الكامل لما خرج من مصر الى الشام قد خدمه أسد الدين ونصح له وله أثر عظيم فى طاعته والمقاتلة بين يديه فاقطعه مدينة سلمية فبنى هذه القلعة بالقرب من سلمية وهى على تل عال وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهى من جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها وأخذوا منها غنيمة واسرى فسير اتابك شهاب الدين اليهم العساكر مع أمير كان أقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى والغنيمة وفيها توفى القاضى ابن غنائم بن العديم الحلبى الشيخ الصالح وكان من المجتهدين فى العبادة والرياضة والعاملين بعلمهم ولو قال قائل أنه لم يكن فى زمانه اعبد منه لكان صادقا فرضى الله عنه وارضاه فانه من جملة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه وفيها أيضا فى الثانى عشر من ربيع الاول توفى صديقنا أبو القاسم عبد المجيد بن العجمى الحلبى وهو وأهل بيته مقدمو السنة بحلب وكان رجلا ذا مروأة غزيرة وخلق حسن وحلم وافر ورياسة كثيرة يحب اطعام الطعام واحب الناس اليه من يأكل طعامه ويقبل بره وكان يلقى اضيافه بوجه منبسط ولا يقعد عن ايصال راحة وقضاء حاجة فرحمه الله رحمة واسعة

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة)

الى هنا وقف جواد براعته وحالت منيته بينه وبين أمنيته رحمه الله تعالى

من القلعة ليلا وهرب واما حسين بك فانه قيد الجماعة وارسلهم الى مصر فى الشهر المذكور وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفى قريبا من بيت جماعتهم الذين اتوا قبل هذا الوقت *(واستهل شهر ذى العقدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٦)

(فيه) حضر ابراهيم باشا من سرحته بالشرقية بسبب قياس الاراضى والمساحة (وفى منتصفه) سافر الباشا الى الاسكندرية لداعى حركة الاروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل حتى انهم اخذوا المراكب الخارجة من اسلامبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضا من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك وشاع ذلك بالنواحى وانقطعت السبل فنزل الباشا الى الاسكندرية وشرع فى تشهيل مراكب مساعدة للدونانمه السلطانية وسياتى تتمة هذه الحادثة وبعد سفر الباشا سافر أيضا ابراهيم باشا الى ناحية قبلى قاصدا بلاد النوبة

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦)* (فيه) خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساؤهم وفيهم نحو ملك ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود واللغمجية وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وماجاوزها من بلاد السودان (وفيه) سافر أيضا محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية الى اسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين (وفيه) وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء اسمعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول أهلها تحت الطاعة وضربت لتلك الاخبار مدافع من القلعة (وانقضت هذه السنة) وما تجدد بها من الحوادث انقضى

بعضها والبعض باق الى الآن (ومنها) توقف زيادة النيل وذلك انه لم يستتم أذرع الوفاء الى ثامن عشر مسرى القبطى حتى ضجر الناس وضج الفلاحون ٢٣٦ (ومنها) أمر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقى ألفا ومائتى نصف والمجر والفندقلى عشرين قرشا عنها ثمانمائة نصف وبلغ صرف الريال الفرانسه أربعة عشر قرشا عنها خمسمائة نصف وستون نصفا وقس على ذلك باقى الاصناف (ومنها) غلو الاثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الاردب الى ألف وخمسمائة نصف والرطل السمن الى خمسين نصفا والى ستين نصفا وقس على ذلك (وأما حادثة الاروام) التى هى باقية الى الآن وماوقع منهم من الافساد وقطع الطريق على المسافرين واستيلائهم على كل ماصادفوه من مراكب المسلمين وخروجهم عن الذمة وعصيانهم وماوقع معهم من الوقائع وماسينتهى حالهم اليه فسيتلى عليك ان شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

(وجدنا آخر بعض النسخ مانصه)

الى هنا انتهى مانقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن الجبرتى مؤرخ هذه المدة وما قبلها لغاية هذا التاريخ سنة ١٢٣٦

وهذا آخر الجزء الرابع وبعده توفى الشيخ ولم يكتب شيئا

(يقول المتوسل بالرسول الخاتم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم)

نحمدك يامن أودعت تاريخ الاواخر والاوائل آيات بينات على انك المنفرد بالعز والملك الكامل ونشكرك يامن جعلت فى تتابع القرون وتقلب الاحوال وتغير الشؤن عظة لمن تدبر واعتبارا لمن تفكر وتذكر ونصلى ونسلم على رسولك المخصوص بالشرف الاعم والاخص المنزل عليه نحن نقص عليك أحسن القصص سيدنا محمد الآتى بأصدق الاخبار وأبلغ الحكم وأبهر الآثار وعلى آله ذوى المناقب الجليلة وصحبه اولى المآثر الحميدة الجميلة (اما بعد) فقد تم طبع التاريخ المسمى الكامل لنادرة دهره الجهبذ الفاضل العلامة النحرير ابى الحسن على المشهور بابن الاثير أفاض الله تعالى عليه هوامع احسانه وأسكنه بفضله مستقر رحمته ورضوانه وناهيك به من تاريخ تعقد عليه الخناصر لما أبرزه من مخبآت العرائس ومخبآت الذخائر ابتداه مؤلفه رحمه الله من ابتداء الدنيا الى ان انتقل الى دار مولاه لقد جاد واجاد وبسط فى فدافد سيره عنان الجواد ان سئل اجاب واتى بالعجب العجاب يجنب مطالعه الخلال العاطلة ويكسبه الخصال الشريفة الفاضلة ويمرن النفوس ويؤدبها ويزكى الطباع ويهذبها فجدير بذوى الآداب واللطائف وعصابة الالباب والمعارف ان يسرحوا انظارهم نحو حدائقه ويشنفوا اسماعهم بجواهر رقائقه ويقتبسوا من مصباحه المنير ويلتمسوا من قاموسه الخضم الغزير فكم فيه لذوى الكياسة وقائع تتضح بها معالم السياسة وكم فيه للملوك والوزراء مافيه حسن اعتبار واقتداء فهو نديم نفيس وجليس أنيس وسمير كل أمير بل أمير كل سمير ثم لا يخفى على ذى ذوق سليم وطبع ذكى قويم ان فن التاريخ مما يعض بالنواجذ عليه اذ المرجع فى اثبات الشرائع والاحكام اليه فلولاه ما استبانت للامم محجة ولا استقامت أسانيد ولا حجة ولا وصلت الينا سير الرسل والانبياء ولا وقائع الملوك والوزراء والامراء فلاجرم كان فلك مطالع القرون الماضية ومصدر الاطلاع على عجائب المخلوقات فى العصور الخالية فكأنما المتحلى به عمر دهرا طويلا وشاهد جميع الاجيال جيلا فجيلا وهذا التاريخ من أبدع ما ألف فى هذا الفن مع براعة عبارة وتهذيب حسن وبديع صياغة وقويم تحرير وانيق صناعة تروق المهذب النحرير روضة يانعة الازهار متدفقة الجداول والانهار محلاة هوامشه بالتاريخ الفائق سبائك النضار الموسوم بعجائب الآثار فى التراجم والاخبار لمحرز قصب السبق فى مضمار العلوم وفائق الاقران فى اقتعاد صهوة الفهوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى امطره الله تعالى بغيوث احسانه وبره الحفى ولعمرى انه لتاريخ انتظمت عقود فرائده ووشيت مطارف فوائده اماط القناع وأفاض الاطلاع مع جزالة عبارته ولطف اشارته وحسن نادرته وجميل مسامرته

قص فيه حوادث القرن الحادى عشر وبعض الثانى عشر محليا طروسه بتراجم الاعيان
والغرر مضمنا ذلك بدائع منشآت حسان لبعض فضلاء ذلك الزمان تفوق حدائق
الازاهر ومطربات الاغانى والمزاهر فمن بين منثور يجلب الطرب والسرور ومنظوم
تلذ به الاسماع ويسحر بلطفه الافئدة والطباع وفكاهات أدبية أشهى من
فواكه جنية وشوارد غريبة ونوادر عجيبة هذا وكان طبعه الفائق ووضعه البهيج
الرائق بالمطبعة الازهرية المصرية التى هى بحسن الطبع والتحرى حرية الكائنة
بمحروسة مصر القاهرة لازالت آهلة زاهية ناضرة مشمولا طبعه بملاحظة
صاحب الهمم العلية الشان حضرة الفاضل السيد محمد رمضان احد ذوى
ادارتها عيون الافاضل وخلاصة المجد وحلفاء الفضائل لازالت دار
الطباعة المذكورة بجميل انظارهم سائغة الموارد يانعة بازهار المنافع
واثمار الفوائد سار ياذكرها فى سائر الاقطار طالعا كوكب
محاسنها طلوع الشمس فى رابعة النهار وتنفس صبح
طبعه فى أواسط شوّال عام اثنين وثلثمائة
وألف من هجرة من طبعه الله تعالى على
أشرف الخصال صلى الله وسلم
عليه وعلى آله وأصحابه
الكرام ما تتابعت
الليالى والايام
آمين
تم

